المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(032)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
البرنامج المسائي

# المسائل العق
# بالحيوان

## جمعًا ودراسة

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية العالية الدكتوراه

**إعداد الطالب**

**خالد بن محمد بن عبد الرحمن الرباح**

**إشراف الشيخ الدكتور**

**صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي**

**العام الجامعي**
**1434/ 1435هـ**

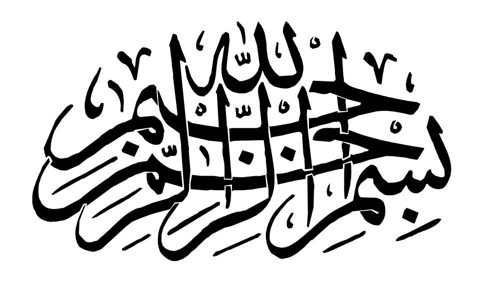
بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

وتشتمل على:

**أهمية الموضوع وأسباب اختياره.**
**الدراسات السابقة.**
**خطة البحث.**
**منهج البحث.**

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد:

فإنّ الله  هو المتفرد بالخلق، فهو سبحانه أوجد هذه المخلوقات وأبدعها، وأتقن خلقها، وكلها ذليلة له، مسخرة بأمره، تسجد له، وتسبحه، قال تعالى: ﴿ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ﴾ [الحج: 18].

وقال سبحانه: ﴿ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ﴾ [الإسراء: 44].

ومن هذه المخلوقات التي خلقها الله تبارك وتعالى، الحيوان، فهو خاضعٌ له تبارك وتعالى، مسخرٌ بأمره، ساجدٌ له، ومسبِّحٌ له، بل هو يعرف الخالق تبارك وتعالى، وفيه دلائل عظيمة على توحيد الله تعالى؛ مِنْ خَلْقِه وتسخيره، وحياته وغير ذلك.

وفي الإسلام أحكام ومسائل كثيرة متعلقة بالحيوان، منها مسائل في القرآن وعلومه، ومنها مسائل في الفقه، وهناك - أيضًا - مسائل كثيرة متعلقة بالعقيدة، من الإيمان بالله وتوحيده، والإيمان بالملائكة والرسل، والإيمان باليوم الآخر، وغير ذلك من مسائل كثيرة متعلقة بأبواب العقائد، ويحسن جمعها في مصنف مستقل حتى تكون مرجعًا للباحث في هذه المسائل.

من أجل ذلك اخترت أنْ يكون موضوع رسالتي لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراه): بعنوان:

**المسائل العقدية المتعلقة بالحيوان**

**جمعًا ودراسة**

## أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

من أبرز الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع:

1- كثرة النصوص في الكتاب والسنة الدالة على توحيد الله ﷻ ودلائل هذه الوحدانية من خلال ذكر الحيوان.

2- أنَّ في جمع هذه المسائل بيانًا لعظمة الله تبارك وتعالى، وذلك من خلال تسخير الله تعالى الحيوان، وعبوديته له، ومقارنة ذلك بالانحراف الذي عليه طوائف من البشر عن دين الله ﷻ.

3- دخول الحيوان في مسائل كثيرة من مسائل العقيدة، بعضها متعلق بالإيمان بالله تعالى، وبعضها متعلق بالإيمان بالملائكة والرسل، ومسائل أخرى متعلقة بالإيمان باليوم الآخر، ثم مسائل - أيضًا - متعلقة بأبواب متفرقة من أبواب العقائد، تفتقر إلى الجمع والدراسة.

4- أنَّ في دراسة مسائل العقيدة المتعلقة بالحيوان أثرًا عظيمًا في زيادة الإيمان بالله تعالى؛ وذلك من خلال التفكر في خلق الله تعالى لها، وما أودع فيها من عجائب، ومن خلال الأمور الغيبية المتعلقة بها، ومن خلال تكريم الله ﷻ لبني آدم عليها، وتسخيرها له، وتفضيل الموحد منهم على الحيوان.

5- عدم وجود مصنف يجمع مسائل العقيدة الكثيرة المتعلقة بالحيوان؛ وجمع هذه المسائل في مصنف واحد يسهل على الباحث معرفتها والاطلاع عليها.

## الدراسات السابقة:

لم أجد - حسب بحثي - في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وغيره من قوائم البحث في المكتبات العامة، وفهارس الرسائل العلمية في الجامعات رسالةً جمعت مسائل العقيدة المتعلقة بالحيوان، وإن كان هناك بعض الرسائل التي بحثت المسائل المتعلقة بالحيوان، لكن في أقسام أخرى غير قسم العقيدة مثل:

1- أحكام الحيوان في الفقه الإسلامي، للباحث: عمار بن كمال بن محمد مناع، رسالة ماجستير من جامعة النجاح الوطنية في نابلس - فلسطين.

2- أحكام الحيوان غير المأكول في العبادات، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى، للباحث: صالح بن حمود التويجري.

3- أحكام الحيوان في الفقه الإسلامي، المعاملات المالية، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر، للباحث: عبد الله حسين الموجان.

وهناك بعض الرسائل التي تطرقت إلى مسألة أو أكثر من المسائل العقدية المتعلقة بالحيوان، مثل:

1- عبودية الكائنات لرب العالمين، رسالة ماجستير من قسم العقيدة في جامعة أم القرى، للباحث: فريد إسماعيل التونِي، وقد أفرد الباحث مبحثًا من مباحث الرسالة، قرابة خمس عشرة صفحة بعنوان (عبودية الحيوانات).

2- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، رسالة ماجستير من قسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، للباحث: محمد بن أحمد ملكاوي، وقد أفرد الباحث فصلاً: (تقرير القرآن للتوحيد بالتذكير بنعم الله)، وذكر من هذه النعم: نعمة الأنعام.

وهناك - أيضًا - مؤلفات أخرى كثيرة أشارت إلى بعض مسائل العقيدة المتعلقة بالحيوان، مثل التطير والذبح، وعبادة الحيوان من الخوف والتسبيح، وغيرها، وهي في نظري لا تؤثر على موضوع هذه الرسالة، التي تهدف إلى جمع ودراسة جميع مسائل العقيدة المتعلقة بالحيوان، وليست مقتصرة على مسألة منها، والله الموفق.

## خطة البحث:

تتكـون خطـة البحث من: مقدمـة، وتمهيـد، وسـبعة فصـول، وخاتمة، وفهارس تفصيلية.

**أولاً: المقدمة:** وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.

**ثانيًا: التمهيد:** وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الحيوان لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني: أنواع الحيوان.

المبحث الثالث: الكتب المؤلفة في الحيوان.

**ثالثًا:** فصول الرسالة، وهي:

**الفصـل الأول: المسـائل المتعلقـة بالإيمـان باللـه تعالى، وفيه مبحثان:**

المبحث الأول: المسائل المتعلقة بتوحيد الربوبية، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: دلالة الحيوان على توحيد الله  في ربوبيته وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: دلالة خلق الحيوان وعجائبـه على توحيـد الله سبحانه في ربوبيته.

المسألة الثانية: دلالة رَزْق الحيوان وحياته المعشـية على توحيد الله سبحانه في ربوبيته.

المسألة الثالثة: دلالة تسخير الحيوان للإنسان على توحيد الله سبحانه في ربوبيته.

المسألة الرابعة: دلالة إنطـاق الحيوانـات وتخاطبهـا فيمـا بينها على توحيد الله سبحانه في ربوبيته.

المسألة الخامسة: الإيحاء للحيوان.

المطلب الثاني: فطرة الحيوان على التوحيد.

المطلب الثالث: التشريعات الباطلة المتعلقة بالحيوان.

المطلب الرابع: تصوير الحيوان.

المطلب الخامس: تغيير خِلْقة الحيوان.

المطلب السـادس: نظريـة النشـوء والارتقـاء وعلاقتهـا بالحيوان.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: المراد بنظرية النشوء والارتقاء وعلاقتهـا

**الفصل الخامس: المسائل المتعلقة بالقدر، وفيه ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: أفعال الحيوان.

المبحث الثاني: هداية الحيوان.

المبحث الثالث: مسألة إيلام الحيوان، وبيان حكمة الله فيها.

**الفصل السادس: مسائل الأسماء والأحكام المتعلقة بالحيوان، وفيه أربعة مباحث:**

المبحث الأول: لعن الحيوان.

المبحث الثاني: الفاسق من الحيوان.

المبحث الثالث: تفضيل الأنعام على المشركين.

المبحث الرابع: تشبيه الكافر ببعض الحيوان.

**الفصل السابع: مسائل متفرقة، وفيه ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: التشبه بالحيوان، وبيان حكمه.

المبحث الثاني: المسخ، وفيه تمهيد، وثلاثة مطالب:

التمهيد: تعريف المسخ.

المطلب الأول: المسخ في الأمم السابقة.

المطلب الثاني: المسخ في هذه الأمة.

المطلب الثالث: تناسل الممسوخ.

المبحث الثالث: الآثار الإيمانية للمسائل العقدية المتعلقة بالحيوان.

**الخاتمة:** وفيها أهم نتائج البحث، وتوصياته.

**الفهارس: وتشمل:**

1) فهرس الآيات.
2) فهرس الأحاديث والآثار.
3) فهرس الأعلام.
4) فهرس الفرق والأديان.
5) فهرس المصادر والمراجع.
6) فهرس الموضوعات.

## منهج البحث:

سرت في كتابة هـذه الرسـالة - بتوفيـق اللـه تعـالى - على الخطوات التالية:

1- تتبع نصـوص الكتـاب والسـنة الـتي جـاء فيهـا ذكـر الحيـوان واستخراج مسائل العقيدة المتعلقة بها.

2- جمعت المادة العلمية من مظانها.

3- رتبت فصول الرسالة على ما جـاء في حـديث جبريل:  من الإيمان بالله، ثم الملائكة، وهكذا.

4- وضعت فصلاً آخر يحوي بعض المسـائل المتفرقـة الـتي لهـا علاقة بالحيوان.

5- بعض المباحث كتب فيها رسـائل مسـتقلة كـالتطير والـذبح، فلا أتوسع فيها كثيرًا، بل أذكر أهم المسائل العقدية المتعلقة بالحيوان فيها.

6- كتبت الآيات بالرسم العثماني، ثم عزوت الآيات إلى سـورها مع ذكر رقم الآيات.

7- خرجت الأحاديث من مصادرها، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، لدلالة ذلك على صحته، وإن كانت في غيرهما ذكرت كلام أهل العلم في بيان درجته.

8- ترجمت للأعلام غير المشـهورين، وحيث إنَّ الشـهرة نسـبية فقد جعلت الشهرة للأربعة الخلفاء والأئمة الأربعة، وترجمت لغيرهم ترجمة موجزة.

9- عرفت تعريفًا موجزًا بالفرق، والأماكن المهمة.

10- قمت بتوضيح الكلمات الغريبة والمصطلحات المهمة.

11- وثقت النقولات وذلك بذكر اسم الكتاب والجـزء والصـفحة التي تم النقل منها، وإذا كان غير كتاب بينته.

12- عند الإحالة إلى المرجع في الحاشية ذكـرت اسـم الكتـاب والمؤلف كاملاً عند أول ورود له، ثم عند تكرره فـإني أكتفي بـذكر اسـم الكتـاب ورقم الصـفحة، وقـد أختصـره إنْ كـان مطولاً ولا يشتبه باسم كتاب آخر.

13- التزمت بوضع علامات الترقيم، والضبط بالشكل لما يحتاج إلى ضبط.

14- ذيلت البحث بفهـارس تفصـيلية على النحـو المـبين في الخطة.

**شكر وتقدير:**

وبعد فإني أشكر الله تعالى على ما امتنّ به عليّ، فهو صاحب الفضل أولاً وآخرًا، وهو أعظم من أعطى، وأحق من شُكِر، فله المحامد كلها، ثم أثنِّي بالشكر لكل من له فضل عليّ بعد الله تعالى، وأخص منهم والدتي الغالية أمدّ الله بعمرها على طاعته، التي تلهج بالدعاء دومًا لي بالتوفيق والسداد والإعانة والرشاد، فبارك الله في حياتها ورزقها الله التوفيق والسداد، ولأهل بيتي الشكر، حيث تحملوا عني الكثير لأنصرف إلى هذا البحث، وأصرف الجهد والوقت فيه، فجعل الله سعيهم مشكورًا.

وللشيخ الدكتور/ صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي، الأستاذ المشارك بقسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين المشرف على الرسالة شكر جزيل على ما بذله لي من نصح وتوجيه وإرشاد، فسدد الله خطاه وبارك الله في علمه وعمله.

كما أشكر كل من ساهم بتوجيهٍ أو بذل مساعدةٍ أو دلّ على معلومة، فبارك الله في جهود الجميع.

وشكري موصول للقائمين على كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية، وأخص منهم قسم العقيدة على العلم الذي نلته منهم، وعلى توجيهاتهم وآرائهم فشكر الله لهم جميعًا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه
أجمعين.

# التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول: تعريف الحيوان لغة واصطلاحًا.**

**المبحث الثاني: أنواع الحيوان.**

**المبحث الثالث: الكتب المؤلفة في الحيوان.**

## المبحث الأول: تعريف الحيوان لغة واصطلاحًا:

### الحيوان لغة:

قال ابن فارس[1]: «الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة، فأمّا الأول فالحياة والحيوان، وهو ضد الموت والمَوَتَان»[2].

والحيوان محركة جنس الحيّ أصله حيَيَان، فقلبت الياء التي هي لام واوًا استكراهًا لتوالي الياءين، وهذا مذهب الخليل[3]، وسيبويه[4].

وذهب الجاحظ[5] إلى أنَّ الحيوان غير مبدل الواو، وأن الواو

---

1 () هو: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، نزيل همذان، كان رأسًا في الأدب، بصيرًا بفقه مالك، سمع من أبان وأبي القاسم الطبراني، وسمع منه: أبو منصور المحتسب والبديع الهمذاني، له مصنفات، منها: مقاييس اللغة، والمجمل في اللغة، وغيرها، توفي سنة 395هـ. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1431هـ، (2/ 352)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1412هـ، (17/ 103-106).

2 () مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ، (2/ 122)، مادة (حي).

3 () هو: الخليل بن أحمد بن عمرو، الفراهيدي، البصري، حدث عن أيوب السختياني، وعاصم الأحول، وأخذ عنه: سيبويه، والأصمعي، وغيرهم، كان رأسًا في لسان العرب، وكانت له معرفة بالإيقاع والنظم، وهو الذي أحدث له علم العروض، له مصنفات منها: العين، والعروض والإيقاع، كان دينًا ورعًا متواضعًا زاهدًا، توفي سنة 175هـ. انظر: بغية الوعاة (1/ 557-560)، وسير أعلام النبلاء (7/ 429-431).

4 () هو: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الفارسي، البصري، المعروف بسيبويه، أخذ عن الخليل ابن أحمد والأخفش وغيرهما، طلب الحديث، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل عصره، له فيها كتابه الكبير (الكتاب)، توفي سنة 180هـ في البيضاء. انظر: بغية الوعاة (2/ 229-230)، وسير أعلام النبلاء (8/ 351-352).

5 () هو: أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، المتكلم، كان رأسًا في الاعتزال، وإليه تنسب فرقة الجاحظية، أخذ عن: النظام

فيه أصل وإن لم يكن منه فعل[1].

ويقـع اسـم الحيـوان على كـل شـيء حيٍّ، وكـلُّ ذي روح حيوانٌ[2].

وتطلـق كلمـة (الحيـوان) على البقـاء السـرمدي، وهـو مـا وصـفت بـه الآخـرة في قولـه تعـالى: ﴿ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ﴾ [العنكبوت: 64].

أي الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال له، ولا انقطاع، بل هي حياة مستمرة أبد الآباد[3].

يقول أبو البقاء الكفوي[4]: «الحياة هي بحسب اللغـة عبـارة

---

والقاضي أبي يوسف، كـان من بحـور العلم في اللغـة، لـه مصـنفات كثيرة، منها: الحيوان، والبيان والتبيين، توفي سنة 255هـ انظر: بغية الوعاة (2/ 228)، والعبر في خبر من غبر، محمد بن أحمـد الـذهبي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بـيروت، (1/ 359)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، تحقيـق: علي شـيري دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408ه، (11/ 25).

1 () انظر: سر صـناعة الإعـراب، أبـو الفتح عثمـان بن جـني، تحقيـق: حسن هنـداوي، دار القلم، دمشـق، ط1، 1985م، (2/ 589-590)، والقـاموس المحيـط، محمـد بن يعقـوب الفيروزآبـادي، مؤسسـة الرسـالة، بـيروت، (1649)، وتـاج العـروس من جـواهر القـاموس، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعـة من المحققين، دار الهداية، (37/ 510).

2 () انظـر: تهـذيب اللغـة، محمـد بن أحمـد الأزهـري، تحقيـق: محمـد عوض مرعب، دار إحيـاء الـتراث العـربي، بـيروت، ط1، 2001م، (5/ 186)، ولسان العـرب، محمـد بن مكـرم بن منظـور، دار صـادر، بيروت، ط1، (14/ 214)، مادة (حيا).

3 () انظــر: تفســير القــرآن العظيم، إســماعيل بن كثــير، تحقيــق: عبد العزيز غنيم ومحمد عاشور ومحمـد البنَّا، دار الشـعب، القـاهرة، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والـدعوة والإرشـاد بالملكة العربية السعودية، (6/ 301).

4 () هـو: أبـو البقـاء، أيـوب بن موسـى، الحسـيني، الكفـوي، الحنفي، عاش وولي القضاء في (كفا) بتركيا، وبالقدس، وببغداد، ثم عـاد إلى استنابول فتوفي بها، من مصنفاته: تحفة الشاهان بالتركية في فروع الحنفيـة، والكليـات في اللغـة. تـوفي سـنة 1094هـ انظر: الأعلام قـاموس تـراجم لأشـهر الرجـال والنسـاء من العـرب والمسـتعربين والمستشرقين، خير الدين الـزركلي، دار العلم للملايين، بـيروت، ط5، 1980م، (2/ 38)، ومعجم المـؤلفين، عمـر رضـا كحالـة، مكتبـة

عن قـوة مزاجيـة تقتضـي الحس والحركـة...والحيـاة تسـتعمل على أوجه:

للقــوة الناميــة الموجــودة في النبــات والحيــوان، والقــوة الحساسة، وبه سمي الحيوان حيوانًا، والقوة العاملة العاقلــة... والحيــوان أبلــغ من الحيــاة لمــا في بنــاء فعلان من الحركــة والاضطراب اللازم للحياة»[1].

ويعرَّف الحيوان - أيضًا - بأنه: كل ذي روح ناطقًا كان أو غير ناطق، مأخوذ من الحياة، يستوي فيه الواحد والجمع[2].

فتبين من خلال هذه التعريفات أنَّ الحيـوان في اللغـة دخـل فيه: الإنسان، والحيوان، والنبات، والحياة السرمدية.

المثنى، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، (3/ 31).

1 () الكليـات، معجم في المصـطلحات والفـروق اللغويـة، أبـو البقـاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيـق: عـدنان درويش ومحمـد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ، (407).

2 () انظر: المصباح المنير في غريب الشـرح الكبـير، للـرافعي، أحمـد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، (1/ 160).

## الحيوان اصطلاحًا:

يعـرَّف الحيـوان في الاصـطلاح بأنـه: «الجسـم النـامي الحساس المتحرك بالإرادة»[1].

وهذا التعريف يدخل فيه الإنسان والحيوان، ويمكن أنْ يخرج الإنسان بأنه الحيوان الناطق[2].

وقد اصطلح على إطلاق الحيوان على الحيّ الـذي لا يعقـل، وهو قسيم الإنسان والنبات، وهو المراد ببحثي هنا، والله أعلم.

1 () انظـر: التعريفـات، علي بن محمـد الجرجـاني، تحقيـق: إبـراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ، (127).

2 () انظر: المرجع السابق (56).

## المبحث الثاني: أنواع الحيوان:

العلماء الذين كتبوا عن تصنيف الحيوان، منهم من قسم جميع أنواع الحيوان بما فيها الإنسان وغيره، وقسم آخر أفرد الحيوان المعروف بالتصنيف، حيث قسمه إلى أنواع دون المخلوقات الأخرى من الإنسان وغيره.

فمن أمثلة القسم الأول:

1- تقسيم الجاحظ للحيوان من حيث الحركة إلى أربعة أقسام: قسم يمشي، وقسم يسبح، وقسم يطير، وقسم ينساح، والذي يمشي على أربعة أقسام: الناس، والبهائم، والسباع، والحشرات[1].

2- قسّم القزويني[2] الحيوان إلى سبعة أقسام:

الأول: حقيقة الإنسان.

الثاني: إبليس أو الشيطان والمتشيطنة.

الثالث: الدَّواب.

الرابع: النَّعَم.

الخامس: السباع.

السادس: الطير.

السابع: الهوام والحشرات[3].

أمّا القسم الثاني: وهم العلماء الذين قصروا الحديث على تصنيف الحيوان على الحيوان المعروف، فقد ذكروا أنَّ الأرض يعيش عليها أنواع كثيرة من الحيوان، وقد تعرَّف العلماء حاليًا

---

1 () انظر: كتاب الحيوان، عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (1/ 27).

2 () هو: أبو يحيى، عماد الدين، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، الأنصاري، مؤرخ، جغرافي، من القضاة، ولد بقزوين، ورحل إلى الشام والعراق، وولي قضاء واسط، له مصنفات من أشهرها عجائب المخلوقات، وآثار البلاد وأخبار العباد، توفي سنة 682هـ. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ، (51/ 101)، والأعلام (3/ 46).

3 () انظر: عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1421هـ، (251، 292، 302، 306، 314، 335، 361).

على نحو مليوني نوع منها، وهي في ازدياد، فهناك نحـو عشـرة آلاف نوع جديد يتم التعرف عليها سنويًّا[1].

إنَّ هـذا الكم الهائـل من الأنـواع قـد شـغل العلمـاء قـديمًا وحديثًا في تصنيفها؛ حيث دأب العلماء منذ القدم على تصـنيفها مستخدمين في ذلك العديد من الطرق، ومنها:

1- تصنيف الحيوان أنواعًـا على أسـاس وجـود الـدم الأحمـر أو عدمه.

2- تصنيف الحيوان أنواعًا على أساس نوع البيئة، فالـذي يعيش فوق الأرض فهو أرضي، والذي يعيش في المـاء فهـو مـائي، والذي يعيش في الهواء فهو هوائي.

3- تصـنيف الحيـوان على أسـاس نـوع الغـذاء، فمنهـا آكلات اللحـــوم، ومنهـــا آكلات الأعشـــاب، ومنهـــا آكلات اللحـــوم والأعشاب[2].

**أنواع الحيوان عند علماء الأحياء في العصر الحديث:**

الحيوانـــات كلهـــا تنتمي إلى مملكـــة تســـمى (المملكـــة الحيوانيـة)، وتنقسـم هـذه المملكـة إلى 40 مجموعـة تـدعى الواحدة منهـا (شـعبة)، والشـعبة تضـم مجموعـات تسـمى كـل واحدة (طائفة)، وتضم الطائفة مجموعـات تسـمى كـل واحـدة (رتبـة)، وتحت الرتبـة (فصـيلة)، ثم تحت كـل فصـيلة (جنس)، وتحت كل جنس أنواع[3].

وتنقسم المملكة الحيوانية كلها إلى قسمين رئيسين[4]:

**القسم الأول:** الحيوانـات الفقاريـة وهي الـتي لهـا عمـود

[1] () انظر: علم الحيوان، محمود البنهاوي، وأميل شنوده، وعبد العظيم شلبي ومحمد فتحي سعود، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1988م، (119)، ومبادئ علم الحيوان العـام، أحمـد الشـاذلي وفـاروق محمـد حلمي وإبراهيم علي جعبوب وإبراهيم عبده رواسن، دار المطبوعات الجديدة، مصـر (85)، ودليـل الطـالب للـدروس العلميـة في مبـادئ علم الحيـوان، فيصـل أبـو طربـوش، ومحمـد صـلاح الـدين السـعيد، جامعة الملك سعود، الرياض، ط2، 1423هـ، (46).

[2] () انظر: علم الحيوان (119)، ودليل الطـالب للـدروس العلميـة في مبادئ علم الحيوان (46).

[3] () انظـر: موسـوعة الحيـوان الشـاملة، أعـد النص العـربي: د. ألبـير مطلق، مكتبة لبنان ناشرون، بالتعاون مع شركة دور لينغ كِندَرسلي، لبنان، ط1، 2009م، (10-11).

فقري، وتضم الحيوانات الآتية:
1- الثدييات، وهي من ذوات الدم الحار وتُغذِّي صغارها بلبن الأم[1].
2- الزواحف: لها جلد مغطى بالحراشف، وهيكل عظمي، وتلد صغارها أو تضع بيضها، وهي من ذوات الدم البارد، وتنقسم إلى أربعة فصائل:
أ- السلاحف.
ب- ذوات الرأس المستدق.
ج- ذوات الحراشف (الثعابين).
د- التماسيح[2].
3- الطيور: وهي من ذوات الدم الحار، وهي تضع بيضها[3].
4- البرمائيات: لها جلد رطب ولا حراشف لها، وتشمل على: الضفادع، والعلاجيم، والسمادل، وتبلغ أكثر من ثلاثة آلاف نوع[4].
5- الأسماك.

**القسم الثاني:** الحيوانات اللافقاريات، وهي التي ليس لها عمود فقري، وتضم الحيوانات الآتية:
1- مفصليات الأرجل، وهي: حيوانات عديمة الهيكل العظمي، ولكن جسمها محاط بغطاء جلدي قاس، وهي أكبر مجموعة

---

[4] () انظر هذا التقسيم في: موسوعة الحيوان الشاملة (12-13)، والموسوعة العلمية الملونة، موسوعة عالم الحيوان، إلفانا مصطفى حمود، دار الفكر اللبناني، ط2، 1995م، (52، 53، 57، 197، 198)، وموسوعة الحيوان، هيشر إينجل فارنهام، وأكيلا فوتغرافيس وهوكسلي، وآخرون، دار قتيبة، دمشق (85-95)، وموسوعة إكسفورد العربية، ترجمة وتعديل مجلس من الأكاديميين وأساتذة الجامعات العرب والبريطانيين، إشراف: حسن مرضي حسن، دار الفكر، لبنان، ط، 1999م، (65-68).

[1] () انظر: موسوعة الحيوانات الشاملة (13).

[2] () انظر: الموسوعة العلمية الملونة موسوعة عالم الحيوان (153)، وموسوعة الحيوان (130-131)، وموسوعة الطبيعة الميسرة، وضع النص العربي وأشرف على تحريرها: أحمد شفيق الخطيب، مكتبة لبنان، ط1، 1985م، (238-239).

[3] () انظر: موسوعة الحيوانات الشاملة (13).

[4] () انظر: المرجع السابق (13).

حيوانية في العالم؛ تضم الحشرات بجميع أنواعها وأشكالها من جراد، وفراش، وعنكبوتيات، وقشريات، وعديمات الأجنحة[1].

2- الرخويات، وهي حيوانات ذات جسم رخو عديم العظام، تحميها قشرة خارجية صلبة، ومنها: الأخطبوط، والحبَّار، وحلزون المياه العذبة، والقواقع[2].

3- الحلقيَّات وهي: شعب عديدة من الديدان، بعضها مفلطح، وبعضها طويل ومستدير، وتعيش في المياه أو في المناطق الرطبة[3].

4- الخيطيات، وهي: ديدان كأنها الخيوط، يعيش بعضها في أحشاء بعض أنواع الثدييات[4].

5- العريضات وهي: الديدان العريضة أو المسطحة، وهي على ثلاث رتب: المهتزات، والشريطيات، والمثقبات[5].

6- المجوفات، وهي: حيوانات مائية يعيش بعضها في البحر، وهي مجوفات البطن[6].

7- القنفذيات الجلد وهي: مجموعة هامة من الحيوانات اللافقارية، تعيش في قاع البحر، وهي بطيئة الحركة أو ساكنة، وغالبًا ما يغطي سطحها أشواك[7].

8- الإسفنجيات، وهي: حيوانات واسعة الانتشار، وليس لها فم ولا رأس ولا عيون ولا أي حواسَّ، ولها أنواع وأشكال كثيرة[8].

---

[1] () انظر: موسوعة الطبيعة الميسرة (34-51)، وموسوعة الحيوان (70-85)، والموسوعة العلمية الملونة، موسوعة عالم الحيوان (171-194).

[2] () انظر: موسوعة الحيوان الشاملة (12).

[3] () انظر: موسوعة الحيوان (68)، وموسوعة الحيوان الشاملة (12).

[4] () انظر: الموسوعة العلمية الملونة، موسوعة عالم الحيوان (206)، وموسوعة الطبيعة الميسرة (164-165).

[5] () انظر: الموسوعة العلمية الملونة، موسوعة عالم الحيوان (207).

[6] () انظر: الموسوعة العلمية الملونة، موسوعة عالم الحيوان (207)، وموسوعة الحيوان (62-63).

[7] () انظر: الموسوعة العلمية الملونة، موسوعة عالم الحيوان (201-204)، وموسوعة الحيوان (86-90).

## المبحث الثالث: الكتب المؤلفة في الحيوان:

لقد اهتم العلماء قديمًا وحديثًا في تأليف الكتب التي تتحدث عن الحيوان، فصنفت في ذلـك كتب كثـيرة، وهـذه الكتب على أقسام:

1- كتب تبحث عن الحيوان عامة بجميع مظاهره وأنواعه.
2- كتب تحــدثت عن المخلوقــات على العمــوم، ودخــل فيهــا الحيوان[1].
3- كتب ألفت في طائفـة من الحيوانـات، كالخيـل، أو الإبـل، أو الشاء، أو الطيور، أو الحشرات، أو غير ذلك[2].

---

8 () انظر: موسـوعة الطبيعـة الميسـرة (100)، والموسـوعة العلميـة الملونة، موسوعة عالم الحيوان (213-214).

1 () انظر مثلاً: عجائب المخلوقـات والحيوانـات وغـرائب الموجـودات، وعجـائب النباتـات والفواكـه والحيوانـات من خلال مخطـوط فريـدة العجائب وفريدة الغـرائب، سـراج الـدين ابن الـوردي، تحقيـق: أنـور محمود زناتي، جامعة عين شمس.

2 () صـنفت كتب كثـيرة في حيوانـات خاصـة، فقـد ذكـر النـديم أربعًـا وعشـرين كتابًـا بعنـوان (الخيـل)، وتسـعة باسـم (خلـق الفـرس)، وخمسة عشر كتابًا باسم (الإبل)، ومن أمثلة هذه الكتب:

1- الإبل لأبي حاتم السجستاني (ت 248هـ).ـ 2- الإبـل للنضـر بن شميل (ت 203هـ)ـ 3ـ الإبل للأصمعي (ت 216هـ)ـ 4- كتاب الخيل لابن الأعرابي (ت 231هـ).ـ 5 - كتاب الخيل لابن قتيبـة (ت 276هـ). 6- كتاب الشاة والغنم للأخفش (ت 215هـ)ـ 7- كتاب الجراد لأحمد بن حاتم (ت 231هـ)ـ 8- كتاب صفة النمل والبعوض لعلي بن عبيدة (ت 219هـ).ـ 9- كتاب الطـير، لأبي حـاتم السجسـتاني (ت 248هـ). 10- كتـاب النحـل والحشـرات للأصـمعي (ت 216هـ).ـ 11- كتـاب الوحش للأصمعي (ت 216هـ)ـ انظر: الفهرست: محمد بن إسحاق ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، 1398هـ (66، 67، 69، 75، 80-87، 91، 98، 101، 103، 105، 107، 115، 118، 119، 123، 148، 151، 155، 165، 166، 175، 209، 392، 436، 437)، وكشـف الظنـون عن أسـامي الكتب والفنـون، حـاجي خليفـة، دار الكتب العلميــة، بــيروت، 1413هـ، (1/ 87،ــ 582)،ـ (2/ 1279، 1432،ـ 1436)، وهداية العارفين في أسـماء المـؤلفين، إسـماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلميـة، بـيروت، 1413هـ (5/ 411)ـ ( 6/ 117-499)، وإسهام علماء العرب والمسلمين في علم الحيوان، علي عبد الله الدفاع، مؤسسـة الرسـالة، بـيروت، ط1، 1406هـ (

4- كتب أَفـردت أبوابًـا أو مبـاحث خاصـة عن مواضـع متعلقـة بالحيوان، كخلق الحيوان، وما أودع الله فيـه من عجـائب، أو غير ذلك[1].

وفي هذا المبحث أذكرُ طائفةً من الكتب التي قصد مؤلفوها الحديث عن الحيوان بجميع مظاهره، دون غيره من المخلوقات الأخـرى، مـع الحـديث عن كتـابين من أشـهر هـذه المؤلفـات ذيوعًا[2]:

1- كتاب الحيوان لديموقريطس[3]، وقد ذكر فيه طبائع الحيوان ومنافعه[4].

2- كتاب نعت الحيوان لأرسطو طاليس[5][6].

3- أجزاء الحيوان لأرسطو طاليس أيضًا[7].

4- كتاب الحيوان، لأبي عبيـدة معمـر بن المثـنى[8]، وهـو أقـدم

394-395)، وكتاب الحيوان (المقدمة) (1/ 14-16).

1 () منها: العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه، دار إحيـاء الـتراث العربي، بـيروت، ط3، 1420هـ (1/ 135-149)، (6/ 244-264)، ومفتـاح دار السـعادة ومنشـور ولايـة العلم والإرادة، محمـد بن قيم الجوزية، تحقيـق: علي حسـن الحلـبي، دار ابن القيم، الريـاض، ودار ابن عفان، القاهرة، ط2، 1420هـ، (2/ 125-182).

2 () همـا: كتـاب الحيـوان للجاحـظ، وكتـاب حيـاة الحيـوان الكـبرى للدميري.

3 () ديموقريطس: هو فيلسوف يوناني عـاش في الفـترة (460-370 ق. م)، وكتب في علم الأخلاق والفيزياء والرياضيات والأدب واللغـة، لكن لم تبق سوى قلة من مؤلفاته، له نظرية مشهورة في المـذهب الـذري. انظـر: الموسـوعة العربيـة العالميـة، مؤسسـة أعمـال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، (10/ 582).

4 () انظر: كشف الظنون (695).

5 () أرسطو طـاليس هـو: فيلسـوف يونـاني عـاش في الفـترة (384-322 ق. م)، من تلاميـذ أفلاطـون، يطلـق عليـه وعلى تلاميـذه (المشَّاؤون)، لأنه كان يلقي دروسـه أثنـاء المشـي والتجـوال، هـرب من بلده أثينا بعد محاربة أهلها له بسبب عدم احترامه للأديان. انظر: الموسوعة العربية العالمية (1/ 506)، والفهرست (345).

6 () انظر: الفهرست (369)، وكشـف الظنـون (695)، وأبجـد العلـوم الوشي المرقـوم في بيان أحـوال العلـوم، صـديق حسـن القنـوجي، تحقيـق: عبـد الجبـار زكـار، دار الكتب العلميـة، بـيروت، 1978م، (2/ 260).

7 () انظـر: أجـزاء الحيـوان، أرسـطو طـاليس، ترجمـة: يوحنـا بن البطريـق، حققـه وشـرحه وقـدم لـه: عبـد الـرحمن بـدوي، وكالـة المطبوعات، الكويت، ط1، 1978م.

8 () هو: أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري، اللغوي، النحوي، أخذ عن يونس وأبي عمرو، وعنه: المـازني والأثـرم، كـان يـرى رأي الخـوارج والإباضية ورمي بالشعوبية، وهو أول من صنف في غـريب الحـديث، ولـه من المصـنفات: معـاني القـرآن، وأيـام العـرب، والخيـل والإبـل

تأليف عربي استمد مادته من البيئة العربية[1].
5- كتاب الحيوان للجاحظ.
6- كتاب الحيوان لابن أبي الأشعث[2][3].
7- كتاب الحيوان لابن سيناء[4][5].
8- حياة الحيوان الكبرى للدَّميري[6][7].
9- التبيان لما يحل ويحرم للأفقهسي.
10- الكشف والبيان عن صفات الحيوان، لأبي الفتح محمد

---

وغيرها، توفي سنة 208هـ انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط1، 1407هـ، (76).

1 () انظر: الفهرست (79)، ومجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، السنة 1391هـ المجلد الأول عدد 1، 2، مقال: كتب الحيوان عند العرب، محمد باقر علوان، (27).

2 () ابن أبي الأشعث هو: أبو جعفر، أحمد بن الأشعث، له مصنفات كثيرة، معظمها في صناعة الطب وغيرها، وقد شرح كثيرًا من كتب جالينوس، وفصل كثيرًا من كتب أرسطو طاليس وغيره، كان أصله من فارس، ثم هرب منها إلى الموصل وعاش فيها طبيبًا، من مصنفاته: كتاب الحيوان، وكتاب في الصرع وغيرها، توفي سنة 360هـ انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم السعدي، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (331).

3 () انظر: الحيوان، أحمد بن محمد بن أبي الأشعث، تحقيق: عبد الرزاق أحمد الحربي، ديوان الوقف السني، العراق، 1429هـ.

4 () ابن سيناء هو: أبو علي، الحسين بن عبد الله ابن سيناء، البلخي، البخاري، فيلسوف طبيب، أخبر عن أبيه أنه من الإسماعيلية، فكان هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنية، له تصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات، وكان يأخذ في كتبه عن الملاحدة المنتسبين إلى الإسلام، فكان هو وأتباعه معروفين عند المسلمين بالإلحاد، من أشهر مصنفاته: القانون في الطب، والمنطق وغيرها، توفي سنة 428هـ انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (437-459)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، مطابع الرياض، ط1، 1381هـ (9/ 134)، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395هـ (2/ 266).

5 () انظر: الحيوان، الحسين بن عبد الله بن سيناء، تحقيق ومراجعة: إبراهيم مذكور وعبد الحليم منتصر وسعيد زايد وعبد الله إسماعيل، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1970م.

6 () انظر: حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى الدَّميري، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط1، 1406هـ.

7 () الدَّمِيري هو: أبو البقاء، كمال الدين، محمد بن موسى الدَّمِيري، الشافعي، برز في الفقه والحديث والأدب، أخذ عن التقي السبكي، والإسنوي، وعنه: الأقفهسي، والفاسي، وغيرهما، له مصنفات كثيرة، منها: حياة الحيوان الكبرى، وشرح المنهاج، توفي سنة 808هـ. انظر: طبقات الشافعية، أبو بكر ابن قاضي شهبة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ (4/ 61-64)،

الإسكندري[1]، وهو كتاب ضخم، ربما كـان أضـخم كتـاب في العربية في هذا الموضوع[2].

11- كتب كثــيرة وموســوعات معاصــرة ألفت خاصــة عن الحيوان[3].

**كتاب الحيوان للجاحظ:**

كتاب الحيـوان للجاحـظ من أوسـع الكتب الـتي تحـدثت عن الحيوان، فهو كتاب واسع، يعد دائرة معارف واسعة الأفق، وهو كتاب طريف في موضوعه، فهو كتاب ذو شـقين، أدبي وعلمي، فكـان الجاحـظ في هـذا الكتـاب يمـزج العلم بـالأدب، فلم يكن كتـاب الجاحـظ مقصـورًا على الحيـوان فقـط، بـل تحـدث فيـه مؤلفه عن علوم شتى، وفنون عديدة، ففيـه مسـائل كثـيرة من المسـائل الجغرافيـة، وفيـه خصـائص كثـير من البلـدان، وتـأثير البيئة على الحيوان والإنسان والنبات، وتناول - أيضًا - الأجنـاس البشرية وتباينها، كما عرض لبعض قضايا التاريخ.

وفيــه كــذلك حــديث عن الطب والأمــراض، وتحــدث فيــه

---

والضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السـخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، (10/ 59-62).

[1] () هـو: أبـو الفتح، محمـد بن محمـد بن علي، العـوفي، الإسـكندري، الشافعي، صوفي، فقيه، لغـوي، أخـذ عن أبيـه وابن حجـر وغيرهمـا، وعنـه: أبـو المفـاخر النعيمي، وشـمس الـدين بن طولـون وغيرهمـا، رحل إلى مكة واليمن والهند والعراق، له مصنفات كثـيرة، منهـا: زاد المسـافر وأدب الحاضـر وتحفـة اللـبيب وبقيـة الكـئيب، تـوفي سـنة 906هـ. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنـاؤوط ومحمـد الأرنـاؤوط، دار ابن كثـير، دمشـق، ط1، 1406هـ، (8/ 30-33)، والأعلام (7/ 53-54).

[2] () انظـر: مجلـة المـورد، عـدد 1، 2، السـنة 1391هـ، مقالة: كتب الحيوان عند العرب (33-34).

[3] () من هذه الكتب:

1 ـ معجم الحيوان، أمين المعلـوف، مطبعـة المقتطـف، القـاهرة، 1932هـ.

2 ـ علم الحيوان، للدكتور النبهاوي وآخرون.

3 ـ موسوعة الحيوان الشاملة.

4 ـ آيات الله في خلق الحيوانات البرية والبحرية وبعثها وحسـابها، ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1428هـ.

5 ـ آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشـرات، مـاهر الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1428هـ.

الجاحظ عن العرب والأعراب، وأحوالهم وعاداتهم، وفيه - أيضًا - حديث عن بعض الآيات والأحاديث، وتفصيل لبعض مسائل الفقه.

والكتاب - أيضًا - ديوان جمعَ صفوةً مختارة من حُرّ الشعر العربي ونادره، وقدرًا كبيرًا من الأمثال، مع نقد الكلام والشعر.

أمَّا الفكاهة فهذه قد نثرت في الكتاب نثرًا ما بين نادرة يرويها أو قصة يحكيها[1].

ولقد اعتمد الجاحظ في تأليف كتابه على أمور خمسة رئيسة:

الأول: نصوص الكتاب والسنة.

الثاني: الشعر العربي، فقد كان عليه أكثر اعتماده، وخاصة البدويَّ منه، فالعرب تحدثوا عن الإبل والخيل والطيور وغيرها في أشعارهم، من نعتها وأصواتها وسيرها؛ لأن العرب- كما يرى الجاحظ- قد ثقفوا معرفة الحيوان، وبرعوا في ذلك البراعة، وخاصة الأعراب منهم، فكتابه مفصَّل بكثير من الشعر العربي، موسَّع بعيون ما نظم العرب والأعراب في الحيوان من شعر.

الثالث: كتاب الحيوان لأرسطو، وقد نقل عنه الجاحظ نصوصًا مع مناقشتها والكلام عليها، وقبول بعضها ورد ما خالف الحق في نظره منها، فهو يرد عليه أحيانًا، ويعتذر له أحيانًا أخرى.

الرابع: علم الكلام الذي يتجلى فيه مذهب الجاحظ المعتزلي، ومنحاه في المناقشة والجدل، والإثبات والنفي، والجنوح إلى المناظرات في بعض الأحيان.

الخامس: خبرته الشخصية، وذلك الولوع الذي كان يدفعه إلى السؤال ممن يتوسم فيه العلم، فقد جالس الملاّحين مرارًا، وسمع من أحاديثهم، ومع صائد العصافير له حديث أيضًا، وله نقاش كذلك في شأن الفيل مع أهل الاختصاص[2].

**أبرز الملاحظات على الكتاب:**

1- الجاحظ واحد من أشهر المعتزلة[3]، وإليه تنسب فرقة من

---

[1] () انظر: كتاب الحيوان (المقدمة) (1/ 28-29).

[2] () انظر: المرجع السابق (المقدمة) (1/ 18-23).

[3] () المعتزلة: فرقة نشأت في القرن الثاني الهجري، وسمو بذلك لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، وذلك حين سأل

فرقهم[1]، فهو في الكتاب يمدح المعتزلة ويثني عليهم، فمن ذلك قوله: «ولولا مكـان المعتزلـة لهلكت العـوام من جميـع النِّحل»[2].

ويقر باعتزاله في هذا الكتـاب فيقـول في مقدمتـه ردًّا على من يطعن في كتبه: «وعِبْتَ كتابي في خلق القـرآن، كمـا عِبْتَ كتابي في الردِّ على المشبهة[3]...وتفضـيلي الاعـتزال على كـلِّ نحلة»[4].

وهــو في الكتــاب يقــرر كثــيرًا من مســائل المعتزلــة في القدر[5]، والقول بالمنـزلة بين المنـزلتين[6].

2- أنه يورد أحاديث وأخبارًا في كتابه وهي لا تثبت، وبعضها من

---

رجل الحسن عن مرتكب الكبيرة، وقبل أن يجيب أجاب واصـل بأنـه في منـزلة بين المنــزلتين، لا مـؤمن ولا كـافر، ثم قـام واعـتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ذلك، فقال الحسـن: اعتزلنـا واصل، فسمي هو وأصحابه: المعتزلة، ويجمع المعتزلـة القـول بنفي الصفات عن اللـه تعـالى وأن القـرآن مخلـوق، وأن اللـه لا يـرى في الآخـرة، وأنـه لم يخلـق أفعـال العبـاد، وتصـل فـرقهم إلى أكـثر من عشرين فرقة، ولهم أصول خمسة، هي: التوحيد والعـدل، والمنــزلة بين المنــزلتين، والوعــد والوعيــد، والأمــر بــالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: شرح الأصول الخمســة (128،301،136،697،141)، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبي الحسن الأشـعري، قـدم له وكتب حواشيه: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، بيروت، 1430هـ، ( 1/ 130) ومـا بعـدها، والفـرق بين الفـرق وبيـان الفرقـة الناجيـة، عبد القاهر البغدادي، دار الآفـاق الجديـدة، بـيروت، ط2،ـ 1977م، ( 93-189)، والتبصـير في الـدين وتمييـز الفرقـة الناجيـة عن الفـرق الهالكين، طاهر بن محمد الإسفراييني، تحقيق: كمال الحـوت، عـالم الكتب، بــيروت، ط1،ــ 1983م، (63-86)، والمعتزلـــة وأصـــولهم الخمسة وموقف أهـل السـنة منهـا، عـواد عبـد اللـه المعتـق، مكتبـة الرشد، الرياض، ط3، 1417هـ.

1 () انظر: التبصير في الدين (82).

2 () كتاب الحيوان (4/ 206).

3 () يقصد بالمشبهة أهل السنة والجماعة الذين يثبتون للـه تعـالى مـا أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، أو أثبتها له رسول الله .

4 () كتاب الحيوان (1/ 9).

5 () انظر: كتاب الحيوان (2/ 190-191).

6 () انظر: المرجع السابق (4/ 278).

أحاديث أهل الكتاب[1].

3- ردّ بعض الأحاديث وسخريته منها لعدم موافقتها لعقله، كما صنع في أحاديث قتل الوزغ، والكلاب، والحية، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والغراب[2].

4- كثرة الاستطرادات والتشعبات التي سار عليها الجاحظ في كتبه، فتجده يتحدث عن نوع من الحيوان، ثم يستطرد بذكر مباحث أخرى، ثم يرجع إلى كلامه الأول، وقد يطول الفصل في ذلك، فكتابه هذا يعوزه بعض الترتيب والتهذيب، والباحث عن نوع الحيوان لا يجد بغيته فيه بسهولة[3].

**حياة الحيوان الكبرى للدَّميري:**

هذا الكتاب مرجع عظيم من المراجع في هذا الفن، فهو كتاب حافل، أورد فيه المؤلف علومًا كثيرة، ذكر أنَّ من الأسباب الباعثة له على تصنيفه: الخلاف الذي وقع في بعض دروسه في ضبط مالك الحزين وغيره، خوفًا من تصحيف لفظه وتحريفه.

ثم كان ذلك سببًا للتوسع في أسماء الحيوان، وفق ترتيب معجمي، فيبدأ بذكر اسم الحيوان واشتقاقه اللغوي، ثم ذكر بعض صفاته مستمدًّا ذلك من كتب الصحاح والمعاجم اللغوية، مستشهدًا من القرآن والسنة، ثم الشعر والأخبار، والأمثال، مع إيراد القصص في ذلك، ثم يذكر ما يحل ويحرم من الحيوان، ويورد أقوال المذاهب الأربعة غالبًا، مع ترجيحه مذهبه الشافعي، ثم ينتقل إلى ذكر الخواص الطبية لأجزاء هذا الحيوان، ثم يختم ذلك كله بما يمكن أنْ يفسَّر هذا الحيوان إذا رُئِي في المنام[4].

والكتاب يمتاز بسهولة البحث فيه؛ إذ هو مرتب على حروف

---

[1] () من ذلك: قصة بعث نوح  الغراب والحمامة، ولعنه الحمار، وبر الهدهد بأمه، والنهي عن قتل الضفدع والخفاش، وتسبيح الضفدع. انظر: كتاب الحيوان (2/ 320-322)، و(5/ 510، 537-538).

[2] () انظر: كتاب الحيوان (4/ 286-289)، ويأتي الكلام على ذلك في الفصل الخامس في مبحث الفاسق من الحيوان.

[3] () وقد وضع له الأستاذ: عبد السلام هارون فهارس قيمة سهلت الوصول إلى ذلك حيث رتب الحيوان على حروف المعجم.

[4] () انظر: حياة الحيوان الكبرى (المقدمة) (1/ 21-22).

المعجم، فالباحث يكفيه معرفة الاسم الأول للحيوان الذي يريد البحث عنه، وقد يجده في أكثر من موضع حسب الأسماء لهـذا الحيوان، مع كثرة النصوص التي يستدل بها المؤلف من الكتاب والسنة.

**أبرز الملاحظات على هذا الكتاب:**

1- الكتاب مليء بذكر رقى وطلاسم وتمائم شركية، يختم بها المؤلف حديثه عن بعض الحيوانات؛ حيث يذكر في نهاية كلامه على بعض الحيوانات رقية تحمي منه، وقد يذكر فوائد مزعومة لتعليق أجزاء من هذا الحيوان على الإنسان، فمن ذلك قوله: «ورأيت بخط بعض المشايخ لإذهاب النمل أنْ يكتب في إناء نظيف هذه الأسماء وتغسل بماء، وترش في بيت النمل، فإنه يذهب ولا يطلع، وهو: الحمد لله يا هيا شرا هيا، سأريكم يا هيا شرا هيا»[1].

وقال - أيضًا - في ذكر ما يعلق على بعض الدوابّ إذا تغيرت رائحتها: «ولا طلهه هو هو هو رهست هرهر هر هر هرهر وهو هو هو هو هو ه ه ه ه ه ه أمها هيا لولورس درر وبر حفرب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[2].

وأن ضرس الأرنب إذ علق على من يشتكي ضرسه سكن وجعه[3].

ومن علَّق عين الذئب اليمنى لم يخف لصًّا ولا سبعًا[4].

وهذه تمائم شركية سوف يأتي الحديث عنها - بمشيئة الله تعالى - في الفصل الأول.

إلى غير ذلك من الخرافات والأباطيل الكثيرة التي سود بها صفحات الكتاب وهو في غنية عنها.

2- المؤلف كثير الاستطراد، فقد يذكر بيتًا لشاعر ثم يستطرد في ترجمة هذا الشاعر، ثم يورد له من شعره جملة مقطعات، ومن استطراده الطويل ما ذكره بعد كلامه على الأوز لكل الخلفاء الراشدين، والأمويين، والعباسيين حتى

---

1 () حياة الحيوان (4/ 116).
2 () المرجع السابق (2/ 290-291).
3 () انظر: المرجع السابق (1/ 104).
4 () انظر: المرجع السابق (2/ 443).

زمنه[1].

3- المؤلف يورد أحاديث كثيرة ضعيفة، وأخبارًا واهية دون تحقيق في ذلك.

4- كثرة الأوهام والأخطاء التي وقع فيها المؤلف، من الضبط اللغوي لأسماء بعض الحيوان، وعدم دقته في تحديد وفيات من يترجم لهم، وأخطاء في نسبة الأخبار إلى مصادرها[2].

5- في كلام المؤلف على الحيوان تفاوت كبير، فبعضها يترجم له بصفحات كثيرة، ويورد فيه نصوصًا وأخبارًا عديدة، وبعضها الآخر لا يتجاوز الكلام عليه سطورًا عدة.

6- الكتاب فيه زيادات كثيرة، وضعت بعد المؤلف، ومن أدلة ذلك أنَّ الدَّميري حين ترجم لكل الخلفاء حتى زمنه أضيفت تراجم الخلفاء بعد وفاته، فوصلت تراجم الخلفاء إلى سنة 833هـ بينما وفاة الدميري سنة 808هـ وهو قد ذكر أنَّ الفراغ من مسودته كان في سنة 773هـ[3].

---

1 () انظر: المرجع السابق (1/ 181-352)، والضوء اللامع (10/ 60).

2 () انظر: حياة الحيوان (المقدمة) (1/ 23).

3 () انظر: المرجع السابق (المقدمة) (1/ 24)، يقول السخاوي: «وله فيه زيادات لا توجد في جميع النسخ، وأتوهم أن فيها ما هو مدخول لغيره إن لم يكن جميعها لما فيها من مناكير». الضوء اللامع (10/ 60).

# الفصل الأول

## المسائل المتعلقة بالإيمان بالله

وفيه مبحثان:

**المبحث الأول: المسـائل المتعلقـة بتوحيـد الربوبية.**

**المبحث الثـاني: المسـائل المتعلقـة بتوحيـد الألوهية.**

**تمهيد: تعريف الإيمان بالله:**

لغة: الإيمان في اللغة هو: التصديق[1]، ومنه قوله تعـالى: ﴿ﭑ
ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﴾ [يوسف: ١٧].

أي: ما أنت بمصدق لنا[2].

والصواب أن معنى الإيمان في اللغة ليس مرادفًا للتصـديق، بل التصديق وزيادة من الإقرار والتسليم ونحوها[3].

شرعًا: الإيمان في الشرع: تصديق بالجنان، وقول باللسـان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[4].

فالإيمـان باللــه تعـالى يكـون بالتصـديق الجـازم والإقـرار الكامل، والاعتراف التام بوجود الله تعالى، وربوبيتـه، وألوهيتـه، وأسمائه وصفاته.

---

1 () انظـر: لسـان العـرب (13/21) مـادة (أمن)، وتـاج العـروس (34/186) مادة (أمن).

2 () انظر معالم التنزيل (4/222).

3 () انظر: مجموع الفتاوى (7/122-153).

4 () انظر: التمهيد لابن عبـد الـبر (9/238) وتيسـير العزيـز الحميـد (33)، ومجمـوع الفتـاوى، (3/151)، وشـرح العقيـدة الطحاويـة (2/459).

# المبحث الأول

# المسائل المتعلقة بتوحيد الربوبية

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: دلالة الحيوان على توحيد الله  في ربوبيته.

المطلب الثاني: فطرة الحيوان على التوحيد.

المطلب الثالث: التشريعات الباطلة المتعلقة بالحيوان.

المطلب الرابع: تصوير الحيوان.

المطلب الخامس: تغيير خِلْقة الحيوان.

المطلب السادس: نظرية النشوء والارتقاء وعلاقتها بالحيوان.

المطلب السابع: البركة في الحيوان.

**تمهيد: تعريف توحيد الربوبية:**

التوحيد لغة: مصدر من وحَّد يوحِّد توحيدًا؛ إذا أفـرده وجعلـه واحدًا[1].

وقال ابن فارس: «وحَّدَ: الـواو والحـاء والـدال: أصـل واحـد يدل على الانفراد»[2].

الرب في اللغة: الرب لغة يأتي لعدة معان، منها:

المربي، والمالك: يقال ربُّ كل شـيء: مالكـه ومسـتحقه أو صاحبه[3].

توحيد الربوبيـة شـرعًا: اعتقـاد أن اللـه هـو الخـالق الـرازق المدبر وأنه رب كل شيء ومالكه، فهو رب كل شـيء ورازقـه، وهو المحيي المميت، والنافع والضار، المنفرد سـبحانه بـالخلق والملك والتدبير[4].

وفي الحيوان دلائـل عظيمـة على ربوبيـة اللـه تعـالى، وأنـه سبحانه المتفرد بالخلق، والملك، والتدبير، تتجلى في المطـالب الآتية:

1 () انظر: لسان العرب (3/446) مادة (وحد).

2 () انظر: الصحاح (1/130)، والقاموس المحيط (111).

3 () مقاييس اللغة (6/68)مادة (وحد).

4 () انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (14/380) وتيسير العزيـز الحميـد (33)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (1/18).

## المطلب الأول: دلالة الحيوان على توحيد الله  في ربوبيته:

وفيه خمس مسائل:

### المسألة الأولى: دلالة خلق الحيوان وعجائبه على توحيد الله سبحانه في ربوبيته:

الله  هو المتفرد بالربوبية دون سواه، فلا خالق ولا مالك ولا مدبر إلا هو، كما قال سبحانه: ﴿ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ﴾ [الفاتحة: 1]، فله سبحانه الحمد على انفراده بالخلق والتدبير والنعم، وكمال غناه عن خلقه مع فقرهم إليه.

وفي خلق الحيوان دلائل ظاهرة، وبراهين جليَّة على ربوبية الله ؛ حيث أوجدها من العدم بإتقان بديع على أشكال مختلفة، وألوان متنوعة، ثم أودع فيها عجائب تدل على وحدانيته، وعظيم قدرته.

وتتجلى دلالة خلق الحيوان وعجائبه على توحيد الله سبحانه في ربوبيته في الدلائل الآتية:

### 1- الخلق والاختراع:

من أدلة توحيد الباري  الظاهرة خلق الحيوان، وإيجاده من العدم، فوجود الحيوان كغيره من المخلوقات دليل على موجده، الذي هو الله ؛ إذ يحيل العقل وجوده من غير خالق حكيم عليم، وهذا من أعظم البراهين على توحيد الله  وربوبيته، حيث أخبر سبحانه أنه خلق جميع الدوابّ من ماء، فقال سبحانه: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ﴾ [النور: 45].

فهو سبحانه الذي تفرد بخلق جميع الدوابّ بما فيها الحيوانات من ماء، على اختلاف بين المفسرين في المقصود بهذا الماء، فقيل: المراد به النطفة (ماء الذكور)، كما قال الجمهور، وقيل: جنس الماء؛ إذ كل مخلوق فأصله الماء، كما قال سبحانه: ﴿ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ﴾ [الأنبياء: 30]، والله أعلم بالصواب[1].

---

1 () انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، راجعه وضبطه وعلق عليه الدكتور: محمد الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1414هـ (12/ 291)، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي،

ومن أعظم الأدلة على ربوبية الخالق سبحانه أنَّ كل شيء يدل على وجوده:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحدُ

ومن ذلك الحيوانات بأشكالها وأصنافها؛ إذ ما من شيء إلا هو أثر من آثار قدرته، كما قال سبحانه: ﴿ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ﴾ [الزمر: 62].

وهو سبحانه رب جميع هذه المخلوقات من حيوان وغيره، كما قال سبحانه: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮﯯ﴾ [الأنعام: 164].

وهو سبحانه الذي خلق هذه الحيوانات وبثها في الأرض على كثرتها وعظمتها، واختلاف أشكالها وأصنافها، فقال تبارك وتعالى: ﴿ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭬ﴾ [الجاثية: 4].

وقد ذكر الشنقيطي[1] رحمه الله أنَّ من براهين التوحيد الدالة على عظمة الله وجلاله، وكمال قدرته، وأنه المستحق للعبادة وحده: خلق الدواب، كما في هذه الآية[2]، وما في الأرض من دابّة ولا طائر يطير بجناحيه إلا هي أمم مثلنا خلقها

---

تحقيق: عادل عبد الموجود، علي محمد عوض، زكريا النوفي، أحمد الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ (6/ 427-428)، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1431هـ (4/ 42-43).

1 () هو: الشيخ: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ينسب إلى قبيلة (تجاكنت) من أشهر قبائل مورتانية، ولد في موريتانيا سنة 1325هـ وطلب العلم بها، ثم قدم إلى السعودية سنة 1367هـ درّس في الجامعة الإسلامية منذ تأسيسها، وكان عضوًا في هيئة كبار العلماء، ورابطة العالم الإسلامي، تميز في الأصول والتفسير والعقائد، وتخرج على يديه كثيرون، من أشهرهم: عطية محمد سالم، وله العديد من المؤلفات، منها: أضواء البيان، وآداب البحث والمناظرة، توفي رحمه الله في مكة سنة 1393هـ انظر: جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، د. عبد العزيز بن صالح الطويان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1419هـ، (1/ 25-87).

2 () انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت، (7/ 329).

الله كما خلقنا، قال سبحانه: ﴿ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ﴾ [الأنعام: 38].

فالحيوان وجوده وخلقه دليل على توحيد الله، كما أنَّ خلق الإنسان دليل على توحيد الله ، فهي أمم أمثالنا خلقها الله  كما خلقنا.

## 2- الإتقان والإحكام:

من دلائل توحيد الله  وبراهين ربوبيته؛ إتقان المخلوقات وإحكامها بما فيها الحيوان، كما قال سبحانه: ﴿ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ﴾ [السجدة: 7].

فالله  أتقن كلَّ مخلوق وحسنه، وخلق كل حيوان على صورته، لم يخلق البعض على صورة البعض، فكل حيوان كامل في خلقه حسن، وكل عضو من أعضائه مقدر بما يصح به معاشه[1].

وقد أمر الله  بتسبيحه وتنزيهه؛ لربوبيته سبحانه؛ حيث تفرد بالخلق وسواه، فقال سبحانه: ﴿ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ﴾ [الأعلى: 1-3].

يقول السعدي[2] رحمه الله: «يأمر الله تعالى بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحًا يليق بعظمته تعالى، بأن تذكر أسماؤه الحسنى العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم، وتذكر أفعاله التي منها: أنه خلق المخلوقات فسواها، أي أتقنها وأحسن خلقها»[3].

فإتقان الله  للمخلوقات وتقديرها بما فيها الحيوان دليل

---

1 () انظر: معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ، (6/ 301).

2 () هو: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، من بني تميم، فقيه أصولي، محدث داعية، كان مجتهدًا، ولم يخرج في الغالب عن ترجيحات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، من شيوخه: إبراهيم الجاسر، وصالح القاضي، ومن أبرز تلاميذه: الشيخ محمد بن عثيمين، له مصنفات عديدة، من أشهرها: تيسير الكريم الرحمن، توفي سنة 1376هـ. انظر: صفحات من حياة علامة القصيم، الشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، د. عبد الله بن محمد الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1413هـ.

عظيم على ربوبيته، وكماله؛ ولهذا أرشد سبحانه إلى التفكر في مخلوقاته - ومنها الحيوان - فقال سبحانه: ﴿ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ﴾ [الأعراف: 185].

فالله ﷻ يقول: ألم ينظر المكذبون بآيات الله، في ملكه وفيما خلق، فيتدبروا ذلك، ويعلموا أنه سبحانه المتفرد بالوحدانية، وينبغي ألاَّ تكون العبادة والدين الخالص إلا له[1].

وحث سبحانه على التفكر في خلق الإبل فقال: ﴿ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ﴾ [الغاشية: 17].

فمن تفكر في خلق الإبل، وتأمل في إتقان الله ﷻ لها علم أنَّ هذا الإتقان والإحكام لم يكن إلا من خالقٍ حكيم عليم، متفرد بالربوبية والألوهية دون سواه.

يقول الدكتور زغلول النجار: «تشير هذه الآية القرآنية الكريمة إلى ما في الإبل من إعجاز يشهد للخالق ﷻ بالألوهية والربوبية، والوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، والإبل بأنواعها تتميز عن جميع الأنعام بميزات بدنية، وتشريحية، ووظائف عجيبة ألمح إليها القرآن الكريم بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ﴾ [الغاشية: 17]ـ ...وقد ثبت للدارسين والمراقبين أنَّ الجمل العربي هو بحق سفينة الصحراء، وأنه أصلح الوسائل الفطرية للسفر والحمل والتنقل في الأراضي الصحراوية الجافة، فهو يستطيع قطع مسافة تصل إلى الخمسين ميلاً في اليوم، متحملاً الجوع والعطش لعدة أيام متتالية في شدة حرارة نهار صيف الصحراء، ويستطيع حمل أكثر من نصف طن من المؤن والركاب والسير بهم وبها لأكثر من عشرين ميلاً في اليوم دون طعام أو شراب، وذلك لعدة أيام متتالية، بما خصّه الله تعالى من ميزات جسدية وتشريحية، ووظائفية لا تتوفر لغيره من الحيوانات»[2].

---

3 () تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، دار السلام، الرياض، ط2، 1422ﻫ، (ص1086).

1 () انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1،ـ 1420ﻫـ (13/ 290).

2 () من آيات الإعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم، الدكتور: زغلول راغب النجار، دار المعرفة، بيروت، ط2،ـ 1422ﻫـ (272-

فهـذا نـوع من أنـواع الحيـوان، حثَّ اللـه ﻷ على التفكـر في خلقه؛ لما فيه من الإتقان والإحكام الدالة على توحيده.

وأخبر سبحانه عن نوع آخر فيه دلائل وبـراهين على توحيـده - أيضًا –؛ لما أودع فيها من إحكام وإتقان بديع، فقـال سـبحانه: ﭐﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ [النحل: 68-69].

ففي خلق الله ﻷ لهذا النحل وإتقانها، وما وهبها سـبحانه من هداية عجيبة؛ حيث وهبها حسن بناء البيوت، ثم إخراج الشـراب مختلفَ الألوان من بطونها؛ ليكون فيه شفاء للنـاس، كـل ذلـك دليل على أنه الواحد الذي ليس كمثله شـيء، وأنـه لا ينبغي أنْ يكون له شريك، ولا تصح الألوهية إلا له[1].

**3- التسخير والتدبير:**

الحيوانـات كغيرهـا من المخلوقـات، هي تحت تـدبير اللـه ﻷ مسـخرات بـأمره، لا خـروج لهـا عن قدرتـه وإرادتـه، كمـا قـال سبحانه عن هود عليه الصلاة والسلام: ﭐﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ [هود: 56].

فالله تبارك وتعالى هو المالك لجميع الدواب، يصـرفها كيـف يشاء، ويمنعها كما يشاء، وهو قاهرها والقادر عليها[2].

وقال سبحانه عن الطير: ﭐﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ [النحل: 79].

وهذا حث للمشركين وغيرهم على النظر والتأمل في الطير التي سخرها الله ﻷ في هواء بين السـماء والأرض، مـا طيرانهـا في الجو إلا بالله، وبتسخيره إياها لذلك، ولو سلبها سـبحانه مـا أعطاها من الطـيران لم تقـدر على النهـوض والارتفـاع، ثم بين سبحانه أنَّ في هذا التسخير للطير علاماتٍ ودلالات على أنــه لا إله إلا الله وحده لا شريك له[3].

ولقد عـدَّ العلمـاء أنوعًـا من الطيـور تزيـد على تسـعة آلاف نوعٍ، زودهـا اللـه ﻷ بـوزن خفيـف يعينهـا على الطـيران، وجعـل عظامها وريشها خفيفًا كذلك، وأمدها أيضًا بميزات تحتاجهـا في

(274).

[1] () انظر: جامع البيان (17/ 250-251).

[2] () انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (9/ 55).

[3] () انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (17/ 266).

طيرانها.

فهي تتمتع بقوة البصر التي قد تزيد على بصر الإنسان ثمانية أضعاف، فبعض الطيور يرى فريسته على ارتفاع ألفي متر.

والطائر له سرعة تزيد على مائة وثلاثين كيلو مترًا في الساعة، وبعض أنواع الطيور تقطع ستة آلاف كيلومترًا دون توقف، وتطير ستًا وثمانين ساعة بلا توقف، أي طائرة تقطع هذه المسافات، وهذا الوقت دون تزود بالوقود، أو بالطعام والشراب[1].

فهذا التسخير والتدبير من الله للطير وغيره من الحيوانات دليل عظيم على ربوبيته  ووحدانيته.

### 4- كثرة أنواعها وأشكالها واختلاف ألوانها:

وهذا برهان آخر من براهين ربوبية الخالق  المتمثلة في الحيوان، إذ كثرة أنواعها وأشكالها، واختلاف ألوانها دليل عظيم على ربوبية خالقها، فكم في البر والبحر من دوابَّ وطيور وحشرات وسباع لا يعلم عددها وأشكالها إلا الله ، الذي تفرد بإيجادها وتكفل بأرزاقها، إذ هو سبحانه المتفرد بخلقها وإبداعها على تلك الأنواع والألوان الكثيرة، وفاوت سبحانه بين حياتها وخلقِها.

يقول تعالى: ﴿ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ﴾ [النور: 45].

(فمنهم من يمشي على بطنه)، كالحيتان والحيات، (ومنهم من يمشي على رجلين)، كبني آدم والطير، (ومنهم من يمشي على أربع)، كالبهائم والسباع، ولم يذكر سبحانه من يمشي على أكثر من أربع مثل بعض الحشرات؛ لأنها في الصورة كالتي تمشي على أربع[2].

ولذا فإن «العقول قاصرة عن الإحاطة بأحوال أصغر الحيوانات على سبيل الكمال، ووجه الاستدلال بها على الصانع ظاهر، فاختصاص كل واحد من هذه الحيوانات بأعضائها وقواها ومقادير أبدانها وأعمارها وأخلاقها لا بد أنْ يكون بتدبير قاهر

---

1 () انظر: آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات، (36-37).

2 () انظر: معالم التنزيل (6/ 55).

حكيم  عما يقول الجاحدون، وأحسن كلام في هذا الموضع قوله سبحانه: ﴿ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ﴾ [النور: 45].

لأنه هو القادر على الكل، والعالم بالكل، فهو المطلع على أحوال هذه الحيوانات، فأي عقل يقف عليها، وأي خاطر يصل إلى ذرة من أسرارها؛ بل هو الذي يخلق ما يشاء ولا يمنعه مانع ولا دافع»[1].

وفي خلق الحيوان من دوابَّ وأنعام وغيرها، ما بينه  من كمال قدرته في خلق الأنواع والألوان المختلفة من حيوان وغيره، فقال سبحانه: ﴿ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ﴾ [فاطر: 27-28].

فأخبر سبحانه عن خلقه للأشياء المتضادات، التي أصلها ومادتها واحدة؛ ليدل العباد على كمال قدرته وبديع حكمته.

فمن ذلك الدوابّ والأنعام، فيها اختلاف في الألوان والأوصاف والهيئات وغيرها؛ الذي يدل على مشيئة الله تعالى، التي خصصت ما خصصت منها بلونه وصفته، وقدرة الله تعالى حيث أوجدها كذلك[2].

ومن تأمل ما في البحر من حيوان مختلف الأشكال والألوان رأى براهين عظيمة على عظمة موجدها وخالقها تبارك وتعالى، يقول ابن القيم[3] رحمه الله: «ولو رأى العبد ما في البحر من ضروب الحيوانات والجواهر والأصناف التي لا يحصيها إلا الله، ولا يعرف الناس منها إلا الشيء القليل الذي لا نسبة له أصلاً إلى ما غاب عنهم لرأى العجب، ولعلم سعة ملك الله، وكثرة

---

1 () مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ، (24/ 18).

2 () انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (808).

3 () هو: أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، ولد سنة 691هـ، كان واسع العلم، عارفًا بالخلاف ومذاهب السلف، كثير العبادة، تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية، ولازمه ملازمة شديدة، له مصنفات عديدة، منها: زاد المعاد، والصواعق المرسلة، وإعلام الموقعين، وغيرها، توفي سنة 751هـ انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، حيدر آباد، 1392هـ.

جنوده التي لا يعلمها إلا هو»[1].

وقد أثبت العلم الحديث أنَّ مسح العلماء للمحيطات يكشف أكثرَ من نوعين جديدين من الأسماك كل أسبوع، وطرقًا هائلة تسلكها الكائنات للهجرة عبر المحيطات.

وقد ذكرت بعض التقارير الإحصائية لأعداد حيوان البحر أنَّ هناك ما يقرب من مائتين وثلاثين ألف نوع معروف من الحياة البحرية، أغلبها ميكروبات ضئيلة تتدرج حتى تصل إلى الحيتان الزرقاء، مشيرة إلى أنَّ العدد الحقيقي ربما يرتفع إلى مليوني نوع[2].

**5- دلالة الحيوان على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى:**

الله تعالى هو المتفرد بالربوبية دون سواه، فلا يقدر على إحياء الموتى غيره، وفي القرآن الكريم صور لبعض الحيوان التي أحياها الله بعد موتها، فكانت شاهدًا من شواهد ربوبيته، فمن ذلك:

1- إحياء الطير لإبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﭐﱡ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﱠ [البقرة: 260].

فتجلت قدرة الله تعالى في إحياء هذا الطير بعد تقطيع إبراهيم عليه السلام لها، وتوزيع أجزائها على الجبال، فإذا بها تصبح حية تسعى بعد مناداة إبراهيم عليه السلام لها[3].

2- الرجل الذي أماته الله تعالى هو وحماره مائة عام ثم بعثه، قال تعالى: ﱡ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﱠ [البقرة: 259].

فأظهر الله تعالى آية من آيات قدرته على إحياء الموتى في نوع من الحيوان، حيث أماته الله مائة عام ثم بعثه،

---

1 () مفتاح دار السعادة (2/ 174).

2 () انظر: آيات الله في خلق الحيوانات البرية والبحرية وبعثها وحسابها (77-78).

3 () يات الحديث عن هذه الآية في مطلب: إحياء الطير لإبراهيم عليه السلام في آيات الأنبياء عليهم السلام.

وصاحبه ينظر إليه، فقد أمره الله بالنظر إلى حماره وهو يبعث، فنظر إليه تلوح عظامه ليس فيه لحم ولا عصب ولا جلد، ثم قال له: وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا أي: كيف نركب بعضها على بعض، ثم بعد ذلك كساها لحمًا، فصار حيًّا بعد أن أماته الله مائة عام[1].

3- حياة حوت موسى عليه السلام بعد موته، قال تعالى:  
ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ  
ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ  [ الكهف: 62-63].

فكانت هذه آية عظيمة، في حوت ميت يؤكل منه دهرًا، ثم صار حيًّا بعد ما أكل بعضه[2].

**6- ما أودعها الله  من عجائب:**

في الحيوان عجائب كثيرة دالة على قدرة الباري جلَّ وعلا، شاهدة على ربوبيته ووحدانيته تبارك وتعالى، وقد بسط بعض العلماء في كتبهم أشياء كثيرة من ذلك[3].

فمن هذه العجائب ما يتعلق بالحيوان على وجه العموم، ومنها ما يكون خاصًّا ببعض أفرادها.

فمن العجائب المتعلقة بالحيوان على وجه العموم ما ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان عن التخالف في طباع الحيوان، فقال: «فجعل تعالى وعزّ بعض الوحوش كسوبًا محتالاً، وبعض الوحوش متوكلاً غير محتال، وبعض الحشرات يدَّخر لنفسه رزق سنته، وبعضًا يتكل على الثقة بأنَّ له كلَّ يوم قدر كفايته، رزقًا معدًّا وأمرًا مقطوعًا.

وجعل بعض الهمج[4] يدخر، وبعضه يتكسب، وبعض الذكورة يعول ولده، وبعض الذكورة لا يعرف ولده، وبعض الإناث تخرِّج

---

1 () انظر: تفسير القرآن العظيم (1/465).

2 () انظر: جامع البيان (18/61).

3 () انظر: كتاب الحيوان، وعجائب المخلوقات، وحياة الحيوان الكبرى، ومفتاح دار السعادة (2/ 125-182)، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: د. أحمد الصمعاني، ود. علي العجلان، دار الصميعي، الرياض، ط1، 1429هـ، (2/ 522-568).

4 () هي ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمر وأعينها، وقيل: هي صغار الدواب. وقيل: هو كل دود ينفقئ عن ذباب أو بعوض. انظر: لسان العرب، (2/ 392)، مادة (همج).

ولدها، وبعض الإنـاث تضـيِّع ولـدها، وتكفـل ولـد غيرهـا، وبعض الأجنـاس عطوفـة على كـل ولـد من جنسـها، وبعض الإنـاث لا تعرف ولدها بعد اسـتغنائه عنهـا، وبعض الإنـاث لا تـزال تعرفـه وتعطف عليه، وبعض الإناث تأكل ولدها، وكذلك بعض الـذكورة، وبعض الأجناس يعادي كـلَّ مـا يكسـر بيضـها، أو يأكـل أولادهـا، وجعـل يُتْمَ بعض الحيـوان من قِبَـل أمهاتهـا، وجعـل يُتْمَ بعض الحيوانات من قِبَل آبائها، وجعل بعضها لا يلتمس الولد وإن أتاه الولد، وجعل بعضـها مسـتفرغ الهمِّ في حُبِّ الـذرءِ[1] والتمـاس الولد، وجعل بعضها يزاوج، وبعضها لا يزاوج ليكون للمتوكل من الناس جهةٌ في توكُّلـه، وللمتكسِّـب جهـة في تكسُّـبه، وليُحضِـر على بـالهم أسـباب الـبرِّ والعقـوق، وأسـباب الحضـر والتربيـة، وأسباب الوحشة من الأرحام الماسَّة»[2].

وقد ذكـر الإمـام ابن القيم - رحمـه اللـه كلامًـا طـويلاً حـول حِكم اللـه  في بعض مـا أودع الحيـوان من صـفات، وعجـائب تدل على عظمته وحكمته سبحانه[3]، ومن ذلك:

1- أنَّ اللــه  قــد ســلبها - على كــبر حجمهــا - العقــول، ليتم تســخيرها للإنســان، فيقودهــا، ويصــرفها حيث شــاء، ولــو أعطيت العقول على كبر حجمهـا لمـا اسـتطاع ذلـك، فـترى البعير على عِظم خِلقَتِه يقوده الصبي ذليلاً منقادًا.

2- حكمة الله  في صنع آلات البطش عند الحيوان، حيث جعل لكل حيوان ما يناسبه من الأيدي والمخالب والأنيـاب، فجعـل للحيوان الذي غذاؤه من صيده مـا يناسـبه، وكـذلك الحيـوان الذي غذاؤه من النبات ما يناسبه.

3- أنَّه سـبحانه جعـل صـغار الحيـوان تتبـع أمهاتهـا وهي حديثـة العهد بـالولادة، مسـتقلة بأنفسـها من أجـل أنَّ أمهاتهـا ليس عندها ما عند أمهات البشر من التربيـة والملاطفـة والرفـق، فترى ذوات الأربع تتبع أمهاتها مباشرة، وترى أفراخ كثير من الطير يلقط حين يخـرج من البيضـة، ومـا كـان منهـا ضـعيف النهوض كفراخ الحمام أعطى اللـه سـبحانه أمهاتهـا العطـف

---

1 () الذرء هو النسل، انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (1/ 207)، مادة (ذَرَّ).

2 () كتاب الحيوان (2/ 114-115).

3 () انظر: مفتاح دار السعادة (2/ 125-144).

والشفقة والحنان عليه، حتى ينهض ويستقل بنفسه.

4- حكمته سبحانه في جعل قوائم الحيوان زوجًا لا فردًا؛ ليتهيَّأ له المضي والسعي؛ إذ لو كانت فردًا لم تصلح لذلك.

5- حكمة الله البالغة في جعل ظهور الدوابّ مبسوطة ليتهيَّأ ركوبها، وتستقر الحمولة عليها، وخُولِف هذا في الإبل فجعل ظهورها مسنَّمة؛ لما خصت به من فضل قوة، وعظم ما تحمله.

6- حكمة الباري سبحانه في كون فرج الدابّة بارزًا من ورائها، ليتمكن الفحل من ضِرابها، ولو كان أسفل بطنها لم يستطع ذلك.

7- ما أودعه ربّنا تبارك وتعالى هذا الحيوان من كساء يناسبها من الشعر والوبر والصوف لبعضها، والبعض الآخر من الريش، والآخر من الجلد، كلٌّ بحسب حاجته إلى الوقاية من الحر والبرد والعدو؛ حيث لم يكن لها سبيل إلى اتخاذ الملابس، وصنع الكسوة، وآلات الحرب كالإنسان، فأعطيت من الآلات وأدوات البطش ما يناسبها.

وهنا وقفة يسيرة عند بعض مخلوقات الله  من الحيوان، وما أودع ربنا تبارك وتعالى فيها من عجائب خلقه، وعظيم صنعته، الدالة على كمال ربوبيته وألوهيته، فسبحان الخلَّاق العظيم، فمن ذلك:

**1- البعوض:**

هي على صغر جِرْمِها، قد أودع الله تعالى في مقدم دماغها قوة الحفظ، وفي وسطه قوة الفكر، وفي مؤخره قوة الذِّكر، ولها حاسة بصر، وسمع، وشم، ومنفذ للغذاء، ومخرج للفضلة، وخلق لها جوفًا وأمعاءً وعظامًا[1].

وهي مزودة بجهاز تخدير موضعي، يساعدها على غرز إبرتها دون أنْ يحس الإنسان بالغرز، وما يحس به هو نتيجة مصّ الدم، وهي مزودة - أيضًا - بجهاز تحليل الدم، فهي لا تستسيغ كل الدماء، وجهازٍ لتمييع الدم حتى يسري في خرطومها الدقيق[2].

---

1 () انظر: حياة الحيوان الكبرى (1/ 429).

2 () انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. محمد السقاعيد، دار اليقين، مصر، ط2، 1430هـ، (371-372).

فمن وهبها ذلك كلَّه؟ إنَّه اللـه الواحـد في أسـمائه وصـفاته، وربوبيته، وألوهيته.

**2- الثعلب:**

من عجائب الثعلب أنَّه إذا طلب القنفـذ، فأمكنـه من ظهـره بال عليه، فينبسط القنفذ، فعند ذلك يقبض على بطنه[1].

وإذا اشتد به الجوع، انتفخ ورمى بنفسـه في الصـحراء كأنـه جيفة، فتدنو منه الطير، فلا يظهر حركة ولا نفس، فلا تشك أنـه ميت، حتى إذا نقرته بمنقارها وثب عليها حتى تموت[2].

فسـبحان الـذي في كـل شـيء من مخلوقاتـه دليـل على وحدانيته، فتبارك الله رب العالمين.

**3- الحمار:**

«ومن هداية الحمار الذي هـو من أبلـد الحيـوان: أنَّ الرجـل يعبر به، ويأتي به إلى منـزله من البعد في ليلة مظلمة فيعـرف المنـزل، فإذا خُلِّيَ جاء إليه، ويفرق بين الصوت الذي يُسْـتوقف به، والصوت الذي يُحَثُّ به على السير»[3].

فالذي هـداه لـذلك على كـل شـيء قـدير، وقـد أحـاط بكـل شيء علمًا.

**4- الحمام:**

من عجيب أمره أنه يطلب وكره، ولـو أرسـل من مسـافات بعيدة، ويحمل الأخبـار، ويـأتي بهـا من البلاد البعيـدة في المـدة القريبة، وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر سنوات فـأكثر، ثم هو على ثبات عقله، وقـوة حفظـه، ونزوعـه إلى وطنـه، فمـتى وجد فرصة طار إليه[4].

ومن عجيب أمـــره مشـــاكلته للنـــاس في كثـــير من أمـــره ومذاهبـه، ففي إناثـه من لا تريـد إلا زوجهـا، وأخـرى لا تـرد يـد لامس، وأخرى صعبة الطلب، وأخـرى سـهلة، وأخـرى لهـا ذكـر وهي تمكن غيره، وغيرها لها ذكر ولا تمكن أحدًا غيره.

---

1 () انظر: كتاب الحيوان (6/ 313).

2 () انظر: عجائب المخلوقات (319)، وشفاء العليل (2/ 553).

3 () شفاء العليل (2/ 553).

4 () انظر: حياة الحيوان الكبرى (2/ 110)، وعجائب المخلوقـات (ص 341).

ومن الذكور من يأخذ أنثى يتمتع بها مدة ثم يتركها إلى غيرها، ومنها ما يعطف على فراخه فقط، ومنها ما يعطف على فراخه وفراخ غيره، وكل حالة توجد في الناس في ذكورهم وإناثهم توجد في الحمام.

ومن هداية الحمام أنَّ الذكر والأنثى يتقاسمان أمر الفراخ، فتكون الحضانة والتربية والكفالة على الأنثى، وجلب القوت والرزق على الذكر، فإن الأب هو صاحب العيال والكاسب لهم، والأم هي التي تحبل وتلد وترضع[1].

## 5- الديك:

ومن عجيب أمر الديك معرفته بالليل وساعاته، فهو يعرف آناء الليل وعدد الساعات، ومقادير الأوقات، ثم يقسط صوته على ذلك الوقت تقسيطًا لا يكاد يغادر منه شيئًا، فسبحان من هداه لذلك[2].

وفيه من الخصال الحميدة أنه يسوي بين دجاجه، ولا يؤثر واحدة على واحدة إلا نادرًا[3].

ومن عجيب أمره أيضًا أنَّ الدِّيك الشاب إذا ألقي له حب لم يأكله حتى يفرقه، فإذا هرم وشاخ أكله من غير تفريق، وسر ذلك أنَّ الشاب يفرق الحب ليجتمع الدجاج حوله فيصبن منه، والهرم قد فنيت رغبته فيهنَّ فليس له همة إلا نفسه، وهو يفعل ذلك من جهة الغزَل لا غير[4].

## 6- الذباب:

«ومن عجيب أمره أنه يلقي رجيعه على الأبيضِ أسودَ، وعلى الأسودِ أبيضَ»[5].

والذباب له قدرة على الإقلاع عموديًّا من مكانه، وله قدرة على المناورة بحركات أمامية وخلفية وجانبية بسرعة عجيبة، وبعد الطيران تزيد سرعته إلى عشرة كيلومترات في الساعة

[1] () انظر: شفاء العليل (2/ 543-545).
[2] () انظر: كتاب الحيوان (2/ 241)، وحياة الحيوان الكبرى (2/ 379).
[3] () انظر: حياة الحيوان الكبرى (2/ 379).
[4] () انظر: كتاب الحيوان (2/ 150-153)، وعجائب المخلوقات (ص 343-344)، وشفاء العليل (2/ 547-548).
[5] () حياة الحيوان الكبرى (2/ 408).

تقريبًا، وهو يحط على أي سطح مهما كان شكله.

والذباب يتذوق الطعام بمجرد أنَّ يحط عليه، فإن راقه ذلك سلب منه ما يريد وهرب بسرعة فائقة؛ فإن كان شرابًا امتصه بخرطومه، أما إنْ كان الطعام صلبًا فإنه يفرز عليه عددًا من الأنزيمات، والعصائر الهاضمة بالإضافة إلى لعابه، وهذه تبدأ في إذابة ما تقع عليه من الطعام الصلب فورًا مما يمكن الذباب من امتصاصه بخرطومه، وبأجزاء فمه، ذات الطبيعة الإسفنجية، ومن ثم لا يمكن استرجاعه أبدًا، أو استنقاذه بأي حال من الأحوال[1]، وصدق الله : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ﴾ [الحج: 72].

ومن عجيب أمر الذباب ما جاء عن أبي هريرة  أنَّ رسول الله  قال: ((إذا وقع الذُّباب في إناء أحدكم فليغمسه كلَّه ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه داءً، وفي الآخر شفاءً))[2].

وهذه معجزة عظيمة يبينها لنا النبي  حول هذا المخلوق العجيب، على صغر جرمه، فإن جسمه يحوي الداء والدواء.

ويبين لنا الإمام ابن القيم - رحمه الله - المعنى الطبيَّ، الذي دلّ عليه هذا الحديث، والسرَّ في صنيع الذباب ذلك في جناحيه، فيقول: «واعلم أنَّ في الذباب عندهم قوةً سميَّة يدل عليها الورم، والحكة العارضة عن لسعه، وهي بمنزلة السلاح، فإذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه، فأمر النبي  أنْ يقابل تلك السمِّية بما أودعه الله سبحانه في جناحه الآخر من الشفاء، فيغمس كُلُّه في الماء والطعام، فيقابل المادة السمية المادة النافعة، فيزول ضررها، وهذا طبٌّ لا يهتدي إليه كبار الأطباء وأئمتهم، بل هو خارج من مشكاة النبوة، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج، ويقرُّ لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق، وأنه مؤيد بوحي إلهي خارج عن القوى البشرية.

---

1 () انظر: من آيات الإعجاز العلمي، الحيوان في القرآن الكريم (156-159).

2 () أخرجه البخاري في الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتويع، الرياض، ط2، 1420هـ في كتاب الطب، باب: إذا وقع الذباب في الإناء (493) برقم (5782).

وقد ذكر غير واحد من الأطباء أنَّ لسع الزنبور والعقـرب إذا دلك موضعه بالـذباب نفـع منـه نفعًـا بينًـا، وسـكَّنه، ومـا ذاك إلا للمادة التي فيه من الشفاء، إذا دلك به الـورم الـذي يخـرج في شعر العين المسمى شَعْرَه بعد قطع رؤوس الذباب أبرأه»[1].

فسبحان الذي خلق الداء والدواء، وجمع ذلـك كلَّه في جـرم حشـرة صـغيرة من مخلوقاتـه العجيبـة، فلا إلـه إلاّ اللـه رب العالمين.

## 7- العنكبوت:

من عجـائب العنكبـوت أنَّ منهـا جنسًـا يصـيد الـذباب صـيد الفهود، وهو الذي يسمى (الليث)، فهو ينسج تلك الشبكة شركًا للصـيد، ثم يكمن في جوفهـا، فـإذا نصـبت فيهـا الـبرغش[2] والذباب وثب عليه وامتص دمه[3].

وفي القرآن الكريم وصف لبيت العنكبوت: ﴿ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ﴾ [العنكبوت: 41].

«ويتجلى الإعجـاز العلمي في التعبـير القـرآني عن الفعـل بصيغة المؤنث في كلمة (اتخذت) وهي إشـارة في غايـة الدقـة للدلالـة على أنَّ الأنـثى - وليس الـذكر - هي الـتي تقـوم بصـنع نسيج البيت، وكذلك الإشـارة إلى ظـاهرة التفكـك الأسـري في بيت العنكبـوت، في أنَّ العنكبـوت الأم تقـوم بقتـل زوجهـا بعـد التلقيح مباشرة، وكذلك بهجر صغار العناكب أعشاشها في سنٍّ مبكرة، وهو ما كشف عنه العلم الحديث بالنسبة لغالبيـة أنـواع العنكبوت، وما كان لأحد قط أنْ يفطن إلى هـذه الحقيقـة وقت نزول القرآن الكريم»[4].

## 8- النحل:

ومن عجيب أمر النحل أنه كالإنسان لـه جماعـة ورئيس، فلا

---

1 () زاد المعـاد في هـدي خـير العبـاد، محمـد بن أبي بكـر بن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسـة الرسالة، بيروت، ط15، 1407هـ، (4/ 112-113).

2 () نوع من البعوض، انظر: حياة الحيوان الكبرى (1/ 406).

3 () انظر: كتاب الحيوان (5/ 412)، ومفتاح دار السعادة (2/ 153).

4 () موسوعة الإعجاز العملي في القـرآن الكـريم، والسـنة المطهـرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة دار ابن حجـر، دمشـق، ط2، 1424هـ (501).

مصلحة لشأنه إلا في ذلك، والنحل تجتمع فتقسم العمـل بينهـا، فبعضٌ يعمـل الشـمع، وبعض آخـر يعمـل العسـل، وآخـر يبـني البيوت، وبعضها يستقي الماء، ويصبه في الثقب، ومنها ما ينقل العسل من أطراف الشجر، فسبحان ملهمها العليم الخبير[1].

والنحل تلد إناثه في إقبـال الربيـع، وأكـثر أولادهـا يكنّ إناثًـا، وإذا وقع فيها ذكر لم تدعـه بينهـا، بـل إمـا أنْ تطـرده، وإمـا أنْ تقتله، إلا طائفة يسيرة؛ لأن الذكر لا يعمل شيئًا ولا يكسب[2].

ومجتمع النحل من أنشـط المجتمعـات، إنْ لم يكن أنشـطها مطلقًا، فقد تقاسم أفراده العمل، فكل واحد منها يـؤدي عملـه بإتقان وإخلاص، فلا يسمح أفراد هذا المجتمع لكسول أنْ يعيش بينها، فإذا تكاسل كان مصيره الطرد والتشريد.

ومن عجيب أمـره أنَّ كـل خليـة تتكـون من ملكـة واحـدة، وآلاف الشغالات، وبضع مئات من الذكور.

الملكة أنثى كاملة التكوين، تتمـيز عن البقيـة بطـول البطن، وكبر منطقة الصدر، وقصر الأجنحة نسبيًّا، ووظيفتهـا الأساسـية وضع البيض.

وليس للذكر من فائدة في خلية النحل سـوى تلقيح الملكـة، ولا يتم ذلك إلا من ذكر واحد، فتختار الملكة من الذكور الأقـوى والأصلح، ثم يموت الذكر بعد عملية التلقيح، وتكـثر الـذكور في فصل الربيع، الذي هو موسـم التلقيح، أمـا في فصـل الخريـف، حيث يقل الغذاء، ولا حاجة للذكور، فإن الشغالات تقوم بطردها من الخلية، إذ لا فائـدة منهـا، ويكـون العبء الأكـبر من العمـل داخـل الخليـة وخارجهـا من نصـيب الشـغالات، فهي أنـثى غـير كاملة التكوين، وهي العمود الفقري للخلية، تقضي عمرهـا كلـه في عمـل دائب مفيـد، فهي بعـد وضـع الملكـة الـبيض تصـبح المسؤولة عنه، كما أنها تـؤمن غـذاء الملكـة واليرقـات، وتقـوم ببنـاء الأقـراص الشـمعية بنـاءً هندسـيًّا بـديعًا، وإعـداد العيـون السداسية، لكي تضع الملكـة فيهـا الـبيض، كمـا تبـني - أيضًـا - بيوت الملكات، وهي تقوم - أيضًا - بحفظ درجة الحرارة داخـل الخلية، ففي الصيف تقوم مجموعة منهـا بتحريـك أجنحتهـا عنـد باب الخلية لإدخالها الهواء البارد، ومن أعمالهـا - أيضًـا - حضـن

[1] () انظر: كتاب الحيوان (5/ 417-419).
[2] () انظر: شفاء العليل (2/ 522).

البيض بعد وضع الملكة له حتى يفقس، ثم تتعهد اليرقات الناتجة بالتدفئة والتغذية حتى يتم نموها.

والشغالات تقوم - كذلك - بحراسة الخلية من الأعداء[1].

وقد تزور النحلة ما يزيد عن ألف زهرة لكي تحصل على قطرة من الرحيق، وتزيد سرعتها في طيرانها عن خمسة وستين كيلو مترًا في الساعة، والنحل أكفأ الحشرات في جمع، ونقل، وتخزين أكبر قدر من رحيق الأزهار في أقصر وقت، وفي أقل مجهود، وهي - أيضًا - تتمتع بقدرة على الإحساس بالزمن يصعب تفسيرها، فيعرف متى تفرز أزهار كل نوع من النباتات رحيقها، ومتى تنثر حبوب لقاحها، ثم يداوم على زيارة كل منها في الموعد المناسب[2].

ويتحدث الدميري عما في بيوت النحل من العجائب، فيقول: «وبيوتها أعجب الأشياء؛ لأنها مبنية على الشكل المسدس، الذي لا ينحرف، كأنه استنبط بقياس هندسي، ثم هو في دائرة مسدسة، لا يوجد فيها اختلاف، فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة؛ وذلك لأن الأشكال من الثلاث إلى العشر، إذا جمع كلٌّ واحد منها إلى أمثاله لم يتصل، وجاءت بينها فروج، إلاّ الشكل المسدس، فإنه إذا جمع إلى أمثاله اتصل كأنه قطعة واحدة، وكلُّ هذا بغير مقياس منها، ولا آلة ولا بيكار[3]، بل ذلك من أثر صنع اللطيف الخبير وإلهامه إياها، كما قال: ﴿ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ﴾ [النحل: 68] الآية.

فتأمل كمال طاعتها، وحسن امتثالها لأمر ربها، كيف اتخذت بيوتًا، في هذه الأمكنة الثلاثة؛ الجبال، والشجر، وبيوت الناس حيث يعرشون، أي حيث يبنون العروش، فلا ترى للنحل بيتًا في غير هذه الأمكنة الثلاثة ألبتّة.

---

1 () انظر: آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات (141-149).

2 () انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد (491-492).

3 () البيكار: من البرْكار، آلة مركبة من ساقين متصلتين تثبت إحداهما وتدور حولها الأخرى، ترسم بها الدوائر والأقواس (فرجار). انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار (1/ 47)، مادة (البرجل)، وهي كلمة فارسية. انظر: تاج العروس (11/ 333) مادة (دور).

وتأمل كيف كانت أكثر بيوتها في الجبال، وهي المتقدمة في الآية، ثم الأشجار، وهي دون ذلك، ثم فيما يعـرش النـاس وهي أقل بيوتها.

فانظر كيف أدَّاها حس الامتثال إلى أنْ اتخذت الـبيوت قبـل المرعى، فهي تتخذها أوّلاً، فـإذا استقر لهـا بيت، خـرجت منـه، فـرعت، وأكلت من الثمـرات، ثم أوت إلى بيوتهـا؛ لأن ربهـا  أمرها باتخاذ البيوت أولاً، ثم بالأكل بعد ذلك»[1].

فسبحان من أودع هذه الحشرة الصـغيرة شـيئًا من عجـائب خلقه الدالة على عظمته وربوبيته، وألوهيته، حقًّا إنَّ في التأمل فيها وفي حياتها آية لقوم يتفكـرون، فيعلمـون قَطعًـا أنّـه لا بـد لذلك كله من خالق حكيم ألهمها ذلك، وحملها عليه، فله الحمـد في الأولى والآخرة، وهو الحكيم الخبير.

**12- النمل:**

النمل كما وصفه النبي  أمّـة من الأمم، فعن أبي هريـرة، قـال: سـمعت رسـول اللـه  يقـول: ((قرصـت نملـة نبيًّا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله تعـالى إليـه أنْ قرصـتك نملـة أحـرقت أمـة من الأمم تسـبح اللـه تعـالى))[2]، فالنمل أمة من الأمم لها عاداتهـا وطـرق معيشـتها، وغـير ذلـك مما للأمم الأخرى.

وقبل ذلك سمّى الله  مجتمع النمل بـ(وادي النمـل) فقـال سبحانه: ﴿ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ﴾ [النمل: 18].

وهــذه الأمم من النمــل في حياتهــا أو عيشــها، وتنظيمهــا عجـائب عظيمـة تحتـاج منّـا إلى الوقـوف عنـدها، والتفكـر في خلقها؛ إذ هي دلائل عظيمـة من أدلـة توحيـد البـاري جـلّ وعلا، فالنمل أنواع تزيد عن تسعة آلاف نوع، وبعضٌ حياتُـه مسـتقرة،

---

1 () حياة الحيوان الكبرى (4/ 31-32).

2 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب بدء الخلـق، بـاب: إذا وقـع الذباب في شراب أحـدكم فليغمسـه فـإن في أحـد جناحيـه داء وفي الآخــر شــفاء، وخمس فواســق يقتلن في الحــرم (267) بــرقم (3319)، وصـحيح مسـلم، مسـلم بن الحجـاج النيسـابوري، ضـمن موسوعة الحديث الشـريف، الكتب السـتة، في كتـاب السـلام، بـاب النهي عن قتل النمل (1076) برقم (2241).

وبعضها الآخر يحيا حياة الترحال، كالبدو تمامًـا، والنمـل حشـرة ذات طابع اجتماعي، تموت حين تعزل عن أخواتهـا، ومن صـور التعاون بينها ما تصنعه حين تلقى نملة جائعة وهي شبعى، حيث تعطيها خلاصة غذائها من جسمها.

والنمل على كثرة تعداده له وظائف تتشـابه إلى حـد كبـير مـع عادات الإنسان، في بنـاء المـدن، وشـق الطـرق، وحفـر الأنفـاق، وخزن الطعام في مخـازن، ومن وظائفـه أيضًـا وظيفـة العسـاكر والجنود التي تحميها[1]، فهو يقوم ببنـاء بيوتـه تحت الأرض كـأمهر البنائين، ويقسـمها إلى صـالات وحجـرات واسـعة حسـب الحاجـة إليها، منها ما يكون للتخزين، ومنها ما يكون لتناول الطعـام، وغـير ذلك، وهي أيضًا تشق الطرق خلال هـذه الحجـرات لتكـون منافـذ تنقلها إلى ظهر الأرض.

ومن عجيب عملها أنها لم تقتصـر على فن واحـد من فنـون البنـاء، فمنهـا من يجعـل بيتهـا فـوق سـطح الأرض، من أوراق الأشجار والأغصان، وقطع الأخشـاب المتسـاقطة، وقسـم آخـر منها داخل الأرض، وقسم ثالث ينحت بيوته في جـوف الأشـجار الكبـيرة، كمـا كـان يفعـل الإنسـان قـديمًا في بـاطن الجبـال، فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى[2].

ومن عجيب أمر النمل أنها تـدخر للشـتاء والصـيف، وتتقـدم في حال المهلة، ولا تُضِيعُ أوقات إمكان الحزم، ومن ذكائها وما ألهمها ربها  أنَّها تخاف على الحبوب التي ادَّخرتهـا للشـتاء في الصيف من العفن والسوس، أو أنْ يقبلها بطن الأرض فتخرجها إلى ظهرهـا لتيبِّسـها، وتعيـد إليهـا جفوفهـا، وإذا خـافت على الحبـوب أنْ تنبت نقـرت في وسـطها؛ لأنهـا تعلم أنَّ هـذا هـو الموضع الذي يبدأ منه نباتها، وربما فلقت الحبة أرباعًا إذا كانت من الحبوب التي تنبت من جميع جوانبها كالكزبرة[3].

فسبحان من ألهمها هذه المعرفة، وأعطاها هذه الفطنة، إنه

---

[1] () انظـر: موسـوعة الإعجـاز العلمي في القـرآن الكـريم والسـنة المطهـرة، يوسـف الحـاج أحمـد (495-497)، وموسـوعة الإعجـاز العلمي في القرآن والسنة، د. محمد السقاعيد (ص464-465).

[2] () انظر: من عجائب المخلوقـات بين منهج القـرآن والعلم الحـديث، د. عبد الرحمن عميرة، دار الحرم للتراث (2/ 203-204).

[3] () انظر: كتاب الحيوان (4/ 5-6).

الذي قدر فهدى فتبارك الله أحسن الخالقين.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - مبينًا شيئًا من عجائب النمل: «ومن عجيب أمرها أنك إذا أخذت عضو جرادة يابس فأدنيته إلى أنفك لم تشم له رائحة، فإذا وضعته على الأرض أقبلت النمل من مكان بعيد إليه، فاحتملته، فإن عجزت عن حمله ذهبت وأتت معها بصف من النمل يحملونه، فكيف وجدت رائحة ذلك من جوف بيتها، حتى أقبلت بسرعة إليه، فهي تدرك بالشم ما يدركه غيرها بالبصر أو بالسمع، فتأتي من مكان بعيد إلى موضع أكل فيه الإنسان، وبقي فيه فتات من الخبز أو غيره، فتحمله وتذهب به، وإن كان أكبر منها، فإن عجزت عن حمله ذهبت إلى جحرها وجاءت معها بطائفة من أصحابها، فجاؤوا كخيط أسود يتبع بعضه بعضًا حتى يساعد على حمله ونقله، وهي تأتي إلى السنبلة فتشمها، فإن وجدتها حنطة قطعتها وفرقتها، وإن وجدتها شعيرًا فلا، ولها صدق الشم، وبعد الهمة، وشدة الحرص، والجرأة على محاولة نقل ما هو أضعاف أضعاف وزنها»[1].

هذه طائفة يسيرة من عجائب خلق الله  للحيوان وهي أمثلة لبعض ما أودعه ربنا تبارك وتعالى في هذه المخلوقات من عجائب صنعه، ولو أراد الباحث أنْ يستقصي ذلك كلّه لسوَّد في ذلك مئات الصفحات، وإنما هي إشارات يسيرة، يقف عندها المسلم على ربوبية الله تعالى، المتفرد بالخلق والإبداع والإتقان، فالذي أعطى هذه المخلوقات هذه القدرة هو سبحانه المتفرد بالربوبية دون سواه، فكل ما في هذه المخلوقات من خلق وعجائب هي من شواهد ربوبيته التي تزيد المسلم عند تفكره بها توحيدًا وتعظيمًا لله ، فهو سبحانه المتفرد بالربوبية، المستحق للألوهية.

**المسألة الثانية: دلالة رَزْق الحيوان وحياته المعَشِيَّة على توحيد الله سبحانه في ربوبيته:**

عند التأمل والتفكُّر في حال الحيوان، كيف يعيش، وكيف يأكل، وكيف يبحث عن رزقه، وكيف يتزاوج، وينجب صغاره ثم يحميها، ويدافع عنها، ويبني بيتًا يأوي إليه ليحميه من الحر

[1] () شفاء العليل (2/ 535-536).

والبرد والمطر: من علَّمه ومن وهبه ومن ألهمه؟ إنَّه الله الـذي أعطى كـل شـيء خلقـه ثم هـدى؛ خلقـه، ثم هـداه لمعرفـة معاشه، والبحث عن رِزْقـه، ومـأواه، ومسـكنه، وهـذا كلُّه دليـل من أعظم الأدلة على توحيد الله ، وكمال ربوبيته وألوهيته.

وهذا فرعون الطاغية يسأل موسى وهارون-عليهما السـلام- متجاهلاً:  [طه: 49-50]، فكان جواب موسى - عليه الصلاة والسلام - بأنَّ الرب هو الذي خلق كلَّ مخلوق، ثم هداه إلى ما فيه نفعه، ومعاشه، قال السعدي - رحمه الله -: «أي ربنـا الـذي خلـق جميـع المخلوقـات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، الدال على حسن صـنعه من خلقـه، من كبر الحجم وصغره وتوسطه، وجميع صفاته، (ثم هدى) كـل مخلوق إلى ما خلـق لـه، وهـذه الهدايـة العامـة المشـاهدة في جميع المخلوقات، فكل مخلوق تجـده يسـعى لمـا خلـق لـه من المنـافع، وفي دفـع المضـار عنـه، حـتى إنَّ اللـه تعـالى أعطى الحيوان البهيم من العقل ما يتمكن به من ذلك.

وهذا كقوله تعالى:  [السجدة: 7]، فالذي خلق المخلوقات، وأعطاها خلقها الحسن الذي لا تقترح العقول فوق حسنه، وهداها لمصالحها، هو الرب على الحقيقة، فإنكاره إنكار لأعظم الأشياء وجودًا، وهو مكابرة، ومجاهرة بالكذب»[1].

فمن رحمة الله سبحانه أنْ خلـق الحيـوان بصـفات مختلفـة تتناسـب مـع بيئتـه، وجعـل أعضـاءه وفمـه ومنقـاره وأسـنانه تتناسب مع ما هيَّأ له من الطعام.

وكذلك رِزْق الدوابِّ قد نوعه ربنا - تبارك وتعـالى - فبعضـها يأكل بعضًا، وبعضها يأكل الأعشاب ومـا يتسـاقط من الأشـجار، وغير ذلك، وكلها تأكل ذلك دون تنظيف، أو طبخ، لأنّ الله  قد جهز لها داخل جسمها ما يتعامل مع ذلك على هيئته، ولـو فعـل الإنسـان ذلـك لمـرض أو مـات، ولكنّ اللـه سـبحانه هـو الـذي خلقها، وهو الذي هداها لذلك، وصدق الله:  [طه: 50]، ففي ذلك كلِّه أدلة عظيمـة على توحيـده، وربوبيتـه، وألوهيته، فالمسلم يقف عندها، ويتفكر في آيات الله:  [آل عمران: 191].

واللـه تبـارك وتعـالى قـد تكفـل بـرزق كـل دابّـة من الإنس

[1] () تيسير الكريم الرحمن (590).

والجن، والبهائم والطير وغيرها، فما من دابّـة داخـل الأرض، أو على ظهرها، أو في أعماق البحـار، أو داخـل جـوف الصـخر إلاَّ على الله رزقها، وصدق الله:  ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ  [هود: 6].

«إن هذه الآيـة الكريمـة عظيمـة، لهـا مكانتهـا السـامية في الدلالـة على اللـه تعـالى، ومعناهـا أنـه مـا من دابّـة من أنـواع الدوابّ تدب على هـذه الأرض إلا رزقهـا على اللـه فضـلاً منـه، ولطفًـا بهـا على اختلاف أنـواع الـدواب، وأنـواع الـرزق، فمن الدوابّ ما هو خفي لا يـرى بالأبصـار، ومنهـا صـغار الحشـرات، والهوام، والدويبات، والديـدان، ومنهـا ذوات الأجسـام الضـخمة والمتوسطة، وفيها ما يأكل بالمضغ بالأسنان والأضراس، ومنهـا ما يبلع الطيور والأنعام والحشرات بلعًـا، ومنهـا مـا لـه مخـالب وبراثن يفترس بها الحبوب والديدان، ومنها ما له خراطيم، فيها الكبـير والصـغير، كخرطـوم البعـوض الـتي تخـترق جسـم أكـبر حيوان فيخر ميتًـا، وأغذيـة كـل نـوع منهـا مختلفـة متنوعـة، من نباتيـة وحيوانيـة، ففيهـا مـا يتغـذى بـأنواع النباتـات والحيوانـات كالإنســان، وبعض الحيوانــات، ومنهــا مــا يتغــذى بالنبــات والحشائش والأشـجار، كالمواشـي والأنعـام ونحوهـا، ومنهـا مـا يتغذى باللحوم خاصة كالسباع المفترسة ومـا يشـاكلها، والكـل خلق الله له رزقه، وهـداه إلى اكتسـابه والحصـول عليـه، وفي ذلك حكم إلهية، وأسرار يكلُّ العقل عن إدراكها والوقـوف على حقائقها، ولو فكرنا قليلاً في تسـلط الحيـوان بعضـه على بعض وافـتراس الكبـير للصـغير، وذبح الإنسـان أنـواع المواشـي كـلّ حين، لأدركنا لذلك حكمًا بالغات، لأنه لو لم يكن الحال على هذا النظام لضاقت الأرض علينا، ولفسـدت الحيـاة، ولَكُنَّا معَرَّضِـين دائمًا للهوام، والسباع، والأفاعي.

والمقصـود أنَّ كـل هـذه الـدوابّ الحيـة رزقهـا على اللـه، لا رازق لها غيره، فهو الذي يمدها، ويسهل لها ما تعيش بـه، وهـو الــذي يعلم محــل قرارهــا، وحفظهــا، وأين منتهى ســيرها في الأرض، وأين تـأوي إليـه من وكرهـا، ويعلم مسـتودعها عنـدما تكــون في الــرحم، أو حيث تمــوت، ومســتقرها في الــرحم ومستودعها في الصلب، وكل ذلك من قسـم الأرزاق، ومـا إلى

ذلك مكتوب ومسطر في اللوح المحفوظ»[1].

وكم من الدوابّ والبهائم والطير لا تستطيع حماية نفسها، ولا قدرة لها على البحث عن عيشها، يرزقها الله سبحانه من حيث لا تحتسب، وييسر لها من يتكفل بعيشها؛ ولهذا قال الحق سبحانه: ﴿ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ﴾ [العنكبوت: 6].

قال ابن كثير[2] - رحمه الله -: «أي: لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تؤخر شيئًا لغد، ﴿ہ ہ ہ﴾، أي: الله يقيض لها رزقها على ضعفها، وييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه، حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء والحيتان في الماء»[3].

وتأمل كيف جعل الله ﷻ رِزْق بعض الحيوان من حيوانٍ غيره، وسخر بعضها لبعض، فهذا التمساح ينشب اللحم بين أسنانه، فيغمُّه ذلك وينتن عليه، فهداه الله بأن يخرج عند ذلك إلى الشاطئ، ويفتح فاه لطائر يعرفه من بين الطير، فيسقط بين لحييه ثم ينقره بمنقاره حتى يستخرج جميع ذلك اللحم، فيكون غذاءً له ومعاشًا، ويكون تخفيفًا عن التمساح وترفيهًا[4].

فمن الذي هدى التمساح إلى هذا الصنيع، ومن الذي دلَّ الطير على موقع اللحم بين فكَّي التمساح، وأعطاه الأمان في هذا المكان، إنه القائل سبحانه: ﴿ہ ہ ہ﴾ [العنكبوت: 6].

وهذا النَّعَّاب[5]، حين يفقس من بيضته يخرج أبيض كالشحمة، فإذا رآه أبواه كذلك أنكراه ونفرا عنه، فيسوق الله

---

1 () كتاب دلائل التوحيد انطلاقًا من القرآن والكون، عبد الله عبد القادر التليدي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1420هـ (131-132).

2 () هو: أبو الفداء، إسماعيل بن كثير بن ضوء، القرشي، الدمشقي، برع في علم الحديث والرجال ومعرفة الأسانيد والعلل والتاريخ، وتتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية والمزي، وتخرج عليه شهاب الدين ابن حجر وغيره، له مصنفات كثيرة، منها: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، وغيرها، توفي سنة 774هـ، بدمشق. انظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، (3/ 85-86).

3 () تفسير القرآن العظيم، (6/ 300).

4 () انظر: كتاب الحيوان (6/ 344).

5 () هو فرخ الغراب. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، (4/ 288)، مادة (نعب).

تعالى له ذبابًا يدخل في أجوافها، فيكون ذلك غذاء لها حتى تَسْوَدّ، فإذا اسودَّت عاد الغراب لها فغذَّاها[1]، فسبحان من وسعت رحمته كلَّ شيء.

وقد أخبر  عن الطير وتكفُّل الله  برزقه، فعن عمر بن الخطاب  قال: سمعت رسول الله  يقول: ((لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا[2] وتروح بطانًا[3] ))[4].

فلم يترك الله  هذه الحيوانات البهيمية، التي لا عقل لها ولا تدبير تضيع في الدنيا بلا عيش ولا رزق، فهذه الطيور تطلب رزقها كل صباح، وهي خالية البطون، ثم تغدو إلى أوكارها في آخر النهار بطانًا بعد أنْ يسر الله لها رزقها.

وإذا كان الإنسان الذي وهبه الله تعالى العقل والتدبير يحفظ قوته أيامًا طويلة، وينام وعنده من القوت ما يكفيه شهورًا مديدة؛ فإن معظم الحيوانات تبيت وليس عندها طعام يُؤكل ولا شراب يُشرب، لأن لها ربًّا تكفّل برزقها، ولم يخلقها لتموت جوعًا، وفي هذا دليل على ربوبيته لجميع الخلق من الإنس والجن والحيوان وغيرهم.

---

1 () انظر: العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (6/ 255)، وحياة الحيوان الكبرى (4/ 70).

2 () خماصًا: أي جياعًا، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري، أشرف عليه وقدم له: علي بن حسن الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1421هـ، (286)، مادة (خمص).

3 () بطانًا: أي ممتلئة البطون، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (81)، مادة (بطن).

4 () أخرجه أحمد في المسند، أحمد بن حنبل، عناية: د. بدر الدين جنتن، دار سحنون، تونس، ط2، 1413هـ (1/ 30، 52)، وسنن الترمذي محمد بن عيسى الترمذي، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله (1887) برقم (2344)، وقال عنه: حسن صحيح، وسنن ابن ماجه، محمد بن ماجه القزويني، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، في كتاب الزهد، باب التوكل واليقين (2730) برقم (4164)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، 1415هـ (1/ 620) برقم (310).

وفي حياة الحيـوان المعَشِـيَّة - أيضًـا - دلائـل جليَّة من أدلـة توحيد الله سبحانه، فمن الذي ألهم الحيوان في تزاوجهـا وبنـاء أعشاشها، وتربية أبنائها، ثم الهجـرة من مكـان إلى مكـان آخـر بحثًـا عن المـأوى المناسـب لهـا، والعيش المناسـب لهـا، ومن الذي ألهمهـا حمايـة نفسـها من عـدوها، وأرشـدها إلى سـلاحها الذي تستطيع به القضاء على عـدوها، أو فريسـتها، إنَّه اللـه ﷻ، ﴿ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ﴾ [طه: 50].

فالحيوان فطره الله كما فطر الإنسان على ميل الـذكر إلى الأنثى، والأنثى إلى الذكر، والتزاوج بينها لحكمة يريدها سبحانه، وهي التناسل والتكاثر.

يقول الحق سبحانه: ﴿ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ﴾ [الأنعام: 38].

نقل الرازي[1] رحمه الله عند تفسيره لهـذه الآيـة قـول أبي الدرداء ﷺ: ((أُبْهِمَتْ عقول البهائم عن كـل شـيء إلا عن أربعـة أشـياء: معرفـة الإلـه، وطلب الـرزق، ومعرفـة الـذكر والأنـثى، وتهيؤ كل واحد لصاحبه))[2].

وكما جعل الله سبحانه لنا أزواجًا من أنفسنا، فقد جعل للأنعـام كذلك أزواجًا منها؛ حتى تتناسل وتتكاثر، يقـول اللـه تعـالى: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ﴾ [الشورى: 11].

وفائدة ذكر أزواج الأنعام - هنا - دون أزواج الوحش؛ لأن في الأنعام فائدة لحياة الإنسان، حيث إنها تعيش معه ولا تنفر منـه، وينتفع بألبانها، وأصوافها، ولحومها، ونسلها وغير ذلك[3].

يقول الزمخشري[4] عند تفسيره لهذه الآية: «(وجعـل لكم)، خلق لكم، (من أنفسكم) من جنسكم من الناس، (أزواجًـا ومن

---

[1] () هو: فخر الـدين محمـد بن عمـر بن الحسـين، القرشـي، الـرازي، الشافعي، المفسر، المتكلم، ولد سنة 544هـ، كان من تلامذة محي السنة البغـوي، حـاد الـذهن، كثـير البراعـة، قـوي النظـر في صـناعة الطب، له تصانيف عديدة، اشتهر بالوعظ، قيل: إنه تـاب آخـر حياتـه من علم الكلام وندم عليه، توفي سنة 606هـ. انظر: تاريخ الإسلام، (43/ 212-223).

[2] () انظر: مفاتيح الغيب (12/ 176)، وأثر أبي الدرداء بحثت عنـه فلم أجده.

[3] () انظر: التحرير والتنوير، محمـد الطـاهر بن عاشـور، دار سـحنون، تونس، 1997، (25/ 44).

الأنعـام أزواجًـا) أي: وخلـق من الأنعـام أزواجًـا، ومعنـاه وخلـق للأنعام أيضًا من أنفسها أزواجًـا، (يـذرؤكم) يكـثركم، يقـال: ذرأ الله الخلق: بثهم وكثرهم، والذر والـذرو والـذرء: أخـوات، فيـه: في هذا التدبير وهو أنَّ الله جعل للناس والأنعـام أزواجًـا، حـتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل)»[1].

فالله  لا يعجزه شيء، يقول للشيء كن فيكون، وهو قـادر على جعـل الحيـوان يتكـاثر من غـير تـزاوج ولا تناسـل، ولكنَّه سـبحانه أراد أنْ يـرى الإنسـانُ آثـارَ قدرتـه، وينظـر إلى عظيم علمه وقدرته في الأنعـام وسـائر الحيـوان؛ حيث جعـل سـبحانه الحيوان كالإنسان في الـتزاوج والحمـل والـولادة، فكـل حيـوان خلق من زوجين ذكر وأنثى، وجعل سبحانه لكل مخلوق طريقته في الحمل والولادة، فلنا في ذلك عظة وعبرة[2].

وقـد ألهم اللـه تبـارك وتعـالى بعض الحيـوان، من الـدوابّ والطير والحشرات أنْ تتخذ لها بيوتًـا، وجعـل بعضًـا منهـا يعيش بدون بيت يخصه، قال الجاحظ: «ومن الحيـوان مـا لـه مسـكن ومأوى؛ كالخلد[3]، والفأر، والنمل، والنحل، والضب، ومنها مــا لا يتخذ شيئًا يرجع إليه كالحيات؛ لأن ذكورة الحيات سيَّارة، وإناثها إنمــا تقيم في المكــان إلى تمــام خــروج الفــراخ من الــبيض، واستغناء الفراخ بأنفسها، ومنها مـا يـأوي إلى شـقوق الصـخور والحيطان، والمداخل الضيقة، مثل سام أبرص»[4].

والطيور قد ألهمها ربها تبارك وتعالى قبل وضـع بيضـها بنـاءَ

---

4 () هـو: أبـو القاسـم محمـود بن عمـر بن محمـد، الزمخشـري، كبـير المعتزلة، من مصنفاته: الكشاف في التفسير، والمفصـل في النحــو وغيرها، ولد سنة 467هـ بخوارزم، ورحل إلى بغداد، كان رأسًا في البلاغة والبيان، وداعية إلى الاعتزال، توفي سنة 538هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، (20/ 151-156).

1 () الكشاف عن حقائق التنـزيل وعيون الأقاويـل في وجـوه التأويـل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهـدي، دار إحيـاء التراث العربي، بيروت، ط1، 1417هـ، (4/ 217).

2 () انظر: آيات الله في خلق الحيوان (144-145).

3 () هي: دويبة عمياء، صماء، لا تعرف مـا يـدنو منهـا إلا بالشـم، تقـف على باب جحرها، فيسقط الذباب على شـدقها، ثم تسـد فمهـا عليـه إذا مر بين لحييها، انظر: كتاب الحيوان (6/ 411).

4 () كتاب الحيوان (4/ 296).

عشها ليحضن البيض وينشأ فيه الصغار، فمنها ما تنفـرد الأنـثى ببنائه، ومنها ما يكون التعاون بين الزوجين في البناء، وهي تبني أعشاشـها في مختلـف الأمـاكن، فبعضـها يبنيـه على الأشـجار، وبعضها يجعله على الأرض، ومنها ما يجعله نفقًا في ضـفة نهـر، وآخر ينقـر الخشـب فيجعـل عشـه في جـذع شـجرة، وتختلـف المـادة الـتي يصـنع منهـا هـذا العش، فـأنواع منهـا تجعلـه من العشب، وأخرى تجعله من العيدان والأغصـان الدقيقـة، وأحيانًـا نجد بعضها قد صنعه من الخيوط، وهناك أنواع من الطيور تبـني العش من الطين، فتضع منه الجدران والأسقف[1].

فسبحان من هداها لهذا الصنع، ورزقها هذا الإتقان.

ثم تأتي مرحلة أخرى بعد اتخاذ السكن وبناء الأعشاش؛ إنها مرحلـة الاهتمـام بالأبنـاء بعـد خـروجهم إلى الحيـاة، فيسـعى الأبـوان في البحث عن الغـذاء لهم وحمـايتهم من الأخطـار المحيطة بهم.

فنجد ذكر الطير والأنثى يقومان بتغذية فراخهما بمعـدل (4-12) مـرَّة في السـاعة يوميًّا، أمـا عنـد اللبـائن فتختلـف. لأن مسؤولية تغذية الصغار تخص الإناث.

وهناك أنواع من الطيور تطعم صغارها السمك؛ حيث يغوص الطير تحت الماء ويصيد السمك من ذيله بحركة سريعة بارعـة، ثم يطعمه صغاره[2].

وهي - أيضًا - تسعى في تربية أبنائها وفراخها، وحمايتهم من الأخطار التي قد تحيط بهم.

ومن صـور اهتمـام الحيوانـات بأبنائهـا مـا تصـنعه بهم في صغرهم؛ حيث تنقلهم من مكان إلى مكان عند الخطر أو غيره، ولكل كائن حي طريقته الخاصة في نقل صغاره، فبعضها تحمل صـغارها على ظهورهـا، وبعضـها في فمهـا، والبعض الآخـر في تجاويفَ كيسيةٍ في جناحيه، وفي جميع الحـالات يكـون الصـغار في مأمن، وينقلون إلى مكان آمن وسليم.

فأنثى القرد تستطيع الحركة بحرية وهي تحمل صغيرها على ظهرهـا، وحيـوان الكنغـر أنثـاه تحمـل وليـدها في كيس مغطى

---

1 () انظر: آيات الله في ممالـك الطـير والنحـل والنمـل والحشـرات (45-46).

2 () انظر: موسوعة الإعجاز العلمي، يوسف الحاج أحمد (547-548).

بشعر كثيف يقع أسفل بطنها.

وتطـير الخفـافيش ليلاً بحثًـا عن الغـذاء، وهي تحمـل معهـا صغارها أثناء طيرانها، ويكون الخفـاش الجديـد ماسـكًا بمخالبـه شعر أمه وزارعًا أنيابه اللبنيَّة بقوة في ثديها.

وهــذا الصــقر ذو الــذنب الأحمــر يحمــل صــغاره بمخالبــه بالطريقة نفسها التي يحمل بها فريسته بعد أنْ يصطادها، وهذه الصغار آمنة مطمئنة، فتبارك من هداها لذلك.

وبعض أنواع السمك يحمل صغاره في فمـه أثنـاء نقلهم إلى مكان آمن، فإذا ابتعد أحد الصـغار الخـارجين حـديثًا من البيضـة فإنّ الذكر يلتقم هذا الصغير الشارد في فمه ويعيده إلى عشــه ثانية[1].

وهذه الأرانب تقـوم بنتـف شـعر بطنهـا النـاعم؛ لتصـنع منـه لفافة تكسـو بهـا الصـغار بعـد الـولادة، حـتى ينبت شـعر يغطي جسدها، ولتكشف عن الثـدي حـتى لا تجـد الصـغار صـعوبة في الوصول إليه.

وهناك الطيور التي علمها خالقها كيف تُعِـدُّ المهـد لصـغارها، فتبني العش من القش في دقة ومتانة، ثم تبسـط فيـه بسـاطًا طريًّا لينًا من ريشها الناعم لتضع عليه بيضها.

واللطيـف الخبـير هـو الـذي جعـل الدجاجـة تلازم صـغارها لتحرسها من أي خطر، وتبسط عليها جناحيها إذا مـا رأت حـدأة تحلق فوقها، إنها صورة رائعة لحنان الأمومة.

وبعض الطيور تضع بيضها في الخشـب في حفـرة مسـتطيلة، فتجلب له طلع الأزهار، وبعض الأوراق السكرية، وتحشو بـه ذلـك السـرداب، ثم تـبيض بيضـة، ثم تـأتي بنشـارة الخشـب، وتجعلهـا سقفًا لهذا السرداب، وبعدها تموت، وبعـد أنْ تفقس الـبيض يجـد الفرخ طعامًا يكفيه سنة[2].

وهذه هدايـة من اللـه  لهـا؛ حيث وهبهـا الرحمـة والعطـف على صغارها، فهذا الوحش من السباع والطيور الـتي لا تعـرف إلا البطش والافتراس تتعامل مـع صـغارها بالرحمـة والشـفقة، فهي تمــرح وتلهــو بين مخالبهــا وأنيابهــا، فمن الــذي أعطاهــا الأمان؟ إنه الخالق جلّ في علاه، فتبارك الله أحسن الخالقين.

---

1 () انظر: موسوعة الإعجاز العلمي، يوسف الحاج أحمد (551-552).

2 () انظر: آيات الله في خلق الحيوان (148-153).

ومن صور حياة الحيوان المعَشِيَّة ما وهبها ربها  من الهجرة في أزمان معينة بحثًا عن الطعام، أو الجو المناسب، أو هربًا من عدو، فهي تبادر إلى الهجرة وتقبل عليها كل عام، في وقت محدد لا تخطئه أبدًا.

فمنذ أنْ عرف الإنسان الطيور رآها تختفي في الخريف، ثم تظهر في الربيع، وقد ذكر العلماء: أنَّ هناك عشرات آلاف الملايين من الطيور تهاجر كل عام من نصف الكرة الشمالي إلى نصفها الجنوبي، وقد توصل العلماء إلى أنَّ أنواعًا من الطيور قطعت في هجرتها أربعة عشر ألف كيلومتر، وأنواعًا قطعت ستة عشر ألف كيلومتر، وأخرى قطعت اثنين وعشرين ألف كيلومتر.

وللطيور قوة خارقة لقطع المسافات التي تقوم بها، ولا يوجد مخلوق على وجه الأرض أقوى من الطير في قطع المسافات الشاسعة لحكمة أرادها الله .

ولقد ظن بعض الناس أنَّ بعض الظواهر الجغرافية من أنهار وبحار، ومن سواحل ومن جبال تهتدي بها الطيور، ولكن هذه نظرية ثبت بطلانها؛ لأن الطيور تطير في ساعات الليل المظلمة لا ترى شيئًا، ومع ذلك لا تحيد عن هدفها، ومن العجيب في ذلك أنَّ الطيور الصغيرة التي ولدت حديثًا وضعت حلقات في أرجلها، وسارت في رحلتها بالاتجاه الصحيح دون تعليم من الطيور الكبيرة، فمن أودع في هذه الطيور الصغيرة هذه القدرة العجيبة كي تهتدي إلى أهدافها؟.

قال تعالى:               [طه: 49-50] [1].

ومن الصور العجيبة في حياة الحيوان المعَشِيَّة الدالة على توحيد الخالق سبحانه ما وهبها ربها تبارك وتعالى من سلاح تدافع به عن نفسها، وإلهامه لها بمعرفة هذا السلاح، حتى تستخدمه عند وقوع الخطر.

فهذا الظِّربان يعلم أنَّ سلاحه في فسائه، ليس شيء عنده سواه، والديك يعلم أنَّ سلاحه في شوكة رجله، ويدري لأي مكان يعتلج، وأي موضع يطعن به، ويعلم الزنبور أنَّ سلاحه في

---

1 () انظر: آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات (58-60).

شعرته فقط، كما تعلم العقرب أنَّ سلاحها في إبرتها فقط، ويعلم الذباب والبعوض والقملة أنَّ سلاحها في خراطيمها، وتعلم جوارح الطير أنَّ سلاحها في مخالبها، ويعلم الذئب والكلب أنَّ سلاحهما في أشداقهما فقط، ويعلم الخنزير والأفعى أنّ سلاحهما في أنيابهما فقط، ويعلم الثور أنَّ قرنه لا سلاح له غيره، فإن لم يجد الثور والكبش والتيس قرونًا استعملت باضطرار مواضع القرون[1].

ومن عجائب ما أودع الله سبحانه في بعض الحيوان من آيات عظيمة: التمويه والتلون الذي جعله يستخدمه سلاحًا في الصيد، أو النجاة من الخطر، يقول الأستاذ: يوسف الملاَّ: «لقد وهب الله  الحيواناتِ عدةَ وسائل للدفاع عن نفسها، ومن هذه الوسائل التمويه والتلون والتخفي عن أعدائها، لكي تضمن الحماية لها عن طريق تغيير ألوانها، فالحرباء تغير لون جلدها كي تتأقلم مع البيئة المحيطة، وكذلك اليعاسيب والخنافس والضفادع عن طريق إفراز البروتين تغير ألوانها، وتصبح مشابهة للنبات.

وللطبيعة التي خلقها الله سبحانه تأثير في تغير الألوان، فالأرانب تفقد ألوانها البنية تدريجيًّا في الشتاء بالمناطق الثلجية لينمو فروها الأبيض الذي ينمو بلون الثلج...ليس ذلك فحسب وإنما الماعز الجبلي والظباء في جبال الألب تتلون باللون الأبيض لتماثل الصخور البيضاء...

وهناك على سبيل المثال بعض الأحياء البحرية كالروبيان والأخطبوط والحبار يمكنها تغيير ألوانها بسرعة؛ لأن الباري سبحانه زودها بخلايا تشتمل على هرمونات تدعى (الكروماتوفورس) وهي خلايا غنية بالصباغ توجد تحت بشرتها تفرزها عندما تواجه أعداءَها، أو تسعى إلى الهروب من الأخطار التي تحيط بها!.

وقد تسمح بعض الخلايا لدى أنواع أخرى من الروبيان بتغيير ألوانها وفق لمعان الأجواء المحيطة؛ فعند تعرضها لضوء الشمس يفتح الروبيان هرمونًا تصبح خلايا اللون تحت تأثيره رفيعة جدًّا أو شفافة، فلا يتمكن المفترس من افتراسها»[2].

---

[1] () انظر: كتاب الحيوان (6/ 373-375).

[2] () شفاء العليل (2/ 568).

هذه صور يسيرة من مجتمع الحيوان وما أودعها ربها تبـارك وتعالى من آياته في رزقها وعيشها تدلُّ على ربوبيـة البـاري ، يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - بعد حديثه عن هدايـة اللـه للحيوان، واختلاف أشكالها وأصنافها في ذلـك: «وهـذا كلـه من أدل الدلائل على الخالق سـبحانه، وعلى إتقـان صـنعه، وعجيب تدبيره، ولطيف حكمته، فإن فيما أودعها من غرائب المعـارف، وغوامض الحيل، وحسن التدبير، والتأتي لما تريده، ما يستنطق الأفواه بالتسـبيح، ويملأ القلـوب من معرفتـه، ومعرفـة حكمتـه وقدرته، وما يعلم به كـل عاقـل أنـه لم يخلـق عبثًـا، ولم يـترك سدًى، وأن الله سبحانه له في كل مخلـوق حكم بـاهرة، وآيـات ظاهرة، وبرهان قاطع يدل على أنه ربُّ كل شيء ومليكه، وأنّه المنفرد بكل كمال دون خلقه، وأنه على كل شيء قدير، وبكـل شيء عليم»[1].

**المسألة الثالثة: دلالة تسـخير الحيـوان للإنسـان على توحيد الله سبحانه في ربوبيته:**

خلق الله  الإنسان لعبادته، كما قال سبحانه: ﴿ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ﴾ [الذاريات: 56].

ثم خلق لـه مـا في السـموات والأرض وسـخرها لـه، فقـال سبحانه: ﴿ ی ی ي ي ﴾ [البقرة: 29]، وقال أيضًا: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ﴾ [الحج: 65]، فهو سبحانه الذي ذلَّل لكم ما في الأرض من الدوابّ والبهائم وغيرها: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ﴾ [لقمان: 20].

والله  جعل هذا التسخير دليلاً على أحقيته وحده بالتوحيـد؛ إذ هذا التسخير آيات وعلامات لقوم يتفكرون، ويتعظون، فقـال سبحانه: ﴿ ﴾ [الجاثية: 13].

يقول الإمـام الطـبري[2] - رحمـه اللـه - عنـد تفسـيره لهـذه

---

[1] () شفاء العليل (2/ 568).

[2] () هو: أبو جعفر، محمد بن جريـر بن يزيـد الطـبري، كـان من أكـابر العلمـاء، وكـان حافظًـا لكتـاب اللـه، عارفًـا بـالقراءات كلهـا بصـيرًا بالمعاني، فقيهًا في الأحكام، عارفًا بأيام النـاس وأخبـارهم، روى عن هناد السري وأبي كـريب وغـيرهم، وروى عنـه أبـو القاسـم الطـبري وأحمـد بن كامـل وغـيرهم، صـنف كتبًـا عديـدة، من أشـهرها: جـامع

الآية: «(وسخر لكم ما في السموات) من شمس وقمر ونجوم، (وما في الأرض) من دابَّة وشجر وجبل، وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم (جميعًا منه)، يقول تعالى ذكره: جميع ما ذكر لكم أيها الناس من هذه النعم، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضل به عليكم، فإياه فاحمدوا لا غيره؛ لأنه لم يشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك، بل تفرد بإنعامها عليكم، وجميعها منه، ومن نعمه، فلا تجعلوا في شكركم له شريكًا؛ بل أفردوه بالشكر والعبادة، وأخلصوا له الألوهية؛ فإنه لا إله لكم سواه)»(1).

فمن المسخرات التي سخرها الله سبحانه للإنسان هذه الحيوانات؛ حيث جعلها الله ﷻ مذللة له، يتصرف فيها كيف يشاء، فيأكل بعضًا منها، ويركب بعضًا، ويلبس من جلود بعضها وأشعارها وأوبارها، ويتخذ منها جمالاً وزينة ومسكنًا ومأوى، يقول الله تعالى: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ﴾ [يس: 71-72].

ومن حكمة الباري ﷻ أنْ أعطى بهيمة الأنعام الأسماع والأبصار لينتفع بها الإنسان أكمل الانتفاع؛ إذ لو كانت عمياء وصمَّاء لم يتمكن من ذلك، ثم سلبها مع ذلك العقول على كبر خَلْقها، ليتم تسخيرها له، فيقودها ويصرفها حيث شاء، ولو أُعطِيَتْ العقولَ على كبر خَلْقها لامتنعت من طاعته، واستعصت عليه، ولم تكن مسخرة له، فلم يكن للإنسان قدرة عليها لولا تسخير الله ﷻ لها، قال تعالى: ﴿ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ﴾ [الزخرف: 12-13](2).

وحين ينحر المسلم البدن صوافَّ واقفة قد صُفَّت ثلاث من قوائمها، وقُيِّدت الرابعة، ثم تسقط على الأرض فإن الله يذكره بتسخيره هذه البدن له، ولولا هذا التسخير ما استطاع نحرها؛ مما أعطاها الله سبحانه من قوة يعجز عنها الأقوياء من

---

البيان، والتاريخ، توفي سنة 310هـ. انظر: تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1419هـ، (2/ 201-204)، والبداية والنهاية (11/ 165-167).

[1] () جامع البيان (22/ 65).

[2] () انظر: مفتاح دار السعادة (2/ 125).

الرجال، فقال سبحانه: ﮋﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ [الحج: 36].

فهي مـع كمـال عِظَمِهـا ونهايـة قوتهـا لا تستعصـي عليكم، فتأخـذونها منقـادة، ثم تطعنـون في لَبَّتِهـا وهي صـوافٌّ، ولـولا تسخير الله تعالى لم تُطَق، ولم تكن بـأعجز من بعض الـوحش التي هي أصغر منها جرمًا وأقلَّ قوة[1].

وتسخير هذا الحيوان للإنسان دليل من أدلة وحدانية الخـالق ﷻ وربوبيته، المتفرد بالخلق والملـك والتـدبير، ولتسـخير اللـه ﷻ الحيوان للإنسان صور كثيرة، منها:

**1- الأكل والشرب:**

من صـور التسـخير الـتي سـخرها اللـه ﷻ للإنسـان: الأكـل والشرب من بعض أنواع الحيوان، من لحم وسمن ولبن وعسل وغير ذلك، يقول ربنا تبارك وتعـالى: ﮋﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢﮊ [النحل: 5]، وقال أيضًا: ﮋﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮊ [المؤمنون: 21]، وقال أيضًا: ﮋﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹﮊ [يس: 72-73].

فقد أكرم الله سبحانه الإنسان بأن سخر له أنواعًا كثيرة من الحيوان، يأكل منها لحمًا هـو من أغلى وأنفس الأطعمـة عنـده، وعليه اعتماد الكثير من الناس.

فمن ذلك ما أباحه له من بهيمة الأنعام، يقول سبحانه: ﮋﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﮊ [المائدة: 1].

وقال تعالى مبينًا هذا الامتنان الذي امتنّ به على عبـاده: ﮋﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮊ [الأنعام: 142-144].

فجعـل اللـه سـبحانه هـذه الأنعـام منهـا مـا يصـلح للركـوب والحمل، ومنها الفرش وهو الصغير الـذي لا يصـلح لـذلك، وهي جميعًـا صـالحة للأكـل، ثم فصـلها سـبحانه (ثمانيـة أزواج) ذكـر وأنثى من الضأن، وكذلك من المعز، فهذه أربعـة، وذكـر وأنـثى

[1] () انظر: روح المعاني في تفسـير القـرآن العظيم والسـبع المثـاني، أبـو الفضـل محمـد الآلوسـي، دار إحيـاء الـتراث العـربي، بـيروت، (17/ 158).

من الإبل، وكذلك من البقر، فهذه أربعة، فيكون مجموع ذلك كلِّه ثمانية[1]، وهي التي ذكرها أيضًا في سورة الزمر: ﴿ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞﭟ﴾ [الزمر: 6].

ومن اللحم الذي سخره ربنا ﷻ ما يستخرجه الإنسان من البحر، يقول تعالى: ﴿ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﯡ﴾ [النحل: 14]، وقال أيضًا: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭣ﴾ [فاطر: 12].

فهذه نعمة عظيمة يمتن الله بها علينا؛ حيث سخر لنا البحر وجعله مستودعًا لا ينضب لمادة غذائية تعتبر شيئًا أساسيًّا في حياة معظم الشعوب، يتناولونها من البحر دون أنْ يخسروا مالاً وجهدًا في تربيتها، ولولا ذلك لضاقت معيشة كثير من الناس؛ حيث إنَّ عليها اعتمادهم في الغذاء والتجارة، ومن رحمته سبحانه أنْ أباح ما في البحر حيًّا وميتًا[2].

ومن وجوه الأكل التي سخرها الله للإنسان ما أباحه له من صيد الحيوان - دوابه وطيره - فقال تعالى: ﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ﴾ [المائدة: 4]، وقال أيضًا: ﴿ﯴ ﯵ ﯶ﴾ [المائدة: 2].

فبين سبحانه أنَّه أحلَّ لنا الطيبات، وهي الذبائح التي ذُكِرَ اسم الله عليها، وكل ما فيه نفع ولذة من غير ضرر بالبدن ولا بالعقل فيدخل فيه جميع حيوانات البر والبحر، إلا ما استثناه الشارع، كالسباع والخبائث وغيرها.

وكذلك أباح الله ما اصطادته الجوارح المعلمة، وهي الكلاب، والفهود، والصقور، ونحو ذلك مما يصيد بنابه أو بمخلبه مع اشتراط التسمية عند إرساله[3].

ويحل الصيد - أيضًا - بكل قوة تخرق وتنهر الدم كالرصاص وغيره مما يستعمله الناس اليوم في صيدهم.

ومن صور هذا التسخير - أيضًا - هذا اللبن الذي أخرجه الله من بطون الأنعام من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين: ﴿ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ﴾ [النحل: 66]، ﴿ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ﴾ [المؤمنون: 21].

---

1 () انظر: تيسير الكريم الرحمن (310).

2 () انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد ملكاوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1425هـ، (241).

3 () انظر: تيسير الكريم الرحمن (241).

فتأمل قدرة الخالق سبحانه كيف أخرج هذا الشراب السائغ من بين فرث ودم، لبنًا حلوَ المذاق، جميل اللون، فيه غذاء للجسم والروح.

«وكون هذه الأنعام مسخرة للإنسان فقد جعل الله سبحانه لنا فيها فوائد عظيمة متعددة بتعدد تلك الحيوانات من الأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعز...فالآية الكريمة تخص ما يسقينا الله مما في بطونها، وهو اللبن الذي يخرج من ضروعها بقدرة الله سبحانه وبإعجاز يفوق التصور.

فإذا كان العلم اليوم كشف الطريقة الإعجازية في إخراج اللبن من بطون تلك الأنعام...فإن النظر وحده في هذه المعجزة يوم نزل القرآن ونزلت هذه الآية يكفي دليلاً قطعيًّا على وحدانية الله وقدرته في الخلق.

وتشير هذه الآية إلى أنَّ الله  يسقي الإنسان اللبن اللذيذ الطعم (خالصًا) أي صافيًا لا يستصحب لون الدم الذي هو أصله، ولا رائحة الفرث التي فصل الدم عنها، وهو ما يتبقى من الطعام من كرش الحيوان، وبذلك إشارة إلى أنَّ اللبن يتولد من بين الفرث والدم.

فإناث الأنعام تأكل العشب والتبن والشعير فيختلط بعضه ببعض في الكرش فيتكون الفرث، ثم يحدث بها تخمر وتغيرات في تركيبها فتؤدي إلى إنتاج الأحماض التي يتم امتصاصها عبر الأمعاء، ثم تصل إلى الغدد اللبنية التي تقوم بعملية التصفية وانتخاب المواد النافعة والمقوية للدم، والابتعاد عن المواد الضارة والسموم، ثم تجمع اللبن في كيس الثدي انتظارًا لحلبه وتقديمه لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين، بينما تقوم الكلية بطرح المواد السامة خارجًا عبر البول، وبذلك يكون القرآن قد حدد أصل مكونات اللبن بما يتفق تمامًا مع العلم الحديث، والذي كان مجهولاً تمامًا منذ قديم الزمان، خاصة أنَّ اكتشاف الدورة الدموية قد تم بعد ألف سنة من نزول القرآن الكريم»[1].

ومن أجلِّ نعم الله على الإنسان شراب مختلف ألوانه، يخرج من بطون النحل، فيه شفاء للناس فتبارك الله رب العالمين: ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ [النحل: 68-69].

---

[1] () آيات الله في خلق الحيوانات البرية والبحرية (123-125).

فسبحان الله الذي أكرم الإنسان وسخر له هذه الحشرة الصغيرة، تنتقل بين أنواع النبات، ثم تُخْرِجُ شرابًا مختلفَ الألوان من بياضٍ وصفرة وحمرة وغير ذلك، فيه شفاء للناس من الأمراض، حقًّا إنَّ في ذلك لدلالةً عظيمة لمن تفكر واعتبر في تفرد الخالق سبحانه بالخلق والتدبير.

**2- الحمل والركوب:**

وهذا وجه آخر من وجوه التسخير والتذليل التي أكرم الله سبحانه الإنسان بها؛ حيث سخر له أنواعًا من هذه الدوابّ يحمل عليها متاعه، ويركبها في حله وترحاله، فقال تعالى في سياق امتنانه على بني آدم، وخلقه الأنعام من أجله: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ﴾ [النحل: 7-8].

فكيف كان الإنسان يستطيع العيش أزمانه السابقة والانتقال من بلد إلى بلد، وحمل طعامه، ومتاعه لولا تسخير الله ﷻ له هذا الحيوان، وخلقه الدوابّ له، ولهذا أرشدنا سبحانه إلى تذكر هذه النعمة، ثم حمده وشكره عليها حين الاستواء عليها وعلى غيرها مما سخره، وخلقه لنا، فقال: ﴿ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ﴾ [الزخرف: 12-14].

«واعلم أنه تعالى عين ذكرًا لركوب السفينة والدابّة، وهو قوله: ﴿ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ﴾ وذكر دخول المنزل: ﴿ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ﴾ [المؤمنون: 29]، وتحقيقه أنَّ الدابّة المركوبة لا بدَّ أنْ تكون أكثر قوة من الإنسان بكثير، وليس لها عقل يهديها إلى طاعة الإنسان، ولكنه تعالى خلق تلك البهيمة على وجوه مخصوصة في خلقها الظاهر، وخلقها الباطن، فحصل منها هذا الانتفاع، أما خلقها الظاهر، فلأنها تمشي على أربع، وكان ظهرها يحسن لاستقرار الإنسان، وأما خلقها الباطن فلأنها مع قوتها الشديدة قد صيَّرها الله منقادة للإنسان، ومسخرة له، فإذا تأمل الإنسان في هذه العجائب عظم تعجبه من تلك القدرة والحكمة التي لا نهاية لها، فلا بد أنْ يقول: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين»[1].

---

[1] () اللباب في شرح الكتاب، عمر بن علي الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ، (17/ 237).

ولهذا كان من هديه ﷺ إذا ركب الدابّة، أو أراد السفر عليها أثنى على ربه ﷻ؛ حيث سخرها له، فكان من هديه إذا ركب الدابّة ثم استوى على ظهرها يقول: ((الحمد لله، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنَّا له مقرنين، وإنَّا إلى ربنا لمنقلبون))[1].

وإذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر، كبَّر ثلاثًا، ثم قال: ((سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنَّا إلى ربنا لمنقلبون...)) الحديث[2].

وقد جاءت نعمة الركوب في هذا القرآن مقرونة مع نعمة الأكل؛ إذ هما أعظم الفوائد التي ينتفع بها الإنسان من الحيوان، فقال سبحانه: ﴿ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ﴾ [المؤمنون: 21-22]، وقال سبحانه: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ﴾ [الأنعام: 142]، وقال أيضًا: ﴿ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ﴾ [يس: 72]، وسوف تبقى هذه النعمة - نعمة الركوب - ما بقي الإنسان، حتى مع تقدمه في هذا العصر واختراع وسائل جديدة، فلن يستغني عن الحيوان، لوجود أماكن صعبة في الجبال وغيرها لا يستطيع الوصول إليها إلاَّ هذه الدوابّ التي سخرها الله ﷻ للإنسان، وهي مصاحبة له قديمًا وحديثًا، فلله الحمد أولاً وآخرًا.

## 3- اللباس والدفء:

وهذه نعمة أخرى - أيضًا - امتن الله علينا بها، وهي نعمة اللباس والدفء، التي تصنع من جلود بعض الحيوان، وشعره، أو وبره، فمنها الملابس الثقيلة والخفيفة، ومنها الأحذية،

---

[1] () أخرجه أحمد في مسنده (1/ 97)، وسنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، في كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا ركب (1415) برقم (2602)، والترمذي في سننه، في كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا ركب دابة (2006) برقم (3446)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، محمد بن ناصر الدين الألباني، اختصر أسانيده، وعلق عليه زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط1، 1409هـ (2/ 493) برقم (2602) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[2] () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الحج، باب استحباب الذكر إذا ركب دابته متوجهًا لسفر حج أو غيره وبيان الأفضل من ذلك الذكر (902) برقم (1342) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وغيرها، وهي من أنفس اللباس وأغلاه ثمنًا، يقول الله سبحانه: ﮋﯘ ﯙﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡﮊ [النحل: 5]، وقال أيضًا: ﮋﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﮊ [النحل: 80].

فخلق سبحانه الأنعام لنا؛ حيث ننتفع بها في وجوه كثيرة، منها الدفء من أوبارها وأشعارها وأصوافها ملابس ولحفًا نستدفئ بها.

«وجعل لكم (من أصوافها) أي: الأنعام، (وأوبارها وأشعارها أثاثًا) وهذا شامل لكل ما يتخذ منها من الآنية والأوعية والفرش والألبسة والأجلة وغير ذلك»[1].

فهو سبحانه وحده المستحق للحمد على هذه النعم؛ حيث أكرم الإنسان قديمًا وحديثًا بنعمة الدفء واللباس المصنوعة من الحيوان، ومهما تطور الإنسان، ومهما توصل إلى علوم ومكتشفات فيبقى غارقًا في هذه النعمة التي لا يستطيع لها إحصاءً، فمنها الدفء؛ حيث جعلها لا تنتن ولا تعفن مع مرور الزمن، ومنها الملابس الثمينة والجميلة التي لا غنى للإنسان عنها، وصدق الله: ﮋﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﮊ [النحل: 5].

فخلق الله كل ما في السموات والأرض من أجلك، وأمرك بطاعته وإفراد العبادة له؛ لأنه وحده المستحق لذلك، فتبارك الله رب العالمين.

**4- الجمال والزينة:**

يقول الله تعالى عن الأنعام والدواب: ﮋﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﮊ [النحل: 6-8].

وهذه نعمة أخرى يمتن الله سبحانه بها علينا، وأكرم الإنسان بها، وهي نعمة الجمال والزينة التي يستمتع بها صاحب الأنعام والدوابّ حين يراها وهي تخرج من منزلها إلى المرعى، ثم ترجع إليه بعد أنْ جابت الأرض لتأكل من رزق الله لها، وكذلك في الخيل والبغال والحمير مع نعمة الركوب نعمة الزينة، حيث يتزين الإنسان بها، بمنظرها، وبملكه لها، وأخبر الله ﻷ أنَّ لنا في الأنعام (جمالاً)، أي: تجمُّل، وتزيُّن عند الناظرين إليها، وذلك وقت ردها من المرعى، ووقت تسريحها إليه، وقدم وقت الإراحة على التسريح؛ لأن منظرها عند عودتها

[1] () تيسير الكريم الرحمن (517).

أجمل، وذواتها بعدما نالت حاجتها من الأكل أحسن.

وخص هذين الوقـتين؛ لأنهمـا وقت نظـر النـاظرين إليهـا، إذ هي مجتمعة في الذهاب والعودة بخلاف تفرقها في المرعى[1].

والله  خلق هذه الدوابّ بصورة جميلة، مريحـة للنظـر، فلا يشمئز منها الإنسان، وجعلهـا -أيضًـا- بـألوان وأشـكال مختلفـة، وكساها الفرو والشعر والصوف؛ فأصبح الإنسان يزهو بما يملك منها، وينظر إليها نظرة إعجاب، وتكون قريبة من منـزله، يألفها وتألفه[2].

## 5- السكن والأثاث:

وهذه نعمة أخرى من نعم الله تبارك وتعـالى على الإنسـان، فهو ينتفع من هذا الحيـوان في مسـكنه مسـافرًا، أو مقيمًـا في بلـده، وكـذلك مـا يحتاجـه من أثـاث ومتـاع، فقـال ربنـا تبـارك وتعالى مبينًا هذه النعمة: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ﴾ [النحل: 80].

قال ابن كثير: «يذكر تبارك وتعـالى تمـام نعمـه على عبيـده بمـا جعـل لهم من الـبيوت الـتي هي سـكن لهم، يـأوون إليهـا، ويستترون بها، وينتفعون بها بسـائر وجـوه الانتفـاع، وجعـل لهم أيضا من جلود الأنعام بيوتا أي من الأدم، يسـتخفون حملهـا في أسفارهم ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر، ولهذا قـال: ﴿ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ﴾ أي الغنم، (وأوبارهـا) أي الإبـل، (وأشـعارها) أي المعـز، والضـمير عائـد على الأنعـام (أثاثـا) أي تتخـذون منـه أثاثـا وهـو المـال، وقيـل: المتـاع، وقيـل: الثيـاب، والصحيح أعم من هذا كله فإنه يتخذ من الأثاث البسط والثيـاب وغير ذلك، ويتخذ مالا وتجارة»[3].

فهذه بعض المنافع التي بينها لنا ربنا تبارك وتعـالى في هـذا الحيوان الذي خلقه الله من أجل الإنسان، وسـخره لـه، وهنـاك منافع أخرى أجملت في قوله سبحانه: ﴿ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ﴾ [النحل: 5]، فهناك منافع كثيرة للإنسان من الحيوان، قد نعلمهـا أو قد لا نعلم بعضًا منها الآن.

(ومنافع) كلمة مطلقة تدل على منافع كثيرة متعددة.

---

[1] () انظر: فتح القدير، للشوكاني (3/ 148).

[2] () انظر: آيات الله في خلق الحيوانات (128-129).

[3] () تفسير القرآن العظيم (4/ 509).

فهذه صور من تسخير الله  الحيوان للإنسان ينتفع منها بوجوه كثيرة، وهناك صور أخرى قد لا يظهر للإنسان صور الانتفاع بها، أو قد تظهر في زمن دون زمن، وتبقى هذه النعمة وهذا التسخير ملازمين للإنسان ما بقي على هذه الأرض مصداقًا لقوله تعالى:        [البقرة: 29].

وهذا التسخير شاهد عظيم من شواهد ربوبية الله  ووحدانيته، ولهذا قال سبحانه بعد امتنانه على الإنسان بنعم عديدة، منها تسخير الحيوان وما فيه من منافع: ﭼ ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ [النحل: 81].

فكما أعطاكم هذه النعم وأتمها عليكم، أراد منكم الخضوع له بالطاعة، وأن تـذِلَّ منكم بتوحيده النفوس، وتخلصوا له العبادة[1].

**المسألة الرابعة: دلالة إنطاق الحيوانات وتخاطبها فيما بينها على توحيد الله سبحانه في ربوبيته:**

خلق الله  هذه الحيوانات عجماء لا تنطق؛ فإذا شاء سبحانه أنطقها بقوته وقدرته، وهذا من دلائل توحيده وربوبيته التي لا يشاركه فيها غيره.

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة مبينة أنَّ بعض هذه الحيوانات جعلها الله تبارك وتعالى تنطق، فمنها:

**1- دابّة الأرض:**

وهذه الدابّة التي تكون في آخر الزمان، وهي من أشراط الساعة الكبرى، فقد أخبر الله  أنه يخرجها إذا شاء سبحانه وأنها تكلم الناس، فقال : ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ [النمل: 82].

فهذه الدابّة تكلم العباد أنْ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، أي لأجل ضعف علمهم ويقينهم بآيات الله، وهي من آيات الله العجيبة[2][3].

[1] () انظر: جامع البيان (17/ 27).
[2] () انظر: تيسير الكريم الرحمن (714).
[3] () وسوف يأتي إن شاء الله الحديث عن هذه الدابة مفصلاً في الفصل الرابع.

**2- كلام الذئب والبقرة:**

ومن أمثلة الحيوان الذي أنطقه الله  كلام الذئب والبقرة بكلام يسمعه البشر، فعن أبي هريرة[1] قال: سمعت رسول الله  يقول: ((بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب، فقال: من لها يوم السَّبُع يوم ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، لكني خلقت للحرث))، فقال الناس: سبحان الله!، فقال النبي : ((فإني أومِن بذلك وأبو بكر وعمر)) رضي الله عنهما[2].

**3- كلام السباع للإنسان:**

أخبر النبي  أنَّ من أشراط الساعة تكليمَ السباع للإنس، فعن أبي سعيد الخدري[3] رضي الله عنه، قال: ((عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي، فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، قال: ألا تتقي الله؛ تنزع مني رزقًا ساقه الله إليَّ؟

---

1 () هو: أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أسلم عام خيبر، حفظ الكثير عن النبي ، وعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وروى عنه خلق كثير، أكثر من ثمانمائة نفس، فمنهم عكرمة وعروة وعطاء وغيرهم، كان عالمًا فقيهًا كثير التعبد، تولى إمارة المدينة، كان أحفظ أصحاب النبي  توفي سنة 58هـ وقيل:ـ 57هـ انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد البر، تحقيق: علي البيجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1،ـ 1412هـ (4/ 1768-1772)، والإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البيجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1،ـ 1412هـ (7/ 425-444).

2 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب قول النبي : (لو كنت متخذًا خليلاً) (298)، برقم (3663)، ومسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، (1098) برقم (2388).

3 () هو: أبو سعيد، سعد بن مالك الخدري، الأنصاري، الخزرجي، من علماء الصحابة، وممن شهد بيعة الشجرة، روى عن النبي  كثيرًا، أبوه من شهداء أحد، روى عنه جابر ونافع مولى ابن عمر وغيرهم، توفي سنة 64هـ انظر: الاستيعاب (2/ 602)، الثقات، محمد ابن حبان البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ط1، 1395ه، (3/ 150-151)، وتذكرة الحفاظ (1/ 36)، والإصابة (3/ 78-79).

فقال: يا عجبي ذئب مقعٍ على ذنبه يكلمـني كلام الإنس؟ فقـال الذئب: ألا أخبرك بأعجبَ من ذلك؟ محمد  بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمـه حـتى دخـل المدينة، فزواها إلى زاويـة من زواياهـا، ثم أتى رسـول اللـه ، فأخبره، فأمر رسول الله ، فنودي: الصـلاة جامعـة، ثم خـرج، فقـال للـراعي: (أخـبرهم)، فـأخبرهم)). فقـال رسـول اللـه : ((صدق والذي نفسي بيده، لا تقوم السـاعة حـتى يكلم السـباع الإنس، ويكلم الرجـل عذبة[1] سـوطه، وشـراك نعلـه، ويخـبره فخذه بما أحدث أهله بعده))[2].

فهـذه بعض الحيوانـات الـتي دلت النصـوص على أنَّ اللـه  أنطقها بكلام الإنس، وقد جاء في غيرهـا نصـوص أخـرى، ولكن في صـحتها نظر[3]، وبعضـها الآخـر لا يـدل صـراحة على أنهـا

---

1 () العذبة: طرف الشيء. انظر: النهايـة في غـريب الحـديث والأثـر (598) مادة (عذب).

2 () أخرجه أحمد في مسنده (3/ 83)، والترمذي في سـننه في كتـاب الفتن، بـاب مـا جـاء في كلام السـباع (1871) بـرقم (2181) من قوله: (والذي نفسي بيده)، والمستدرك على الصـحيحين، محمـد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصـطفى عبـد القـادر، دار الكتب العلميـة، بيروت، ط1، 1411هـ (4/ 514) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمـذي، محمـد بن ناصـر الـدين الألبـاني، مكتب التربيــة العــربي لــدول الخليج، الريــاض، ط1، 1408هـ (2/ 235) برقم (2286).

3 () منها: حديث أم سلمة رضي اللـه عنهـا في الظبيـة الموثقـة الـتي كلمت الرسـول ، مخـرج في المعجم الكبـير، سـليمان بن أحمـد الطـبراني، تحقيـق: حمـدي عبـد المجيـد السـلفي، مكتبـة العلـوم والحكم، الموصـل، ط2، 1404هـ (23/ 331-332)، رقم (763)، وفي مجمـع الزوائـد ومنبـع الفوائـد، علي بن أبي بكـر الهيثمي، دار الفكـر، بـيروت، 1412هـ (8/ 140) رقم (14088)، قـال: «رواه الطـبراني، وفيـه أغلب بن تميم وهـو وضـعيف»، وفي سلسـلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة، محمد ناصر الـدين الألبـاني، دار المعـارف، الريـاض، ط1، 1412هـ (14/ 524) رقم (6737)، قال: «هذا إسناد ضعيف جدًّا».

ومنها حديث عمر بن الخطـاب  في الضـب الـذي شـهد للنـبي  بالرسالة، مخرج في المعجم الصغير، سـليمان بن أحمـد الطـبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، عمَّان،

نطقت بكلام الإنس، كما في قوله تعـالى: ﮋﮒ ﮓﮊ [النمـل: 18]، وقوله تعالى عن الهدهد: ﮋﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣﮊ [النمل: 22]، فالظاهر أنها تكلمت بمنطقها الـذي أفهمـه اللـه تبـارك وتعـالى سليمان عليه الصلاة والسلام.

وإذا كانت الحيوانات لا تتكلم بلغة الإنسان، فإن الله سبحانه قد وهبها وسائل اتصال خاصة بها، وجعلها تتفاهم فيما بينها وإن كان الإنسان لا يدرك ذلـك، فلكـل حيـوان منطقـه الخـاص بـه، يقول شيخ الإسـلام ابن تيمية[1] - رحمـه اللـه -: «نحن نجـد أنَّ الله يلهم الحيوان من الأصوات ما به يعرف بعضها مـراد بعض، وقد سمي ذلك منطقًا وقولاً في قول سليمان ﮋﭺ ﭻ ﭼﮊ، وفي قوله: ﮋﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮊ، وفي قوله: ﮋﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎﮊ»[2].

فاللـه تبـارك وتعـالى وهب داود وسـليمان عليهمـا الصـلاة والسلام معرفة نطق الطير، فهمـا يفهمـان كلام بعضـها لبعض، وكذا فهم كلام النملة لقومها، وهذا دليـل على أنَّ كـل نـوع من الحيوان له خطاب يفهم بعضه بعضًا به، قال تعالى: ﮋﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ

ط1، 1405هـ (2/ 153) رقم (948)، ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين الـبيهقي، تحقيـق: عبـد المعطي قلعجي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط1، 1408هـ (6/ 36)، وفي ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبـد الموجـود، دار الكتب العلميـة، بـيروت، 1995م، (3/ 651) قال عنه: «إنه خبر باطل».

1 () هو: أبو العباس، تقي الدين، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، سمع من أحمـد بن عبـد الـدائم وابن أبي اليسر وخلق غيرهم، وتتلمذ عليه جمـع كثـير، من أشـهرهم: ابن القيم، وابن عبـد الهـادي وغـيرهم، كـان من بحـور العلم، والأذكيـاء المعدودين، بدأ التدريس وعمره إحدى وعشرون سنة، واشتهر أمره وبعـد صـيته، وابتلي وسـجن مـرات عديـدة بدمشـق ومصـر، ولـه مصـنفات كثـيرة مشـهورة، منهـا: منهـاج السـنة النبويـة، والجـواب الصحيح لمن بـدل دين المسـيح وغيرهـا، تـوفي سـنة 728هـ انظر: العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد بن أحمد بن عبـد الهـادي، تحقيـق: طلعت فـؤاد، دار الفـاروق، القـاهرة، ط2، 1423هـ (3-8، 167-196، 212، 256، 259)، والبداية والنهاية (14/ 156-161)، وتذكرة الحفاظ (4/ 192-193).

2 () مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (7/ 91).

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ
ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ [النمل: 15-18].

قال الطبري رحمه الله عند تفسيره لهذه الآيات: «وذلك علم كلام الطير والدواب، وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه... وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس علمنا منطق الطير، يعني فهمنا كلامها؛ وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذا فهمه عنه»[1].

ويقول الطاهر بن عاشور[2] - رحمه الله -: «وللطير دلالة في تخاطب أجناسها واستدعاء أصنافها والإنباء بما حولها، ودلالة أصوات الطير على ما في ضمائرها: بعضها مشهور كدلالة بعض أصواته على نداء الذكور لإناثها، ودلالة بعضها على اضطراب الخوف حين يمسكه ممسك أو يهاجمه كاسر، ووراء ذلك دلالات فيها تفصيل»[3].

وهذا - أيضًا - في سائر الحيوان، فلكل نوع منها وسيلة يتفاهم بها ويعرف مراد بعضه بها، فللمخلوقات جميعًا من طيور وحشرات وحيوانات وغيرها لغات ووسائل خاصة للتفاهم والتقارب والتناسل، فأنثى الحيوان ترسل الأصوات والإشارات إلى صغارها، فيتم فهمها ويسرعون للقيام بها.

فهذه الدجاجة مثلاً تفعل ذلك بواسطة النقيق؛ فإذا ابتعد أحد صغارها أطلقت صوتًا تحذيريًّا له، وكذلك إذا شاهدت طائرًا من الجوارح يقترب من صغارها فإنها تحدث صوتًا صاخبًا عندها يقبل الصغار مسرعين إليها للاختباء تحت جناحيها[4].

وقد تحدث الباحثون عن وسائل الاتصال والتخاطب عند الحيوان، وأثبتوا أنَّ لكل حيوان لغةً ووسيلة خاصة يتواصل

---

1 () جامع البيان (19/ 437).

2 () هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد سنة 1296هـ بتونس،وكان أشعري العقيدة ، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة من أشهر مصنفاته: مقاصد الشريعة الإسلامية، والتحرير والتنوير وغيرها توفي في تونس عام 1393هـ انظر: الأعلام (6/ 174).

3 () التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (19/ 236-237).

4 () انظر: من عجائب المخلوقات، د. عبد الرحمن عميرة (197).

بها[1].

يقـول الأسـتاذ يوسـف الملاَّ: «هنـاك الكثـير من وسـائل التخاطب لدى السوائم في المجموعة الواحدة، فقـد ثبت علميًّا بعد دراسات استغرقت جهـد أجيـال من العلمـاء والبـاحثين، أنَّ الحيوان يتصل بمجموعته عن طريق اللمس والحركة، والرقص والإشارة، والرائحة وإصدار الأصوات، واسـتخدام حاسـة الشـم والرائحـة إلى جـانب المداعبـة والتنـاطح والعض الخفيـف والمشاكسة.

وهـذا الاتصـال والتفـاهم بين الحيوانـات تسـتعين بـه بين أجناسـها خلال موسـم الـتزاوج والارتحـال للبحث عن الكلأ والمرعى والماء، أو الإنذار باقتراب العـدو، ومواجهـة الأخطـار، وتوزيـع الأدوار أثنـاء الصـيد والاقتنـاص، وحراسـة الأوكـار والأعشاش، وتلقيم الفراخ، والاحتضان وغيرها»[2].

ويقول أيضًا: «إن معظم أنـواع الطيـور تعيش في جماعـات ولها وسائل تفاهم خاصـة بهـا كالصـوت والحركـة، واسـتعراض الريش والرائحة، والصوت الذي يحدثه الحيوان من فمه، أو عن طريق أعضاء أخرى يعبر عن متطلباتـه الضـرورية، وليسـت لـه تراكيب اللغة أو رموز تتصل بالنطق، بل هو في جملتـه مقـاطع صوتية متكررة ومتتابعـة، يحكمهـا تصـوره البسـيط الـذي وهبـه اللطيف الخبير تعالى.

ويمثل الصوت بأشكاله عند الحيوانات فإمّا عواء وإما مـواء، أو تغريـد، أو خـوار، أو زئـير، أو ثغـاء، أو نقيـق، أو أمـواج فـوق الصوتية، والصوت الذي يطلقه الحيـوان إمـا يبغي بـه التحـذير،

---

1 () انظر: لغة الحيوان، ميلنت أ. سلسام، ترجمة: كامـل منصـور، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1966م، (9، 16، 35، 44، 64، 84)، وسلوك الحيوان، جون بول سكوت، ترجمة: عبد الحميد خليـل وعبد الحافظ حلمي، مكتبة الخانجي، القـاهرة (241-261)، وألـوان من حيـاة الحيـوان، د. سـعد الـدين مكـاوي، منشـأة المعـارف، الإسكندرية، بدون رقم الطباعة والتاريخ، (36-70)، وعـالم الحيـوان بين العلم والقرآن، د. محمد محمود عبد اللـه، دار الرشـيد، بـيروت، ط1، 1417هـ (71-75)، والحشـرات في القـرآن الكـريم والسـنة المطهرة، د. رمضان مصري هلال، العلم والإيمـان للنشـر والتوزيـع، مصر، ط1، 1421هـ، (72-75).

2 () إعجاز القرآن في الكون والإنسان (155).

وإمَّا الإنذار من الأخطار القريبة أو يـراد التجـاذب الجنسـي في موسـم التكـاثر، أو الإعلام عن حـدود سـيادته على منطقـةٍ مـا ومستعمرة معينة، وثمة حالات كثيرة أخرى يمكن أنْ يعبر عنهـا الصوت؛ مثل: الاحتجـاج أو طلب العـون أو التعبـير عن فـزع أو خـوف أو فـرح أو تهليـل بلقـاء أو إظهـار قـوة وإبـراز مفـاتن جميلة»[1].

أمّـا النحـل فقـد اكتشـف العلمـاء أنَّ لـه لغـتين همـا: لغـة الرقص، ولغة الرائحة.

فيحدثنا الدكتور ماهر الصوفي عن اللغـة الأولى: (الـرقص)، فيقـول: «ولعـل أغـرب مـا اكتشـفه العلم الحـديث في عـالم الحشـرات هـو أنَّ للنحـل لغـة خاصـة يتفـاهم بهـا عن طريـق الـرقص، وقـد شـرحها بالتفصـيل عـالم ألمـاني ضـمنها كتابـه المسمى (حياة النحل الراقص) بعد دراسات استمرت نحوًا من ستين عامًا نال بسببها جائزة نوبل العالمية عـام 1973م، فقـد تبين لهذا العالم أنَّ للنحلة الشغالة في جسمها من الأجهـزة مـا يجعلها تستطيع قيـاس المسـافات والأبعـاد والزوايـا بين قـرص الشمع والخلية، ثم إنها تسـتخدم لغـة سـرية في التخـاطب عن طريق رقصات خاصة معبرة تنبئ بها أخواتها عن وجود الرحيـق الحلو وتحدد لهن موضـعه تحديـدًا دقيقًـا من حيث الاتجـاه إليـه وبعده عن بيتها، وهي كلها حقائق أغرب من الخيال، ولكنها من آيــات اللــه المعجــزة الــتي كشــف العلم الحــديث عن بعض أسرارها بعد أربعة عشـر قرنًـا من نـزول القـرآن الكـريم على سيدنا محمد النبي الأمي العربي الصادق الأمين»[2].

أمَّا اللغـة الثانيـة فهي لغـة الرائحـة، فيقـول عنهـا الـدكتور عبد الرحمن عميرة: «لقد اكتشف علماء الحشـرات أنَّ النحـل يسـتخدم بعض المـواد الكيميائيـة كرسـائل يرسـلها من خلال إفراز مواد تـدعى (الفورمـون) تنتج من غـدد في جسـم النحـل يتم استقبالها بواسطة حاسة الشم الحساسة لدى النحـل، ومن أبـرز من أيـد هـذه النظريـة هـو عـالم الحشـرات (فـنر) وبعض معاونيـه، وعلى الأخص (جونسـون)، حيث يعتـبرون أنَّ النحلـة

---

1 () المرجع السابق (178).

2 () آيات الله في ممالك الطـير والنحـل والنمـل والحشـرات (169)، وانظر: لغة الحيوان (84-93)، وسلوك الحيوان (253-258).

تعتمد أساسًا على الروائح كلغة للتفاهم فيما بينها، وقاموا بإجراء سلسلة من التجارب، استنتجوا منها أنَّ النحل عندما يتجمع حول النحلة الراقصة يلتقط منها مجموعتين من الروائح: رائحة الغذاء وروائح الموضع المحيط بالغذاء.

وهذه الروائح تعلق بجسم النحلة عند ارتيادها للمكان الذي اهتدت إليه، وعلى الأخص على الشعيرات المنتشرة على جسمها، ويلتقط النحل المتجمع حولها هذه الروائح عندما يتحسسها بقرني الإشعار (وهما عضوا الشم كما ذكرنا) ويضاف إلى هذا وذاك أنَّ النحلة المستكشفة تترك رائحة جماعاتها في المكان الذي ترتاده وتجد فيه منتجعًا طيبًا لها ولأهلها، كما أنها تبرز غدة خاصة للرائحة في جسمها كي تنتشر في المكان، وعلى الأخص إذا لم يكن للغذاء رائحة مميزة بارزة، وسبحان الذي خلق فسوى، وقدر فهدى»[1].

وللنمل أيضًا وسائل يتخاطب بها مع أفراده، وقد ذكر الجاحظ أنَّ من أعظم الأدلة على أنَّ للنمل بيانًا، وأن النملة تخبر غيرها بمكان الطعام ما يراه الإنسان؛ حيث يرى النملة وهي تحاول حمل شيء من الطعام، فتعجز عنه فلا تلبث إلا يسيرًا حتى ترجع ومعها أمة من النمل، فمن الذي أخبر النمل بذلك؟[2].

وقد ذكر العلماء أنَّ من وسائل التفاهم والتخاطب عند النمل ما يلي:

1- لغة الرائحة: حيث يفرز النمل عدد من المركبات الكيميائية الطيارة، تعبر بكل مركب منها عن معنى محدود.

2- اللغة الحركية: وهي قرون الاستشعار التي تستخدمها أفراد النمل، وكذا الأرجل الأمامية لإتمام عملية الاتصال والتفاهم فيما بينها.

3- اللغة الصوتية: وهذه لم يفهم منها العلماء سوى ذبذبات صوتية مترددة كالصرير تلتقطها خلايا سمعية في أرجل كل واحدة من النمل[3].

---

1 () من عجائب المخلوقات د. عبد الرحمن عميرة (173).

2 () انظر: كتاب الحيوان (4/ 6-7).

3 () انظر: لغة الحيوان (94-95)، من آيات الإعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم (70-71)، وآيات الله في ممالك الطير والنحل

فالله تبارك وتعالى هو الذي خلق هذا الحيوان، وهو سبحانه الذي هداه لمعاشه، وعلمه كيف يتعاون مع أفراد مملكته، ووهبه سبحانه وسائل بها يتواصل، وبها يتخاطب، ولكل نوعٍ منها وسيلته الخاصة به، فسبحان اللطيف الخبير.

فحين يتأمل الإنسان، وينظر فيما وهبه الله تبارك وتعالى هذا الحيوان يزداد إيمانه بربوبية الخالق جلَّ في علاه، وأنَّه وحده المتفرد بالملك والخلق والتدبير فلا إله إلا الله، المتفرد بالوحدانية دون سواه.

## المسألة الخامسة: الإيحاء للحيوان:

**الوحي في اللغة:** يطلق الوحي في اللغة ويراد به: الإشارة والكتابة، والرسالة والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك[1].

قال ابن فارس: «الواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء إلى غيرك. فالوحي الإشارة، والوحي الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان»[2].

وقال الراغب الأصفهاني[3]: «أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة»[4].

وقد عرف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الوحي بأنه: «الإعلام السريع إما في اليقظة وإما في المنام»[5].

**الوحي في الشرع:** إعلام الله تعالى لمن اصطفاه من

---

والنمل والحشرات (192-193).

1 () انظر: لسان العرب (15/ 379) مادة (وحي).

2 () مقاييس اللغة، (6/ 93) مادة (وحي).

3 () هو: أبو القاسم، العلامة الماهر، الملقب بالراغب، الحسين بن محمد الأصبهاني، كان من أذكياء المتكلمين، له تصانيف كثيرة، منها: المفردات في غريب القرآن، ومحاضرات الأدباء، توفي سنة (502هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (18/ 120-121)، الأعلام (2/ 255).

4 () المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصبهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، (515).

5 () مجموع الفتاوى (12/ 397-398).

عباده بطريقة خفية سريعة[1].

وعُرِّف – أيضًا- بأنه : «إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة، أو بغير واسطة»[2].

ومن دلائل توحيد الله  وربوبيته؛ إيحاؤه إلى نوع صغير من الحيوان، وهو النحل وحي إلهام هداية وإرشاد، فقال تعالى: ﮋ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ [النحل: 68-69]، فهذه النحلة صغيرة الجسم، التي لا تتجاوز سنتمترين تقريبًا صاحبة الرأس الصغير، قد أوحى الله  إليها، سبحان الله! كيف دخل الوحي إلى رأسها وجسدها فعملت بمقتضاه، ولم تحد عنه مطلقًا؟!.

إنها قدرة الباري جلَّ في علاه الذي خلقها وخلق ما هو أعظم منها، وهو اللطيف الخبير.

ووحي الله  إلى النحل هو ما قرره سبحانه في أنفسها، وألهمها من هذه الأعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر، من ذلك:

أولاً: بناء البيوت مسدسة الأضلاع المتساوية، التي ثبت في الهندسة أنَّ تلك البيوت لو كانت بأشكال سوى المسدسات فإنه يبقى بالضرورة فرج خالية ضائعة؛ بخلاف كونها مسدسة.

ثانيًا: أنَّ النحل تتخذ لها رئيسًا، يكون نافذ الحكم على البقية.

ثالثًا: أنها تأكل من كل الثمرات وتسلك الطرق التي جعلها الله تعالى مذللة سهلة عليها، حيث شاءت في هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة، والأودية والجبال الشاهقة، ثم تعود كل واحدة منها إلى موضعها وبيتها، لا تحيد عنه يمنة ولا يسرة، فتبني الشمع وتخرج العسل الذي فيه شفاء للناس من أدواء تعرض لهم مختلف الألوان، ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الألوان الحسنة على اختلاف مراعيها ومآكلها منه[3].

---

1 () انظر: علوم القرآن، نور الدين عتر (15).

2 () أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (124).

3 () انظر: مفاتيح الغيب (20/ 56-57)، وتفسير القرآن العظيم (4/ 500-501).

وفي هـذا التسـخير، وإخـراج الشـراب مختلـفِ الألـوان من بطونهـا، واتخاذهـا الـبيوت من الشـجر والجبـال وممـا يعـرش الناس دليلٌ على أنَّ الله هو الواحد الذي لا ينبغي أنْ يكـون لـه شريك[4].

[4] () انظر: جامع البيان (17/ 250).

## المطلب الثاني: فطرة الحيوان على التوحيد:

حين نعلم أنَّ الإنسان مفطور على التوحيد، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ﴾ [الأعراف: 172-173].

وكما دلَّ عليه حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنْتَج البهيمة بهيمة جَمْعاء[1]، هل تحسون فيها من جدعاء[2]؟، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى﴾ [الروم: 30] ))[3].

فإن هذه الحيوانات - أيضًا - قد فطرها ربها تبارك وتعالى على توحيده، ومعرفته، وعبادته، فالحيوان أمم أمثالنا، قال عنها الله ﷻ: ﴿ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ﴾ [الأنعام: 38].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ المراد بقوله: (أمم أمثالكم) أي: أمثالكم يعرفونني ويوحدونني ويسبحونني، ويحمدونني[4].

وقال الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المعرضين عنك، المكذبين بآيات الله: أيها القوم لا تحسبنَّ الله غافلاً عما تعملون، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون، وكيف يغفل عن أعمالكم، أو يترك مجازاتكم عليها، وهو غير غافل

---

1 () الجمعاء: هي السليمة من العيوب، مجتمعة الأعضاء كاملتها. انظر: النهاية في غريب الحديث (164) مادة (جمع).

2 () الجدعاء: هي مقطوعة الأطراف، أو أحدها. انظر: المرجع السابق (141) مادة (جدع).

3 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟، (106) برقم (1359)، ومسلم في صحيحه، في كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موتى أطفال الكفار وأطفال المسلمين (1141) برقم (2658).

4 () انظر: مفاتيح الغيب (12/ 176)، ولباب التأويل في معاني التأويل، علاء الدين الخازن، دار الفكر، بيروت، 1979م، (2/ 132)، والبحر المحيط (4/ 125).

عن عمل شيء دبَّ على الأرض صغيرًا أو كبيرًا، ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهـواء، بـل جعـل ذلـك كلـه أجناسًـا مجنَّسـة، وأصنافًا مصنفة، تعرف كما تعرفون، وتتصرف فيما سخِّرت لــه كما تتصرفون، محفوظ عليها ما عملت من عمل لهـا أو عليهـا، ومثبت كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب»[1].

ودلائل فطرة الحيوان على التوحيد الآتي:

**أولاً:** عبادتها له بأنواع العبادات المختلفة، فمن ذلك:

1- أنها تسجد له كما قال سبحانه: ﴿ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ﴾ [الحج: 18].

وقال سبحانه: ﴿ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ﴾ [النحل: 49].

2- أنَّ الحيوان يسبح الله ﷻ: ﴿ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ٹ ٹ﴾ [الإسراء: 44].

وقال سبحانه: ﴿ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا﴾ [النور: 41].

وهـذا النَّمـل أخـبر عنـه النـبي ﷺ بأنـه يسـبح اللـه، فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: ((قرصـت نملـة نبيًّا من الأنبياء، فأمر بقرية النمـل فـأحرقت، فـأوحى اللـه إليـه أنْ قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله))[2].

3- أنَّ الحيـوان يـدعو ويسـتغفر لمعلم النـاس الخـير، فعن أبي أمامة الباهلي[3] ﷺ قـال: ذكـر لرسـول اللـه ﷺ رجلان أحـدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول اللـه ﷺ: ((فضـل العـالم على العابد كفضـلي على أدنـاكم))، ثم قـال رسـول اللـه ﷺ: ((إن الله وملائكته وأهـل السـموات والأراضـين، حـتى النملـة في

---

1 () جامع البيان (11/ 344).

2 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [54].

3 () هو: أبو أمامة الصدي بن عجلان بن وهب الباهلي، روى عن النـبي ﷺ، وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وحدث عنـه شـريح بن عبـد اللـه ومكحـول الشـامي، وغـيرهم، وروى لـه الجماعـة، كـان مـع علي ﷺ بصفين، توفي سنة: 86هـ. انظر: الإصابة (3/ 420)، وتهذيب الكمال، أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق: د. بشار عواد، مؤسسة الرسـالة، بـيروت، ط1، 1400هـ (13/ 158-163)، والثقـات لابن حبـان (3/ 195).

جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير))[1].

وعن أبي الدرداء[2] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنه ليستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر))[3].

فهذه صور من صور عبادة الحيوان لخالقه ، وسوف يأتي بتوفيق الله وإعانته الكلام مفصلاً عن عبودية الحيوان لله رب العالمين في المبحث الثاني من هذا الفصل.

فإذا كان الحيوان يسجد لخالقه ويسبحه، ويدعوه، فإن ذلك دليل عظيم على تلك الفطرة التي فطره الله جلَّ وعلا عليها، من توحيده، ومعرفته.

يقول الشيخ ابن عثيمين: «ولا تستغرب أن تكون هذه الحيوانات تستغفر الله عز وجل للعالم...فالبهائم والحشرات تعلم ربها عز وجل وتعرفه»[4].

**ثانيًا:** ومن دلائل هذه الفطرة الواضحة الجلية عند الحيوان ما أخبرنا به ربنا تبارك وتعالى من قصة الهدهد مع سليمان عليه الصلاة والسلام، فقال سبحانه: ﴿ۉ ۋ ۋ ې ې ۓ ۓ ۔ ۔ ... ى ى ي ي ... ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ٺ ٺ ﴾ [النمل: 20-26].

فهذا الهدهد يدرك أنّ هذه الملكة ورعيتها يسجدون

---

1 () أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (1922) برقم (2685)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (1/ 376)، برقم (1838).

2 () هو: أبو الدرداء، عويمر بن زيد بن ثعلبة الأنصاري، الخزرجي، حكيم هذه الأمة، كان عالم أهل الشام، ومقرئ أهل دمشق وفقيههم وقاضيهم، حدث عن النبي ﷺ، وحدث عنه سعيد بن المسيب، وأبو إدريس الخولاني، وغيرهم، كان حافظًا للقرآن رضي الله عنه، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان، توفي سنة 32هـ. انظر: الاستيعاب (3/ 1227-1230)، والإصابة (4/ 474)، والثقات لابن حبان (3/ 285)، وتذكرة الحفاظ (1/ 23-24).

3 () أخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب السنة، باب ثواب معلم الناس الخير (2492) برقم (239)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407هـ، (1/ 46) برقم (239).

4 () شرح رياض الصالحين (5/551).

للشمس من دون الله، ويدرك أنَّ السجود لا يكون إلا لله الـذي يخــرج المخبــوء المســتور في الســموات والأرض من المطــر والنبات وغير ذلك، وأنّ الله سـبحانه يعلم مـا يخفى ومـا يعلن، وهو رب العرش العظيم، وهو يشهد شهادة التوحيد، ويؤمن بأن الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم.

إنها فطرة التوحيد التي فطر الله  الناس عليها، وفطر هذا الحيوان عليهـا، فعـرف أنَّ الخـالق سـبحانه هـو الـذي يسـتحق السجود، وأنَّ هذه الشمس إنمـا هي خلـق من خلقـه؛ فلا يحـق لمخلوق السجود لها، فمن أشرك مـع خالقـه، ثم صـرف عبـادة من العبادات لغيره، فإنما زيّن الشيطان له سوء عملـه، وصـده عن السبيل، فهو لا يهتدي إلى الطريق المستقيم.

فالهدهد يعرف ربه، ويوحده، ويكره الشـرك ويسـتنكره، لأنّ ربه  فطره على التوحيد شأنه شأن غيره من الحيوان.

ومرة أخرى مع حيوان آخر أخبر النبي  عن خبره الذي يدلّ على فطـرة التوحيـد الـتي فطـره اللـه عليهـا، فعن أبي سـعيد الخدري قال: ((عدا الذئب على شاة، فأخذها، فطلبه الــراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، قال: ألا تتقي الله؛ تنـزع مني رزقًا ساقه الله إليَّ، فقال: يا عجـبي ذئب مقـعٍ على ذنبـه يكلمني كلام الإنس؟ فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجبَ من ذلــك؟ محمد  بيثرب يخـبر النـاس بأنبـاء مـا قـد سـبق، قـال: فأقبـل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينـة، فزواهـا إلى زاويـة من زواياهــا، ثم أتى النــبي  فــأخبره، فــأمر ، فنــودي: الصــلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي: (أخبرهم)، فأخبرهم.

فقال رسول اللـه : ((صـدق والـذي نفسـي بيـده؛ لا تقـوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجـل عذبـة سـوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده))[1].

ففي هذا الحديث دلالة ظاهرة، وآية بينة على فطرة التوحيد التي فطر الله تبارك وتعالى عليها هذا الـذئب، فهـو يـؤمن بـأن الله سبحانه هـو الخـالق الـرازق، ثم هـو يخـاطب الـراعي بـأن يتقي اللـه ، كمـا يفيـد الـراعي بـأنّ النـبي  بالمدينـة يحـدث الناس بأخبار الأمم السابقة[2].

فهو يعرف أنَّ محمدًا  رسول أرسـله اللـه  وليسـت هـذه

[1] () سبق تخريجه في الصفحة رقم [78].

المعرفة بالنبي ، وهذا الإيمان به خاصًّا بهذا الذئب، بل هو عام في جميع الحيوان، فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه[1]، قال: أقبلنا مع رسول الله  من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلاَّ شدَّ عليه، قال: فذكروا ذلك للنبي ، فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعًا مشفره[2] إلى الأرض، حتى برك بين يديه، قال: فقال النبي : هاتوا خطامًا، فخطمه ودفعه إلى صاحبه، قال: ثم التفت إلى الناس، قال: ((إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس))[3].

فالله  هو الذي خلق هذه الحيوانات وهو سبحانه الذي فطرها على التوحيد وإن كنَّا لا نفهم عنها ولا تفهم عنا.

---

2 () انظر: عبودية الكائنات لرب العالمين، فريد التوني، مكتبة الضياء، جدة، ط1، (278).

1 () هو: أبو عبد الله، جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري، شهد بيعة العقبة مع أبيه، شهد مع النبي  تسع عشرة غزاة، روى كثيرًا من الأحاديث، وروى عنه جماعة من الصحابة، مات سنة 78، وقيل: 79هـ بعد أن عمي بالمدينة. انظر: الثقات لابن حبان (3/ 51)، والإصابة (1/ 434).

2 () المشفر للبعير، كالشفة للإنسان. انظر: النهاية في غريب الحديث (871)، مادة (مشفر).

3 () أخرجه أحمد في مسنده (3/ 310)، وسنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز زمرلي، وخالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ في المقدمة، باب: كيف كان أول شأن النبي (1/ 22)  برقم (17)، والمنتخب من مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد، تحقيق: صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط1، 1408هـ (337) برقم (1122)، والحديث حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (4/ 295) برقم (1718).

## المطلب الثالث: التشريعات الباطلة المتعلقة بالحيوان:

الله جلَّ وعلا هو المتفرد بالخلق وحده وهو - أيضًا - المتفرد بالحكم والتشريع، فلا خالق إلا الله، ولا مدبر إلا الله، ولا حاكم إلا الله ، كما قال سبحانه: ﴿ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ﴾ [الأعراف: 54].

فكما أنه سبحانه متفرد بالخلق فهو أيضًا متفرد بالأمر والحكم، فلا حكم إلا حكمه، ولا أمر إلا أمره، يقول الطبري رحمه الله: «ألا لله الخلق كله، والأمر الذي لا يخالف ولا يرد أمره، دون ما سواه من الأشياء كلها، ودون ما عليه المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، ولا تخلق ولا تأمر»[1].

فالله  هو الذي أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، فهو الذي يأمر وينهى ويحل ويحرم دون ما سواه، فالحلال ما أحله، والحرام ما حرّمه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن الله  هو الحكم الذي يحكم بين عباده، والحكم له وحده، وقد أنزل الكتب وأرسل الرسل ليحكم بينهم؛ فمن أطاع الرسول كان من أولياء الله المتقين، وكانت له سعادة الدنيا والآخرة، ومن عصى الرسول كان من أهل الشقاء والعذاب، كما قال تعالى: ﴿ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک کک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ۓ ﴾ [البقرة: 213]، وقال تعالى: ﴿ ی ی ی ی ﴾ [الشورى: 10]، وقال يوسف: ﴿ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ﴾ [يوسف: 39-40]، فالحكم لله وحده ورسله يبلغون عنه؛ فحكمهم حكمه، وأمرهم أمره، وطاعتهم طاعته، فما حكم به الرسول وأمرهم به وشرعه من الدين وجب على جميع الخلائق اتباعه وطاعته؛ فإن ذلك هو حكم الله على خلقه»[2].

فلا حكم أحسن من حكمه تعالى، ولا شرع أفضل من شرعه، يقول الحقُّ جلّ وعلا: ﴿ی ی ﴾ [المائدة: 50]، فهذا إنكار منه سبحانه على كل من خرج عن حكمه جل

---

[1] () جامع البيان (12/ 483-484).

[2] () مجموع الفتاوى (35/ 361-363).

وعلا، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات[1].

وقد خلق الله تبارك وتعالى الحيوان وسخّره للإنسان ليأكل منه، ويلبس، ويركب، ويتخذ منه زينة وجمالاً، كل ذلك وفق ما أمره به ربه سبحانه وشرعه له، فلا يحلّ منه إلا ما أحله له ربه، ولا يحرم منه إلا ما حرمه سبحانه، وقد أنكر الله تعالى في آيات كثيرة على الكفار الذين سلكوا شرعًا غير شرعه، فحرموا من الحيوان ما لم يحرمه، وأحلّوا ما لم يحلّه فقال سبحانه: ﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ﴾ [يونس: 59-60].

يقول السعدي رحمه الله في تفسير هاتين الآيتين: «يقول تعالى منكرًا على المشركين الذين ابتدعوا تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرّم: ﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ﴾ يعني أنواع الحيوانات المحللة التي جعلها الله رزقًا لهم ورحمة في حقهم، قل لهم - موبخًا على هذا القول الفاسد -: ﴿ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ﴾، ﴿ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ﴾ أنْ يفعل الله بهم من النكال، ويحل بهم من العقاب، قال تعالى: ﴿ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ﴾ [الزمر: 60]، ﴿ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ﴾ كثير، وذو إحسان جزيل، ولكن أكثر الناس لا يشكرون، إمَّا لا يقومون بشكرها، وإمّا أنْ يستعينوا بها على معاصيه، وإمَّا أنْ يحرموا منها، ويردوا ما منّ الله به على عباده، وقليل منهم الشاكر الذي يعترف بالنعمة، ويثني بها على الله، ويستعين بها على طاعته»[2].

وهذا الحيوان هو مما سخره الله ﷻ لبني آدم، فأباح له أنْ يأكل أصنافًا منه، ويركب أصنافًا أُخرَ، ويتزين كذلك، فهو تبارك وتعالى المتفرد بالخلق، وهو - أيضًا - المتفرد بالتشريع، فلا حلال إلا ما أحلّه، ولا حرام إلا ما حرّمه.

وقد أنكر تبارك وتعالى على من حرّم شيئًا من الزينة والطيبات - التي منها الحيوان - بغير علم، فقال سبحانه: ﴿ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ﴾

---

[1] () انظر: تفسير القرآن العظيم (3/ 122-123).

[2] () تيسير الكريم الرحمن (422).

[الأعراف: 32].

وهذا إنكار لما كان عليه أهل الجاهلية من تحريم شيء من اللباس، أو الأموال والطيبات، ومنها البحيرة والسائبة، والوصيلة والحام[1]، التي سوف يأتي الكلام عليها قريبًا إنْ شاء الله تعالى.

وقد كان أهل الجاهلية يشرعون تشريعات باطلة متعلقة بأنواع من الحيوان، من تحريم وتحليل لم ينزل الله بها سلطانًا فمن ذلك:

**1- ما كان عليه المشركون من جعل شيء من البهائم بحيرة أو سائبة أو وصيلة أو حاميًا:**

قال تعالى: [illegible] [المائدة: 103].

وهذه أنواع من الحيوان كان الكفار يحرمون على أنفسهم الانتفاع بها، وإن كانوا في غاية الحاجة لهذا الانتفاع بها، فبين الله تعالى أنَّ ذلك باطل[2].

وقوله: (ما جعل الله) أي ما حكم الله بذلك، ولا شرعه ولا أمر به[3]، والبحيرة: هي الناقة إذا أنتجت عشرة أبطن شقوا آذانها وتركوها ترعى ولا ينتفع بها، وأما السائبة: فكان الرجل يقول: إذا قدمت من سفري، أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في عدم الانتفاع بها، وأما الوصيلة: فكانوا إذا ولدت الناقة ذكرًا وأنثى في بطن واحد قالوا: وصلت الناقة أخاها، فلا تذبح، وأما الحامي، فكانوا إذا نتج من صلب الجمل عشرة بطون قالوا: قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شيء[4].

وقيل في تفسيرها أقوال أخرى كثيرة[5] كلها تدور حول

---

1 () انظر: جامع البيان، للطبري (12/ 398)، ومعالم التنزيل (3/ 225).

2 () انظر: مفاتيح الغيب (12/ 90).

3 () انظر: المرجع السابق (12/ 91).

4 () انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط4، 1403هـ، (1/ 190).

5 () انظر: جامع البيان (11/ 124-134)، وزاد المسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1403هـ، (2/ 437-439)، والبحر المحيط (4/ 33-34)، واللباب في علوم

تحريم شيء من البهائم على أنفسهم، وعدم الانتفاع بها من دون شرع ولا عقل؛ ولهذا قال سبحانه: □□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □□ [المائدة: 103].

ثم قال سبحانه: □□ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ□ [المائدة: 104].

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: «وإذا قيل لهؤلاء الذين يبحرون البحائر، ويسيبون السوائب، الذين لا يعقلون أنهم بإضافتهم تحريم ذلك إلى الله تعالى، يفترون على الله الكذب، تعالوا إلى تنزيل الله وآي كتابه، ورسوله، ليتبين لكم كذب قيلكم فيما تضيفونه إلى الله تعالى من تحريمكم ما تحرمون من هذه الأشياء، أجابوا من دعاهم إلى ذلك بأن يقولوا: حسبنا ما وجدنا عليه من قبلنا آباءنا يعملون به، ويقولون: نحن لهم تبع، وهم لنا أئمة وقادة، وقد اكتفينا بما أخذنا عنهم، ورضينا بما كانوا عليه من تحريم وتحليل.

قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد □: أو لو كان آباء هؤلاء القائلين هذه المقالة لا يعلمون شيئًا؟ يقول: لم يكونوا يعلمون أنَّ ما يضيفونه إلى الله تعالى من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كذب وفرية على الله، لا حقيقة لذلك ولا صحة؛ لأنهم كانوا أتباعَ المفترين الذين ابتدؤوا تحريم ذلك، افتراءً على الله بقيلهم ما كانوا يقولون من إضافتهم إلى الله تعالى ذكره ما يضيفون، ولا كانوا فيما هم به عاملون من ذلك على استقامة وصواب، بل كانوا على ضلالة وخطأ»[1].

وكان أول من غير دين إبراهيم □، فأدخل الأصنام إلى الحجاز، ودعا الناس إلى عبادتها، وشرع لهم هذه الشرائع الجاهلية في الأنعام وغيرها: عمرو بن لحي الخزاعي[2].

فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله □: ((رأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا، ورأيت عمرًا يجر قُصبَهُ[3]،

---

الكتاب (7/ 553-554)، وتفسير القرآن العظيم (3/ 205-206).

1 () جامع البيان (11/ 137).

2 () انظر: تفسير القرآن العظيم (3/ 204).

3 () القُصْب: هي المِعَى وجمعه أقصاب. انظر: النهاية، لابن الأثير ( 754)، مادة (قصب).

وهو أول من سيَّب السوائب))[1].

**2- تقسيم أهل الجاهلية ما خلقه الله لهم من الزروع والأنعام إلى قسمين، قسم لله وقسم لشركائهم:**

قال سبحانه في بيان ضلالهم وتشريعهم الباطل في ذلك: ﴿ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ﴾ [الأنعام: 136].

فتبين هذه الآية ما كان عليه المشركون من تشريع باطل في الحرث والأنعام؛ حيث كانوا يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم وسائر أموالهم نصيبًا، وللأوثان نصيبًا، فما جعلوه لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين، وما جعلوه للأصنام أنفقوه على الأصنام وخدامها، فإن سقط شيء مما جعلوه لله تعالى في نصيب الأوثان تركوه، وقالوا: الله غني عنه، وإن سقط شيء من نصيب الأصنام فيما جعلوه لله ردوه إلى الأوثان؛ لأنها بزعمهم محتاجة[2].

وقيل: إنَّ معنى الآية: أنهم كانوا إذا ذبحوا ما جعلوه لله ذكروا عليه اسم أصنامهم، وإذا ذبحوا ما لأصنامهم لم يذكروا اسم الله عليه[3].

**3- تقسيم أهل الجاهلية الأنعام إلى أقسام ثلاثة:**

وقد بين الله ﷻ هذه الأقسام بقوله: ﴿ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ﴾ [الأنعام: 138].

قال الطبري رحمه الله: «وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء الجهلة أنهم كانوا يحرمون ويحللون من قبل أنفسهم، من غير أنْ يكون الله أذن لهم بشيء من ذلك»[4].

فمن جهلهم وضلالهم تقسيم ما رزقهم الله من الحرث والأنعام إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قسم حِجْر، والحِجْر هو المنع، فهي ممنوعة لا يطعمها

---

1 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، باب: (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة، ولا حام)، (381) برقم (6424)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف (819) برقم (901).

2 () انظر: معالم التنزيل (3/ 192).

3 () انظر: فتح القدير (2/ 165).

4 () جامع البيان (12/ 139)، والجامع لأحكام القرآن (6/ 96).

إلاّ من يشاؤون بزعمهم، وهم: خدام الأصنام والرجال دون النساء، وهي ما كانت معينة للأصنام.

الثاني: أنعام حرمت ظهورها، وهي: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، التي سبق ذكرها.

الثالث: أنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح، وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام، وقيل المراد لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير، لأنه لما جرت العادة بذكر اسم الله تعالى على فعل الخير عبر بذكر الله عن فعل الخير[1].

وقيل: أي لا يذكرون اسم الله عند نحرها أو ذبحها، يزعمون أنَّ ما أهدي للجن أو للأصنام يذكر عليه اسم ما قرب له، ويزعمون أنَّ الله أمر بذلك؛ لتكون خالصة القربات لما عينت له، فلأجل هذا الزعم قال سبحانه: ﴿ﭞ ﭟﭠ﴾[2].

فالله  ختم هذه الآية واصفًا هذه التشريعات التي شرعوها بكونها: ﴿ﭞ ﭟﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ﴾ [الأنعام: 138].

قال الطبري رحمه الله: «وأما قوله: (افتراء على الله)، فإنه يقول: فعل هؤلاء المشركون ما فعلوا من تحريمهم ما حرموا، وقالوا ما قالوا من ذلك، كذبًا على الله، وتخرصًا بالباطل عليه؛ لأنهم أضافوا ما كانوا يحرمون من ذلك، على ما وصفه عنهم جل ثناؤه في كتابه، إلى أنَّ الله هو الذي حرمه، فنفى الله ذلك عن نفسه، وأكذبهم، وأخبر نبيه والمؤمنين أنهم كذبة فيما يدعون.

ثم قال عزّ ذكره: (سيجزيهم)، يقول: سيثيبهم ربهم بما كانوا يفترون على الكذب ثوابهم، ويجزيهم بذلك جزاءهم»[3].

**4- تخصيص أهل الجاهلية بعضًا من الأنعام لذكورهم دون إناثهم، افتراءً على الله :**

قال الله تعالى: ﴿ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ﴾ [الأنعام: 139].

فقد كان أهل الجاهلية يخصون ما في بطون هذه الأنعام

1 () انظر: معالم التنزيل (3/ 193)، ومفاتيح الغيب (13/ 170)، وفتح القدير (2/ 167).
2 () انظر: التحرير والتنوير (8/ 108).
3 () جامع البيان (12/ 146).

التي حرموا الانتفاع بها، وهي: البحائر، والسوائب، من لبن وأجنة على ذكورهم دون إناثهم، أمَّا إنْ كان ما في بطونها ميتة فهم فيه شركاء جميعًا، يأكل منه الرجال والنساء[1].

ثم أخبر سبحانه أنه سيجزيهم (وصفهم) حين وصفوا ما أحله الله بأنه حرام، ووصفوا الحرام بالحلال، فناقضوا شرعه، وخالفوا أمره، ثم نسبوا ذلك إليه[2].

فهو سبحانه (حكيم عليم) فالله حكيم في مجازاتهم على وصفهم الكذب، وقيلهم الباطل، حكيم في سائر تدبيره في خلقه، عليم بما يصلحهم[3].

فهذه صور من التشريعات الباطلة التي ذكرها الله [illegible] عن أحوال بعض أهل الجاهلية التي لم يدلَّ عليها شرع ولا عقل، وأهلها في صنيعهم كانوا في ضلالة وبعد عن الهدى؛ ولهذا قال سبحانه بعد ذكره التشريعات السابقة الباطلة: ﴿ڈ ڎ ڎ ژ ڙ ڑ ڑ ک ک ڪ ڪ گ گ گ گ ڲ ڳ ڳ ڳ گ گ گ﴾ [الأنعام: 140].

فأخبر تبارك وتعالى بهلاك هؤلاء المفترين على ربهم الكذب، الذين عدلوا به الأوثان والأصنام؛ حيث زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم، وتحريم ما أنعم الله به عليهم من النعم، فحرموا ما أحل الله لهم، افتراءً عليه، فهم بذلك قد تركوا طريق الحق في فعلهم، ولم يكونوا على هدى واستقامة في أفعالهم التي كانوا يفعلونها من قبل ذلك، ولا كانوا مهتدين للصواب فيها، ولا موفقين لها[4].

وقال سبحانه ممتنًّا على عباده بما أنعم عليهم من الأنعام، أكلاً وركوبًا، محذرًا من اتباع طريق الشيطان الذي كان عليه أهل الشرك في التحليل والتحريم: ﴿ [illegible] ﴾ [الأنعام: 142].

فهو الذي رزقكم هذه الأنعام، منها (حمولة) أي ما يحمل عليه من الإبل وغيرها، ومنها (فرش) صغار الإبل، وقيل: الغنم لدنوه من الأرض[5].

---

1 () انظر: معالم التنزيل (3/ 194)، والجامع لأحكام القرآن (7/ 96).

2 () انظر: تيسير الكريم الرحمن (308).

3 () انظر: جامع البيان (12/ 153).

4 () انظر: المصدر السابق (12/ 154).

5 () انظر: تفسير القرآن العظيم (3/ 344).

ثم قال سبحانه: ﴿ﭮ ﭯ ﭰ﴾ «أي من الثمار والزروع والأنعام، فكلها خلقها الله تعالى، وجعلها رزقًا لكم، ﴿ﭲ ﭳ ﭴ ﭵﭶ﴾، أي طرائقه وأوامره، كما اتبعها المشركون الذين حرموا ما رزقهم الله، أي: من الثمار والزروع افتراءً على الله»[6].

وبعد ما بيّنه الله ﷻ من تشريعات باطلة كان عليها أهل الجاهلية، من تحليل وتحريم لطائفة من الحيوان، بيّن سبحانه زيف هذه التشريعات ومخالفتها للفطر السليمة، والعقول الصحيحة، فقال سبحانه: ﴿ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ﴾ [الأنعام: 143-144].

فهذه حجة بينها الله ﷻ ليحتج بها نبيه ﷺ على أهل الجاهلية، الذين بحروا البحائر، وسيّبوا السوائب، وشرعوا في هذه البهائم شرعًا من عند أنفسهم؛ حيث بيّن لهم أنَّ هذه الأنعام التي سخرها الله ﷻ لهم هي ثمانية أزواج مفصّلة: من الضأن ذكر وأنثى، ومن المعز ذكر وأنثى، فهذه أربعة، ومن الإبل ذكر وأنثى، ومن البقر ذكر وأنثى، فهذه أربعة، ثم أمر نبيه ﷺ بأن يسأل هؤلاء هل حرم عليهم ذكور الضأن والمعز؟ أم حرم عليهم الإناث من الضأن والمعز؟ وإجابتهم معروفة؛ لأنهم لم يكونوا يحرمون الذكور الخلَّص، ولا الإناث الخلَّص من الصنفين.

بقي إذا كان الرحم مشتملاً على ذكر وأنثى، فهل تحرمون ما اشتمل عليه رحم الأنثى من الضأن والمعز من غير فرق بين ذكر وأنثى، فلستم تقولون بهذا - أيضًا - وكذلك الحال في الإبل والبقر.

ومن المعلوم أنهم لا يمكنهم أنْ يقولوا قولاً سائغًا في العقل إلا واحدًا من هذه الأقوال الثلاثة، وهم لا يقولون بشيء منها، ولكنهم اصطلحوا على اصطلاحات من عند أنفسهم، حرام على الإناث دون الذكور، أو محرمة في وقت دون وقت، أو نحو ذلك من تشريعاتهم الباطلة، التي مصدرها الجهل المركب، والعقول المختلفة، المنحرفة، والآراء الفاسدة، التي لم ينزل الله بها من سلطان.

فإذا تبين بطلان قولهم وفساده، قيل لهم: ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ

[6] () المرجع السابق (3/ 344).

ﯫﯬ، أي لم يبق عليكم إلا دعوى لا سبيل لكم إلى صحتها، وهي أنْ تقولوا: إنَّ الله وصانا بذلك، وهذا افتراء لا يجهله أحد، ولهذا قال سبحانه: ﮋﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮊ، فمن أشد ظلمًا، وأبعد عن الحق ممن تخرص على الله الكذب وأضاف إليه تحريم ما لم يحرم، وتحليل ما لم يحلل[1].

هذه صور من التشريعات الباطلة المتعلقة بأنواع من الحيوان؛ كان عليها أهل الجاهلية، ذكرها الله ﻷ في كتابه مبينًا جهلهم وضلالهم بذلك.

ويدخل في ذلك كلُّ من اعتقد في الحيوان عقائد مخالفة لما جاءت به الشرائع، مثل ما كان عليه البراهمة[2] من تحريم ذبح الحيوان رحمة به، وتحريمًا لإيذائه بغير جرم[3].

ومن الناس من كان يمنع من ذبحه وأكل لحمه خوفًا أنْ يكون قد حلت فيه روح أحد أجدادهم؛ فلا يجوز عندهم قتل أي حيوان، وإن كان مؤذيًا[4][5].

ويدخل في ذلك كل من حرَّم أكل لحم الحيوان، أو امتنع عمَّا يخرج منه محتجًا بأنَّ في ذلك إيذاءً له، فيحرم ما أحل الله ﻷ، ومن هؤلاء طائفة من الزهاد والمتصوفة[6].

---

1 () انظر: جامع البيان (12/ 184-189)، وتيسير الكريم الرحمن (310).

2 () البرهمية: هي الهندوسية، وهي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وهي مجموعة من التقاليد والعقائد والعادات، ولا يعرف على التحديد متى ظهرت، ولا من أسسها، ولهم معبودات كثيرة، وقد حظيت البقرة عندهم بمكانة عالية، حيث يعبدونها، ومن أشهر عقائدهم: التثليث، قانون الجزاء، تناسخ الأرواح، وينقسم المجتمع عندهم إلى طبقات، ومن أشهر كتبهم: (الفيداء) بأقسامها.

انظر: الملل والنحل، محمد عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، 1410هـ (2/ 249-255)، ومقارنات الأديان، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991م، (19-45)، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، عبد القادر شيبة الحمد، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ط1، 1423هـ، (49-59).

3 () انظر: الملل والنحل (249-255)، وتلبيس إبليس، أبو الفرج ابن الجوزي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1421هـ، (190، 225).

4 () انظر: مجلة الجامعة الإسلامية، عدد (15)، مقال: السنن الكونية، د. محمد تقي الدين الهلالي.

5 () وسوف يأتي إن شاء الله في الفصل الخامس الكلام على مسألة تناسخ الأرواح.

6 () انظر: تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن الجوزي (187).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان مخالفة هذه الطريقة لهدي النبي ﷺ: «ومنهم - أي الزهاد - من لا يرى ذبح شيء من الحيوان، كما هي عليه البراهمة، ومنهم من لا يحرم ذلك، ولكنه هو يتقرب إلى الله بأنه لا يذبح حيوانًا ولا يأكل لحمه، ولا ينكح النساء، ويقول مادحه: فلان ما نكح ولا ذبح.

وقد أنكر النبي ﷺ على هؤلاء كما في الصحيحين عن أنس: ((أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني))[1].

وقد قال تعالى: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮊ [المائدة: 87]»[2].

وقال أيضًا ردًّا على من يرى في ذبح الحيوان ظلمًا له: «وكذلك الذي يدع ذبح الحيوان، أو يرى أنَّ في ذبحه ظلمًا له هو جاهل، فإن هذا الحيوان لا بد أنْ يموت، فإذا قتل لمنفعة الآدميين وحاجتهم كان خيرًا من أنْ يموت موتًا لا ينتفع به أحد، والآدمي أكمل منه، ولا تتم مصلحته إلا باستعمال الحيوان في الأكل والركوب ونحو ذلك»[3].

وممن كان يرى تحريم أكل اللحم: أبو العلاء المعري[4]؛

---

1 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (438) برقم (5063)، ومسلم في صحيحه، في كتاب النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤونة (910) برقم (1401).

2 () مجموع الفتاوى (10/ 510-511).

3 () المرجع السابق (10/ 513-514).

4 () هو: أبو العلاء، أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، الشاعر، اللغوي، كان متضلعًا في فنون الأدب، له تصانيف كثيرة مشهورة، قرأ على أبيه وعلى علي بن محمد النحوي، وأخذ عنه أبو القاسم التوخي، وأبو زكريا التبريزي، وغيرهما، عمي وهو صغير، وسمى نفسه رهين المحبسين للزوم منزله وذهاب عينيه، ورمي بالإلحاد، وأشعاره دالة على ذلك، توفي سنة 449هـ. انظر: وفيات الأعيان

حيث مكث خمسًا وأربعين سنة لا يأكل اللحم، ولا البيض، ولا يشرب اللبن، ويحرّم إيلام الحيوان، ويقتصر على ما تنبت الأرض[1].

قال ابن الجوزي[2] في بيان ضلاله في هذا المسلك: «ولقيه رجل، فقال: لم لا تأكل اللحم؟ فقال: أرحم الحيوان، قال: فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان؟ فإن كان الخالق الذي دبر ذلك فما أنت بأرأف منه، وإن كانت الطبائع المحدثة لذلك فما أنت بأحذق منها، ولا أتقن عملاً منها.

قال المصنف رحمه الله: وقد كان يمكنه ألا يذبح رحمة، فأما ما قد ذبحه غيره، فأي رحمة بقيت في ترك أكله، وقد كانت أحواله تدل على اختلاف عقيدته»[3].

ويدخل أيضًا في هذا التشريع الباطل طائفة من (النباتيين)[4]، وهم الذين يقتصرون على أكل النبات، ويمتنعون عن أكل

---

وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، (1/ 113-116)، وسير أعلام النبلاء (18/ 23-39)، والبداية والنهاية (12/ 91-95).

1 () انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج ابن الجوزي، دار صادر، بيروت، ط1، 1358هـ (8/ 184)، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ (1/ 1407)، وسير أعلام النبلاء (18/ 25)، والبداية والنهاية (12/ 91).

2 () هو: أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، الحنبلي، القرشي، التيمي، يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كان واعظًا فقيهًا محدثًا، صنف في فنون عديدة، من أشهرها: زاد المسير في التفسير، والموضوعات، والمنتظم في التاريخ، سمع من أبي القاسم بن الحصين، والدينوري، وغيرهم، وسمع منه الحافظ عبد الغني وابن عبد الدائم وغيرهما، توفي سنة: 597هـ انظر: وفيات الأعيان (3/ 140-142)، وتذكرة الحفاظ (4/ 92-96).

3 () المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (8/ 184).

4 () النباتيون: هم الذين يعتمدون في تغذيتهم على أكل النبات، ويمتنعون عن أكل لحم الحيوان ومشتقاته، أو عن بعض منها، وذلك لأسباب:

1- دينية عند طائفة كبيرة منهم؛ معللين ذلك بأن الإنسان من الحيوان، وكل حيوان إنما يعيش بالتغذية بالنباتات، فحرموا ذبحه وإيلامه والاعتداء عليه؛ لما فيه من الظلم بزعمهم، وهذا

لحم الحيوان ومشتقاته، ديانة على طريقة البراهمة الذين سبق الحديث عنهم، فيحرمون على أنفسهم ما أحلَّ الله لهم، فالذي خلق الحيوان هو الذي سخره للإنسان ليأكل منه، وهــو  أرحم بالإنسان والحيوان من غيره.

فكل من اعتقد في شيء من الحيوان خلافًا لما شرعه اللــه  أو شرعه أنبياؤه عليهم الصلاة والسلام فقد سلك تشريعًا باطلاً، وخالف أمر الله  فيما سخّره له لحكمة يعلمها ؛ إذ هو أحكم الحاكمين،          [المائدة: 50].

---

عليه كثير من ديانات الهند وغيرهم.

2- صحية: حيث يرى طائفة من النباتيين أنَّ أضرار اللحوم أكثر من منافعها، وقد يؤدي أكل بعضها إلى شيء من الأمراض.

3- أخلاقية: حيث يمتنع طائفة من النباتيين عن أكل لحم الحيوان رحمة له، باعتبار ما يحدث للحيوان في المذابح قبل ذبحها أو خوفًا عليها من الألم.

والنباتيون على أنواع:

فمنهم النباتيون الخالصون، وهم الذين لا يتناولون اللحم، ولا الأسماك، ولا البيض، ولا منتجات الألبان، ولا العسل.

ومنهم: الذين لا يتناولون اللحم ومشتقاته، إلا أنهم يتناولون مشتقات الألبان فقط.

ومنهم: الذين لا يتناولون اللحم ومشتقاته، إلا أنهم يتناولون البيض فقط.

ومنهم الذين لا يتناولون اللحم ومشتقاته، إلا أنهم يتناولون البيض ومنتجات الألبان فقط.

ومنهم الذين لا يتناولون اللحم إلا أنهم يتناولون الأسماك فقط.

انظر: الموسوعة العربية العالمية (25/ 105)، وجريدة الشرق الأوسط، عدد (11128)، يوم الأحد 22/ 5/ 1430هـ، والشبكة العنكبوتية – منتديات النباتيين – مذهب النباتيين، عبد الله النديم.

## المطلب الرابع: تصوير الحيوان:

الله تبارك وتعالى هو الخالق البارئ المصور، فالمصور من أسمائه  كما قال سبحانه:  ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ          [الحشر: 24].

فهو الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون على الصفة التي يريدها ويختارها، وهو الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها[1].

فالله  هو المصور أي: الذي صور جميع الموجودات ورتبها، فأعطى كلَّ شيء منها صورة خاصة، وهيئة منفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها[2].

فهو سبحانه الذي خلق المخلوقات من إنسان، وحيوان، وجماد، وغيرها، ثم برأها ثم صوَّرها.

«فالخالق هو المقدر قبل الإيجاد، والبارئ الموجد من العدم على مقتضى الخلق والتقدير، وليس كل من قدَّر شيئًا أوجده إلا الله (والمصور) المشكل لكل موجود على الصورة التي أوجده عليها، ولم يفرد كل فرد من موجوداته على صورة تختص به إلا الله ، كما هو موجود في خلق الله للإنسان والحيوان والنبات، كل في صورة تخصه»[3].

فتصوير الحيوان وإيجاده على هذه الصورة التي أرادها الله  دليل على وحدانيته، وربوبيته فهو سبحانه المتفرد بالخلق والبرء والتصوير.

ولهذا جاء الوعيد الشديد في تصوير ذوات الأرواح؛ لما فيه من منازعة الله  في ربوبيته؛ حيث يصنع ما يصنع ليضاهيَ خلق الله [4].

فيحرم تصوير ما له روح من حيوان أو غيره، سواء أكان مجسمًا (ما له ظل) أم غير مجسم (ما ليس له ظل)[5].

---

[1] () انظر: تفسير القرآن العظيم (8/ 106).

[2] () انظر: لسان العرب (4/ 471) مادة (صور).

[3] () أضواء البيان (التتمة) (8/ 123-124).

[4] () انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط2، 1424هـ، (2/ 444).

[5] () انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، يحيى بن شرف النووي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ (14/ 81)، والمغني، عبد الله بن

هذا من حيث الصنعة، أمّا من حيث الاستعمال، فالذي دلَّت عليه عموم الأدلة تحريم استعمال ما فيه صور ذوات أرواح من حيوان وغيره، ويستثنى من ذلك:

1- ما كانت الصورة فيه ممتهنة كالتي تكون على البساط أو الوسائد أو غيرها[1].

2- لعب الأطفال[2].

3- ما كان في استعماله ضرورة كالصورة التي تكون في

أحمد بن قدامة، تحقيق: د. عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1410هـ، (10/ 202).

ومما استجد في العصور المتأخرة ما يسمى بالتصوير الآلي (الفوتوغرافي) وقد اختلف فيه العلماء المعاصرون على قولين:

**القول الأول:** تحريم التصوير الآلي ودخوله في التصوير المحرم، لأنه لا يخرج عن كونه تصويرًا والأدلة دلت على تحريم التصوير عمومًا، وهذا رأي الشيخ محمد بن إبراهيم، انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، مطبعة الحكومة، بمكة المكرمة، جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط1، 1399هـ (1/ 183-188)، والشيخ عبد العزيز بن باز، انظر: مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، عبد الله الطيار، دار الوطن، ط1، 1416هـ (2/ 814)، والشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني، انظر: آداب الزفاف في السنة المطهرة، محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، ط7، 1404هـ، (104-106).

**القول الثاني:** أن التصوير الآلي (الفوتوغرافي) لا يدخل في التصوير لأنّ الذي يصور صورة فوتوغرافية لا يصور في الواقع، غاية ما هنالك أنه يلقي الضوء الشديد على جسم أمامه، فيلتقط صورته في لحظة، فهو حبس للظل فقط، كالآلة التي تصور الأوراق، فالآلة أعادت كتابة صاحب الأوراق فقط، وهذا الشخص حبس الظل عن هذه الصورة، واختار هذا القول: الشيخ محمد العثيمين، انظر: شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، مدار الوطن، الرياض، ط2، 1427هـ، (6/ 419-420)، والشيخ سيد سابق، انظر: فقه السنة، سيد سابق، دار الفكر، بيروت، ط1، 1418هـ، (3/ 262).

[1] () انظر: شرح صحيح البخاري، أبو الحسن ابن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1423هـ (9/ 179)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محي الدين مستو، وأحمد محمد السيد، ويوسف علي بديوي، ومحمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، دار الكلم الطيب،

النقود والبطاقات[1].

والحـديث عن التصـوير وأحكامـه مبسـوط في كتب الفقـه، وكذلك في كتب شروح الأحاديث، والذي يعنى الحـديث بـه هنـا هو الكلام على التصوير وعلاقته بالتوحيد، ومسـائل العقيـدة؛ إذ إنَّ علَّة التصوير ما يأتي:

**أولاً: ما فيه من مضاهاة لله  في خلقه:**

ففي التصوير خلق وإبداع، يكون المصور مشاركًا لله تبـارك وتعالى في ذلك الخلق والإبداع[2].

ودليل ذلك ما روته عائشة[3] رضي الله عنها، قـالت: ((قـدم رسول الله  من سفر، وقد سترت بقِـرام[4] لي على سَـهْوَةٍ[5] لي فيهـا تماثيـل، فلمـا رآه رسـول اللـه  هتكـه، وقـال: أشـد الناس عذابًا يوم القيامة الـذين يضـاهون[6] بخلـق اللـه، قـالت: فجعلناه وسادة أو وسادتين))[7].

دمشق، ط1، 1417هـ، (5/ 426)، والمغني (10/ 199).

2 () انظـــر: المفهم (5/ 427)، وصـــحيح مســـلم بشـــرح النـــووي (14/ 82)، وشرح رياض الصالحين (6/ 426).

1 () انظر: شرح رياض الصالحين (6/ 425).

2 () انظر: القول المفيد (2/ 435).

3 () هي: أم المؤمـنين، أم عبـد اللـه، الصـديقة، عائشـة بنت أبي بكـر الصديق، رضي الله عنهما، زوج رسول الله ، تزوجها النـبي  وهي بنت ست سنين، ودخل بها وهي بنت تسع، ولم يـتزوج بكـرًا سـواها، وتوفي النبي  وهي بنت ثمان عشرة سنة، توفيت سنة 57هـ. انظر: الاســـتيعاب (4/ 1881-1885)، الثقـــات لابن حبـــان (3/ 323)، ومعرفـة الثقـات، أحمـد بن عبـد اللـه العجلي، تحقيـق: عبـد العليم البستوي، مكتبة الدار، المدينة، ط1، 1405هـ، (2/ 455).

4 () القِرام: هو ستر فيـه رقم ونقش، وقيـل: ثـوب من صـوف ملـون يفرش في الهودج. انظر: فتح الباري بشـرح صـحيح البخـاري، أحمـد بن حجر العسقلاني، اعتنى به: أبو قتيبـة نظـر الفاريـابي، دار طيبـة، الرياض، ط2، 1429هـ، (13/ 469).

5 () السَّهْوَة: صُفَّة من جانب الـبيت، وقيـل: الـرف، وقيـل غـير ذلـك. انظر: المرجع السابق (13/ 470).

6 () يضاهون: أي يشبهون ما يصنعونه بما يصنعه اللـه. انظـر: المرجـع السابق (13/ 470).

7 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب اللباس، باب: مـا وطء من التصـاوير (505) بـرقم (9554)، ومسـلم في صـحيحه، في كتـاب

فالتصوير كبيرة من كبـائر الـذنوب؛ لأن فيـه مضـاهاةً للـه  في خلقـه، ومشـابهة لـه، وليسـت الحكمـة خاصـة فيمن صـنع الصور لتعبد من دون الله، بل هو عـام في جميـع تصـوير ذوات الأرواح؛ وليسـت النيـة شـرطًا في المضـاهاة؛ لأن المضـاهاة حاصلة سواءٌ أكانت بنية أم بغير نية[1].

أمَّا من صـوَّر قاصـدًا أنْ يضـاهي؛ فإنـه يصـير بـذلك القصـد كافرًا[2].

وهذا يبين خطورة صـور الحيوانـات والطيـور الـتي انتشـرت في هــذه الأزمــان وأصــبح بعض النــاس يمتهن مهنــة الرســم والتصوير، فصارت هذه الصور تباع في أماكن كثيرة، ويتســاهل فيها الناس، حيث انتشرت صور وتماثيل الحيوانـات في الـبيوت وغيرها، مع ما فيها من مضاهاة لخلق الله ، فالله المستعان.

**ثانيًا: أنَّ التصوير وسيلة من وسائل الشرك:**

التصوير هو منشأ الوثنية، وما دخل على القـرون قبلنـا إنمـا هو من هذا الباب[3].

فتصوير ذوات الأرواح وسيلة إلى الغلو فيها، الذي يؤدي إلى عبادتها من دون اللـه ، وقـد وقـع التصـوير في الأمم السـابقة لذوات الأرواح الذي كان وسيلة إلى الشرك، وعبادتها، فمنه مـا كان تصويرًا للصالحين من الأنبياء وغيرهم، ومنه ما كان تصويرًا للحيوان.

فمن القسم الأول ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿...﴾ [نوح: 23]، أنَّ هذه أسماء أصنام لرجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشـيطان إلى قـومهم أنِ انصبوا إلى مجالسهم التي كـانوا يجلسـون أنصـابًا وسـموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئـك وتنسّـخ العلم عبدت[4].

فكــان التصــوير من الوســائل الــتي أوقعت قــوم نــوح في

اللباس، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان (1055) برقم (2107).

[1] () انظر: القول المفيد (2/ 443).

[2] () انظر: صحيح مسـلم بشـرح النـووي (14/ 91)، وفتح البـاري لابن حجر (13/ 465).

[3] () انظــر: حاشــية كتــاب التوحيــد، عبــد الــرحمن بن قاســم، ط3، 1408هـ، (371).

الشرك.

ومن القسم الثاني: وهو تصوير الحيوان الذي أصبح وسيلة للشرك وعبادته من دون الله  ما قصه الله  عن قوم موسى عليه الصلاة والسلام من اتخاذهم العجل، وعبادتهم له من دون الله ، فقال : ﮋﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪﮊ [الأعراف: 148]، وقال أيضًا: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬﮊ [طه: 88-89].

فحين ذهب موسى عليه الصلاة والسلام لميقات ربه ، وجعل أخاه هارون عليه الصلاة والسلام خليفة على قومه، اتخذ قومه من بعده من حليهم الذي استعاروه من أقباط مصر تمثالاً على صورة عجل، صوره لهم السامري الذي ألقى على صورة العجل قبضة من تراب، كان أخذها من أثر فرس جبريل ، فصار عجلاً جسدًا له خوار، الذي هو صوت البقر، ثم عبدوا هذا العجل من دون الله ، مع أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً، بل كانوا على جهل وضلالة وظلم في صنيعهم هذا.

ثم تابوا وندموا على صنيعهم ذلك، وقالوا: ﮋ        ﮊ [الأعراف: 149]، وهذا اعتراف منهم بذنبهم والتجاء إلى الله [1].

واخْتُلِف في هذا العجل هل كان جسدًا جامدًا بعد تصويرهم له؟ أم أَنَّ الله  جعل فيه الحياة فأصبح جسدًا بلحم ودم[2].

فكان تصوير الحيوان وسيلة من وسائل الشرك بالله ، وقيل: إنَّ سبب صناعة هذا العجل وتصويره لأن السامري كان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادتها في نفسه[3].

---

[4] () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، باب: (ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق)، (423) برقم (4920) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

[1] () انظر: معالم التنزيل (3/ 283)، والجامع لأحكام القرآن (7/ 271)، وتفسير القرآن العظيم (3/ 473).

[2] () انظر: معالم التنزيل (3/ 283)، ومفاتيح الغيب (15/ 7)، وتفسير القرآن العظيم (3/ 473)، وهو قول ضعيف قال به بعض المفسرين يخالف المشهور عن جمهورهم .

[3] () انظر: جامع البيان (2/ 66)، وأضواء البيان (4/ 490).

**ثالثًا: أنَّ التصوير فيه مشابهة لمن كـانوا يصـنعون الصور والتماثيل لتعبد من دون الله ﷻ:**

إذا عُلمَ أنَّ أول شـرك وقـع في الأرض كـان سـببه تصـوير الصـالحين، ثم الغلـو في صـورهم؛ فـإن في صـناعة الصـور مشابهةً لمن كانوا يصنعون الصور والتماثيل لتعبد من دون اللـه ﷻ[1].

فجاء الإسلام محذرًا من التشبه بالمشركين وبأفعـالهم، وإن لم يقصد التشبه بهم سدًّا للذريعة التي قد توصل إلى ما وصـل إليه حال أولئك.

هذه أبرز العلل التي جعلت التصوير من كبائر الذنوب، وجاء فيـه الوعيـد الشـديد؛ ممـا يـدل على منافاتـه لكمـال التوحيـد الواجب.

وقد جاء في التصوير والمصـورين نصـوص كثـيرة تحـذر من صنيعهم على وجوه متعددة فمن ذلك:

**1- أنّ المصوِّرين هم أشد الناس عذابًا يوم القيامة:**

ودليل ذلك ما رواه ابن مسعود[2]، ﷺ قـال: سـمعت النـبي ﷺ يقول: ((إنّ أشدّ الناس عذابًا عند الله يوم القيامة المصوِّرون))[3].

فمن صـوّر صـورة بقصـد مضـاهاة خلـق اللـه ﷻ، أو صـوَّرها لتعبد من دون الله ﷻ فهو أشد الناس عذابًا لوقوعه في الكفر.

وأما من صور لا قصدًا للمضـاهاة، ولا لتعبـد من دون اللـه ﷻ ولكن للتكسب أو غير ذلك، فهو من أشد الناس عذابًا[4]؛ بـدليل بعض روايات مسـلم الـتي فيهـا لفظـة (من) وفعلـه كبـيرة من

1 () انظر: المفهم (5/ 422)، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982م، (1/ 116).

2 () هو: أبو عبد الرحمن، عبد الله بن مسعود الهـذلي، كـان من أقـرأ الصحابة للقرآن، بعثه عمر إلى الكوفة مفقهًـا ومقرئًا وأمـيرًا، وكـان من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين، شـهد بـدرًا ومـا بعـدها، وهـو الـذي أجهـز على أبي جهـل، روى كثـيرًا من الأحـاديث، وحدث عنه: علقمة ومعروف وغيرهما، توفي سنة 32هـ في المدينة. انظر: الإصابة (4/ 233-235)، ومعرفة الثقات للعجلي (2/ 59).

3 () أخرجه البخاري في كتـاب اللبـاس، بـاب: عـذاب المصـورين يـوم القيامـة (504) بـرقم (5949)، ومسـلم في صـحيحه في كتـاب اللباس، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان برقم (2109).

كبائر الذنوب؛ حيث وصف عذابه بالأشد.

**2- تكليــف المصــور يــوم القيامــة نفخ الــروح في الصورة وليس بنافخ:**

فعن ابن عباس رضي الله عنهما[1] أنَّ النبي  قال: ((من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أنْ ينفخ فيها الروح وليس بنافخ))[2].

فهذا التكليف زيادة في تعذيبه يوم القيامة، وإظهار عجزه ومبالغة في توبيخه وقبح فعله[3].

**3- يجعل للمصور بكل صورة صورها نفسًا يعذب بها في جهنم:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله  يقول: ((كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسًا فتعذبه في جهنم)) وقال: - أي ابن عباس - لرجل معيشته من صنعة يده، وهي: صنع التصاوير حين جاءه مستفتيًا: ((إن كنت لا بدَّ فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له))[4].

فعقوبة المصور التي دل عليها هذا الحديث أنَّ المصور

---

4 () انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (14/ 91)، وفتح الباري لابن حجر (13/ 464).

1 () هو: أبو العباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي ، ولد قبل الهجرة بأربع سنين، دعا له النبي  بالحكمة والفقه، كان يسمى الحبر والبحر لسعة علمه، وهو أحد المكثرين من الصحابة، توفي سنة 68هـ بالطائف. انظر: الإصابة (4/ 141-151)، والثقات (3/ 207)، وتقريب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، دمشق، 1406هـ (309).

2 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب اللباس، باب: من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ (505) برقم (5963)، ومسلم في صحيحه، في كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، (1056) برقم (2110).

3 () انظر: فتح الباري، لابن حجر (13/ 481).

4 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب البيوع، باب: بيع التصاوير التي ليس فيها روح (172) برقم (2225)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان (1056) برقم (2110)، واللفظ لمسلم.

يجعل له يوم القيامة في جهنم مقابل كل صورة صورها نفسًا تعذبه، فقيل معناه: أنَّ الصورة التي صورها يجعل لها روح فتعذبه، وقيل: المراد يجعل له بعدد كل صورة ومكانها شخص يعذبه فتكون الباء بمعنى لام السبب[1].

والأقرب أنَّ المراد بهذا التعذيب هو ما في الحديث من كونه يؤمر بنفخ الروح فيها تعجيزًا له[2].

**4- الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة:**

عن أبي طلحة[3]  قال: قال رسول الله : ((لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا تصاوير))[4].

فهذا وعيد للمصور؛ حيث حرم من دخول الملائكة إلى بيته؛ لكون ما صنعه معصية فاحشة، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، فعوقب بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه، واستغفارها له، وتبريكها عليه ودفعها أذى الشيطان[5].

وقيل: إنَّ المراد بالملائكة الذين لا يدخلون البيت الذي فيه صورة هم عموم الملائكة، باستثناء الحفظة؛ إذ هم لا يفارقون الشخص في كل حال، وقيل: بل هو عام في جميع الملائكة حتى الحفظة، لجواز أنْ يطلعهم الله  على عمل العبد وهم بباب الدار والله تعالى أعلم[6].

---

1 () انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (14/ 90)، وفيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، محمد عبد الرؤوف المناوي، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، (5/ 41).

2 () انظر: القول المفيد (2/ 445).

3 () هو: أبو طلحة، زيد بن سهل بن الأسود، الأنصاري، زوج أم أنس بن مالك، شهد بدرًا وما بعدها، وكان فارس رسول الله ، كان من كبار الصحابة، توفي سنة 34هـ. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد بن الأثير، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1407هـ. (2/ 345-346)، والثقات (3/ 137).

4 () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، باب: التصاوير (504) برقم (5949).

5 () انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (14/ 84).

6 () انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (14/ 84)، وفتح الباري لابن حجر (13/ 460).

**5- لعن المصور:**

فعن أبي جحيفة[1]  أنه اشترى غلامًا حجامًا، فقال: ((إن النبي  نهى عن ثمن الدم، وثمن الكلب، وكسب البغي، ولعن آكل الربا وموكله، والواشمة والمستوشمة، والمصور))[2].

فلعن المصور دليل على وقوعه في كبيرة من كبائر الذنوب، حيث طرد وأخرج من رحمة الله  وفي هذا وعيد شديد للمصورين.

**6- لا أحد أظلم من المصور:**

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله  يقول: قال الله : ((ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقًا كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة))[3].

فهذا توبيخٌ للمصور على تشبهه بالله فيما صور، فالله  أحكم وأتقن على غير مثال احتذاه ولا من شيء قديم ابتدأه، بل أنشأ من العدم، وابتدع من غير معلوم، وأنتم صورتم أشياء موجودة مضاهين له، موهمين أنكم خلقتم كخلقه، فاخلقوا أقلَّ مخلوقاته وأحقرها من الذرة والحبة إنْ كنتم صادقين[4].

ولهذا جعلهم الله  بصنيعهم هذا أظلم الظالمين وتحداهم بذلك.

---

1 () هو: أبو جحيفة، وهب بن عبد الله بن جنادة السوائي، العامري، صحابي جليل، سكن الكوفة، حدث عنه ابنه عون وأبو إسحاق، صحب عليًّا، وكان يقال له: وهب الخير، واشتهر بكنيته، مات سنة 74هـ. انظر: أسد الغابة (5/ 477-478)، والثقات (3/ 428)، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ، (3/ 215)، وتقريب التهذيب (585).

2 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب اللباس، باب: من لعن المصور (505) برقم (5962).

3 () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، باب: نقض الصور (504) برقم (5953)، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان (1056) برقم (2111)، واللفظ لمسلم.

4 () انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (10/ 555).

## المطلب الخامس: تغيير خِلْقَة الحيوان:

عداوة الشيطان لبني آدم عداوة قديمة منذ خلق الإنسان، وهي مستمرة إلى يوم القيامة؛ ولهذا حذر الله تبارك وتعالى من اتباعه وأخبر بعداوته لنا، فقال ﷻ: ﮋﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅﮊ [فاطر: 6].

ومن الطرق التي سلكها الشيطان لغواية بني آدم التصرف في الحيوان على غير هدي الله ﷻ وشرعه، وتغيير خلق الله ﷻ في الحيوان وغيره، قال تبارك وتعالى: ﮋﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵﮊ [النساء: 116-119].

فهذا قَسَمٌ من الشيطان لَيصرفنَّ بني آدم عن طريق الهدى، وأقسم - أيضًا - أنْ يحمل بني آدم على تبتيك آذان الأنعام، أي قطع آذانها علامة على البحيرة والسائبة، حيث كان أهل الجاهلية يقطعون آذان الأنعام، ويشقونها، ويجعلون ذلك سمة وعلامة على ذلك[1].

وهذا التبتيك هو من تغيير خلق الله ﷻ[2].

ثم أقسم الشيطان قسمًا آخر: ليأمرن بني آدم بتغيير خلق الله ﷻ.

وللعلماء في بيان المراد بتغيير خلق الله أقوال أشهرها:

**القول الأول:** أنَّ المراد بتغيير خلق الله ﷻ هو: خصاء ما لا يجوز خصاؤه، وفقء الأعين، وقطع الآذان، وذلك كله تعذيب للحيوان، وتحريم وتحليل بالطغيان؛ إذ الآذان في الأنعام جمال ومنفعة، وكذلك غيرها من الأعضاء؛ فلذلك رأى الشيطان أنْ يغير بها خلق الله تبارك وتعالى[3].

**القول الثاني:** أنَّ المراد بذلك: تغيير دين الله استدلالاً بقوله تعالى: ﮋﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫﯬﮊ [الروم: 30][4].

**القول الثالث:** أنَّ المراد بتغيير خلق الله الوشم وما جرى

---

1 () انظر: تفسير القرآن العظيم (2/ 367).
2 () انظر: جامع البيان (9/ 223).
3 () انظر: الجامع لأحكام القرآن (5/ 388).
4 () انظر: جامع البيان (9/ 218-220).

مجراه، بدليل حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: ((لعن الله الواشماتِ والمستوشمات[1]، والنامصات والمتنمصات[2]، والمتفلجات للحسن[3]، المغيرات خلق الله...الحديث[4] ))[5].

**القول الرابع:** أنَّ المراد بذلك: أنَّ الله  خلق الشمس والقمر، والأحجار والنار وغيرها من المخلوقات ليعتبر بها وينتفع بها، فغيرها الكفار بأن جعلوها آلهة معبودة[6].

ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الأمور[7].

يقول الطبري - رحمه الله - بعد اختياره للقول الثاني: «وإذا كان ذلك معناه، دخل في ذلك كل ما يخص ما نهى الله عنه: من خصاء ما لا يجوز خصاؤه، ووشم ما نهى عن وشمه ووشره، وغير ذلك من المعاصي، ودخل فيه ترك كل ما أمر الله به، لأن الشيطان لا شك يدعو إلى جميع معاصي الله وينهى عن جميع طاعته، ذلك معنى أمره نصيبه المفروض من عباده، بتغيير ما خلق الله من دينه»[8].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مبينًا عدم المنافاة بين تفسير التغيير بتغيير الدين، وتفسيره بالخصاء

---

1 () الوشم: أن يفرز الجلد بإبرة، ثم يحشى بكحل أو نيل، فيزرق أثره أو يخضر، والمستوشمة: التي يفعل بها ذلك. انظر: النهاية لابن الأثير (974) مادة (وشم).

2 () النامصة: التي تنتف الشعر من وجهها، والمتنمصة: التي تأمر من يفعل بها ذلك. انظر: المرجع السابق (943) مادة (نمص).

3 () الفلج: فرجة بين الثنايا والرباعيات، والمتفلجات: النساء اللاتي يفعلن ذلك بأسنانهنّ رغبة في التحسين. انظر: المرجع السابق (716) مادة (فلج).

4 () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس، باب المستوشمة (504) برقم (5948)، ومسلم في صحيحه، في كتاب اللباس، باب: تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة...(1058) برقم (2125) واللفظ له.

5 () انظر: معالم التنزيل (2/ 289)، والجامع لأحكام القرآن (5/ 391).

6 () انظر: معالم التنزيل (2/ 289)، والجامع لأحكام القرآن (5/ 393).

7 () انظر: فتح القدير (1/ 517).

8 () جامع البيان (9/ 222).

وقطع الأذن: «لا منافاة بينهما، كما قال تعالى: ﴿ۀ ہ ہ ہ ۓ ۓ ﮯ ﮯ ﮱ﴾ [النساء: 119]، فتغيير ما خلق الله عليه عباده من الدين تغيير لخلقه، والخصاء وقطع الأذن تغيير لخلقه، ولهذا شبه النبي ﷺ أحدهما بالآخر في قوله: ((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء)).

فأولئك يغيرون الدين، وهؤلاء يغيرون الصورة بالجدع والخصاء، هذا تغيير لما خلقت عليه نفسه، وهذا تغيير ما خلق عليه بدنه»[1].

فتغيير خلقة الحيوان من تغيير خلق الله ﷻ، الذي أقسم الشيطان - لعنه الله - ليأمرنَّ به بني آدم، وفي كتب الفقه تفاصيل لهذا التغيير، وبيان أحكامه.

ومناسبة دخول مباحث التغيير في مسائل الربوبية أنَّ في تغيير خلق الله ﷻ تعدِّيًا على ربوبيته؛ إذ هو سبحانه الذي خلق المخلوقات من إنس وحيوان وغيرها، وصورها على صورة اختارها، فلا خلق أتقن من خلقه، ولا تصوير أكمل من تصويره وصدق الله تعالى: ﴿ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ﴾ [السجدة: 7].

فمن غيَّر خِلْقة الحيوان تغييرًا لم يأذن به الشرع[2]، فقد اعترض على خالقه تبارك وتعالى، وطلب خلقًا أتم من خلقه، واتخذ الشطيان وليًّا له من دون الله ﷻ؛ ولهذا أخبر الله بهلاكه في قوله: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ﴾ [النساء: 119].

فإذا كان تغيير خِلْقة الحيوان على ما كان يصنعه أهل الجاهلية من قطع آذان البحيرة والسائبة تقربًا بذلك لأصنامهم

---

[1] () درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض، 1391هـ، (4/ 286).

[2] () من صور تغيير خِلْقة الحيوان التي أذن الشرع فيها:
1- خصاء البهائم لما فيه من المنفعة وحصول السمن، وجمهور العلماء على أنه لا بأس أن يضحي بالخصي، واستحسنه بعضهم إذا كان أسمن من غيره، وإنما جاز ذلك؛ لأنه لا يقصد به التقرب إلى غير الله، وإنما نقصد به تطييب اللحم.
2- وسم الحيوان في غير الوجه، أما في الوجه فحرام.
3- إشعار البدن، ومعنى إشعارها جرحها في صفحة سنامها، ويسلت الدم عنها. انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (5/ 389-391)، وأضواء البيان (5/ 574).

فهـو كفـر باللـه  إجماعًا[1]، وكـذلك فقء عين الحـامي، وهـو البعير الذي حمى ظهره عن الركوب لكثرة مـا أنسَـل، ويسـيب للطواغيت[2].

وإن كان تغيير خِلْقة الحيوان بقطـع آذانـه أو غيرهـا، لغـرض الجمال والزينـة كمـا يصـنعه بعض تجـار البهـائم فـإن هـذا ممـا يحـرم فعلـه، لمـا فيـه من تغيـير خلـق اللـه ، ومشـابهة أهـل الجاهلية، وتعذيب الحيوان بغير حق[3].

---

1 () انظر: أضواء البيان (1/ 311).

2 () انظر: التحرير والتنوير (5/ 205).

3 () انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب أحمد عبد الرزاق الدويش، (26/ 158).

## المطلب السادس: نظرية النشوء والارتقاء وعلاقتها بالحيوان:

وفيه مسألتان:

### المسألة الأولى: المراد بنظرية النشوء والارتقاء وعلاقتها بالحيوان:

نظرية النشوء والارتقاء[1] وهي ما يعرف بـ(نظرية التطور)، تقوم هذه النظرية على القول بأن أشكال الحياة المختلفة تعود إلى أصل واحد مشترك، وأنها بدأت من خلايا حية بسيطة تكونت عن طريق المصادفة بعد عمليات كيميائية مركبة، ثم تطورت إلى كائنات كبيرة معقدة، وكان ذلك نتيجة تأثير عوامل طبيعية كالبيئة والمناخ، وموارد الغذاء وطرق الحصول عليه[2].

ويوضح الدكتور حامد إسحاق خوجة تسلسل هذه النظرية عند دعاة التطور بالأمور الآتية[3]:

1- أنَّ المخلوقات جميعها كانت بدايتها من خلية واحدة وهي (الأميبا)[4].

2- تكونت هذه الخلية من الحساء العضوي نتيجة لتجمع مجموعة من جزيئات البروتين وبينها بقية العناصر الأخرى، حيث أدت عوامل بيئية ومناخية إلى تجمع هذه الجزيئات في خلية واحدة هي: الأميبا.

---

[1] () يرى جمهور أهل البحث العلمي المعاصر، والمشتغلين بعلم الأحياء إلى أنها لا ترقى إلى مسمى (نظرية)، بل هي فرضية بيولوجية وهي أبعد شيء عن أن تكون نظرية، لعدم وجود أي دليل واقعي مشاهد ولو معمليًّا يرجح صحة الفرضية. انظر: كواشف زيوف، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط2، 1412هـ، (321)، والعلمانية، سفر الحوالي، دار الهجرة، (179).

[2] () انظر: الموسوعة العربية العالمية (25/ 250).

[3] () انظر: مجلة الإعجاز العلمي، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة عدد (11 ) شوال 1422هـ مقال بعنوان (حقيقة نظرية داروين)، د. حامد إسحاق خوجه.

[4] () كانت (الأميبا) هي أدنى الكائنات الحية في التصور، ثم جاء التصحيح إلى (الباكتيريا)، التي هي أدنى من (الأميبا)، ثم جاء التصحيح إلى ما هو أدنى منها وهو(الفيروس)، فالفيروسات في نظرهم الآن تتوسط الحد الفاصل بين الحي وغير الحي. انظر: كواشف زيوف (330).

3- أنَّ جزيء البروتين تكون نتيجة لتجمع مجموعة من الأحماض الأمينية وترابطها بروابط أمينية وكبريتية وهيدروجينية مختلفة، كذلك نتيجة لعوامل بيئية ومناخية مختلفة.

4- أن الأحماض الأمينية تكونت بدورها نتيجة لاتحاد عناصر الكربون، والنتروجين، والهيدروجين، والأكسجين.

5- أخذت الخلية الأولى تنقسم وتتطور إلى مخلوقات ذات خليتين، ثم إلى متعددة الخلايا، وهكذا حتى ظهرت الحشرات، والحيوانات، والطيور، والزواحف، والثدييات، ومن ضمنها الإنسان، كما أن جزءًا آخر من الخلية انقسم وتطور إلى أنواع من الخمائر، والطحالب، والأعشاب، والنباتات، الزهرية واللازهرية.

6- أن الحيوانات في قمة تطورها أدت إلى ظهور الثدييات، والتي مثلت القرود قمة في سلسلة الحيوانات غير الناطقة.

7- الإنسان هو نوع من الثدييات تطور ونشأ من القرود، ونتيجة لما تميز به الإنسان المعاصر من عقل، وتفكير، ومنطق كانت هناك مرحلة بين القرود والإنسان سميت بـ(الحلق المفقودة).

فعند أنصار هذه النظرية أن الحياة الأولى للإنسان والحيوان والنبات بدأت على ظهر الأرض بجرثومة أو جراثيم قليلة تطورت بتأثير عوامل طبيعية حتى وصلت إلى ما وصلت إليه[1].

فالإنسان كانت بدايته جرثومة صغيرة جدًّا حتى وجدت نفسها في البيئة ثم تدرجت على مر الأزمان إلى حياة نباتية عاشت حول المستنقعات، ثم تدرجت ارتقاءً إلى حياة حيوانية بدائية ثم إلى حيوانات ريشية ومجنحة، ثم تحولت إلى ذوات فقرات، ثم ارتقت إلى حيوانات شبيهة بالإنسان، ثم كانت نهاية هذا التطور إنسانًا أول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم، ثم إنسانًا كاملاً بعقله وإدراكه وتفكيره وهو إنسان اليوم[2].

هذه هي خلاصة نظرية (التطور) التي ارتبطت في شهرتها

---

1 () انظر: الإنسان ونظرية داروين، محمد أحمد باشميل، مطبعة شركة الطبع اللبنانية، بيروت، ط1، 1384هـ، (21).

2 () انظر: الإنسان والداروينية، محمد صالح كريم خان، مطبعة الجمهور، الموصل، 1976م، (27).

وذيوعها بداروين[1].

ثم جاءت الداروينية الحديثة والتي تركز على أن التطور تم بسبب الطفرات[2]، أو التغيرات المفاجئة في التراكيب الجزيئية المسؤولة عن الوراثة[3].

وقد اضطر أصحاب (الداروينية الحديثة) إلى إجراء سلسلة من التعديلات عليها تستحق أن توصف - علميًّا - بأنها نظريات جديدة؛ حيث أضافوا قانونًا جديدًا أسموه (قانون التحولات المفاجئة)، أو(الطفرات) وهو قانون لا سند له إلا المصادفة البحتة.

ثم أرغموا على القول بأنه ليس هنالك أصل واحد نشأت عليه الحياة كلها، كما تخيل داروين، بل هناك أصول عدة تفرع عن كل نوع منها أنواع مستقلة، وأن الإنسان متفرد (بيولوجيًّا) رغم التشابه الظاهري، وهو المنزلق الذي سقط منه داروين

---

1 () هو: الدكتور: شارلز روبرت داروين، طبيعي، ومؤلف إنكليزي، ولد سنة 1809م في إنكلترا، ودرس الطب في جامعة أدنبرة، ثم تركها ودخل كلية (اليسوع)؛ لكون والده يرغب أن يكون ابنه قسيسًا، ثم حصل على الشهادة سنة 1831م، تأثر داروين ببحث مالثوس حول التزايد السكاني، فتوصل إلى فكرة (الانتخاب الطبيعي)، وفي سنة 1859م نشر كتابه (أصل الأنواع)، ثم في 1871م نشر كتابه في أصل الإنسان، الذي ادعى فيه أن أصل الإنسان من رتبة حيوانية دون رتبة الإنسان، كانت وفاته سنة 1882م. انظر: دائرة المعارف، البستاني، دار المعرفة، بيروت، (7/ 547-548)، وداروين ونظرية التطور، شمس الدين آق بلوت، ترجمة أورخان محمد علي، دار الصحوة، القاهرة، (11-14).

2 () يقصد بالطفرة: التغيرات التي تحصل في طبيعة العامل الوراثي، أو شفرات الوراثة (د ن أ)، أي الحمض النووي الريبي منقوص الأكسجين، عن طريق الخطأ أو المصادفة، فينشأ تغير في ظهور صفات وراثية جديدة، أو نتيجة لهذا التغير تظهر أنواع مختلفة من الأحياء.

وهكذا يعتقد التطوريون أن السبب الرئيس للارتقاء أو التطور هو حدوث خطأ في المادة الوراثية، لكن العلم جاء بما يثبت خطأ التطوريين الجدد، حيث تبين للعلماء أن العبث بجزيئات الوراثة لا يؤدي إلا إلى آثار سلبية. انظر: الموسوعة العربية العالمية (25/ 254)، وداروين ونظرية التطور (67-68).

3 () انظر: الموسوعة العربية العالمية (25/ 250).

ومعاصروه[1].

يقول البروفيسور سمبسون الأستاذ في جامعة هارفارد في كتابه الشهير (الأشكال الرئيسية للنشوء): «لقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة بما لا يدع مجالاً للشك أن الكائنات الحية المعاصرة كافة بما فيها الإنسان قد ظهرت بشكل مفاجئ، وهي لا تمت بصلة قرابة للمخلوقات القديمة، كما أثبتت الأبحاث والعلوم عدم وجود تطور مستمر ولا أشكال متقدمة لحيوانات انتقالية تطورية»[2].

**أدلة نظرية النشوء والارتقاء:**

اعتمد أصحاب هذه النظرية على أدلة زعموا أنها تدل على إثبات ما ذهبوا إليه:

**1- علم الحفريات[3]:**

تعتمد هذه النظرية على ما شوهد في زمن داروين من الحفريات الأرضية، حيث وجدوا أن الطبقات القديمة تحتوي على كائنات أولية، وأن الطبقات التي تليها تحتوي على كائنات أرقى فأرقى، فذهبوا إلى أن تلك الحيوانات الراقية قد جاءت نتيجة للنشوء والارتقاء من الحيوانات والكائنات الأولى[4].

فيقول أنصار التطور: إنه على الرغم من تأثير الحرارة والضغط ومياه الأمطار وغيرها على قسم كبير من الأحافير فأتلفتها، إلا أن ما وجد منها مفيد لتعزيز أدلة التطور، حيث اكتشفت آثار لأناسي منقرضة مثل: إنسان بكين، وإنسان

1 () انظر: العلمانية، سفر الحوالي (182)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1418هـ، (2/ 938).

2 () نقلاً عن: الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان وتفنيد نظرية داروين، محمد نبيل النشواتي، دار القلم، دمشق، ط1، 1422هـ، (307).

3 () انظر: نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها، قيس القرطاس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1391هـ، (72-77)، والإسلام ونظرية داروين (85).

4 () انظر: توحيد الخالق والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبد المجيد الزنداني، دار السلام، القاهرة، ط5، 1427هـ (3/ 81).

جاوة، وإنسان نيانـدرتال[1]، وإنسـان بلتـدون[2]، وغيرهـا، وهـذه التي عثر عليها تشـابه الأنـواع الموجـودة حاليًّا، وكلهـا - أيضًـا - تدل على أن الإنسان القديم كان أقل رقيًّا من الإنسان الحالي، ويرون أنه لو عثر على أحافير جديـدة فسـوف يتم العثـور على الشكل الذي تطور منه الإنسان[3].

**2- تشابه الأجنة[4]:**

اعتمـد أصـحاب نظريـة النشـوء والارتقـاء على علم الأجنـة لإثبات نظريتهم، وذلك لما يوجـد من تشـابه - في زعمهم - بين أجنة مختلف الحيوانات في مراحلها الأولى.

وهذه الأجنة ومراحل تكونها تمثل عندهم إعادة لتـاريخ حيـاة الكائنات بقانون الاستعادة.

فالمراحل التي يمر بها الجنين أثناء تطـوره وتكـون أعضـاؤه

---

1 () إنسان نياندرتال: يزعمون أنه نموذج الإنسان ما قبل التاريخ الـذي عـاش في أجـزاء من أوربـا وآسـيا وأفريقيـا من نحـو 100000 إلى 35000 سـنة مضـت، نسـبة لـوادي نيانـدرتال في ألمانيـا. انظـر: الموسوعة العربية العالمية (3/250).

2 () إنسـان بلتـدون (بالإنجليزيـة): Piltdown Man كـان خدعـة كبيرة قدمت فيها بقايا عظام متحجرة على أنها تعود للإنسـان الأول. هـذه البقايـا تتـألف من عظـام فـك وأجـزاء من جمجمـة جمعت في عـام 1912م من منجم حصى في بلتداون شرق ساسكس في إنجلـترا. أعطي لهـذه العينـة اسم الإنسان الفجري أو باللاتينية Eoanthropus. ظلت أهمية هذه القطـع المتحجـرة موضـع جـدل حـتى سـطعت الحقيقـة في عام 1953م، وهي أن هذه القطع ما هي إلا قطع مزورة تم تركيبهـا عمدًا - فالفك السفلي هو لقرد الغاب وبقايا الجمجمة تعود لجمجمـة إنسان حديثة. كذبة إنسان بلتداون ربما تعد الكذبة الأشهر في مجال الحفريات والآثار، وحتى على الصـعيد العلمي وذلـك لسـبب رئيسـي مهم وهو طول المدة التي مضت حتى كشفت الحقيقـة – قريبًـا من 40 عامًا انظر الشبكة العنكبوتية موقـع: ويكبيبيـديا (ar. wipedia.org).

3 () انظر: نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها (72).

4 () انظر: توحيد الخـالق، للزنـداني (3/ 82)، وتهـافت نظريـة داروين في التطـور أمـام العلم الحـديث، أورخـان محمـد علي، مؤسسـة الرسالة، بيروت، ط1، 1418هـ (38)، والموسوعة العربية العالمية (25/ 252)، ونظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها (68).

المختلفة تحكي قصة التطور التي يمر بها الفرد في تطوره عن أسلافه.

وعملية تكوين الجنين في الإنسان ما هي إلا استعادة لأطوار الجنين في عالم الحيوانات التي تعتبر أقل مرتبة منه، فـالجنين ينتهي بما يشبه الذيل في كـل من الإنسـان والحيـوان، وبتطـور الجــنين يختفي الــذيل في جــنين الإنســان، ويبقى في جــنين الحيوان[1].

## 3- علم التشريح المقارن[2]:

يزعم أنصار هذه النظرية أن من أدلتهم عليها: وجودَ سـمات عامـة، أو أوجـه شـبه في البـنى التركيبيـة بين أفـراد مجموعـة تصنيفية معينة.

وهناك تشابه بين جميع الحيوانات في تـركيب أجسـامها من خلايـا متشـابهة، وأنسـجة وأعضـاء متماثلـة، فأنسـجة الكبـد والمعدة لا تختلف جوهريًّا في الأرنب عنها في الإنسان.

وذلـك - أيضًـا - مثـل تشـابه بنيـة ذراع الإنسـان مـع السـاق الأمامية للحصان، ومع جناح الخفاش[3].

## 4- الأعضاء الأثرية[4]:

من أهم الأدلة التي قدّمها التطوريون لإثبـات نظـريتهم هي: أن جسـم الإنسـان يحتـوي على أعضـاء لا تعـرف لهـا وظيفـة معينة، أو على أعضاء ضامرة، إذن فهي - على زعمهم - أعضاء أثريــة انتقلت إلى الإنســان من أســلافه من الحيوانــات، حيث كانت هذه الأعضاء ذات فائدة لها آنذاك، وعنـدما تطـورت هـذه الحيوانات وترقت إلى مستوى الإنسـان لم تعـد لهـا أي فائـدة، فبقيت في جسم الإنسـان من دون أي وظيفـة أو فائـدة سـوى الإشارة إلى أن الإنسان قد انحدر من سلالة حيوانية[5].

---

1 () انظر الموسوعة العربية العالمية (25/ 252).

2 () انظــر: تهــافت نظريــة داروين في التطــور (47)، والموســوعة العربيـة العالميـة (25/ 252)، والإنسـان والداروينيـة (69)، ونظريـة داروين بين مؤيديها ومعارضيها (55).

3 () انظر: المراجع السابقة.

4 () انظـــر: تهـــافت نظريـــة داروين في التطـــور (32)، والإنســـان والداروينية (70)، ونظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها (59).

5 () انظر: تهافت نظرية داروين في التطور (39).

فوجود الزائدة الدودية في الإنسـان الـتي هي المسـاعد في هضم النباتات وليس لها الآن عمل في الإنسان مما يوحي بأنهـا أثـر بقي من القـرود لم يتطـور؛ لأنهـا تقـوم بـدورها في حيـاة القرود الآن[1].

**القوانين التي بنيت عليها نظرية النشوء والارتقاء:**

**1- ناموس تنازع البقاء[2]:**

ويـرى داروين أن الكائنـات الحيـة في تنـازع مسـتمر، وأن الأقـوى منهـا هـو الـذي يبقى، بينمـا يتلاشـى الضـعيف لعـدم صلاحيته للحياة.

ويمثـل لـذلك بسـرب الأبقـار الوحشـية حين تـتزاحم على المـرعى، فيفـوز القـوي، ويـزداد قـوة إلى قوتـه، بينمـا يـزداد الضعيف ضعفًا إلى ضعفه حتى يتلاشى، وهذا ما يعرف بناموس البقاء عندهم[3].

**2- ناموس الانتخاب الطبيعي[4]:**

يشرح داروين هذا الناموس معقبًا على ما مثل به من سرب الأبقار: فإذا انتقل هذا السرب إلى مسافة بعيدة، ومـر بطريـق وعرة فإن الأقوى هو الذي يصـل إلى مأمنـه، بخلاف الأضـعف، وهذا يعني أن نتيجة هذا التنـازع كلـه بقـاء الأصـلح، وهلاك غـير الأصلح[5].

فعوامـل الفنـاء تقـوم بـإهلاك الكائنـات الضـعيفة الهزيلـة، والإبقاء على الكائنات القوية، فيبقى القوي الذي يـورث صـفاته القوية لذريته، وتتجمع الصفات القوية، مع مرور الـزمن مكونـة صفة جديدة في ذلك الكائن، وهو مـا يعـرف بــ(النشـوء) الـذي يجعـل الكـائن يـرتقي بتلـك الصـفات الناشـئة إلى كـائن أعلى، وهكذا يستمر التطور، وهذا ما يعرف بـ(الارتقاء)[6].

1 () انظر: توحيد الخالق، للزنداني (3/ 82).
2 () انظر: الإسلام ونظرية داروين (43)، والإنسان والداروينية (43).
3 () انظر: المراجع السابقة.
4 () انظر: الإسلام ونظرية داروين (44)، والإنسان والداروينية (44).
5 () انظر: المراجع السابقة.
6 () انظر: توحيد الخالق، للزنداني (3/ 82).

**3- ناموس المطابقة[1]:**

يرى داروين أن لنوعية الأغذية وطرق الوصول إليها دخلاً كبيرًا في إحداث الاختلافات بين الأنواع.

ويمثل لذلك بالأسد؛ إذ هو من الحيوانات المفترسة آكلات اللحوم، له أنياب حادة، وبراثن قوية، فلو أوجد الأسد على مر آلاف السنين في مكان لا يمكنه الافتراس فيه، ثم أجبر على تعاطي الأغذية النباتية، لاضطر لتعاطيها، ثم بطلت وظيفة أنيابه الحادة وأظفاره الماضية، فتضعف لإهمالها وتتغير تدريجيًّا، وتكون أمعاؤه تحاكي أمعاء آكلات الأعشاب من الحيوانات، ولو فرض أنَّ هذه النباتات لا تتسنى له إلا بخوض نهر، أو تسلق أشجار، فسوف تظهر فيه على التوالي أعضاء تناسب ذلك[2].

**4- ناموس الوراثة[3]:**

ومعنى هذا الناموس: أن الصفات العرضية التي تحدث في الآباء بواسطة اختلاف الأحوال والأوساط المعَشِيَّة تنتقل إلى الأبناء، فتنشأ تلك الأبناء مختلفة فيما بينها، ولا يزال هذا الاختلاف يقوى على مر الأجيال والقرون، حتى تستحيل الصفات العرضية إلى صفات جوهرية، وهي في الأصل اختلافات بسيطة، تحولت مع توالي الحقب حتى تأصلت في الكائن الحي فأدت به إلى مباينة الأصل الذي نشأ منه، فيظن الرائي أنهما نوعان مستقلان، وهما نوع واحد[4].

**علاقة نظرية النشوء والارتقاء بالحيوان:**

من خلال الحديث السابق عن نظرية النشوء والارتقاء وبيان المراد بها، والأدلة التي اعتمد أصحابها عليها في بناء هذه النظرية، ثم تلك القواعد التي زعموا أن النظرية تسير عليها، يتجلى للباحث بوضوح علاقة هذه النظرية بالحيوان، وذلك من خلال النقاط التالية:

1- الحياة كما تصورها هذه النظرية تكونت من المادة مباشرة

---

1 () انظر: الإسلام ونظرية داروين (44)، والإنسان والداروينية (44).
2 () انظر: المراجع السابقة.
3 () انظر: المراجع السابقة (45).
4 () انظر: المراجع السابقة (45).

بفعل الطبيعة، حيث جاءت الحياة نتيجة تفاعل طبيعي بين أجزاء المادة.

فالحيوان الذي هو أصل الإنسان - على زعم أصحاب هذه النظرية - تولد من المادة دون تدبير من الخالق، بل الطبيعة هي التي أوجدته.

وعمدة النظرية في ذلك مذهب (أرنست هيكل) وتفصيله أن الكون مؤلف من المادة، والمادة مؤلفة من الذرات، ومن هذه المادة ظهر كل ما في الكون من أحياء وغير أحياء، وحركة العالم هي حركة تطور دائم يبتدئ من أبسط الذرات وينتهي إلى أرقى الكائنات.

والكائنات كلها تتألف من عناصر واحدة لا فرق بين حي وغير حي؛ لأن عناصر المواد العضوية موجودة في المواد غير العضوية، وأن بالإمكان تحضير بعض مركبات عضوية بطريقة صناعية، وبهذه الطريقة يمكن أن يوجد الإنسان كائنًا حيًّا دونما احتياج إلى إله ينفرد بالخلق والتكوين[1].

2- زعمت هذه النظرية أنّ حياة الحيوان والنبات وجدت بمحض الصدفة، ومن دون أن يكون هناك تصميم أو قصد بحدوثهما؛ لأن النظرية الداروينية آلية بحتة تستبعد كل غائية، وتعتمد على محض الاتفاق أو الصدفة في حياة الحيوان والنبات[2].

3- الحيوان - كما يزعم أصحاب هذه النظرية - كلّه يرجع إلى أصل واحد، وهو الخلية الأولى - كما سبق - وعن طريق النشوء والارتقاء تتطور من طور إلى آخر؛ فما كان يمشي على بطنه قد تحول إلى حيوان من ذوات الأربع، وأن هذه التغيرات والتطورات للحيوان تجيء تبعًا لتغير البيئة وتبدل ظروف المعيشة.

فلا يوجد حيوان نشأ على صفته الحالية منذ بدايته؛ بل هو متطور عن حيوانات سابقة له، وهكذا.

4- عوامل الطبيعة عند أصحاب هذه النظرية هي التي أكسبت الحيوان خصائصه وأعضاءه الجسدية تبعًا لتغير البيئة وتبدل

1 () انظر: الإسلام ونظرية داروين (27، 31).

2 () انظر: الإنسان والداروينية (38)، ومصرع الداروينية، محمد علي يوسف، تقديم: د. محمد علي البار، دار الشروق، جدة، ط1، 1403هـ، (89).

ظروف المعيشة، فأعضاء الحيوان مثلاً إذا أهملت لعدم الحاجة إليها تضمر وتتلاشى، وتظهر أعضاء جديدة يستطيع بها الحيوان العيش في البيئة الجديدة.

5- يزعم أصحاب هذه النظرية أنّ الإنسان كائن تطور من الحيوان؛ فالإنسان يرجع بأصله لحيوان وليس خلقًا مستقلاً خلقه الله ، وأوجده على هذه الصورة، هكذا يزعم أصحاب هذه النظرية.

وفي المسألة القادمة - إن شاء الله - الحديث عن هذه النظرية وبيان بطلانها وبالله التوفيق، ومنه العون والسداد.

**المسألة الثانية: نقض نظرية النشوء والارتقاء وبيان بطلانها:**

نظرية النشوء والارتقاء نظرية مناقضة للشرع والعقل، ويتبين زيفها وبطلانها من خلال المسائل الآتية:

1- تقوم هذه النظرية على الزعم بأن الحياة نشأت على الأرض صدفة دون خالق؛ بل الطبيعة هي التي خلقت الحياة، وهي التي وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء وحرمت بعضًا آخر من الحياة فهلك، وهي حين تصنع ذلك تخبط خبط عشواء، وهي تخلق كل شيء، ولا حد لقدراتها على الخلق[1].

فما هي هذه الطبيعة التي أوجدت المخلوقات؟

إن الطبيعة لا تخلو من المفاهيم الآتية[2]:

أ- إمَّا أن يراد بها ذوات الأشياء من جماد ونبات وحيوان؛ فتكون الطبيعة هي الكون نفسه.

وفساد هذا المفهوم بيِّن لا يحتاج إلى الوقوف عنده؛ لأنّ مفاده أن السماء هي التي أوجدت السماء، والأرض هي التي أوجدت الأرض، فتكون الأشياء أوجدت نفسها، فهي الحادث والمحدث، وهي الخالق والمخلوق في

---

[1] () انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، ط6، 1412ه، (94-97)، والعلمانية للحوالي (179).

[2] () انظر: العقيدة في الله، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، بيروت، ودار النفائس، الكويت، ط7، 1411هـ (75-79)، والشرك في القديم والحديث، أبو بكر زكريا، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1422هـ (2/ 722-730).

الـوقت ذاتـه، والعقـل الإنسـاني يـرفض التسـليم بـأنّ الشيء يوجد نفسه، كما أن الشيء لا يخلـق شـيئًا أرقى منه، فالطبيعة من سماء وأرض ونجوم لا تملـك عقلاً ولا سـمعًا ولا بصـرًا، فكيـف تخلـق إنسـانًا سـميعًا بصـيرًا عليمًا؟.

فكما أنّ هذه الأشياء لا تخلق نفسها، فهي أيضًا لا يعقل أن توجد من غير موجد لها، وصدق الله تعالى: ﴿ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ﴾ [الطور: 35].

فيقال لهم: متى خَلَقُوا أنفسهم؟ هـل قبـل أن يُخلقـوا - أي حين كانوا عدما -؟ فالعدم لا يكون سببًا للوجود -عقلاً- أم بعد ما خُلقوا؟ فوجودهم تحصيل حاصل.

ب- المفهوم الثاني للطبيعة هي: تلك القـوانين الـتي تحكم الكـون؛ بمعـنى أنهـا صـفات الأشـياء وخصائصـها، فهـذه الصفات من حـرارة وبـرودة ورطوبـة ويبوسـة وملاسـة وخشـونة، وهـذه القابليـات: من حركـة وسـكون ونمـو واغتذاء وتزاوج وتوالد، كل هذه الصفات والقابليـات هي الطبيعة.

وهذه صفات شيء قد خُلق فكيف تكـون الصـفة علـة في وجود الموصوف، ثم الموصوف مخلوق أصلاً فكيـف توجده صفته وهو موجود؟.

وهــذا المفهــوم في الحقيقــة ليس فيــه تفســير وتوضــيح للطبيعة، بل هو توضيح للكيفية التي يعمل فيها الكون، فلم نجد في هذا المفهوم إجابة عن موجد الكون وموجد القـوانين الـتي تحكمه.

إذا ثبت عدم صلاحية أي من المفهومين السابقين لأن يكون تفسيرًا للطبيعة التي زعم أنصارها أنها هي التي أوجدت الحيـاة وخلقت المخلوقـات، فيبقى مفهـوم ثـالث لا بـدّ أن يقولـوا بـه، وهو: أنّ الطبيعة قـوة أوجـدت الكـون، وهي قـوة حيـة سـميعة بصيرة حكيمة قادرة...، وهذا حقٌّ ولكنّ الباطل تسميتكم لـذلك بالطبيعـة؛ إذ الاسـم الحقيقي لـذلك هـو: اللـه ﷻ، فهـو سـبحانه الــذي فُطِــرت الكائنــات على معرفتــه، وإفــراده بالربوبيــة والألوهية.

يقول الإمام ابن القيم - رحمـه اللـه - بعـد حديثـه عن خلـق

الإنسان، وما أودع الله فيه من عجائب: «فمن الذي تولى ذلـك كلّه وأحكمه، ودبّره وقدّره فأحسن تقديره؟

وكأني بك أيها المسكين تقول: هـذا كلـه من قبـل الطبيعـة، وفي الطبيعة عجائب وأسرار؛ فلو أراد اللـه أن يهـديك لسـألت نفسـك بنفسـك، وقلت: أخبريـني عن هـذه الطبيعـة، أهي ذات قائمة بنفسها، لهـا علم وقـدرة على هـذه الأفعـال العجيبـة؟ أم ليست كذلك؟ بل هي عرض وصـفة قائمـة بـالمطبوع تابعـة لـه محمولة فيه؟.

فإن قالت لك: بـل من ذات قائمـة بنفسـها، لهـا العلم التـام والقـدرة والإرادة والحكمـة فقـل لهـا: هـذا هـو الخـالق البـارئ المصور، فلم تسـمينه طبيعيـة، ويـا للـه من ذكـر الطبـائع ومن يرغب فيها فهلا سميته بما سمى بـه نفسـه على ألسـن رسـله ودخلت في جملة العقلاء والسعداء فإن هـذا الـذي وصـفت بـه الطبيعة صفته تعالى وإن قالت تلك: بل الطبيعة عرض محمول مفتقر إلى حامل وهـذا كلـه فعلهـا بغـير علم منهـا ولا إرادة ولا قدرة ولا شعور أصلا وقد شوهد من آثارها ما شوهد! فقـل لهـا هذا مالا يصدقه ذو عقل سليم، كيف تصدر هذه الأفعال العجيبة والحكم الدقيقـة الـتي تعجـز عقـول العقلاء عن معرفتهـا وعن القدرة عليها ممن لا عقـل لـه ولا قـدرة ولا حكمـة ولا شـعور؟ وهل التصديق بمثل هذا إلا دخول في سلك المجانين...

على أنك لو تأملت قولك: (طبيعة) ومعنى هذه اللفظة لدلك على الخالق البـارئ لفظهـا كمـا دل العقـول عليـه معناهـا؛ لأن (طبيعة) فعيلة بمعنى مفعولة أي مطبوعة ولا يحتمـل غـير هـذا ألبتة لأنها على بناء الغرائز التي ركبت في الجسم ووضعت فيه كالسجية والغريزة والبحيرة والسليقة والطبيعة فهي التي طبـع عليها الحيوان وطبعت فيه، ومعلوم أن طبيعة من غير طابع لها محال، فقد دل لفظ الطبيعة على البارئ تعالى كمـا دل معناهـا عليـه، والمسـلمون يقولـون إن الطبيعـة خلـق من خلـق اللـه مسخر مربوب، وهي سنته في خليقته التي أجراها عليه ثم إنـه يتصـرف فيهـا كيـف شـاء وكمـا شـاء، فيسـلبها تأثيرهـا إذا أراد ويقلب تأثيرها إلى ضده إذا شاء، ليرى عباده أنه وحـده الخـالق البارئ المصور، وأنه يخلق ما يشاء كمـا يشـاء، وإنمـا أمـره إذا أراد شيئا أن يقـول لـه: كن، فيكـون، وإن الطبيعـة الـتي انتهى

نظـر الخفـافيش إليهـا إنمـا هي خلـق من خلقـه بمنزلـة سـائر مخلوقاته، فكيف يحسن بمن لـه حـظ من إنسـانية أو عقـل أن ينسى من طَبَعَها وخَلَقَها ويحيل الصنع والإبداع عليها؟!»[1].

وحين يزعم دعاة نظريـة النشـوء والارتقـاء حـدوث التطـور والحياة نتيجة الصدفة؛ فيقال لهم: إنّ هذا العـالم ومـا فيـه من أسرار أكبر شاهد على المـدبِّر الحكيم، فمـا يحـدث في الكـون من تقـدير الأرزاق والآجـال، ومـا عليـه الكـون من إبـداع، ومـا يحتوي عليه من أسرار لا مرد له إلى العشوائية والارتجال.

وردًّا على قـول بعض الملاحـدة: إنـه لـو جلسـت سـتة من القـردة على آلات كاتبـة، وظلت تضـرب على حروفهـا بلايين السـنين، فلا نسـتبعد أن نجـد في بعض الأوراق الأخـيرة الـتي كتبتها قصيدة من قصائد شكسبير، فكذلك الكون الموجود الآن، نتيجة لعمليات عمياء، ظلت تدور في المـادة لبلايين السـنين[2]؛ يقول وحيد الدين خان: «إنّ أي كلام من هذا القبيل (لغو مثـير) بكل ما تحويه هذه الكلمة من معان، فإنّ جميع علومنا تجهـل - إلى يوم الناس هذا - أي مصـادفة أنتجت واقعًـا عظيمًـا ذا روح عجيبـة، في روعـة الكـون وينقـل عن عـالم آخـر إنكـاره لهـذه المقالة: (إنَّ القول بأنّ الحياة وجدت نتيجـة (حـادث انتفاضـي) شبيه في مغـزاه بـأن نتوقـع إعـداد معجم ضـخم نتيجـة انفجـار صدفي في مطبعة)»[3].

والعلم الحـديث يكشـف لنـا كـل يـوم أن هـذا الكـون الـذي نعيشه فيه نظام بيئي مـتزن، لدرجـة متناهيـة في الدقـة، وهـذا أمر لا يمكن أن يحدث مصادفة.

وحول دعوى تكون جزيء الـبروتين نتيجـة لتجمـع مجموعـة من الأحماض الأمينية صدفة - كمـا سـبق في المسـألة الأولى - يحدثنا أ. د. عبد الخـالق حامـد السـبيعي فيقـول: «قـام العـالم (شارلز إيجين جاي) بحساب احتمال التكوين بعامـل المصـادفة لجزيء بروتين واحد، فوجد أن هذا يمكن أن يحـدث مـرة كلمـا مرت فترة زمنية لا تقـل عن (10) أس (243)، من السـنوات، وهذا يزيد على بلايين أضـعاف عمـر الأرض، وهـذا هـو احتمـال

1 () مفتاح دار السعادة (2/ 196-198).
2 () انظر: العقيدة في الله، عمر الأشقر (73).
3 () نقلاً عن المرجع السابق (73-74).

تكون جزيء واحد فقط من البروتين غير المتخصص.

وفي عـام 1963م قـام عالمـا الكيميـاء الحيويـة (مـاكولم ديكسون) و(أيـدويب) بحسـاب احتمـال تكـون جـزيء الـبروتين ذاتيًّا نتيجـة مجـرد التقـاء جزيئـات أحمـاض أمينيـة في مخلـوط منها، وقد تبين أن هذا الاحتمال لكي يتحقق يقتضـي حجمًـا من مخلـوط الأحمـاض الأمينيـة المعروفـة يصـل إلى أضـعاف حجم الكرة الأرضية بمقدار (10) أس (50) ضعفًا، كـل ذلـك لمجـرد تكون جزء بروتين واحد من النوع العادي غـير المتخصـص، أمـا احتمال تكون جزيء بروتين متخصص مثل (الهيموغلوبين) فـإن الحسـاب قـد وصـل إلى ضـرورة تـوافر حجم من مخلـوط الأحمـاض الأمينيـة لا يقـل عن (10) أس (512) ضـعف حجم الكون كله.

فما أروع قدرة الخالق  الذي منح أجسامنا الحياة والقـدرة على أن تبني هذه الجزيئات بدقة بالغـة ليلاً ونهـارًا، حـتى ونحن نيام، حقًّا ما أروع قدرة الخالق »[1].

فهـذه النظريـة كمـا يتـبين لكـل بـاحث منصـف قـامت على الإلحاد وإنكار الخالق .

ولهذا نجد مذاهب الفلسفة الماديـة والإلحاديـة الـتي سـادت أوربا في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشـرين قـد احتضنت نظرية النشوء والارتقاء كجزء من معتقداتها المذهبية، ذريعة لإنكار وجود الخالق[2].

ومع اعتراف بعض أنصار هذه النظرية بخلوهـا من الـبراهين نجدهم يصرون على الاعتراف بها؛ لأنّ فيها إنكارًا للخالق .

يقـول السـير آرثـر كيث: «إن نظريـة النشـوء لا زالت حـتى الآن بدون براهين - وسـتظل كـذلك- والسـبب الوحيـد في أننـا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن لهـا هـو الإيمـان بـالخلق

---

1 () مجلـة الـوعي الإسـلامي، وزارة الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية، الكويت، عـدد (456)، السـنة (4)، شـعبان، 1424هـ (53)، وانظـر أيضًا تفصيلاً جميلاً لاستحالة تكون الـبروتين صـدفة: داروين ونظريـة التطور (41-63).

2 () انظر: مجلة الوعي الإسلامي، مقـال أ. د. عبـد الخـالق السـبيعي، عدد (456)، (53).

المباشر، وهذا غير وارد على الإطلاق»[1].

ويقـول واطسـن: «إن علمـاء الحيـوان يؤمنـون بالنشـوء لا كنتيجة للملاحظة أو الاختبـار أو الاسـتدلال المنطقي، ولكن لأن فكرة الخلق المباشر بعيدة عن التصور»[2].

إذًا هي إلحاد يقابله إيمان باعتراف مؤيِّديها.

2- لا يزال السلف المباشر للإنسان، والذي تطور من القــرود - كما يزعم التطوريون - وهو مـا يعـرف (بالحلقـة المفقـودة) مجهولاً، وسوف يظل كذلك؛ لأنه في الحقيقة شيء معـدوم، فأين ذهبت هذه الحلقة؟

هل اختفت قبل أن تتطور لتصبح ذلك الإنسان؟

لماذا بقيت القرود وهي أقل منها رتبة؟

وكـذلك الحلقـات المفقـودة؛ فإنهـا ناقصـة بين طبقـات الأحياء، وليست بالناقصة بين الإنسان وما دونـه فحسـب، فلا توجـد - أيضًـا - حلقـات بين الحيوانـات الأوليـة ذات الخليـة الوحيـــدة، والحيوانـــات ذوات الخلايـــا المتعـــددة، ولا بين الحيوانــات الرخــوة ولا بين المفصــلية، ولا بين الحيوانــات اللافقرية، والفقرية، ولا بين الأسـماك والحيوانـات البرمائيـة، ولا بين الأخــيرة والزحافــات والطيــور، ولا بين الزحافــات والحيوانات الأديمية[3].

3- إذا كان قانون النشوء والارتقاء حكمًـا لعمليـة التطـور، فإنـه كان ينبغي أن تحدث خلال تاريخ البشرية بعض التحولات بين الأنواع جميعًـا، ولكن التـاريخ لم يسـجل حالـة واحـدة تحـول فيها نوع إلى نـوع آخـر، بـأن أصـبح الحمـار حصـانًا، أو الفـأر أرنبًـا، أو القـرد إنسـانًا، ولكن المشـاهد هـو احتفـاظ الأنـواع سواء أكانت نباتية أم حيوانية بخصائصها[4].

4- لمـاذا توقـف التطـور عنـد الإنسـان؟ فلم يـترق الخلـق من إنسان إلى كائن أرقى منه، وفقًا لنظرية النشوء والارتقاء.

أليس في هذا دليلٌ على بطلان هـذه النظريـة المزعومـة، وأن المخلوقات أوجدها الله ، على هيئتها لحكمة يريدها .

---

1 () نقلاً عن العلمانية، للحوالي (185).

2 () نقلاً عن العلمانية، للحوالي (185).

3 () انظر: توحيد الخالق (3/ 85).

4 () انظر: الموسوعة العربية العالمية (25/ 253).

5- المـدة اللازمـة للتطـور - على زعم أصـحاب هـذه النظريـة- تزيد على سبعة بلايين سنة، بينمـا عمـر الأرض - كمـا قـدره الفلكيون والطبيعيون - لا يربو على ثلاثة بلايين سنة، فالفرق كبير جدًّا[1].

6- تطور الكائنات بعضها من بعض يمكن أن يقبـل فيمـا يتعلـق بالحيوان لو أثبت العلم ذلك إثباتًا قاطعًا، وصدقه الواقع، مـع أن ذلك يستحيل إثباته.

يقول أورخان محمد علي: «إنَّ أمامنا مئات الآلاف من أنواع المخلوقات الحيوانية منها والنباتيـة، لم تثبت إلى الآن ولا حالـة واحدة من التحول من نـوع إلى نـوع آخـر، لم تثبت هـذه لا في سـجل الحفريـات، ولا في المحـاولات العديـدة الـتي جـرت في مختبرات عديدة لتحويل بعض الأحياء مثـل (ذبابـة الفاكهـة) من نـوع إلى آخـر، ونحن نتحـدى أنصـار التطـور كلهم على الإثبـات بحالة واحدة فقط من التحول من نوع إلى نـوع آخـر...هـذا هـو المهم، المهم هو الإثبات بإثبات واحد والإشارة إلى حالة واحـدة فقط، لا نريد أكثر، تم فيهـا مثـل هـذا التحـول، أمـا الإكثـار من استعمال المصطلحات العلمية في غير مواضعها الصحيحة فهـو إما خداع أو جهل»[2].

أما ما يتعلق بالإنسان فإن النصوص الشرعية بينت المراحل التي خلق بهـا آدم ، وهي الـتراب فـالطين فالحمـأ المسـنون، فالصلصال.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ﴾ [آل عمران: 59].

وقال سبحانه: ﴿ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ﴾ [ص: 71-72].

وقال سبحانه: ﴿ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ﴾ [الحجر: 28].

وقال سبحانه: ﴿ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ﴾ [الرحمن: 4].

فقد بينت هذه الآيات المراحل التي مـر بهـا خلـق الإنسـان، وأن بداية خلقه كانت من تراب كما دلّ عليه قوله سـبحانه: ﴿ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ﴾ [الحج: 5]، ثم بُلّ ذلك التراب فصار طينًا يعلق بالأيدي كما قال سبحانه: ﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ﴾ [الصافات:

[1] () انظر: توحيد الخالق (85).
[2] () تهافت نظرية داروين في التطور (60).

11]، ثم اسودَّ ذلك الطين وتغيَّر فصار حمأ مسنونًا، ثم يبس حتى صار صلصالاً، أي تسمع له صلصلة من يبسه[1].

فهذه هي المراحل التي كانت بداية خلق آدم عليه الصلاة والسلام، ولو كان هناك مراحل قبلها أو بعدها لبينها ربُّنا ، وقد بين ربنا تبارك وتعالى البداية واضحة بقوله:    ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ [السجدة: 7-9].

وفي هذه الآيات رد صريح واضح على من زعم عدم ورود شيء يثبت أن أبانا آدم لم يسبقه إنسان قبله من نوع آخر، وأن الأدلة لم تدل على نفي وجود أمم قبل أمة أبينا آدم[2].

فالله  أخبر بأنه خلق آدم من تراب وأخبر أنَّ بداية خلق الإنسان كانت من طين، وهذا الإنسان هو آدم عليه الصلاة والسلام، كما في قوله سبحانه: ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ [ص: 71]، فكيف يقال مع ذلك: إن الأدلة لم تدل على أسبقية آدم عليه الصلاة والسلام.

وإذا كان دعاة التطور يزعمون أن الإنسان تطور من غيره من الكائنات فإن القرآن الكريم يبطل ذلك بقوله تعالى: ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ [النساء: 1]، فبني آدم كلهم يرجعون إلى نفس واحدة، فلو كان قبل آدم أنفس من حشرات وغيرها لم يقل سبحانه: (نفس واحدة).

ودعوى تطور الإنسان من حشرة حتى وصل إلى ما وصل إليه يبطله قوله تعالى:  ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ [ص: 72].

فأخبر الله  الملائكة أنه خالق بشرًا من طين، فإذا سواه ونفخ فيه من روحه فعليهم السجود له، فهل كان نفخ الروح في هذا المخلوق بعد أن وصل إلى صورته الحالية فقط، وكان قبل بلا روح، فتكون تلك الأطوار التي مر بها من حشرات... حتى قبل وصول صورته الأخيرة بلا روح، أم أن الروح نفخت فيه منذ نشأته الأولى، ومتى أمرت الملائكة بالسجود له إذا كانت الروح قد نفخت فيه قديمًا، كل ذلك يبين ضلال هذه النظرية.

---

1 () انظر: أضواء البيان (3/ 144).
2 () هذا ما قرره محمد أحمد باشميل في الإسلام ونظرية داروين (160).

فهل سجود الملائكة كان للحشرات أو غيرها من الحيوانـات إذا كانت الروح قد نفخت فيه قبل وصوله إلى حالته الأخيرة؟.

أم أن السجود كان بعد وصوله إلى حالته الأخيرة فيكون هذا السجود بعد عمر طويل لم يشـر إليـه ربنـا تبـارك وتعـالى حين قال: ﴿ ﴾ [ص: 72].

وكون الروح قد نفخت فيه بعد وصوله إلى مرحلتـه الأخـيرة وما قبله حشرات وحيوانات بلا روح بيِّن البطلان.

وأما احتمال نفخ الـروح فيـه أولاً، ثم كـون السـجود لـه بعـد وصوله إلى مرحلته الأخـيرة فقـد بينت السـنة بطلانـه - أيضًـا - فعن أنس[1] أن رسول الله ﷺ قال: ((لما صور اللـه تعـالى آدم  في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقًا لا يتمالك))[2].

فقد دلّ الحديث على أنّ الله  خلق آدم وصوره من الطين كما سبق بيانه، ثم تركـه فـترة بلا روح حـتى طـاف بـه إبليس، وذلك في الجنة.

فـإذا كـانت الـروح لم تنفخ في آدم  إلا بعـد تسـويته على صـورته الأخـيرة تـبين بطلان دعـوى التطـور من الحشـرات وغيرها.

والحديث دلّ - أيضًا - على أنّ الله  خلق آدم  في الجنـة، ثم تركه فيها بلا روح، فمتى مرت تلـك الأطـوار المزعومـة من حشرات وقرود؟ هل كانت الحشرات والقـرود في الجنـة؟ كـل ذلك يبين بطلان هذه النظرية التي لا سند لها عقلاً ولا شرعًا[3].

6- عنـد النظـر إلى الأدلـة الـتي اعتمـد عليهـا أصـحاب هـذه

---

1 () هو: أبـو حمـزة، أنس بن مالـك بن النضـر، الخـزرجي، الأنصـاري، خـدم النـبي ﷺ عشـر سـنين، وكـان من المكـثرين لروايـة الحـديث، وحدث عنه خلق كثير، توفي في البصرة سنة 93هـ، وقد جاوز عمره المائة. انظر: الإصـابة (1/ 126-128)، والثقـات لابن حبـان (3/ 4)، وتقريب التهذيب (115).

2 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتـاب الـبر والصـلة والأدب، بـاب: خلق الإنسان خلقًا لا يتمالك (1134) برقم (2611).

3 () انظر في بيان بطلان هذه النظريـة من الناحيـة الشـرعية: الآيـات الدالة على الله تعالى (450-499)، وأربع كلمات مفيدة في الأحكام والعقيدة، صالح البليهي، مطابع السلمان، 1409هـ (38-48)، حيث أورد أدلة كثيرة تدل على بطلانها.

النظرية، يجدها الباحث بنيت على سراب، ولا رصيد لها من الحقيقة والواقع.

فمن الأدلة التي استدلوا بها - كما سبق - علم الحفريات؛ حيث استندوا إلى أشياء أثرية وجدت في طبقات الأرض، فزعموا أنها تدل على وجود كائنات قديمة تطورت حتى وصلت إلى شبه الإنسان، وأن كل طبقة تحتوي على كائنات أرقى من الطبقة التي دونها.

ويجاب عن ذلك بأن علم الحفريات لا يزال ناقصًا، وعلى فرض وجود الكائنات الأولى البدائية أولاً، ثم الأرقى ليس دليلاً على تطور الكائنات الراقية من الكائنات الأدنى، بما هو دليل على ترتيب وجود هذه الكائنات فقط.

وإذا كانت الحفريات في زمن (داروين) تقول: إن أقدم عمر للإنسان هو ستمائة ألف سنة فإن الاكتشافات الحديثة في علم الحفريات قد قدّرت عمره إلى عشرة ملايين، وهذا دليل على أنّ علم الحفريات علم متغير لا يبنى عليه دليل قطعي.

وعلى افتراض صحة هذا العلم - أيضًا - فإنه يدل فقط على أن الحيوان الأرقى جاء بعد الحيوان الأدنى وليس هناك دليل على أن الأرقى جاء من الأدنى.

ومثال ذلك: لو عثر الباحثون بعد مليون سنة في الطبقات الأولى من الأرض على بقايا عربة يد، وفي الثانية بقايا عربة خيل، وفي الثالثة بقايا عربة سيارة، وفي الرابعة طيارة، فهل يدلُّ ذلك على تطور اليد بفعل ظروف الطبيعة من عربة يد إلى طائرة، أم أنّ هذا يدل فقط على مجيء الطائرة بعد عربة اليد، وهكذا[1].

وأمّا من دليل الأجنة، فإن تطور علم الأجنة كشف عن ضعف حجتهم، التي استندوا إليها من أن التشابه في الأجنة دليل على تحول الأنواع وتطورها، وقد أوضحت وسائل الكشف العلمي الحديث زيف هذه المعلومة، وأن هناك اختلافًا في أجنة الحيوان في تفاصيلها الدقيقة.

وقد كشف - أيضًا - علماء الأجنة والأحياء أنّ كل جنين من أجناس الكائنات الحية يتكون من مجموعة من خلايا، وأن نواة كل خلية من خلايا الإنسان تتكون من 46 كروموزومًا (صبغيًّا)،

---

[1] () انظر: توحيد الخالق (82-85).

وهو عـدد في كـل خليـة من خلايـا الإنسـان، فـإذا زاد العـدد أو نقص تعرض الإنسان لخلل عقلي أو اضــطراب خلقي، وبفحص خلايا القرد وجـد هـؤلاء العلمـاء أنّ نـوى خلايـاه تتكـون من 44 كرومزومًـا، وهـو عـدد ثـابت في نـوى خلايـا القـرد لا يزيـد ولا ينقص، وهذه الكروموزومات أو الصبغيات هي التي تحدد النوع، وهي العامل الرئيسي الذي يحـدد صـفات كـل كـائن حي، وقـد أثبت علم الأجنة أن عوامل الوراثة تجعل من المسـتحيل تطـور نوع إلى نوع آخر، لأن هناك عواملَ وراثيةً كامنـة في خليـة كـل نوع تحتفظ له بخصائص نوعه، وتحتم أن يظل في دائـرة النـوع الذي نشأ منـه، فالقـط أصـله قـط، وسـيظل قطًّا على الـدوام بمشيئة الله تعالى[1].

ويجـاب عن اسـتدلال أصـحاب هـذه النظريـة بعلم التشـريح المقارن وزعمهم: وجود سمات عامـة أو أوجـه شـبه في البـنى التركيبية بين أفراد مجموعة تصنيفية معينة.

هـل يمكن أن يقـال: إنّ التشـابه دليـل على تطـور الأنـواع بعضها من بعض؟

أليس هـذا دليلاً على إتقـان الخلـق ودقـة صـنعه، وأن الـذي خلق هذا النوع هو الذي خلق النـوع الآخـر، ومـع مـا بينهمـا من التشابه فقـد وهب سـبحانه لكـل نـوع منهـا سـمات خاصـة بـه، فتبارك الله أحسن الخالقين.

فهل يستطيع أحـد أن يقـول: إن وجـود العجلـة في الدراجـة والسيارة والطائرة والقطار يعتبر دليلاً على تطور كـل نـوع من النوع السابق له؟

أم أن هذا دليل على أن صنع هذه المكائن يعـود إلى مصـدر واحد، وهو الإنسان؟[2].

ولقد أثبت علم التشريح المعاصر فروقًـا هائلـة بين الإنسـان والقـردة، الـتي هي أقـرب الحيوانـات شـكلاً إلى الإنسـان، من ذلـك: القامــة عنــد الإنســان، ودقــة حاســة اللمس، والمهــارة اليدوية، ونمـو الـدماغ، وحجم الجمجمـة، والتعبـير بـالنطق عن الأفكار، وفوق ذلك كله يتمـيز الإنسـان بقـواه العقليـة والقـدرة

---

1 () انظر: الموسوعة العربية العالمية (25/ 252).

2 () انظــر: نظريــة داروين بين مؤيــديها ومعارضــيها (55)، وتهــافت نظرية داروين في التطور (47).

على التصور وتكوين الأفكار والتعبير عن الفكرة المجددة[1].

وأما دليل وجود أعضاء أثرية زائدة في الإنسان، وأن هذا دليل على بقائها من الأنواع السابقة له، والتي قد تطور منها الإنسان، فيقال لأصحاب هذه النظرية: إن العلم يكشف لنا كلّ يوم عن أشياء لا علم لنا بها؛ فإذا كانت هذه الأعضاء أو غيرها في حدود علمنا زائدة لا فائدة منها، فعلينا أن لا نتسرع فقد يكشف العلم عن فوائد لها، كانت مجهولة بالنسبة لنا.

يقول البروفيسور (داون ت. كيش): «كان التطوريون قد أعلنوا في يوم من الأيام أنّ (180) عضوًا في جسم الإنسان ليست سوى أعضاء أثرية لا فائدة منها، وأنها كانت مفيدة في السابق لأسلاف الإنسان من الحيوانات، ولكن على أي حال فإنّه بتقدّم العلم فقد تقلّص هذا العدد واقترب علميًّا من الصفر، فهناك أعضاء مهمة مثل الغدة العصترية، والغدة الصنوبرية، واللوزتين، والفقرات الذيلية اعتبرت في وقت من الأوقات أعضاء أثرية، فالغدة العصترية واللوزتان لهما وظائف الدفاع ضد الأمراض، أما الزائدة الدودية فهي تحتوي على أنسجة مشابهة للأنسجة التي توجد في اللوزتين، وهي أيضًا فعالة في الدفاع ضد الأجسام التي تغزو الجسم...»[2].

ويقول الزنداني عن الزائدة الدودية: «ولقد عرف أخيرًا أن الزائدة تقوم بوظيفة صمام أمن ضد العفونات في الأمعاء، كما أن العلم قد يكشف أن لها حكمة أخرى لا تزال غائبة عنا حتى اليوم»[3].

7- وأمّا القوانين التي اعتمد عليها أصحاب نظرية النشوء والارتقاء في بنائها فيمكن مناقشتها بما يلي:

**أولاً: ناموس تنازع البقاء:**

تنازع البقاء سنة كونية سنها الله ﻷ في خلقه، فكل المخلوقات في صراع مستمر من أجل البقاء، ومن أجل تأمين الحياة والغذاء، وقد أشار الله ﻷ إلى هذا في كتابه، فقال سبحانه: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [البقرة: 251].

فالناس والدوابّ في صراع مستمر، ومع ذلك فليس البقاء

---

[1] () انظر: الموسوعة العربية العالمية (25/ 252).
[2] () نقلاً عن: تهافت نظرية داروين في التطور (35).
[3] () توحيد الخالق (86).

دائمًا للأقوى، فنرى حيوانات صغيرة لا تملك شيئًا من وسائل القوة ما زالت منذ أن خلقها الله  تعيش بالقرب من الحيوانات الأخرى القوية، فلم تهلك هذه الحيوانات على قواعد هذه النظرية، بل بقيت القوية والضعيفة وربما غلبت القوية الضعيفة أحيانًا.

**ثانيًا: ناموس الانتخاب الطبيعي:**

فدعوى أن عوامل الطبيعة تقوم بإهلاك الكائنات الضعيفة والإبقاء على الكائنات القوية دليل لا يسلم لأصحاب هذه النظرية؛ فكما أن هناك عواملَ تقوم بإهلاك بعض الكائنات، فإن هناك عوامل أخرى تعمل بمقابلة ذلك؛ لأنّ الله  قدّر الحياة فهيأ أسبابها، فنجد الشمس والبحار والرياح والأمطار والنباتات والجاذبية، كل هذه وغيرها تتعاون للإبقاء على حياة الإنسان وغيره من الحيوانات[1].

وقد أغفل هذا القانون ما يقع من كوارث ونوائب يكون لها أثر كبير في تغييرات هائلة، وفي مساحات شاسعة، وتفعل الكوارث فعلها من غير تمييز أو انتخاب، فلم تكن الكوارث تختار الضعفاء وتبقي الأقوياء.

وإذا كان هذا الناموس صحيحًا، فلماذا انقرض الإنسان الأول (الأصلح حسب النظرية) وبقي الحيوان القرد الأقل مرتبة من الإنسان؟

إن القول بهذه القاعدة يستلزم انقراض القرد القديم وبقاء الإنسان الأول، وهو ما يعرف بالحلقة المفقودة، والكون يعج بالصالح والأصلح والفاسد على السواء[2].

**4- ناموس المطابقة:**

إن ما يعزوه أصحاب هذه النظرية إلى ناموس المطابقة هو ما سبق الكلام عنه عند الحديث عن الطبيعة وزعمهم أنها تخلق، ولا حد لقدرتها على الخلق؛ فهي هنا تشبه تصرف الخالق  بمخلوقاته، فهي تهب لبعض المخلوقات يدًا، وللبعض الآخر جناحًا، فلها تصرف في عالم الأحياء لا نهاية له.

فإذا كانت البيئة تؤثر على الحيوانات فلماذا أثرت على

---

1 () انظر: توحيد الخالق (87).

2 () انظر: الموسوعة العربية العالمية (25/ 254).

الحيوانات الفقرية فطورتها ووقفت بالحيوانات اللافقرية مع أن الظروف التي مرت عليها واحدة، وهما أصل واحد[1]؟

**5- ناموس الوراثة:**

ويكفي في رد هـذا النـاموس مـا ذكـره أ. د. عبـد الخـالق السـبيعي بقولـه: «حين أعلن (داروين) نظريـة التطـور كـان لا يعلم شيئًا عن قوانين (مندل) للوراثـة، وعلم الوراثـة وهـو علم راسخ الأركان يقطع بأن الكائنات تتـوارث صـفاتها الوراثيـة عن طريــق الجينـات الوراثيــة للأبــوين بغض النظــر عن الظــروف البيئية، بينمـا تصـر نظريـة التطـور على القـول: إنـه يتم تطـور صــفات الكائنـــات بتـــأثير ضـــغط البيئـــة والتنـــافس من أجـــل البقاء»[2].

فـــدعوى أن حـــدوث نشـــوء لبعض الخصـــائص والصـــفات العارضة ثم توريثهـا في النسـل يرفضـها علم الوراثـة الحـديث، فكل صفة لا تكمن في الناسـلة ولا تحتـوي صـبغة من صـبغاتها فهي صفة عارضة لا تنتقل إلى الذرية بالوراثة.

مثال ذلك: الحداد قوي العضلات، لا تنتقل قوة العضلات إلى ذريته، كما أن العالم الغزيـر العلم لا ينتقـل علمـه بالوراثـة إلى أبنائه[3].

وبعد مناقشة هذه النظرية يحسن القـول: إنَّ هـذه النظريـة منذ أن انتشرت قوبلت بالرد والإنكار، ليس من علمـاء الإسـلام ورجال الكنيسة فحسب؛ بل حتى من علماء الغرب الذين أثبتت لديهم البحوث والدراسات زيف هذه النظرية.

1- يقول (فون باير) مؤسس علم الأجنة: إن الـرأي القائـل: إن النـوع الإنسـاني متولـد من القـردة السـيمانية، هـو بلا شـك أدخل رأي في الجنون قاله رجل على تاريخ الإنسانية[4].

2- يقــول الــدكتور (جوســتاف جولــبر): يكفي لإبطــال نظريــة داروين أن يتأمل الإنسان الحشـرة، فإنهـا ظهـرت في أقـدم

---

1 () انظر: الإنسان والداروينية (247-248).

2 () مجلة الوعي الإسلامي، عدد (456)، (54).

3 () انظر: توحيد الخالق (88).

4 () نقلاً عن مجلــة الأزهــر، مجمــع البحــوث الإســلامية بــالأزهر، ذو القعدة، 1396هـ (9/ 1370)، مقال (فساد نظرية داروين) للأســتاذ مصطفى محمد الحديدي.

العصور في الحياة الأرضية، فإنها تنقلب من حال الدودة إلى حشرة طـائرة، ولا تـأثير لشـيء عليهـا من الخـارج، كمـا أن الهــوة عميقــة بين الحالــة الأولى، وهي كونهــا دودة، وبين الحالة الثانية وهي كونها طائرة، وهي هوة تضـيع فيهـا جميـع النظريــات الداروينيــة الماركســية، فالحشــرة أدت شــهادة حســية ضــد مــذهب داروين، كمــا أثبتت عجــزه عن تفســير غرائزها الأولية[1].

3- يقول العالم الطبيعي (أغـا سـيز): إن الفكـرة الـتي يعتنقهـا الداروينيون عن تناسل نوع جديد بواسطة نوع سابق ليســت إلا افتراضًا اعتباطيًّا يتعارض والآراء الفسيولوجية الرصينة[2].

4- يقول (كرسي موريسـون): إن القـائلين بنظريـة التطـور لم يكونـوا يعلمـون شـيئًا عن وحـدات الوراثـة (الجينـات) وقـد وقفوا في مكانهم حيث يبدأ التطور حقًّا، أعني عند الخلية[3].

لقد كادت نظرية النشـوء والارتقـاء أن تمـوت في مهـدها، ولكن اليهود الذين يسـتغلون أمثـال هـذه النظريـات لمحاربـة الأديـان ومـا فيهـا من عقائـد ربانيـة، كـان لهم الـدور الكبـير لانتشارها واستغلالها في محاربة الأديـان حـتى نـادوا بـالتطور وعـدم الثبـات في كـل شـيء: الـدين والأخلاق والتقاليـد، ثم انطلقت من هذه النظرية نظريات أخرى تسعى لهدم الأديـان والأخلاق، والله المستعان[4].

1 () المرجع السابق.
2 () نقلاً عن الإنسان والداروينية (125).
3 () نقلاً عن العلمانية، للحوالي (183).
4 () انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب (97-100).

## المطلب السابع: البركة في الحيوان:

وفيه أربع مسائل:

### التمهيد: البركة في اللغة والشرع:

**البركة لغة:** تطلق البركة في اللغة على الأمور الآتية:

1- الثبوت واللزوم: قال ابن فارس: «الباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء»[1]، ومنه سميت البِرْكة بذلك لإقامة الماء فيها[2].

2- النماء والزيادة[3]، وكثرة الخير ودوامه[4].

3- السعادة[5].

**البركة في الشرع:** البركة في الشرع ثبوت الخير الإلهي في الشيء[6].

فالبركة ثبوت الخير ودوامه، وكثرة الخير وزيادته[7].

فالمبارك ما جعل الله  فيه الخير الكثير، ومنه  تطلب البركة، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «البركة كلها له تعالى ومنه، فهو المتبارك، ومن أُلقي عليه بركته فهو المبارك»[8].

فالبركة كلها من الله ، وطلبها من غيره سبحانه شرك به .

والتبرك هو: طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر، وكل ما يحتاجه العبد في دينه ودنياه بسبب ذات مباركة أو زمان مبارك، ولا بدَّ أن تكون هذه البركة ثابتة شرعًا، وأن يعتقد العبد

---

1 () مقاييس اللغة (1/ 227)، مادة (برك).

2 () انظر: الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي، ط2، 1402هـ، (4/ 1574) مادة (برك).

3 () انظر: لسان العرب (10/ 395)، والقاموس المحيط (1204)، مادة (برك).

4 () انظر: بدائع الفوائد (2/ 681).

5 () انظر: القاموس المحيط (1/ 1204) مادة (برك).

6 () انظر: المفردات في غريب القرآن (44).

7 () انظر: التبرك أنواعه وأحكامه، د. ناصر الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، ط5، 1421هـ، (43).

8 () انظر: بدائع الفوائد (2/ 682).

أن ما يتبرك به إنما هو سبب البركة، وليس هو واهب البركة[1].

وقد جاءت النصوص في إثبات البركة في بعض الحيوان، أو شيء مما يخرج منها، ومن ذلك:

**المسألة الأولى: البركة في الخيل:**

الخيل من الحيوانات التي دلت النصوص على بركتها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله : ((البركة في نواصي[2] الخيل))[3].

فأخبر : أن البركة، أي: النمو والزيادة في الخير تنزل في نواصي الخيل[4].

وقد ذكر طائفة من العلماء أن النبي  كنى بالناصية عن جميع ذات الفرس، كما تقول العرب: فلان مبارك الناصية، ومبارك الغرة، فيكنى بها عن الإنسان[5].

وقال آخرون: إن المراد بذلك الناصية وخصت بذلك لكونها المقدم منها، فكان تخصيصها بذلك لرفعة قدرها[6].

وعلى كلا القولين فإن الحديث دليل على بركة الخيل وفضلها، ومن بركة في الخيل أنَّه بها يحصل الجهاد الذي فيه خير الدنيا والآخرة، وقد قال تعالى: ﴿ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ﴾ ... [الأنفال: 60][7].

---

[1] () انظر: التبرك المشروع والتبرك الممنوع، د. علي نفيع العلياني، دار الوطن، الرياض، ط1، 1411هـ، (17-22).

[2] () النواصي هي: الشعر المسترسل على الجبهة. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (13/ 16).

[3] () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد، باب: الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (229) برقم (2851)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب فضيلة الخيل وأن الخير معقود بنواصيها (1013) برقم (1874).

[4] () انظر: فيض القدير (3/ 286).

[5] () انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (5/ 57)، وشرح النووي على صحيح مسلم (13/ 16).

[6] () انظر: فتح الباري لابن حجر (7/ 121)، وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، (3/ 61).

[7] () انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان بن محمد القاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، (

وقد جاءت نصوص كثيرة في فضائل الخيل، وما فيها من الخير فمن ذلك:

1- أن الله  أقسم بها في كتابه الكريم، فقال سبحانه: گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ  [العاديات: 1-5].

يقول السعدي - رحمه الله -: «أقسم الله تبارك وتعالى بالخيل لما فيها من آيات الله الباهرة، ونعمه الظاهرة ما هو معلوم للخلق، وأقسم تعالى بها في الحال التي لا يشاركها فيه غيرها من أنواع الحيوانات فقال: (والعاديات)، أي العاديات عدوًا بليغًا قويًّا، يصدر عنه الضبح، وهو صوت نفسها في صدرها عند اشتداد العدو.

(فالموريات) بحوافرها ما يطأن عليه من الأحجار، (قدحًا) أي: تقدح النار من صلابة حوافرهن وقوتهن إذا عدون، (فالمغيرات) على الأعداء (صبحًا) وهذا أمر أغلبي أن الغارة تكون صبحًا.

(فأثرن به) أي: بعدوهن وغارتهن، (نقعًا) أي: غبارًا، (فوسطن به) أي: براكبهن (جمعًا) أي: توسطن به جموع الأعداء الذين أغار عليهم»[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: «سبحانه أقسم بما يعرفونه من شأن الخيل إذا كانت في غزو، فأغارت، فأثارت النقع، وتوسطت جمع العدو، وهذا أمر معروف، وذِكْرُ خيل المجاهدين أحق ما دخل في هذا الوصف، فذكره على وجه التمثيل لا الاختصاص، فإن هذا شأن خيل المقاتلة، وأشرف أنواع الخيل خيل المجاهدين، والقسم إنما وقع بما تضمنه شأن هذه العاديات من الآيات البينات من خلق هذه الحيوان الذي هو أكرم البهيم وأشرفه، وهو الذي يحصل به العز والظفر والنصر على الأعداء...فهذا من أعظم آيات الرب تعالى، وأدلة قدرته وحكمته، فذكرهم بنعمه عليهم في خلق هذا الحيوان الذي ينتصرون به على الأعداء ويدركون به ثأرهم»[2].

2- الحث على ارتباط الخيل واقتنائها للجهاد في سبيل الله،

---

7/ 391).

1 () تيسير الكريم الرحمن (1101).

2 () التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت، ( 49).

قال تعالى: ﴿ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ى ى ﴾ الآية [الأنفال: 60].

«إن الخيل لما كانت أصل الحروب وأوزارها التي عقد الخير في نواصيها وهي أقوى القوة، وأشد العدة وحصـون الفرسـان، وبها يجال في الميدان خصها بالذكر تشريفًا»[1].

وعن أبي هريـرة قـال: قـال النـبي : ((من احتبس فرسًـا في سبيل الله؛ إيمانًـا باللـه وتصـديقًا، بوعـده فـإن شـبعه وريَّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة))[2].

فهذه فضيلة عظيمة لمن جعل الخيل وقفًـا على الجهـاد في سبيل الله نصرة لدينه، وميزة للخيل على غيرها من الدواب.

3- ملازمة الخيرية لنواصي الخيل إلى يوم القيامة، ويـدل عليـه حديث عـروة بن أبي الجعد[3]، أن النـبي قـال: ((الخيـل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والغنم))[4].

قال ابن عبد البر[5]– رحمه الله -: «في هـذا الحـديث الحض على اكتسـاب الخيـل وتفضـيلها على سـائر الـدواب؛ لأنـه لم يأت عنه في غيرها مثل هذا القول وبذلك تعظيم لشـأنها وحض على اكتسابها، وندب إلى ارتباطهـا في سـبيل اللـه عـدة للقـاء

1 () الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (7/ 40).

2 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتـاب الجهـاد، بـاب: من احتبس فرسًا في سبيل الله (229) برقم (2853).

3 () هو: عروة بن الجعد، وقيل بن أبي الجعد البارقي، صـحابي سـكن الكوفة، وهو أول قـاض بهـا، وبـارق: جبـل يسـكنه الأزد، حـدث عنـه شعبة وسماك، وأخرج حديثـه الجماعـة. انظـر: الثقـات لابن حبـان (3/ 314)، والكاشف (2/ 228).

4 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد، باب: الجهـاد مـاض مـع الـبر والفـاجر (229) بـرقم (2852)، ومسـلم في صـحيحه، في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الخيل وأن الخير معقود بنواصـيها الخـير (1014) برقم (1873).

5 () هو: حافـظ المغـرب، العلامـة: أبـو عمـر يوسـف بن عبـد اللـه بن محمد بن عبد البر، النميري، الأندلسـي، المـالكي، ولـد سـنة 368هـ، أخذ العلم عن خلق منهم: الطلمنكي ومحمد بن رشيق، وحـدث عنـه ابن حزم وأبـو علي الغسَّـاني، وغـيرهم، لـه مصـنفات كثـيرة، منهـا: الاسـتذكار، والاسـتيعاب، كـان فقيهًـا، حافظًـا، عالمًـا بـالقراءات، وبالخلاف، وعلوم الحديث والرجال، وكان على مذهب السلف، توفي سنة 463هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (18/ 153-163).

العدو»[1].

**المسألة الثانية: البركة في الغنم:**

الغنم من الدوابّ التي دلت السنة على حصول البركة فيهـا، فعن أم هاني[2] رضي الله عنها، أن النبي  قـال لهـا: ((اتخـذي غنمًا؛ فإنَّ فيها البركة))[3].

وجاء في حديث عروة البارقي أن النبي  قال: ((الإبل عزٌّ لأهلها، والغنم بركة، والخير معقود في نواصـي الخيـل إلى يـوم القيامة))[4].

فالغنم فيها بركة، كما أخـبر النـبي ، لمـا فيهـا من اللبـاس والطعـام والشـراب وكـثرة الأولاد، فإنهـا تلـد في العـام ثلاث مرات، ففيها خير وسرعة نتـاج وكثرتـه؛ حيث يمتلئ منهـا وجـه الأرض، والسباع تلـد سـتًّا وسـبعًا، ولا يُـرَى منهـا إلا الواحـد في الأطراف[5].

فلهذا حث النبي  على اتخاذ الغنم وتربيتها لوجود البركة فيها، وأخبر - أيضًا - أنها خير مال المسلم الـذي يعـتزل بـه عنـد اشـتداد

---

1 () التمهيد (14/ 96).

2 () هي: أم هـــانئ بنت أبي طـــالب بن عبـــد المطلب، القرشـــية، الهاشمية، بنت عم النبي ، قيل اسمها: فاختة، وقيل: عاتكة، وقيـل غـير ذلـك، أسـلمت عـام الفتح، وروت عن النـبي  عـدة أحـاديث، تـوفيت في خلافـة معاويـة رضـي اللـه عنـه. انظـر: الاسـتيعاب (4/ 1963-1964)، والثقات لابن حبان (3/ 440)، وتقريب التهذيب (759).

3 () أخرجـه أحمـد في مسـنده (6/ 424)، وابن ماجـه في سـننه في أبواب التجارات، باب: اتخـاذ الماشـية (2614) بـرقم (2304)، وفي مصـباح الزجاجـة في زوائـد ابن ماجـه، أحمـد بن أبي بكـر الكنـاني، تحقيـق: محمـد الكشـناوي، دار العربيـة، بـيروت، 1403هـ (3/ 40) بـرقم (814)، قـال: «هـذا إسـناد صـحيح ورجالـه ثقـات»، وصـححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (2/ 404) رقم (773).

4 () أخرجـه ابن ماجـه في سـننه في أبـواب التجـارات، بـاب: اتخـاذ الماشية (2614) برقم (2305)، وفي مصباح الزجاجة (3/ 40) رقم (815) قال: «هـذا إسـناد صـحيح على شـرط الشـيخين»، وصـححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (4/ 362) رقم (1763).

5 () انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (10/ 85)، وفيض القدير (1/ 146).

الفتن، فعن أبي سعيد الخدري□ أن رسول الله □ قال: ((يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شَعَفَ الجبال[1]، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن))[2].

قال ابن عبد البر– رحمه الله -: «وفي هذا الحديث حض على كسب الغنم، وفي ذلك فضل لها»[3].

فالغنم خير مال المسلم في ذلك الوقت؛ لأن المعتزل يأكل من لحومها ونتاجها ويشرب من ألبانها ويستمتع بأصوافها باللبس وغيره، وهي ترعى الكلأ في الجبال، وترد المياه؛ وهذه المنافع والمرافق لا توجد في غير الغنم[4].

ولم يُبْعَثْ نبيٌّ إلا ورعاها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي □، قال: ((ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم)، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: (نعم، كنت أرعاها على قراريط[5]، لأهل مكة))[6].

**المسألة الثالثة: بركة اللبن:**

ومن البركة في بعض ما ينتجه الحيوان ما أودعه الله □ من البركة في اللبن الذي يخرج من بين فرث ودم، كما قال سبحانه: □ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ□ [النحل: 66][7].

ويدل على بركة اللبن ما روته عائشة رضي الله عنها،

---

[1] () شَعَفَ الجبال: رؤوسها، وشعفة كل شيء أعلاه. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (1/ 72).

[2] () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن (3) برقم (19).

[3] () التمهيد (19/ 220).

[4] () انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، عبد الرحمن بن رجب الدمشقي، تحقيق: طارق عوض الله محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، 1422هـ، (1/ 99).

[5] () القيراط: جزء من أجزاء الدينار، وهو نصف عشره في أكثر البلاد. انظر: النهاية لابن الأثير (743) مادة (قرط).

[6] () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإجارات، باب رعي الغنم على قراريط (175) برقم (2262).

[7] () سبق الحديث عن نعمة تسخير اللبن في المبحث الأول الصفحة رقم [70].

قالت: ((كان رسول الله  إذا أتي بلبن قال: بركة أو بركتـان)) [1].

فأخبر  أن اللبن بركة، يعني: أنَّ شربه زيادة في الخير[2].

ومن بركـة اللبن أنَّه يكفي شـاربه عن الطعـام والشـراب، وليس ذلك لغيره، فعن ابن عباس رضي الله عنهمـا قـال: قـال رسول الله : ((من أطعمه الله طعامًا فليقـل: اللهم بـارك لنـا فيه، وارزقنا خيرًا منه، ومن سقاه الله لبنًـا، فليقـل اللهم بـارك لنا فيه، وزدنا منه، فإني لا أعلم ما يجزئ من الطعام والشراب إلاَّ اللبن))[3].

قال القرطبي رحمه الله: «قال علماؤنا: فكيف لا يكون ذلك وهو أول ما يتغذى به الإنسان، وتنْمي بـه الجثث والأبـدان، فهـو قوت خليّ عن المفاسد به قوام الأجسام، وقد جعله الله تعالى علامة لجبريل على هداية هذه الأمة التي هي خير الأمم، فقــال في الصـحيح: ((فجـاءني جبريـل بإنـاء من خمـر وإنـاء من لبن فاخترت اللبن، فقال لي جبريل: اخـترت الفطـرة، أمـا إنـك لـو اخترت الخمر لغوت أمتك))[4]، ثم إن في الـدعاء بالزيـادة منـه

---

1 () أخرجـه أحمـد في مسـنده (6/ 145)، وابن ماجـه في سـننه، في كتاب الأطعمة، باب: اللبن (2677) برقم (3321)، واللفظ له، وقال في مصـباح الزجاجـة (4/ 23) رقم (1152): «أم سـالم الراسـبية وجعفر بن برد لم أر من تكلم فيهما بجـرح ولا توثيـق، وبـاقي رجـال الإسناد ثقات»، وقال عنه أحمد البنَّا في الفتح الرباني لترتيب مسـند أحمــد ابن حنبــل الشــيباني، دار الشــهاب، القــاهرة، (17/ 115): «سـنده جيـد»، وضـعفه الألبـاني في سلسـلة الأحـاديث الضـعيفة (9/ 165) برقم (4164).

2 () انظر: فيض القدير (5/ 113).

3 () أخرجـه أحمـد في مسـنده (1/ 225)، وأبــو داود في سـننه، في كتـاب الأشـربة، بـاب: مـا يقـول إذا شـرب اللبن (1499) بـرقم (3730)، وابن ماجـه في سـننه، في كتـاب الأطعمـة، بـاب: اللبن (2677) بـرقم (3322)، والفـظ لـه، وحسـنه الألبـاني في سلسـلة الأحاديث الصحيحة (5/ 411) برقم (2320).

4 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب مناقب الأنصار، باب: المعــراج (315) بــرقم (3887)، من حــديث مالــك بن صعصــعة، ومســلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسـول اللـه  إلى السـموات وفرض الصلوات (706) برقم (163) من حديث أبي ذر.

علامة الخصب وظهور الخيرات والبركات، فهو مبارك كله»[1].

**المسألة الرابعة: بركة بهيمة الأنعام بعد نزول عيسى  في آخر الزمان:**

في آخر الزمان وبعد نزول عيسى ، وقتله للمسيح الـدجال وإهلاك الله  يأجوج ومأجوج، يـأمر اللـه تبـارك وتعـالى الأرض فترد بركتها، ويبارك الله  في الثمار وفي بهيمـة الأنعـام، كمـا جاء ذلك في حـديث النـواس بن سـمعان[2]،  الطويـل، وفيـه: ((ثم يقـال للأرض: أنبـتي ثمـرك، وردي بركتـك، فيومئـذ تأكـل العصابة[3] من الرمانة، ويسـتظلون بقحْفِهَا[4]، ويبـارك اللـه في الرِّسْــل[5]، حــتى إن اللقحة[6] من الإبــل لتكفي الفئــام[7] من الناس، واللقحة من البقـر لتكفي القبيلـة من النـاس، واللقحـة من الغنم لتكفي الفخذ[8] من الناس))[9].

فهذه بركة ينـزلها الله تبارك وتعالى في آخر الزمان، وتظهر في بعض مخلوقاتـه، ومنهـا بعض الحيـوان؛ حيث يبـارك اللـه  في لبنها فتكفي أممًا من الناس.

وعلل ذلك الإمـام ابن القيم - رحمـه اللـه - بـأنّ الأرض لمـا طهرت من المعاصي ظهرت فيها آثـار البركـة من اللـه  الـتي سحقت بسبب الكفر والذنوب[10].

---

1 () الجامع لأحكام القرآن (10/ 134).

2 () هو: النواس بن سمعان الكلابي، الأنصاري، صحابي، روى عن النبي ، وحدث عنه جبير بن نفير، وأبو إدريس الخولاني وغيرهم، سكن الشام، ذكر ابن عبد البر أن النبي  تزوج أختـه فاسـتعاذت باللـه منـه، فتركهـا. انظـر: الاسـتيعاب (4/ 1534)، الثقـات لابن حبـان (4/ 411)، وتهـذيب الكمال (30/ 37).

3 () العصابة: الجماعة. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (18/ 69).

4 () القحف: القشر، تشبيهًا بقحف الرأس الذي فوق الدماغ. انظر: النهاية لابن الأثير (733) مادة (قحف).

5 () الرِّسل: بكسر الراء وإسكان السين، هـو اللبن. انظـر: شـرح النـووي على صحيح مسلم (18/ 69).

6 () اللقحة: هي الـتي تحلب من النـوق، وقيلت هنـا على الـتي تحلب من البقر والغنم. انظر: المفهم (7/ 286).

7 () الفئام: الجماعة من الناس. انظر: المرجع السابق.

8 () الفخذ: الجماعة من الأقـارب، وهم دون البطن، والبطن دون القبيلـة. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (18/ 69).

9 () أخرجه مسلم في صـحيحه في كتـاب الفتن، بـاب: ذكـر الـدجال ( 1186) برقم (2937).

# المبحث الثاني

## المسائل المتعلقة بتوحيد الألوهية:

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: عبودية الحيوان لله رب العالمين.

المطلب الثاني: عبادة البشر للحيوان في القديم والحديث.

المطلب الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بذبح الحيوان.

المطلب الرابع: التطير بأنواع من الحيوان.

المطلب الخامس: تعليق التمائم، وعلاقته بالحيوان وحكم الإسلام فيه.

المطلب السادس: الولاء والبراء عند الحيوان.

---

[10] () انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، (43).

**تمهيد في تعريف توحيد الألوهية:**

سـبق الكلام في المبحث الأول على تعريـف التوحيـد عنـد الحديث عن توحيد الربوبية.

**الألوهية لغة:**

يقال في اللغة: ألّه إلاهةً وأُلُوهةً وأُلوهيَّةً:

أي عبد عبادةً، والإله بمعنى: مألوه؛ أي معبود.

وألَّههُ: اتخذه إلهًا؛ أي معبودًا وكل ما اتخذ معبـودًا، فهـو إلـه عند متخذه[1].

**توحيد الألوهيه شرعًا:**

هو إفراد الله عز وجل بجميع أنوع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً، ونفي العبادة عن كل ماسوى اللـه تعـالى كائنًـا من كان[2].

فهو عبادة الله وحده لا شريك له[3]

فيـدخل في توحيـد الألوهيـة جميـع العبـادة من دعـاء، وذبح، وتسبيح، وصلاة، وخوف ورجاءٍ وغيرهـا، فمن أفـرد اللـه تعـالى بهـذه العبـادة ولم يشـرك معـه فيهـا غـيره فقـد حقـق توحيـد الألوهية.

---

[1] () انظر: الصحاح (6/2223)، ولسان العرب (13/467) مادة (ألـه)، والقاموس المحيط (1603).

[2] () انظر: تيسير العزيز الحميد (36)، وأعلام السنة المنشورة (51).

[3] () انظـر: مجمـوع الفتـاوى (22/448)، وشـرح العقيـدة الطحاويـة (1/29).

## المطلب الأول: عبودية الحيوان لله رب العالمين:

وفيه أربع مسائل:

### المسألة الأولى: تسبيح الحيوان:

**التسبيح لغة:** التسـبيح في اللغـة التنــزيه، تقـول: سـبحت الله تسبيحًا أي: نزهته تنـزيهًا[1].

**التسبيح في الشرع:** وتعريف التسبيح في الشرع: تنـزيه الله تعالى عما لا يليق به في ذاته وصفاته وأفعاله[2].

وتنـزيهه سبحانه عن النقائص ليس مجرد قول باللسان، بــل هو اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح[3].

فحاصل المعنى للتسبيح في الشرع هـو: تنــزيه اللـه تبـارك وتعالى في الاعتقاد والقول والعمل، عما لا يليق به سبحانه في ذاته وأسمائه وصفاته وأقواله وأفعاله[4].

وتسبيح الخالق تبـارك وتعـالى ليس مقصـورًا على الملائكـة والإنس والجن، بــل هنــاك مخلوقــات أخــرى رفــع عنهــا قلم التكليف ولم تملـك عقـولاً، وهي مـع ذلـك تسـبح ربهـا وتوحـده سبحانه.

فقــد جــاء في الكتــاب والســنة إسـناد التسـبيح إلى جميــع الكائنات المختلفة من البشر والحيوان والنبات والجماد، العاقلة منها وغير العاقلة، الناطقة وغـير الناطقـة، والناميـة والجامـدة، وكل ما يصدق عليه أنه شيء ممـا خلـق اللـه في السـموات أو في الأرض أو فيما بينهما من المخلوقات التي لا يحيط بأنواعهـا ولا يُحصي عـددها إلا الخـالق القـدير، الـذي أحـاط بكـل شـيءٍ علما، وأحصى كل شيء عددا.

وفي كتاب الله  آيات كثيرة أسـند فيهـا التسـبيح إلى هـذه

---

[1] () انظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيـق: د. مهـدي مخــزومي، ود. إبــراهيم الســامرائي، دار ومكتبــة الهلال (3/ 151)، ومقـاييس اللغـة (3/ 125)، ولسـان العـرب (2/ 470) جميعهـا في مادة (سبح).

[2] () انظر: فتح القدير (4/ 40).

[3] () انظر: التحرير والتنوير (29/ 151).

[4] () انظر: التسبيح في الكتاب والسنة والـرد على المفـاهيم الخاطئـة فيه، د. محمد إسحاق كندو، دار المنهـاج، الريـاض، ط1، 1426هـ (1/ 76).

الكائنات مجملة في بعضها، ومفصلة في بعضها الآخر[1].

قال الله تعالى: ﴿ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ﴾ [الحديد: 1].

قال السعدي - رحمه الله -: «يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وسعة سلطانه أنّ جميع ما في السموات والأرض من الحيوانات الناطقة والصامتة وغيرها، والجوامد تسبح بحمد ربها، وتنزهه عمَّا لا يليق بجلاله»[2].

وكذلك افتتح الله تبارك وتعالى سورًا أخرى بمثل ما افتتح به هذه السورة مبينًا تنزيه وتقديس جميع المخلوقات له سبحانه، فقال: ﴿ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ﴾ [الحشر: 1]، وقال سبحانه: ﴿ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﴾ [الصف: 1]، وقال سبحانه: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ﴾ [الجمعة: 1]، وقال سبحانه: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ﴾ [التغابن: 1].

فأسند الله عزَّ جل التسبيح في هذه الآيات إلى جميع المخلوقات، مرة بلفظ الماضي ومرة بلفظ المضارع، إشارة إلى أن هذه الأشياء مسبحة في كل الأوقات ولا يختص تسبيحها بوقت دون وقت، بل هي مسبحة أبدًا في الماضي، وستكون مسبحة أبدًا في المستقبل[3].

ولفظ (ما) في هذه الآيات اسم موصول، وهو من صيغ العموم، وإن كان استعماله غالبًا لغير العاقل، فقد جاء استعماله في هذه الآيات للعاقل وغير العاقل، بتغليب غير العاقل لكثرته[4].

وفي سورة الإسراء أخبر سبحانه أنَّ السموات والأرض هي - أيضًا - ومن فيها تسبِّح لله ﷻ فقال سبحانه: ﴿ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﴾ [الإسراء: 44].

فجاءت كلمة (شيء) التي هي أهم العمومات، فدلت على شمول التسبيح جميع المخلوقات من سماء وأرض وملائكة، وإنس وجن وطير وحيوان، ونبات وشجر ومدر، وكل مخلوقات الله تعالى[5].

---

1 () انظر: التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه (1/ 331).

2 () تيسير الكريم الرحمن (987).

3 () انظر: مفاتيح الغيب (29/ 179-180)، وفتح القدير (5/ 165)، وأضواء البيان (7/ 805).

4 () انظر: أضواء البيان (7/ 805).

5 () انظر: المرجع السابق (8/ 14).

وقد اختلف أهل التفسير في قوله: ﴿ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ﴾، هل هو على عمومه أم لا، على قولين:

**القول الأول:** أن هذه الآية عامة في جميع المخلوقات وأنَّ كل مخلوق يسبِّح الله ﷻ من حيوان ونبات وجماد، وإنس وجن وغير ذلك، وهو قول أكثر العلماء[1].

**القول الثاني:** أنَّ هذه الآية ليست على عمومها وأنَّ كلمة (شيء) عامة يراد بها الخصوص، واختلف أصحاب هذا الرأي بالأشياء التي تدخل في شيء، على أقوال:

قيل: إنَّ كل شيء حي فهو يسبح دون الميت[2].

وقيل: إنَّ الحيوانات والناميات تسبِّح دون الجماد فالشجرة تسبِّح والأسطوانة لا تسبح[3].

قيل: إنَّ كل شيء يسبح ما لم يتغير وينقل من مكانه، فالتراب يسبِّح ما لم يبتل، والخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها، والورقة تسبح ما دامت على الشجرة فإذا سقطت تركت التسبيح[4].

والقولان الأوَّلانِ من القول الثاني ظاهرا الضعفِ، ويكفي في ردهما ما جاء في النصوص من تسبيح الجماد، كقوله تعالى: ﴿ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ﴾ [سبأ: 10]، وأمَّا القول الثالث فتحكم لا دليل عليه.

وهذه أقوال لا دليل عليها يقوى على تخصيصها، والقول الأول القائل بعموم التسبيح لجميع المخلوقات هو القول الصحيح إن شاء الله؛ لوضوح دليله، فإنَّ كلمة (شيء) كما سبق عامة ولا مخصص لها؛ فهي شاملة لجميع الكائنات، والله أعلم.

وجاء في السنة - أيضًا - إسناد التسبيح إلى الكائنات؛ فعن

---

[1] () انظر: جامع البيان (7/ 455)، وتفسير القرآن، منصور السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم ابن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1418هـ، (3/ 244)، وتفسير القرآن العظيم (5/ 76).

[2] () انظر: زاد المسير (5/ 39).

[3] () انظر: معالم التنزيل (5/ 96)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (10/ 271).

[4] () انظر: معالم التنزيل (5/ 96)، وزاد المسير (5/ 39).

عمرو بن عبسة[1]، ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((ما تستقل[2] الشمس فيبقى شيء من خلق الله ﷻ إلا سبح الله ﷻ وحمده، إلا ما كان من الشياطين وأعتى بني آدم)، فسألت عن أعتى بني آدم؟ فقال: (شرار الخلق، أو شرار خلق الله ﷻ))[3].

فدلت هذه النصوص على أنَّ الحيوان من المخلوقات التي تسبح الله ﷻ وتنزهه عن كل عيب ونقص، عابدة خاضعة له بذلك، وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة تسند التسبيح إلى أصناف من الحيوان، منها:

**1- الطير:**

أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه عن تسبيح الطير في أربعة مواضع:

**الموضع الأول:** في قوله تعالى: ﴿ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﮣ ﮤ ﮥ﴾ [الأنبياء: 79].

فبين ﷻ أنَّ الجبال والطير كانت تسبح مع داود ﷺ إذا سبّح[4]، فكانت الطير والجبال إذا مرّ بها داود ﷺ مسبِّحًا جاوبته بالتسبيح، وكان يأمرها بالتسبيح إذا فتر لينشط فتسبِّح بأمره[5].

وتسبيح الطير والجبال مع داود عليه الصلاة والسلام لما أعطاه الله ﷻ من طيب الصوت بتلاوة كتابه الزبور، فكان إذا ترنم به تقف الطير في الهواء فتجاوبه، وترد عليه الجبال تأويبًا[6].

وقوله سبحانه: (والطير) معطوف على الجبال، أي وسخرنا

---

1 () هو: أبو نجيح، عمرو بن عبسة السلمي، صحابي مشهور، أسلم قديمًا، وهاجر بعد أحد، سكن الشام ومات بها، يقال: إنه رابع من أسلم، روى عنه: شرحبيل بن السمط وسليم بن عامر. انظر: الإصابة (4/ 658-660)، والثقات (3/ 269)، وتقريب التهذيب (424، 720).

2 () أي ترتفع وتتعالى. انظر: فيض القدير (5/ 557).

3 () أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا استقلت الشمس (129) برقم (149)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (5/ 264) برقم (2224).

4 () انظر: جامع البيان (18/ 479)، وأضواء البيان (4/ 672).

5 () انظر: معالم التنزيل (5/ 334)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (11/ 336).

6 () انظر: تفسير القرآن العظيم (5/ 325).

الطير تسبح مع داود، وقيل: هو مفعول معه، أي: وسخرنا الجبال يسبحن مع الطير[1].

**الموضع الثاني:** في قوله تعالى: ﮋﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪﮊ [النور: 41].

ففي هذه الآية يخبر تبارك وتعالى بتسبيح جميع الكائنات، من الملائكة والإنس، والجن، والحيوانات، والجمادات، كما سبق الحديث عنه فيما مضى، ثم أخبر سبحانه بتسبيح نوع من هذه المخلوقات وهي الطير، فقال: ﮋﯞ ﯟﮊ، أي في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح ألهمها وأرشدها سبحانه إليه[2].

والطير من جملة المخلوقات التي تسبح، فلم خصّها سبحانه في هذه الآية مع ذكره لجميع الكائنات؟

قيل: خصَّ الطير بالذكر من جملة الحيوانات؛ لأنها تكون بين السماء والأرض، فتكون خارجة عن حكم من في السماء والأرض[3].

وقيل: خصّ الطير لما فيها من الصنعة البديعة التي تقدر به تارة على الطيران، وتارة على المشي، وذكر صدور التسبيح منها حال كونها صافات أجنحتها؛ لأنَّ هذه الحالة هي أغرب أحوالها؛ فإن استقرارها في الهواء مسبحة من دون تحريك لأجنحتها ولا استقرار على الأرض من أعظم صنع الله الذي أتقن كل شيء[4].

واختلف أهل التفسير في رجوع الضمير المستتر في (علم) على قولين:

**القول الأول:** أنَّ الضمير يرجع إلى الله ﻷ فيكون المعنى: كل من المسبحين والمصلين قد علم الله صلاته وتسبيحه[5]، واختار ابن جرير الطبري رحمه الله هذا القول.

**القول الثاني:** أنَّ الضمير في (علم) يرجع إلى (كل)، أي:

---

1 () انظر: الكشاف (3/ 129)، والبحر المحيط (6/ 307)، وفتح القدير (3/ 419)، والتسبيح في الكتاب والسنة (1/ 235).

2 () انظر: تفسير القرآن العظيم (6/ 78).

3 () انظر: معالم التنزيل (6/ 53)، والبحر المحيط (6/ 425).

4 () انظر: فتح القدير (4/ 40).

5 () انظر: جامع البيان (19/ 200)، وأضواء البيان (244).

كـل من المصـلين والمسـبحين قـد علم صـلاة نفسـه وتسـبيح نفسه، كما ألهمه إيّاها ربنـا تبـارك وتعـالى، واختـار هـذا القـول الحافظ ابن كثـير[1]، والسـعدي[2]، والشـنقيطي[3]، رحمهم اللـه جميعا.

**الموضع الثالث:** في قوله تعالى: ﴿ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ﴾ [سبأ: 10].

يخبر سبحانه تبارك وتعالى عما أكـرم بـه نبيـه داود ، حيث جعل الجبال والطير تُؤوِّب معه أي: ترجع التسبيح معه[4].

فهـذه نعمـة أنعم بهـا سـبحانه على داود ؛ إذ جعـل الجبـال الراسيات، الصـم الشـامخات تسـبح معـه إذا سـبح، وتقـف لـه الطيـور السـارحات، والغاديـات والرائحـات، وتجاوبـه بـأنواع اللغات، وذلك لما أعطاه الله سبحانه من الصوت العظيم بـأمر الله تعالى لها[5].

وقوله: ﴿ک ک گ﴾، التأويب: هو: التسبيح[6]، والمعنى: سبِّحي ورجعي التسبيح مع داود إذا سبَّح[7]، والطير مأمورة بمـا أمـرت به الجبال من ترجيع التَّسبيح، أي إذا نادينا الطير بمثل ذلـك من ترجيع التسبيح معه[8].

**الموضع الرابع:** في قوله تعالى: ﴿ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے﴾ [ص: 18-19]، وفي هذه الآية كما سبق بيانٌ لما أكرم الله به عبده داود  من تسخير الجبال والطير تسبح بتسبيحه.

فأخبر سبحانه أنه سـخر مـع داود الجبـال يسـبِّحن بالعشـي، وذلـك من وقت العصـر إلى الليـل، والإشـراق، وذلـك بالغـداة وحـتى الضـحى، وكـذلك سـخر الطـير يسـبحن معـه محشـورة بمعنى: مجموعة لـه، فكـان إذا سـبح أجابتـه الجبـال، واجتمعت

---

1 () انظر: تفسير القرآن العظيم (6/ 78).
2 () انظر: تيسير الكريم الرحمن (667).
3 () انظر: أضواء البيان (6/ 244).
4 () انظر: تفسير القرآن العظيم (6/ 485).
5 () انظر: المرجع السابق.
6 () انظر: مقاييس اللغة (1/ 153).
7 () انظـر: الكشـاف (3/ 580)، والبحـر المحيـط (7/ 252)، وأضـواء البيان (4/ 672).
8 () انظر: أضواء البيان (4/ 672).

إليه الطير، فسبحت معه واجتماعها إليه كان حشرها[1].

فهذه أربعة مواضع في الكتاب العزيز أخبر الله تبارك وتعالى فيها عن تسبيح الطير، فهي تنزه الله  وتبرئه عن النقائص وإن كنَّا لا نفقه ذلك كما أخبر سبحانه: ﴿ڱ ڱ ڻ ڻ﴾ [الإسراء: 44].

وهذا التسبيح هو نوع من أنواع العبادة التي تجلَّت في هذه المخلوقات لخالقها ، وهي فرد من أفراد لا تحصى توحد ربها وتخضع لجلاله، وإن كانت غير مكلفة فهي مطيعة لخالقها عابدة له ذليلة، فهو سبحانه المتفضل عليها بالإيجاد والرزق فله الحمد أولاً وآخرًا.

**2- النمل:**

وهذه النمل - أيضًا - جاءت السنة مصرحة بتسبيحها له تبارك وتعالى، فعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله  يقول: ((قرصت نملة نبيًّا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله؟ ))[2].

ففي الحديث دليل على أنَّ النمل شأنها شأن المخلوقات الأخرى تسبح الله .

يقول الحافظ ابن حجر: «قوله : (أمة من الأمم تسبح الله) استدل به على أن الحيوان يسبح الله تعالى حقيقة، ويتأيد به قول من حمل قوله تعالى: ﴿ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ﴾ على الحقيقة»[3].

فيجب الإيمان والتصديق بكل ما جاء عن الله سبحانه وعن رسوله ، فلها تسبيح وتنزيه يعلم ربنا تبارك وتعالى كيفيته فهو سبحانه المطلع على صغائر الأمور وعظائمها، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

ففي النصوص السابقة دلالة واضحة على تسبيح الكائنات كلها، ومنها الحيوان تسبيحا حقيقيًّا بلسان المقال، وهذا القول هو أشهر القولين[4]، بل هو قول السلف والمحققين من العلماء

---

1 () انظر: جامع البيان (21/ 168-169)، ومعالم التنزيل (7/ 76).
2 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [54].
3 () فتح الباري (7/ 599).
4 () انظر: تفسير القرآن العظيم (5/ 76).

المتـــأخرين[1]، وغـــيره ليس بمعتمد[2]، بـــل هـــو خلاف أقـــوال المفسرين[3].

وقد ذهب فريق آخر من المفسرين إلى أنَّ تسبيح الكائنـات الـذي جـاء في الكتـاب والسـنة محمـول على التسـبيح بلسـان الحال لا بلسان المقال[4]، وقد تنوعت عباراتهم وتفسيرهم لهذا التسبيح وبيان كيفيته:

فمنهم من جعـــل تســـبيح العقلاء حقيقيًّا بلســـان المقـــال، وتسـبيح غـير العقلاء - من الحيوانـات والنباتـات والجمـادات - مجازيًّا بلسان الحال[5].

ومنهم من جعل تسبيح الحيوان - ناطقًا وغير ناطق - حقيقيًّا وتسبيح غير الحيوان تسبيحه مجازيًّا بلسان الحال[6].

واختلف هؤلاء في التعبير عن تسبيح الكائنات الحـالي الـذي أثبتوه بعد اتفاقهم على نفي التسبيح الحقيقي.

فقيل: تسبيح الكائنات هو آثار الصـنعة فيهـا: أي كونهـا دالـة على خالقها بهيئتها وإتقان صنعها فهذا بمنـزلة تسبيح الخالق[7].

وقيل: تسبيح الكائنـات هـو كونهـا سـببًا داعيًـا إلى التسـبيح، فمن رآها سبح الله  لما يظهر فيها من آثار الصنعة[8].

وقال فريق ثالث: تسبيح الكائنـات هـو خضـوعها وخشـوعها لله [9].

---

[1] () انظر: تفسـير القـرآن، للسـمعاني (3/ 244)، ومعـالم التنـزيل (5/ 96)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتـاب العزيـز، عبـد الحـق ابن عطيـة الأندلسـي، تحقيـق: عبـد السـلام عبـد الشـافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ (4/ 188)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (1/ 47).

[2] () انظر: تفسير القرآن، للسمعاني (3/ 245).

[3] () انظر: بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: د. محمـود مطرجي، دار الفكر، بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخها (2/ 313).

[4] () انظر: الكشاف (2/ 626)، ومفاتيح الغيب (20/ 174-176).

[5] () انظر: البحر المحيط (6/ 38).

[6] () انظر: زاد المسير (5/ 39-40).

[7] () انظر: الكشاف (2/ 626).

[8] () انظـر: المحـرر الوجـيز (3/ 459)، والجـامع لأحكـام القـرآن (10/ 273).

[9] () انظر: زاد المسير (5/ 40).

والذي جعل هؤلاء يحملون تسبيح الكائنات على التسبيح الحالي، تحكيم العقل والحس في كلام الله تعالى وكلام نبيه ، حيث جعلوا هذا التسبيح تسبيحا مجازيا، كصنيعهم في الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة، فإنهم حين لم يشاهدوا ذلك في الواقع، ولم تتصوره عقولهم حملوه على التسبيح بالحال والدلالة[1].

ولهذا تجد أن الذين أكثروا الكلام في تسبيح الكائنات، وادعوا أنه تسبيح مجازي، هم من رؤوس أهل الكلام وممن تأثروا بهم[2].

ولا شك أن القائلين: بأنّ تسبيح الكائنات جميعها تسبيح حقيقي وإن كنّا لا ندرك كيفية تسبيح بعض الكائنات أسعد الناس بالدليل، ويتبين بطلان قول من جعل تسبيح بعض الكائنات حاليًّا بالوجوه الآتية[3]:

**أولاً:** أنّ الله  قال: ﴿ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﮢﮣ﴾ [الإسراء: 44]، فلو كان المراد بالتسبيح هنا هو التسبيح الحالي لكان هذا التسبيح مفقوهًا، والآية تنطق بأنّ هذا التسبيح لا يفقه[4].

وأجاب أصحاب القول الآخر بأنّ المخاطب بقوله تعالى: ﴿ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﮢﮣ﴾ [الإسراء: 44]، المشركون؛ لأنهم وإن كانوا معترفين بالخالق لكنهم لمّا جعلوا معه آلهة لم ينظروا ولم يقرّوا؛ لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه[5].

وتخصيص الخطاب بالمشركين تخصيص بلا دليل، فالصواب أنّه خطاب للجميع، وهو دال على ما سبق من عدم إدراكنا كيفية تسبيح جميع الكائنات التي تسبح بغير لغتنا.

**ثانيًا:** لو كان التسبيح تسبيح دلالة فأي تخصيص لداود عليه الصلاة والسلام؛ حيث أخبر سبحانه - كما سبق - أنَّ الجبال والطير تسبح مع داود، فتكون مسبحة مع الخلق كلهم[6].

---

1 () انظر: التسبيح في الكتاب والسنة (1/361).
2 () انظر:الفصل (1/101)، والكشاف (2/626)، ومفاتيح الغيب (20/176).
3 () انظر: أضواء البيان (التتمة) (8/ 16-24)، والتسبيح في الكتاب والسنة (1/ 363-367).
4 () انظر: المحرر الوجيز (3/ 459)، وفتح القدير (3/ 231)، أضواء البيان (6/ 606).
5 () انظر: الكشاف (2/ 626)، والبحر المحيط (6/ 38).
6 () انظر: الجامع لأحكام القرآن (10/ 273).

**ثالثًا:** قول من قال: إنّ تسبيحها نفوذ مشيئة الرب وقدرته فيها، ودلالتها على الصانع قول باطل؛ لأنَّ هذا وصف لازم دائم لها، لا يكون في وقت دون وقت، والله سبحانه أخبر عن الجبال وتسبيحها، فقال: ﴿ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ﴾ [ص: 18]، فخص وقت العشي والإشراق بالتسبيح[1].

**رابعًا:** أن الحامل لمن زعم أن تسبيح الكائنات تسبيح حالي، وهو دلالتها على الخالق، هو تحكيم الحس والعقل، واستبعاد حصول النطق والإدراك من هذه الكائنات، وعدم إدراك العقل لتسبيح الكائنات وكون الحس لم يشهد بذلك، دليل على عجزهما، وليس دليلاً على عدم حصول التسبيح، وصدق الله تبارك وتعالى: ﴿ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ﴾ [الإسراء: 44][2].

**خامسًا:** أنَّ الله  أخبر أنَّ غير العقلاء من المخلوقات لها إدراك يعلمه سبحانه، ونحن لا نعلمه، فقال سبحانه عن الحجارة: ﴿ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ﴾ [البقرة: 47]، فأثبت لها خشية، وقال سبحانه: ﴿ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ﴾ [الأحزاب: 72].

والإباء والإشفاق إنما يكونان بالإدراك.

ومن ذلك ما جاء في قصة الهدهد مع سليمان ، حيث أدرك أنَّه أحاط بما لم يحط به سليمان، ومعرفته لسبأ بعينها، ومعرفته بعرش المرأة وتوليتها عليهم، وما كانوا عليه من السجود للشمس وغير ذلك.

وكذلك النملة أدركت مجيء سليمان [3].

**سادسًا:** أنَّ الصحابة سمعوا تسبيح بعض الجمادات بين يدي النبي ، فهل يقال: إن ما سمعوه تسبيح دلالة؟

من ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود قال: ((كنَّا نعد الآيات بركة وأنتم تعدّونها تخويفًا، كنا مع رسول الله  في سفر، فقلَّ الماء، فقال: (اطلبوا فضلة من ماء)، فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: (حي على الطهور المبارك، والبركة من الله)، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول

---

1 () انظر: جامع الرسائل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط1، 1422هـ، (1/ 43).

2 () انظر: أضواء البيان (التتمة) (8/ 16)، والتسبيح في الكتاب والسنة (1/ 365-366).

3 () انظر: أضواء البيان (6/ 245-606)، و(8/ 17-18).

الله ، ولقد كنَّا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل))[1].

وما رواه أبو ذر[2] رضي الله عنه، قال: ((انطلقت ألتمس رسول الله  في بعض حوائط المدينة، فإذا رسول الله  قاعد، فأقبل إليه حتى سلم على النبي ، قال أبو ذر وحصيات موضوعة بين يديه فأخذهنَّ في يديه فسبحنَّ في يده ثم وضعهنَّ في الأرض فسكتن، ثم أخذهنَّ فوضعهنَّ في يد أبي بكر فسبحن في يده، ثم أخذهنّ فوضعهنَّ في الأرض فخرسن، ثم أخذهنَّ فوضعهنَّ في يد عمر فسبحن في يده، ثم أخذهن فوضعهنَّ في الأرض فخرسن، ثم أخذهنَّ فوضعهن في يد عثمان فسبحن، ثم أخذهن فوضعهنّ في الأرض فخرسن))[3].

بل جاء ما يدل على أنَّ (سبحان الله وبحمده) هي صلاة جميع الكائنات - من حيوان وغيره - كما في الحديث الطويل الذي رواه الإمام أحمد في وصية نوح  لابنيه، وفيه: ((وآمركما بسبحان الله وبحمده، فإنهما صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء))[4].

---

1 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (291) برقم (3579).

2 () هو: أبو ذر، جندب بن جنادة، تقدم إسلامه، وتأخرت هجرته، وهو أول من حيا رسول الله  بتحية الإسلام، روى عنه أنس وابن عباس وعطاء وغيرهم، توفي في خلافة عثمان  سنة 32هـ بالربذة. انظر: الاستيعاب (1/ 252-256)، والإصابة (7/ 125-129).

3 () أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، تحقيق: باسم الجوابرة، دار الصميعي، الرياض، ط1، 1419هـ (2/ 770) برقم (1180)، والطبراني في المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسين، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ (2/ 59) برقم (1244)، والبزار في البحر الزخار، أحمد بن عمرو البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ومكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط1، 1409هـ (9/ 434) برقم (4044)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1413هـ، (2/ 308) برقم (1146).

4 () أخرجه أحمد في مسنده (2/ 170، 225)، والبخاري في الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط3، 1409هـ (1/ 192) برقم (548)، من حديث عبد الله بن عمرو، وصححه الألباني في

فعلى المسلم الإيمـان بـذلك كلِّه، وأن يكـل الكيفيـة لخـالق تلـك الكائنـات، ولا نقيس بعقولنـا، أو نسـتبعد أمـرًا لم تدركـه حواسنا.

فالمخلوقات تسبح بلسـان الحـال، وتسـبّح - أيضًـا - بلسـان المقال تسبيحًا يعلمه ربنا تبارك وتعالى: ﴿ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮟ﴾ [الإسراء: 44]، وهذا كله شاهد على إفراد الخالق تبارك وتعالى بالألوهية، وأنـه سـبحانه المسـتحق لأن يعبـد وحـده دون سـواه، فهـذه الحيوانات الـتي لا عقـل لهـا ولا تكليـف عليهـا، عـرفت خالقهـا تبـارك وتعـالى وسـبحت بحمـده ونزهتـه عن كـل عيب أو نقص فسبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسـمك وتعـالى جـدك، ولا إلـه غيرك.

## المسألة الثانية: سجود الحيوان لله ﷻ:

**السجود لغة:** أصل السـجود في اللغـة التـذلل والخضـوع، ويقال: سجد إذا انحنى وتطامن إلى الأرض[1].

**السجود في الشرع:** السجود في الشـرع: الهـوي ووضـع الجباه على الأرض بقصد الخضوع[2]، وهو أعظم الهيئات الدالـة على الخضوع والخشوع والطواعية التامة[3].

وقد أخبر ﷻ في كتابـه العزيـز أنَّ جميـع الكائنـات - من إنس وجن وملائكة وحيوان وغيرها - تسجد له تبـارك وتعـالى، فقـال سبحانه: ﴿ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ﴾ [الرعد: 15].

وقال سبحانه: ﴿ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ﴾ [النحل: 48-49].

وقال سبحانه: ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘ﴾ [الحج: 18].

فمـا من شـيء في هـذا الوجـود إلا ويسـجد للـه سـبحانه،

صـحيح الأدب المفـرد، دار الصـديق، ط1، 1421هـ (219) بـرقم (224)، وفي صحيح الترغيب والترهيب،محمـد ناصـر الـدين الألبـاني، مكتبة المعارف،الرياض، ط5، (2/ 105) برقم (1532).

[1] () انظر: مقاييس اللغـة (3/ 133)، مـادة (سـجد)، وتـاج العـروس (8/ 172) مادة (سجد)، والبحر المحيط (1/ 300).

[2] () انظـر: الجـامع لأحكـام القـرآن (1/ 35)، والتحريـر والتنـوير (13/ 110).

[3] () انظر: البحر المحيط (1/ 528)، وتـاج العـروس (8/ 172)، مـادة (سجد).

اعترافًا بربوبيته وألوهيته ، فكل من في السموات والأرض، والشمس والقمر والنجوم، وكل ما نراه من جبال وأشجار، ونبات وحيوان، ما له روح وما لا روح له يسجد لله .

واختلف أهل التفسير في سجود الكائنات غير العاقلة من حيوان ونبات وجماد على أربعة أقوال:

**القول الأول:** أنَّ المراد بالسجود: سجود خضوع وانقياد واستسلام[1]، فهي منقادة لإرادة الله غير ممتنعة عليها[2]، مسخرة لقدرته لا تتأتّى عن تدبيره[3].

**القول الثاني:** ظهور أثر صنعة الخالق فيها[4]، فهي تدعو الغافلين إلى السجود عند التأمل والتدبر فيه[5].

**القول الثالث:** أن السجود ها هنا هو: الطاعة والعبادة، وأنَّ كل الأشياء ساجدة مطيعة من حيوان وجماد[6].

فسجود كل شيء بحسب حاله وما يختص به[7].

قال السمعاني[8] رحمه الله: «فإن من اعتقاد أهل السنة أن الحيوان والموات مطيع كله لله تعالى، وقال بعضهم: إن سجود الحجارة هو بظهور أثر الصنع فيه، على معنى أنه يحمل على السجود والخضوع لمن تأمله وتدبر فيه، وهذا قول فاسد، والصحيح ما قدمنا والدليل عليه أن الله تعالى وصف الحجارة

---

1 () انظر: جامع البيان (17/ 219)، وزاد المسير (4/ 453)، وبحر العلوم (2/ 221).

2 () انظر: الكشاف (2/ 569).

3 () انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ، (2/ 85).

4 () انظر: زاد المسير (4/ 454).

5 () انظر: معالم التنزيل (5/ 23).

6 () انظر: تفسير القرآن للسمعاني (3/ 176)، ومعالم التنزيل (5/ 372).

7 () انظر: تفسير القرآن العظيم (5/ 398)، وتيسير الكريم الرحمن (480).

8 () هو: العلامة: أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني، المروزي، ولد سنة 426هـ، سمع من أحمد الكراعي، وأبي القاسم الزنجاني وغيرهم، وسمع منه محمد السنجي ومحمد الفاشاني، وغيرهم، كان حنفيًّا ثم تحول شافعيًّا، كان شوكًا في أعين المخالفين، وحجة لأهل السنة، توفي سنة 489هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (19/ 114-119).

بالخشية، فقال: ﴿ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ﴾ [البقرة: 74]ـ ولا يستقيم حمل الخشية على أثر القدرة فيه»[1].

**القول الرابع:** أن السجود: سجودٌ حقيقي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله – في بيان خطأ من فسر سجود الكائنات بالخضوع والانقياد؛ لأنها في هـذا التفسـير لا فعل لها، فكيف يقال عنه: طوعًـا وكرهًـا، فقـال رحمـه اللـه: «القـــرآن يـــدل على أن الســـجود والتســـبيح أفعـــال لهـــذه المخلوقات، وكون الرب خالقًا لها إنما هو كونها مخلوقة للــرب ليس فيه نسبة أمر إليهـا، يـبين ذلـك أنـه خص الظـل بالسـجود بالغــدو والآصــال، والظــل - مـتى كــان وحيث كــان - مخلــوق مربوبـ، والله تعالى جعل الظلمات والنور، والقول الذي ذكـــره البغـوي[2]، أقــرب من القــول الــذي ذكــره أبــو الفــرج[3]، وهــو سبحانه تارة يجعلهـا آيـات لـه، وتـارة يجعلهـا سـاجدة مسـبحة، وهذا نوع غير هذا.

وعلى هـذا القـول: الجميـع واحـد، ليس في كونهـا سـاجدة مسبحة إلا كونها آية دالة وشاهدة للخالق تعالى بصفاته لكونهـا مفعولة لـه، وهـذا معـنى ثـابت في المخلوقـات كلهـا لازم لهـا، وهي آيات للرب بهذا الاعتبار، وهي شواهد ودلائـل وآيـات بهـذا الاعتبـار، لكن ذاك معـنى آخـر كمـا يعـرف بين كـون الإنسـان مخلوقًا وبين كونه عابدًا لله، فهذا غير هذا، هـذا يتعلـق بربوبيـة الرب له، وهذا يتعلق بتألهه وعبادته للرب»[4].

وقال أيضًا: «وأما تفسير سـجودها وتسـبيحها بنفـوذ مشـيئة الرب وقدرته فيهـا ودلالتهـا على الصـانع فقـط فالاقتصـار على هذا باطل، فإن هذا وصف لازم دائم لها، لا يكون في وقت دون وقت»[5].

فالصــواب - والعلم عنــد اللــه - أن جميــع الكائنــات تَسْــجُد

---

1 () انظر: تفسير القرآن للسمعاني (3/ 428).

2 () المراد بقول البغوي: «إن سجودها بمعنى الطاعة». انظر: معــالم التنـزيل (5/ 372).

3 () قول أبي الفرج ابن الجوزي: إن من لا يعقل سـجوده أثـر الصـنعة فيـه، والخضـوع الـذي يـدل على أنـه مخلـوق. انظـر: زاد المسـير (4/ 453).

4 () جامع الرسائل (43-44).

5 () المرجع السابق (43).

لخالقها سجودًا حقيقيًّا، وإن كنَّا لا نعلم كيفية سجودها، كما أنها تسبح الخالق وتنزهه وإن كنّا لا نفقه تسبيحها، ولا يلزم أن يكون لها سجود كسجودنا على سبعة أعضاء، بل لكل مخلوق سجود يخصه.

فيجب الإيمان والتسليم بذلك، يقول الإمام البغوي رحمه الله في تفسيره لخشية الحجارة: «فإن قيل: الحجر جماد، فكيف يخشى؟ قيل: الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه، ومذهبُ أهل السنة والجماعة أنَّ الله تعالى خلق علمًا في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقل، لا يقف عليه غيره، فلها صلاة وتسبيح وخشية، كما قال جلّ ذكره: ﮋﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮊ [الإسراء: 44]، وقال: ﮋﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮊ [الحج: 18]، الآية، فيجب على المؤمن الإيمان به، ويكل علمه إلى الله ﻷ»[1].

وقال الشنقيطي رحمه الله في بيانه لسجود ظلال المخلوقات وأنه سجود حقيقي: «ونحن نقول: إن الله جلَّ وعلا قادر على كل شيء، فهو قادر على أن يخلق للظل إدراكًا يسجد به لله تعالى سجودًا حقيقيًّا، والقاعدة المقررة عند علماء الأصول هي حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا بدليل من كتاب أو سنة»[2].

وقد أخبر النبي ﷺ أن الشمس تسجد تحت العرش، فعن أبي ذر ﭬ قال: قال النبي ﷺ حين غربت الشمس: ((أتدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﮋﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣﮊ [يس: 38] ))[3].

فإذا كانت الشمس تسجد تحت العرش، فلا مانع أن يسجد غيرها من الحيوانات والنباتات، ولهذا جاء عن الضحاك[4]، أنه قال: ((إذا فاء الفيء توجه كل شيء ساجدًا قِبَلَ القبلة، من

---

1 () معالم التنزيل (1/ 111).

2 () أضواء البيان (3/ 100).

3 () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر (259) برقم (3199).

نبت أو شجر))[1].

وقال مجاهد[2]: ((إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله ))[3]، فالحيوانات من مخلوقات الله تبارك وتعالى التي تسجد له سبحانه سجود خضوع وانقياد وسجود طاعة وعبادة؛ إذ هو سبحانه المستحق لأن يعبد دون سواه، فهذه الحيوانات كما أنها عرفت ربها وخالقها فقد خضعت له وأفردته سبحانه بالطاعة والعبادة.

**المسألة الثالثة: دعاء الحيوان ربه تبارك وتعالى واستغفاره:**

**الدعاء لغة:**

أصل الدعاء أن تُميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك[4].

وقال ابن منظور: «دعا الرجل دعوًا ودعاءً: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلانًا أي صِحت به واستدعيته»[5].

**الدعاء شرعًا:**

الابتهال إلى الله تعالى بالسؤال والرغبة فيما عنده من

---

4 () هو: أبو القاسم، الضحاك بن مزاحم الهلالي، البلخي، المفسر، لقي جماعة من التابعين، ولم يشافه أحدًا من الصحابة، قيل: سمي الضحاك؛ لأن أمه حملت به سنتين فولد وله أسنان، حدث عنه: علي بن الحكم ومقاتل بن حيان وغيرهم، كان له عناية بعلم القرآن، فكان يعلم الصبيان، فلا يأخذ منهم شيئًا، مع لزوم الورع، وثّقه أحمد وابن معين وأبو زرعة، توفي سنة 105هـ. انظر: الثقات لابن حبان (6/ 480)، وميزان الاعتدال (3/ 446).

1 () انظر: جامع البيان (17/ 217).

2 () هو: أبو الحجاج مجاهد بن جبر، المخزومي، مولاهم، كان مولى للسائب بن أبي السائب، إمامًا في التفسير والقراءات، حجة، روى له الجماعة، وروى عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهما، وروى عنه الحكم ومنصور وغيرهم، كان فقيهًا عابدًا ورعًا متقنًا، توفي بمكة وهو ساجد سنة 103هـ. انظر: الثقات لابن حبان (5/ 419)، والكاشف (3/ 106)، وتقريب التهذيب (520).

3 () انظر: جامع البيان (17/ 217).

4 () انظر: مقاييس اللغة (2/ 279)، مادة (دعو).

5 () انظر: لسان العرب (14/ 258)، مادة (دعا).

الخير[1].

وعُرِّف - أيضًا -: بأنه استدعاء العبد ربه  العناية واستمداده إياه المعونة[2].

وعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بتعريف مختصر شامل، فقال: «هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره أو دفعه»[3].

**الاستغفار لغة:** الغفر في اللغة يطلق على الستر والصفح والتغطية[4]، واستغفره من ذنبه أي: طلب منه غَفْرَه[5].

**الاستغفار في الشرع:** هو طلب المغفرة وستر الذنوب[6]، قال الإمام الطبري رحمه الله: «الاستغفار معناه: طلب العبد من ربه  غفران ذنوبه»[7].

وقد دلت النصوص على أن من عبودية الحيوان للخالق تبارك وتعالى: الدعاء والاستغفار، ومن أمثلة ذلك:

**1- صلاة النمل والحوت على معلم الناس الخير والعالم واستغفارهما لهما:**

أخبر النبي صلى عليه وسلم أنَّ النملة والحوت يصليان على معلم الناس الخير - أي يدعوان له - فعن أبي أمامة الباهلي قال: ذُكر لرسول الله  رجلان، أحدهما: عابد والآخر عالم، فقال رسول الله : ((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم))، ثم قال رسول الله : ((إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير))[8].

---

1 () انظر: المصباح المنير (1/ 194)، مادة (دعوت).

2 () انظر: شأن الدعاء، حمد محمد الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، 1984م، (4).

3 () مجموع الفتاوى (15/ 10).

4 () انظر: مقاييس اللغة (4/ 385)، مادة (غفر)، والمصباح المنير (2/ 449)، مادة (غفر).

5 () انظر: القاموس المحيط (580)، مادة (غفر).

6 () انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 102)، والبحر المحيط (5/ 202).

7 () جامع البيان (22/ 198).

8 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [89].

وأخبر - أيضًا - أنّ الحيتان تستغفر للعالم، فعن أبي الــدرداء  قال: سمعت رسول الله  يقول: ((إنه ليسـتغفر للعـالم من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر))[1].

فالنمل والحيتان يعلمون منـزلة العالم ومعلم الناس الخــير، فهي تدعو له وتستغفر له، وإلحاقهما وعطفهما على دعاء اللــه  والملائكة وأهل السموات والأرض له يدل على أن هذا الدعاء دعاء حقيقي، وليس مجازيًّا[2].

وهـذا دليـل على أن جميـع الكائنـات علوهـا وسـفلها - من حيوانات وغيرها - تدعو وتستغفر للعـالم، ومعلم النـاس الخـير، لما لهما من فضل عظيم على الكائنات كلها؛ ولأنّ بركة علمهم وعملهم وإرشادهم وفتواهم سبب لانتظام أحـوال العـالم، وهم الذين يبينون ما يحل وما يحرم منها، ويوصون بالإحسـان إليهـا، ودفع الضر عنها، حتى بإحسان القِتْلَةِ، والنهي عن المثلة[3].

وهـذا الـدعاء والاسـتغفار - كمـا سـبق - دعـاء واسـتغفار حقيقي، خلافًا لمن فسره: بـأنّ اللـه يكتب لـه بعـدد كـل أنـواع الحيوانات الأرضية استغفارة مستجابة[4].

فإنّ هذا صرف للكلام عن ظاهره من غير دليـل يـدل عليـه، يقول الشيخ ابن عـثيمين رحمـه اللـه: «ولا تسـتغرب أن تكـون هـذه الحيوانـات تسـتغفر اللــه  للعـالم؛ لأن اللــه  قـال في القرآن الكريم على لسان موسى عليه الصلاة والسلام:        [طـه: 50]، فالبهـائم والحشـرات تعلم ربهـا ، وتعرفـه...المهم أن اللـه تعـالى سـخر هـذه الكائنـات تسـتغفر للعالم»[5].

## 2- دعاء الفرس:

والفرس - أيضًا - أخبر عنها النبي  أنها تدعو في كل سـحر بدعوتين، فعن أبي ذر قال: قال رسول الله : ((ما من فرس عربي إلا يؤذن له عنـد كـل سـحر بـدعوتين: اللهم خوّلْتـني مَنْ خوَّلتني من بني آدم وجعلتني له، فاجعلني أحب أهله وماله إليه

[1] () سبق تخريجه في الصفحة رقم [89].
[2] () انظر: عبودية الكائنات (280).
[3] () انظر: فيض القدير (4/ 568-569).
[4] () انظر: المرجع السابق (4/ 354).
[5] () شرح رياض الصالحين (5/ 551).

أو من أحب أهله وماله إليه))[1].

فهذا الفرس يدعو بدعاء يتجه به إلى من يستحق الدعاء، وهو الله تبارك وتعالى، وهو يعلم أنه تحت تصرف الخالق جلَّ في علاه، وأنه مسخر من قبل ربه سبحانه لبني آدم، فدعا بهذا الدعاء.

والمؤمن الصادق يؤمن بذلك كلِّه ولا يطلب تأويلاً وصرفًا لكلام النبي  عن ظاهره؛ إذ هو في غاية البيان والوضوح، فهو دعاء حقيقي وإن كنَّا لا نفقهه.

فالمخلوقات - من حيوان ونبات وجماد - خاضعة ذليلة طائعة لخالقها تبارك وتعالى، وهذه الحيوانات هي من جملة هذه الكائنات، فهي تعرف ربها  وتؤمن به وتدعوه، ولكل كائن عبادة وطاعة لا يلزم أن تكون مشابهة لعبادة البشر.

## المسألة الرابعة: خوف الحيوان من الله :

من عبودية الحيوان لخالقها أنها تخاف منه ، وقد دلَّ على ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله  ((خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه قبض، وفيه تقوم الساعة، ما على الأرض من دابّة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مصيخة[2] حتى تطلع الشمس شفقًا من الساعة إلا ابن آدم...))[3]. الحديث.

---

[1] () أخرجه أحمد في مسنده (5/ 170)، وسنن النسائي الصغرى، أحمد بن شعيب النسائي، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ط3، 1421هـ كتاب الخيل والسبق والرمي، باب: دعوة الخيل (2324) برقم (3609)، والحاكم في المستدرك (2/ 101) برقم (2457)، وصححه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1408هـ، (1/ 474) برقم (2414).

[2] () مصيخة: أي مصغية مستمعة، منتظرة لقيامها فيه. انظر: النهاية لابن الأثير (531)، مادة (صيخ)، وفيض القدير (3/ 659).

[3] () أخرجه أحمد في مسنده (5/ 453)، والنسائي في السنن الصغرى في كتاب الجعة، باب: ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة (2181) برقم (1431)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، باختصار السند، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط1، 1409هـ، (

فهذه الدوابّ تخاف يوم الجمعة؛ لأنها تعلم أن قيام الساعة يكون فيه، فهي تشفق من هذا اليوم؛ لأنها تعلم ما في الساعة من أهوال.

فهذه الدوابّ صباح كل يوم جمعة تستمع استماع حذر وإشفاق وخشية الفجأة والبغتة[1].

وقد ذكر بعض العلماء أن هذه الدوابّ تعلم الأيام بعينها، وأنَّ القيامة تقوم يوم الجمعة[2].

والخوف من قيام الساعة هو خوف من الخالق تبارك وتعالى، وخشية من عذابه، فمن الذي علَّم هذه الدوابّ أنَّ قيام الساعة يكون يوم الجمعة؟ إنَّ هذه الدوابّ وإن كانت لا تعقل فإن الله تبارك وتعالى الذي خلقها ورزقها وألهمها، هو الذي علّمها، فهي تعرف خالقها، وتعظمه، وتتصرف كما سخرها الله سبحانه له، فهي تشفق من هذا اليوم العظيم؛ لأن الله تبارك وتعالى ألهمها ما يكون فيه من الأمور الجليلة التي تفزع لها القلوب، فلذلك وجلت منه، فسبحان الذي عظم سلطانه، فأشفقت، ووجلت الدوابّ من عذابه، وأصبح كثير من المكلفين غافلين عن عذابه، معرضين عن أوامره ونواهيه.

هذه صور تجلت فيها عبودية الحيوان لخالقه تبارك وتعالى فهو يسبحه ويسجد له، ويدعوه ويستغفره ويخافه، فالمؤمن يؤمن بذلك ويعلم أن ذلك كلَّه حق، وأن لهذه الحيوانات عبوديةً كعبودية المكلفين، ولا يلزم أن تكون هذه العبودية مماثلة لعبوديتهم، بل كل كائن ألهمه ربه سبحانه كيفية عبادته لربه ، فيجب الإيمان بذلك والتسليم به، وعدم تحكيم العقول تحكيمًا يخالف نصوص الكتاب والسنة، فالنصوص قد دلت على ما هو أعظم من ذلك، فَجَبلُ أُحِدٍ وهو جماد يحب النبي ، والجذع يحن حزنًا لفراق النبي ، والطريق الأسلم في هذا وغيره أن

---

1/ 308) برقم (1354).

[1] () انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري، مؤسسة قرطبة، (23/ 41).

[2] () انظر: حاشية السندي على النسائي، نور الدين السندي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ، (3/ 114).

نفـوِّض علم الكيفيـة لخـالق تلـك الكائنـات، ولا نقيس بعقولنـا إثبات أو نفي النصوص الشرعية.

## المطلب الثاني: عبادة البشر للحيوان في القديم والحديث:

الحيوانات من مخلوقات الله تبارك وتعالى، التي فطرها الله ﷻ على توحيده ومعرفته، فهي تسبح الله ﷻ، وتسجد له، وتدعوه وتخافه، وهي لا تملك لأنفسها ضرًّا ولا نفعًا، فهي مسخرة مذللة تحت تصرف الخالق تبارك وتعالى وقدرته، ومع ذلك وقعت طوائف كثيرة من البشر في إشراكها مع الله ﷻ؛ حيث عبدوا أنواعًا من الحيوان، واتخذوها ربًّا وإلهًا، فزين لهم الشيطان أعمالهم وصدهم عن التوحيد الذي كانت عليه البشرية، من آدم ﷺ والقرون التي جاءت بعده، كما قال ﷻ: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ [البقرة: 213].

يقول ابن عباس رضي الله عنه: ((كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين))[1].

وقبل ذكر صور من عبادة البشر للحيوان في القديم والحديث يحسن ذكر الأسباب التي أوقعت أممًا من البشر في عبادة الحيوان؛ فقد ذكر بعض الباحثين أسبابًا مختلفة في عبادة الحيوان عند المصريين والهنود قديمًا، وهي وإن كانت تتحدث عن عبادة هؤلاء للحيوان، فقد تكون لها علاقة بغيرهم من الأمم، أو انتقلت منهم إلى أمم أخرى، ومن أبرز تلك الأسباب[2]:

1- أن المصريين قديمًا قبل توحد كلمتهم، وخضوعهم لسلطان واحد كانت قبائلهم تتنازع وتتناحر، فإذا انتصرت جماعة على أخرى، رمز المنتصرون لقراهم ببعض الحيوانات القوية، ولقرى خصومهم ببعض الحيوانات الضعيفة، حتى استمرت

---

1 () أخرجه الحاكم في مستدركه (2/ 596) رقم (4009)، وقال صحيح على شرط البخاري، والطبري في جامع البيان (4/ 275).

2 () انظر: مقارنات الأديان، (13، 14)، و(الله)، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، ط8، 2012م، (63، 74، 75)، والأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، د. إبراهيم محمد إبراهيم، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1406هـ (68-69)، ودراسات في الأديان الوثنية القديمة، د. أحمد علي عجيبة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2004م، (87-90).

تلك الرموز ردحًا طويلاً من الزمان، ثم نسي الناس المعنى وبقي الرمز، وصارت أسماء تلك الحيوانات باقية في الأذهان مقرونة بالتقديس محاطة بهالة من التأليه، فقدست بلا فرق بين قوي وضعيف[1].

2- يرى فريق آخر من الباحثين أن الحيوانات لم تكن تعبد على أنها آلهة، بل كانت أساسًا رمزًا للآلهة، فكان لكل إله رمزه المقدس، ولما سرت فكرة تقديس الحيوان إلى العامة لم يعبدوه على أنه رمز للآلهة، بل عبدوه على أنه من الآلهة نفسها، وبذلك صار عندهم في صف الآلهة، وليس رمزًا لها[2].

3- ويذهب فريق ثالث إلى أن سبب عبادة الحيوان عند طوائف من البشر ما كان يعتقد بعض المتقدمين من الحلول والقول بتناسخ الأرواح، فكما أن الروح - في زعمهم - لا بدَّ لها من جسم تحل فيه بعد موت صاحبها، فكذلك الآلهة، لا بدَّ لها من مأوى تأوي إليه في الحياة، وجسم تحل فيه، ثم اختاروا أحياءً تكون - في زعمهم - أحرى لحلول الآلهة فيها، فاختاروا حيوانات تتصل بالخصب والإنتاج والبذور والثمار، وأحلوها في غيرها لميزة لاحظوها أو توهموها، فأحلوا آلهتهم أحيانًا في ثور، وأحيانًا في قط، وأخرى في تمساح، أو في طائر، ثم صاروا يقدسون هذه الحيوانات، ويعبدونها على أنها أوعية قد حلت فيها الآلهة[3].

4- ويرى فريق رابع أنَّ عنصري الرغبة والرهبة هما السبب الحقيقي في تقديس بعض هذه الحيوانات[4]، فبعضها يقدس ويعبد خوفًا منه، وبعضها الآخر يقدس زعمًا منهم أنَّه يملك لهم نفعًا فيعبدونه رجاء هذا النفع.

---

1 () انظر: مقارنات الأديان، لأبي زهرة (13-14)، و(الله)، للعقاد (63)، والأديان الوضعية (68).

2 () انظر: مقارنات الأديان لأبي زهرة (14).

3 () انظر: مقارنات الأديان لأبي زهرة (14)، و(الله)، للعقاد (74-75)، ودراسات في الأديان الوثنية القديمة (89-90)، والأديان الوضعية (69).

4 () انظر: دراسات في الأديان الوثنية القديمة (89)، ومشكلة التأليه في فكر الهند الديني، د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، دار الفيصل للثقافة، الرياض، ط1، 1422هـ، (51-52).

5- وفريق خامس يرى أنَّ تقديس البشر لهذه الحيوانات ما هـو إلا نـــوع من الطوطمة[1]، على اعتبـــار أنهم في تقديســـهم للحيوانـات يشـبهون الطوطمـيين الـذين اعتقـدوا أنَّ هـذه الحيوانـات هي الجــد الأعلى للقبيلــة، وأنّ القبيلــة تنســب إليه[2].

هذه أبرز الأسباب التي وقفت عليها في تعليل عبادة البشــر للحيوان، ويصعب الجزم بترجيح سبب على سبب؛ إذ إنَّ عبـادة الحيوان قديمة جدًّا مما يجعـل الجـزم بتقـديم قـول على قـول يحتاج إلى بحث في هذه الأقوال والتحقق من صحة هذا التعليل أو ذاك، وكل ذلك يحتاج إلى أسانيد ثابتة، وأدلة قوية ترجح هـذا القول على القول الآخر، وقد يصدق التعليل ببعض هذه الأقوال في مكان، وبعضها الآخر في مكان آخر.

والذي نؤمن بـه فيمـا يتعلـق بعبـادة البشـر للحيـوان قـديمًا وحديثًا ما يأتي:

1- ما سـبق بيانـه في بدايـة هـذا المطلب من أسـبقية التوحيـد على الشرك، وأنَّ عبـادة البشـر للحيـوان لم تحـدث إلا بعـد وقوع الشرك الذي طرأ على البشرية بعد أن عاشـت قرونًـا على التوحيد، يقول ﷻ: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ [الروم: 3].

2- أن عبادة البشـر للحيـوان سـببها الـرئيس عـداوة الشـيطان لبني آدم، وسعيه لصدهم عن التوحيد، يقول الله تعـالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ [الأعراف: 16].

وفي الحديث القدسي: ((وإنِّي خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشـياطين فاجتـالتهم عن دينهم، وحـرمت عليهم مـا أحللت

---

[1] () الطوطمية: يـراد بهـا كائنـات تحترمهـا بعض القبائـل قـديمًا؛ حيث يعتقــد بعض النــاس وجــود علاقــة نســب بينهم وبين واحــدٍ منهــا، ويسمونه طوطمهم، ومن أجل ذلك حرِّم قتل هذا الحيوان أو لمسه، واعتقــدت بعض القبائــل في العصــور الماضــية بقدســية الطــوطم وعبدته، ويمكن لأي عشيرة أن تتخذ طيرًا أو سمكة أو حيوانًا أو نباتًا؛ ليكون لها طوطمًا. انظر: الموسـوعة العربيـة العالميـة (15/ 642)، مادة (الطوطم)، وموسوعة الأديان السماوية والوضعية (52-53).

[2] () انظر: مشكلة التأليه (21)، ودراسات في الأديان الوثنيـة القديمـة (88).

لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزِّل به سلطانًا))[1].

يقول ابن القيم رحمه الله متحدثًا عن تلاعب الشيطان ببني آدم: «ومن تلاعبه: تلاعبه بعبَّاد الحيوانات، فطائفة عبدت الخيل، وطائفة عبدت البقر»[2].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «وزين إبليس لعنه الله لآخرين عبادة الملائكة، وقالوا: هي بنات الله تعالى، تعالى الله عن ذلك، وزين لآخرين عبادة الخيل والبقر»[3].

## صور من عبادة البشر للحيوان قديمًا وحديثًا:

عبادة الحيوان حدثت في البشرية قديمًا ولا تزال أمم من البشر تعبد أنواعًا من الحيوانات وتقدسها، ولم يكن هذا الشرك محصورًا في مصر دون مصر، بل وقع في أمصار كثيرة، وهذه صور منها:

### 1- مصر:

عبد المصريون أنواعًا كثيرة من الحيوانات، وكانت عبادتهم لها قديمة جدًّا، يقول أبو زهرة[4]، رحمه الله: «اتفق المؤرخون على أن المصريين كانوا يعبدون الحيوان، وتضافرت على ذلك الأخبار، وبلغت حدًّا استفاضت معه، فلا يستطيع أحد أن ينكرها، ولقد كانوا يتحمسون في عبادتهم للحيوان إلى حد لا يحفلون معه بقوى مهما

---

1 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (1174) برقم (2865)، من حديث عياض بن حمار المجاشعي.

2 () إغاثة اللهفان (2/ 235-236).

3 () تلبيس إبليس (58).

4 () هو: أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى، ينتهي نسبه إلى الأشراف، ولد عام 1316هـ تنقل بين عدة مناصب من مدرس إلى أستاذ مساعد، إلى أستاذ كرسي، إلى رئيس قسم الشريعة، واختير عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر،وكان يلمز شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو من خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،وقد وقع في مخافات كثيرة في الأسماء والصفات أصدر كتبًا كثيرة، منها: أصول الفقه، وأحكام التركات والمواريث، ومحاضرات في مقارنات الأديان وغيرها، كانت وفاته بالقاهرة سنة 1394هـ انظر: الأعلام للزركلي (6/ 25)، ومقدمة مقارنات الأديان (3) ، والبيان لأخطاء بعض الكتاب للشيخ صالح الفوزان (146-170) ،وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (199-201).

تكن رهبته أن يمس ذلك الحيوان بسوء»[1].

وقد اتخذ المصريون معظم آلهتهم بأشكال حيوانية، بعضها كان في شكل حيوان كامل (كعجل أبيس)[2]، فكانوا يخافون نوعًا من الحيوانات فيقدسونه ويحبون بعضها الآخر فيقدسونه[3].

وقد بدأت الآلهة المصرية القديمة على شكل حيوانات، فكانت لكل جماعة معبودها، فمنهم من عبد ابن أوى، ومنهم من عبد التمساح، ومنهم من عبد العجل أبيس، وجماعات أخرى عبدت القردة والحية والقط وغيرها[4].

فلم تكن عبادة المصريين مقصورة على نوع واحد من الحيوان، بل اشتملت على أعداد كبيرة من الحيوان، منها:

القط، والعجل، والتمساح، والثعبان، والصقر، والكبش، والسبع، والكلب، والعنزة، وابن آوى، وفرس البحر، والضفدعة وغيرها من المخلوقات[5].

وقد مرت عبادة الحيوان عند المصريين بمرحلتين:

الأولى: كانت عبادة الحيوان فيها مقصورة على فرد معين منها من آحاد تلك الحيوانات، التي كانت تختار للعبادة فمثلاً في العجول والبقر كانت العبادة مقصورة على عجل معين أطلقوا عليه (عجل أبيس).

الثانية: تعدد العبادة من الفرد المعين إلى النوع كله، فلم تعد العبادة مقصورة على واحد معين من آحاد النوع وإنما تشمل النوع كله، فكل البقر مقدسة، وكل القطط مقدسة[6].

---

1 () مقارنات الأديان (13).

2 () أبيس هي: لقب العجول المقدسة التي كانت تدفن هناك، وكان عجل أبيس رمزًا للخصوبة، وكان يعبد، واعتبره قدماء المصريين روح الإله. انظر: دائرة المعارف (2/407).

3 () انظر: موسوعة الأديان السماوية والوضعية، حسن نعمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994م، (96).

4 () انظر: أديان العالم، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، (32).

5 () انظر: الأديان الوضعية (67)، وأديان العالم (32)، وموسوعة الأديان (96-97).

6 () انظر: مقارنات الأديان (14)، والأديان الوضعية (69-70).

وقد بالغ المصريون القدامى في تقديسهم للحيوان وعبادتهم لها إلى حد جعلهم ينسبون إليها العلم بالغيب والتنبؤ بالمستقبل، كل ذلك بدافع من عقيدتهم في حلول الآلهة فيها[1].

**2- الهند:**

الهند من أعظم بلاد العالم تعددًا للآلهة؛ حيث أوصل بعض الباحثين المعبودات في بلاد الهند إلى ثلاثمائة مليون أو تزيد[2].

فعُبِدَ في الهند ولا يزال تعبد أنواع كثيرة من الآلهة، من البشر، والحيوان، والنبات، والجماد وغير ذلك.

وقد حظي الحيوان بنسبة كبيرة من بين المعبودات الأخرى.

ومن أعظم الحيوانات المعبودة في الهند البقرةُ؛ فقد نالت النصيب الأكبر في ذلك، فلها قداسة تعلو أي قداسة[3].

قدس الهندوس البقرة، وحرموا أكل لحمها، أو استخدامها، وقد رافقت قداستها الأجيال، وما تزال حتى اليوم؛ حيث توجد تماثيلها وصورها ورموزها في كل معبد، بل في كل بيت هندوسي[4]، وذبحها حتى اليوم يعد عندهم من الجرائم الشنيعة[5]، ومن المشاكل التي تعانيها الهند الآن تقديس البقرة، والامتناع عن إيذائها أو ذبحها، ويعجب المرء حين يرى الملايين من الأبقار الهائمة، حتى قيل: إن في الهند ثلاثمائة مليون من هذه الأبقار، بين شعب يشعر بوطأة المجاعة، ويعاني من الفقر والضيق ما يعانيه[6].

وللهندوس أناشيد ومقالات تبين المنزلة العالية التي نالتها البقرة من التقديس والتمجيد، فمن ذلك: نشيد ترجم إلى

---

1 () انظر: مقارنات الأديان (15)، والأديان الوضعية (70).

2 () انظر: أديان العالم (81)، ومعتقدات آسيوية، د. كامل سعفان، دار الندى، مدينة نصر، ط1، 1419هـ، (171).

3 () انظر: أديان الهند الكبرى، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط11، 2000م، (28)، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. محمد محمد الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط4، 1429هـ (602)، ومعتقدات آسيوية (172)، وأديان العالم (83).

4 () انظر: موسوعة الأديان السماوية الوضعية (117).

5 () انظر: أديان العالم (83).

6 () انظر: المرجع السابق (82).

العربية بعنوان صلاة البقرة:

أيتها البقرة المقدسة، لك التمجيد والدعاء، في كل مظهر تظهرين به، أنثى تُدِرِّين اللبنَ في الفجر وعند الغسق، أو عجلاً صغيرًا، أو ثورًا كبيرًا، فلنعدَّ لك مكانًا واسعًا نظيفًا يليق بك، وماءً نقيًّا تشربينه، لعلك تنعمين بيننا بالسعادة[1].

ومما تُرجِم إلى العربية ما ذكره المهاتما غاندي في عبادة البقر بعنوان: (أمي البقرة) وأهم ما جاء فيه:

«إنَّ حماية البقرة التي فرضتها الهندوسية هي هدية إلى العالم، وهي إحساس برباط الأخوة بين الإنسان وبين الحيوان، والفكر الهندي يعتقد أنَّ البقرة أمٌّ للإنسان، وهي كذلك في الحقيقة، إن البقرة خير رفيق للمواطن الهندي، وهي خير حماية للهند...

عندما أرى البقرة لا أعدني أرى حيوانًا؛ لأنِّي أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع...

وأمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين، وتتطلب مِنَّا خدمات طوال العمر نظير هذا، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائمًا، ولا تتطلب منَّا شيئًا مقابل ذلك سوى الطعام العادي، وعندما تمرض الأم الحقيقية تكلفنا نفقات باهضة، ولكن أمنا البقرة فلا نخسر لها شيئًا ذا بال، وعندما تموت الأم الحقيقية تتكلف جنازتها مبالغ طائلة، وعندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهي حية، لأننا ننتفع بكل جزء من جسمها، حتى العظم والجلد والقرون.

...أنا لا أقول هذا لأقلل من قيمة الأم، ولكن لأبيّن السبب الذي دعاني لعبادة البقرة، إنَّ ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال وأنا أعُدُّ نفسي من هؤلاء»[2].

وتقديس البقرة وعبادتها عند الهندوس يرجع إلى أسباب كثيرة، لعل أبرزها:

1- أنَّها أغلى الثروات، وكانوا في حاجة إلى العطف عليها وتربيتها؛ لأنَّها تدر لهم فوائد كثيرة؛ ولهذا وضعوا في كتبهم

---

[1] () مقارنة الأديان، أديان الهند الكبرى (29).
[2] () انظر: المرجع السابق (31).

المقدسة أبياتًا في تمجيدها[1].
2- أرجع بعض الباحثين السبب في هذه القداسة إلى السياسة القديمة التي كانت تهدف إلى الحفاظ على الزراعة بحيوان الجر، حتى يسد حاجة السكان الذين يتكاثرون، فحرمت ذبح البقر، ثم ما لبثت هذه السياسة أن تحولت إلى عقيدة[2].
3- أنها رمز الإيثار؛ لأنها تقدم الطعام طائعة وهي حية، وتمنح اللبن دائمًا ولا تطلب مقابله سوى الطعام العادي[3].

ولم تقتصر العبادة في الهند على البقرة، وإن كان لها النصيب الأكبر من ذلك، فهناك معبودات أخرى من الحيوان، وهناك قطعان كبيرة من القرود تتجمع حول بعض المعابد، ولها عناية وتوقير.

والثعابين كذلك من الحيوانات المقدسة، وهناك معابد كثيرة تعج بها.

ويظهر الجميع استياءَهم من قتل الثعابين على الرغم من ضحاياها الذين يعدون بمئات الألوف سنويًّا، ويقدمون لها الذبائح[4].

يقول الدكتور: محمد أحمد الخطيب: «الهندوس يؤلهون القردة والأفاعي، وهي مصادر الرعب التي ترمز لطبيعة الآلهة، ولعل أخطر هذه الأفاعي المقدسة أفعى تسمى (ناجا)، لها عند الهندوس منـزلة خاصة، فهم يقيمون لها حفلاً دينيًّا كل عام تقدم لها فيه هي وزملائها من الأفاعي قرابين من اللبن والموز توضع عند مداخل جحورها، وأكبر مركز عبادة الأفاعي في شرقي ميسور، فهناك معابد في هذا الإقليم تسكن فيها جموع زاخرة من الأفاعي، حيث يقوم الكهنة على إطعامها والاهتمام بها، وإذا كانت القردة والأفاعي لها هذه القدسية عند الهندوس، فهناك من الحيوانات الأخرى ما يتمتع هو الآخر بمثل هذه القدسية مثل التماسيح والنمور، والطواويس والببغاوات، بل والفئران أيضًا»[5].

ومن الآلهة المعبودة في الديانة الهندوسية: السلحفاة،

---

[1] () انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (602).
[2] () انظر: معتقدات آسيوية (172-173).
[3] () انظر: مقارنة الأديان، لأحمد شلبي (31).
[4] () انظر: معتقدات آسيوية (173).

الخنـزير، الأسد، رأس الفيل، الحدأة، رأس الحصان[1].

ولا يـزال تقـديس البقـرة في بلاد الهنـد عنـد طائفـة كبـيرة منهم، فقد ذكر الرَّحالـة محمـد بن ناصـر العبـودي حفظـه اللـه مواقـــف كثـــيرة شـــاهدها في بلاد الهنـــد من معابـــد للبقـــر، وتقديسهم لهـا، والوقـوف عنـد مرورهـا في الطرقـات تعظيمًـا واحترامًا لها، ومحاربتهم لمن يذبح شيئًا منها، أو يؤذيها[2].

وفي بلدة (دشنوك) التي تبعد حوالي 30كم من بيكــانير في ولاية (راجستان) الهندية يوجد معبد كارني ماتا (معبد الفئران)، حيث يوجد في هذا المعبد مـا يقـارب (20000) عشـرون ألـف فـأرٍ تطعم وتتمتـع بالحمايـة والرعايـة؛ حيث يعتقـدون أنهـا هي الإلهَ الذي تعبر عنهم وعن فقرهم.

كما تتعهد عدد من العـائلات الغنيـة برعايـة المعبـد والإنفـاق عليه، ويوجـد هنـاك رهبـان ونسـاك للقيـام والسـهر على راحـة الفئران، كما أنَّ هنـاك سـدنةً للمعبـد يتولـون تنظيفـه وإطعـام الفئران التي تسرح وتمرح فيه حيث شاءت[3].

هذه أشهر الأمصار التي تجلت فيها عبـادة الحيـوان، وإن لم يكن مقصورًا عليها فالشرك وعبادة غير الله تعـالى من حيـوان وغيره منتشرة في أمصار كثيرة.

وقد وجدتْ عبادةُ الحيوان أيضًا في اليابـان والرومـان وعنـد

[5] () مقارنـة الأديـان، د. محمـد أحمـد الخطيب، دار المسـيرة، عمـان، الأردن، ط2، 2009م، (401).

[1] () انظر: مشكلة التأليه في فكر الهند الديني (54-55).

[2] () انظر: الرحلات الهندية (نظرات في شمال الهند)، محمد بن ناصر العبـــودي، مطبعـــة الـــنرجس، الريـــاض، ط1،ـ 1424هـ (1/27)، والـرحلات الهنديـة (الشـمال الشـرقي في الهنـد)، محمـد بن ناصـر العبودي، مطبعة النرجس، الرياض، ط1، 1422ه (106)، والرحلات الهندية (في وسط الهند)، محمد بن ناصر العبودي، مطبعة النرجس، الرياض، ط1،ـ 1427هـ (123-124)، والرحلات الهندية (في أقصـى شرق الهند)، محمد بن ناصر العبودي، مطبعة النرجس، الريـاض، ط 1، 1432ه (124).

[3] () وجدت تقريرا مصورا عن هذا المعبد في مواقـع ومنتـديات كثـيرة في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) انظر مثلا: موقع صحيفة إيملات:
http://www.e-mailaat.com/news.php?action=show&id=5144

الكنعانيين، وفي جزيرة العرب، وقبائل الهنود الحمر في أمريكا الشمالية[1].

وقد أخبر الله تبارك وتعالى عن عبادة اليهود للعجل، الذي صنعوه من ذهب، فقال سبحانه: ﴿ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ﴾ [الأعراف: 148].

وهذا العجل الذي عبدوه وإن لم يكن عجلاً حقيقيًّا فإن سبب صنيعهم العجل أن الذي صنعه لهم وهو السامريّ كان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادة البقر في نفسه[2].

وهذه الصور تبين الجهل والضلال الذي وقعت فيه طوائف من البشر قديمًا وحديثًا؛ حيث عبدت معبودات كثيرة من الحيوان، مع اعترافهم أنها لم تخلقهم ولا تملك لهم رزقًا ولا نفعًا ولا ضرًّا، والله تبارك وتعالى يقول في بيان بطلان هذه الآلهة وغيرها: ﴿ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ﴾ [النحل: 17]، وإن كان بعض المتأخرين قد يعتقد فيها شيئًا من النفع والضر كما سبق في تقديس المهاتما غاندي للبقرة.

بل المخلوقات كلها ملك لله وحده، وهو الذي خلقها فلا ينبغي أن يعبد الا هو سبحانه يقول جلّ وعلا: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ﴾ [الفرقان: 3]، ويقول سبحانه: ﴿ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ﴾ [فاطر: 13].

فهذه الآيات وغيرها كثير تبين أن جميع المعبودات التي عبدها البشر قديمًا وحديثًا من حيوان أو غيره، هي ملك له سبحانه ولم تخلق شيئًا، ولا تستطيع ذلك، فلا تصح عبادتها من دون الله ﻷ؛ لأن الله ﻷ وحده المتفرد بالخلق والملك والتدبير وهو سبحانه الذي يعطي ويمنع، وينفع ويضر، فالواجب إفراده سبحانه بالعبادة دون سواه.

---

[1] () انظر: موسوعة الأديان السماوية والوضعية (52، 53، 80، 92، 121).

[2] () انظر: جامع البيان (2/ 66)، وتلبيس إبليس (58).

## المطلب الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بذبح الحيوان:

وفيه أربع مسائل:

### المسألة الأولى: التقرب إلى الله تعالى بذبح بهيمة الأنعام:

من المسائل العقدية المتعلقة بالحيوان، مسائل الذبح، فإنَّ من أجلِّ القربات وأعظم العبادات التقرب إلى الله  بذبح بهيمة الأنعام، وقد قرن الله تبارك وتعالى بين عبادة الصلاة وعبادة الذبح، وأمر بإخلاصهما لله ، فقال سبحانه: ﴿ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ﴾ [الأنعام: 161-162]، والمراد بالنسك في هذه الآية الذبح، كما ذكر ذلك كثير من المفسرين[1]، يقول الطبري رحمه الله: «النسك: الذبح لله، في لغة العرب يقال: نسك فلان لله نسيكة، بمعنى: ذبح لله ذبيحة»[2].

وقال : ﴿ﮊ ﮋ ﮌ﴾ [الكوثر: 2]، فأمره ربه تبارك وتعالى أن يجعل صلاته ونحره خالصين له  دون سواه، وهاتان العبادتان من أجلِّ العبادات وأعظمها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقوله: ﴿ﮊ ﮋ ﮌ﴾، أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين، وهما: الصلاة والنسك، الدالتان على القرب والتواضع، والافتقار وحسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله، وإلى عدته وأمره، وفضله، وخلقه، عكس حال أهل الكبر والنفرة وأهل الغنى عن الله، الذين لا حاجة في صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها، والذين لا ينحرون له خوفًا من الفقر، وتركًا لإعانة الفقراء وإعطائهم، وسوء الظن منهم بربهم، ولهذا جمع الله بينهما، في قوله تعالى: ﴿ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ﴾ [الأنعام: 161]، والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه، والمقصود: أن الصلاة والنسك هما من أجل ما يتقرب به إلى الله»[3].

---

[1] () انظر: جامع البيان (12/ 83)، ومعالم التنزيل (3/ 211)، والجامع لأحكام القرآن (7/ 151)، وتفسير القرآن العظيم (3/ 377)، وفتح القدير (2/ 185)، وتيسير الكريم الرحمن (317).

[2] () انظر: المرجع السابق (3/ 86).

[3] () مجموع فتاوى ابن تيمية (16/ 531-532).

وأخبر  أن الذبح عبادة مشروعة لكل الأمم السابقة، فقال سبحانه:  ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ  [الحج: 34].

فلم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله تبارك وتعالى مشروعًا في جميع الملل[1]، ثم أمر سبحانه أن يكون الذبح له، وأن يذكر عند الذبح؛ لأنه هو رازق ذلك[2]، فوجب إخلاص هذه العبادة له سبحانه دون سواه.

والدماء التي يتقرب إلى الله  بها هي:

**1- الأضحية:**

**والأضحية في اللغة:** ذبح الأضحية وقت الضحى[3]، وبها سمي يوم الأضحى[4].

**وفي الشرع:** ما يذبح من بهيمة الأنعام أيام النحر تقربًا إلى الله تعالى[5].

ويدل على مشروعيتها ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ((ضحى رسول الله  بكبشين أملحين[6]، فرأيته واضعًا قدمه على صفاحهما يسمي ويكبر فذبحهما بيده))[7].

**2- العقيقة:**

**والعقيقة في اللغة:** من العقِّ، وأصل العقِّ الشق[8]، وأصلها الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد، وسميت الشاة التي تذبح في تلك الحال عقيقة؛ لأنه يحلق عنه ذلك الشعر عند الذبح[9].

---

1 () انظر: تفسير القرآن العظيم (5/ 420).
2 () انظر: الجامع لأحكام القرآن (12/ 63-64).
3 () انظر: المصباح المنير (2/ 359)، مادة (الضحاء).
4 () انظر: مختار الصحاح (403)، مادة (ضحا).
5 () انظر: كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي، ومصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، 1402هـ (2/ 530).
6 () الأملح: الذي بياضه أكثر من سواده، وقيل: النقي البياض. انظر: النهاية لابن الأثير (880)، مادة (ملح).
7 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأضاحي، باب: من ذبح الأضاحي بيده (478) برقم (5558)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الأضاحي، باب استحسان الأضحية وذبحها مباشرة (1028) برقم (1966).
8 () انظر: العين (1/ 62-63).
9 () انظر: لسان العرب (10/ 257) مادة (عق).

ويدل على مشروعيتها ما روته عائشة رضـي اللـه عنهـا، أن رسول اللـه  أمـرهم: ((أن يعـق عن الغلام شـاتان مكافئتـان، وعن الجارية شاة))[1].

**3- الهدي:**

**والهدي في اللغة:** ما أتحف به[2].

**والهـدي في الشـرع:** مــا يهـدى إلى الحــرم من النعم وغيرها[3].

ويشـمل هـدي التمتـع والقـران، وهـدي الفـوات والإحصـار، ويدخل فيه - أيضًا - فدية الأذى، قال تعالى: ﴿ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﴾ [البقرة: 196].

وقال سبحانه في بيان جزاء الصيد: ﴿ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﴾ [المائدة: 95] الآية.

وهذه الدماء التي شرع التقرب إلى الله بها مختصـة ببهيمـة الأنعام، قال ابن القيم - رحمه اللـه -: «وهي مختصـة بـالأزواج الثمانية المذكورة في سورة الأنعام، ولم يعـرف عنـه  ولا عن الصحابة هدي، ولا أضحية ولا عقيقة من غيرها، وهذا مأخوذ من القرآن من مجموع أربع آيات.

إحداها: قوله تعالى: ﴿ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﴾ [المائدة: 1].

والثانية: قوله تعالى: ﴿ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﴾ [الحج: 28].

والثالثة: قوله تعالى: ﴿ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﴾ [الأنعام: 142-143] ثم ذكرها.

والرابعة: قوله تعالى: ﴿ ﯸ ﯹ ﯺ ﴾ [المائدة: 95].

فدل على أن الذي يبلـغ الكعبـة من الهـدي هـو هـذه الأزواج

---

[1] () أخرجه أحمد في مسنده (6/ 31)، والترمذي في سـنته في كتـاب الأضاحي، بـاب: مـا جـاء في العقيقـة (1806) بـرقم (1513)، وابن ماجه في سننه في كتاب أبواب الذبائح، باب العقيقة (2669) بــرقم (3163)، وصــححه الألبـــاني في إرواء الغليـــل (4/ 389) بـــرقم (1166).

[2] () انظر: القاموس المحيط (1734).

[3] () انظر: الإقناع في فقه الإمـام أحمـد بن حنبـل، موسـى الحجـاوي، تحقيق: عبد اللطيف السبكي، دار المعرفة، بيروت، (1/ 401).

الثمانية»[1].

**المسألة الثانية: الذبح لغير الله :**

الذبح عبادة من العبادات التي لا يجوز صرفها إلاَّ لله ، كما قال سبحانه: ﴿ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ﴾ [الأنعام: 162-163]، وقال أيضًا: ﴿ﮊ ﮋ ﮌ﴾ [الكوثر: 2].

فمن صرف هذه العبادات لغير الله تعالى، وتقرب إلى غيره بإراقة الدم فقد أشرك في عبادته، واتخذ ندًّا مع الله تبارك وتعالى، وخرج من دين الإسلام؛ لأنه وقع في الشرك الأكبر، وقد جاءت السنة بلعن من ذبح لغير الله تعالى، فعن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله  يقول: ((لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من غير منار الأرض))[2].

وأخبر الله  في كتابه العزيز بحرمة الأكل مما ذبح لغيره، فقال: ﴿ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ﴾ [البقرة: 173].

وما أهل به لغير الله تعالى هو: ما ذبح للآلهة والأوثان، يسمى عليه بغير اسم الله ، أو قصد به غيره من الأصنام[3].

وقال  في سورة المائدة في بيان المحرمات من الذبائح: ﴿ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ﴾ [المائدة: 3]، والنصب حجارة كانت تجمع في الموضع من الأرض، فكان المشركون يقربون لها بالذبح، ويعبدونها من دون الله تعالى[4].

فمن ذبح لغير الله تعالى كمن يذبح للسلطان أو الجن أو قبر نبي أو صالح أو غير ذلك، فقد عظمه تعظيمًا لا يكون إلا لله تبارك وتعالى؛ إذ الذبح أو النحر عبادة عظيمة؛ لأن الذبائح، أو المنحورات من الإبل، أو البقر، أو الغنم، مما تعظم في نفوس أهلها، ونحرها وذبحها له سبحانه فيه تعظيم له، فمن تقرب بهذا الذبح لغيره فقد أشرك بالله الشرك الأكبر، وصرف لغيره عبادة وقربة لا ينبغي صرفها إلا للخالق .

---

1 () زاد المعاد (2/ 312).

2 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله تعالى، ولعن فاعله (1031) برقم (1978).

3 () انظر: جامع البيان (3/ 319).

4 () انظر: المرجع السابق (9/ 508-509).

والذبح لغير الله تعالى له صورتان[1]:

**الصورة الأولى:** أن يذبح باسم الله، ويقصد بذلك التقرب لغير الله، فيقول مثلاً: باسم الله، وينحر الدم، وهو ينوي بإزهاق النفس وبإراقة الدم التقرب لغير الله  من نبي أو صالح أو جن أو غير ذلك، فهذا وإن ذكر اسم الله، فإن الشرك حاصل من جهة أنه أراق الدم تعظيمًا لغير الله.

**الصورة الثانية:** أن يذكر على الذبيحة عند ذبحها اسمًا غير اسم الله ، كمن يقول: باسم المسيح، أو النبي فلان، أو يسمي صاحب القبر، أو الجن أو غيرهم، ويقصد بذلك - أيضًا - التقرب إليهم بذلك، فهذا جمع شركًا في الاستعانة، وشركًا في العبادة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمسلم لو ذبح لغير الله، أو ذبح باسم غير الله لم يبح، وإن كان يكفر بذلك»[2].

وقال أيضًا: في بيان الصورتين السابقتين، وأن الذبح من أجل المذبوح له أعظم من الذبح باسمه فقط: «قوله تعالى: ﴿ٻ ٻ پ پ﴾ [المائدة: 3]، ظاهره: أنه ما ذبح لغير الله مثل أن يقال: هذا ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم، وقال فيه: باسم المسيح، ونحوه، كما أن ما ذبحناه نحن متقربين به إلى الله سبحانه كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: بسم الله، فإن عبادة الله سبحانه بالصلاة له، والنسك له، أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فكذلك الشرك بالصلاة لغيره، والنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور»[3].

فيدخل في الذبح لغير الله تعالى صورٌ منها[4]:

---

[1] () انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح عبد العزيز آل الشيخ، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط2، 1433هـ، (142-143).

[2] () اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، ط5، 1417هـ، (2/ 561).

[3] () المرجع السابق (2/ 565-566).

[4] () انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، د. صالح الفوزان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1423هـ، (1/ 168-169).

1- ما ذبح للأصنام وغيرها تقربًا إليها.
2- ما ذبح للحم وذكر عليه اسم غير الله تعالى.
3- ما ذبح تعظيمًا لمخلوق وتحية له عند نزوله ووصوله إلى المكان الذي يستقبل فيه، مثل ما يذبح للملوك والرؤساء عند قدومهم إذا نزل من الطائرة أو من السيارة أو من الدابّة.
4- ما ذبح عند انحباس المطر في مكان معين أو عند قبر لأجل نزول المطر.
5- ذبائح الجن والكهان والعرافين، وهي التي تذبح لتعظيم الجن بطلب من السحرة والكهان والعرافين، وقد يذكر عليها اسم الله تعالى ويقصد بها التقرب إلى الجن، وقد يذكر عليها اسم الجن أو الشياطين، وعادة ما تكون هذه الذبائح بصفات مميزة يطلبها الساحر أو الكاهن، ومن علاماتها: تحديد زمان معين أو صفة معينة للذبح، كالذي يذبح وقت زوال الشمس، أو منتصف الليل، وفي مكان غريب، كالذي يذبح بين القبور أو في الحمام، أو غير ذلك، ويكون الباعث لهذا التقرب بهذا الذبح للجن وغيرهم أمور منها:
1- الخوف من الجن أن تصيبه بأذى عند نزول البيت أو مكان آخر.
2- طلب الشفاء من المرض، أو إخراج الجن المتلبس بالمريض.
3- حماية لأهل البيت من الأذى، أو الأموال من الضياع.
4- طلب رد الغائب، أو اكتشاف سارق، أو معرفة مفقود.

فهذه كلها صور من صور الذبح لغير الله تعالى، التي توقع صاحبها في الشرك الأكبر المخرج من دين الله تعالى؛ إذ الذبح عبادة وتعظيم لا يتقرب بها إلا لله تبارك وتعالى، فهو سبحانه المستحق لذلك دون غيره كما قال سبحانه: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ﴾ [الأنعام: 162].

**المسألة الثالثة: ما ذبح من الحيوان ولم يذكر عليه اسم الله ﻷ:**

أمر الله تبارك وتعالى بذكر اسمه عند الذبح، مما ذُبِح تقربًا إليه سبحانه، كالأضحية والهدي والعقيقة، أو ما ذبح لأكل لحمه، ونهى عن أكل ما لم يذكر اسمه عليه، فقال جلَّ وعلا: ﴿ﮉ ﮊ ﯼ

ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﴿ [الأنعام: 118-119].

قال ابن كثير - رحمه الله –: «هذا إباحة من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه، ومفهومه: أنه لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه، كما كان يستبيحه كفار المشركين من أكل الميتات، وأكل ما ذُبح على النصب وغيرها.

ثم ندب إلى الأكل مما ذكر اسم الله عليه، فقال: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﴿ [الأنعام: 119]»[1].

وقال سبحانه ناهيًا عن أكل ما لم يذكر عليه اسمه: ﴿ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﴿ [الأنعام: 121].

ويدخل في هذا النهي ما ذكر عليه اسم غير الله، كالذي يذبح للأصنام، وآلهة المشركين، والميتة، ومتروك التسمية مما ذبح لله، كالضحايا والهدايا، أو للحم والأكل[2].

فدلت النصوص على وجوب ذكر اسم الله تعالى عند الذبح، وتحريم ما لم يذكر عليه اسمه تبارك وتعالى، وهو على نوعين:

**الأول:** ما ذبح لغير الله تعالى سواء أذكر عليه غير اسم الله، أم قصد به غيره، وقد سبق الكلام عليه في المسألة السابقة.

**الثاني:** ما لم يذكر عليه اسم الله ﷻ، ولا غيره، ولا يقصد به التقرب إلى غير الله تعالى، ويدخل في هذا ما لم يذكَّ، ومتروك التسمية، أما ما لم يذك فقد أخبر ﷻ بحرمته، فقال جلَّ وعلا: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﴿ الآية [المائدة: 3].

والميتة: ما فقدت حياته بغير ذكاة شرعية، والمنخنقة: الميتة بخنق، بيد أو حبل، أو إدخالها رأسها بشيء ضيق فتعجز عن إخراجه حتى تموت، والموقوذة: الميتة بسبب الضرب، أو هدم شيء عليها، والمتردية: الساقطة من علو، كجبل أو غيره، والنطيحة: هي التي تنطحها غيرها فتموت بذلك[3].

وأمَّا التسمية عند الذبح فقد أجمع العلماء على مشروعيتها[4]، وقد دلت عليها نصوص الكتاب والسنة، وقد

1 () تفسير القرآن العظيم (3/ 315-316).
2 () انظر: بحر العلوم (1/ 497)، وتيسير الكريم الرحمن (303).
3 () انظر: تيسير الكريم الرحمن (240).
4 () انظر: الإجماع، محمد بن إبراهيم بن المنذر، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، دار المسلم، الرياض، ط1، 1425هـ، (60).

سبق ذكر الآيات الدالة على مشروعية ذكر اسم الله تعالى والأمر بذلك عند الذبح، أما السنّة فمن ذلك:

- ما رواه أنس بن مالك قال: ((ضحّى النبي  بكبشين أملحين، فرأيته واضعًا قدمه على صفاحهما يسمي ويكبر فذبحهما بيده))[1].
- وما رواه رافع بن خديج[2] أن النبي  قال: ((ما أنهر الدم وذُكِر اسم الله عليه فكل...)) الحديث[3].

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في حكم التسمية عند الذبح على أقوال أشهرها ثلاثة:

**القول الأول:** أن التسمية واجبة، ولا تحل الذبيحة عند ترك التسمية عمدًا، وتسقط بالنسيان، وهو قول الجمهور[4]: أبي حنيفة[5]، ومالك[6]، وأحمد في المشهور عنه[7]، ودليلهم عموم الأدلة الدالة على وجوب التسمية مع ما جاء من النصوص في العفو عن السهو والنسيان[8].

**القول الثاني:** أن التسمية سنة، وأن الذبيحة تحل سواء أترك التسمية عالمًا ذاكرًا أم جاهلاً ناسيًا، وهو مذهب

---

1 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [183].

2 () هو: رافع بن خديج، الحارثي، الأوسي، الأنصاري، أول مشاهده أحد ثم الخندق، روى عنه ابنه رفاعة وعطاء وطاووس، أخرج حديثه الجماعة، توفي سنة 74هـ. انظر: الإصابة (2/ 436) الكاشف (1/ 232)، وتقريب التهذيب (204).

3 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الذبائح والصيد، باب التسمية على الذبيحة ومن ترك متعمدًا (374) برقم (5498)، ومسلم في صحيحه في كتاب الأضاحي، باب: الذبح بكل ما أنهر الدم إلا السن والظفر وسائر العظام (1092) رقم (1968).

4 () انظر: المحرر الوجيز (2/ 340).

5 () انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (5/ 46)، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة، بيروت، (8/ 191).

6 () انظر: منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل، محمد عليش، دار الفكر، بيروت، 1409هـ، (2/ 429).

7 () انظر: المغني لابن قدامة (13/ 290).

8 () انظر: تيسير الكريم الرحمن (303).

الشافعي[1]، وحملوا الآيات الناهية عن الأكل من الذبيحة التي لم يسم عليها على الذبائح المذبوحة لغير الله، كذبائح الجاهلية التي يذبحونها لأوثانهم؛ لأنهم يذكرون اسم غير الله عليها، أو على التي ماتت من دون ذكاة.

واستدلوا بعدم ذكر التسمية في قوله تعالى:  ٻ ٻ ... الآية [المائدة: 3].

وبحديث عائشة رضي الله عنها: ((أن قومًا قالوا لرسول الله : إنَّ قومًا يأتوننا بلحم لا ندري أذكر اسم الله عليه، أم لا؟، فقال: (سموا عليه أنتم وكلوه)، قالت: وكانوا حديثي عهد بالكفر))[2].

قالوا: لو كانت التسمية واجبة لما جاز الأكل مع الشك[3].

**القول الثالث:** أنَّ التسمية واجبة، ولا تسقط عمدًا ولا سهوًا، وهذا القول رواية عن الإمام أحمد[4]، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية[5]، والشيخ ابن عثيمين[6].

لعموم الأدلة الدالة على وجوب التسمية عند الذبح، وأنَّ الصحابة  سألوا النبي  عن اللحم الذي لا يدرون هل سمي عليه أم لا؟ فأمرهم أن يسموا، فلو لم تكن التسمية واجبة لما استشكلوا ذلك، ولو كانت التسمية غير شرط أو كانت تسقط في مثل هذه الحال لقال لهم النبي : وما يضركم إذا تركتموها[7].

---

1 () انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين، يحيى بن شرف النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ، (3/ 205).

2 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الذبائح والصيد، باب: ذبيحة الأعراب ونحوهم (474) برقم (5507).

3 () انظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري، تحقيق: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، (1/ 540).

4 () انظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423هـ، (3/ 247).

5 () انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (35/ 239).

6 () انظر: أحكام الأضحية والذكاة، محمد بن عثيمين، مدار الوطن للنشر، الرياض، 1424هـ، (71).

7 () انظر: المرجع السابق (73-74).

والقول الأول هو الأقرب - والله أعلم - لعموم الأدلة الدالة على وجوب التسمية عند الذبح من الكتاب والسنة، وحَمْلُ أصحاب القول الثاني الأدلة التي تنهى عن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه على ما ذبح لغير الله، أو الميتة فقط لا يستقيم؛ إذ نصوص السنة جاءت موضحة لوجوب التسمية عند الذبح، كقوله ﷺ: ((ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل))[1]، وكذلك فعله ﷺ؛ حيث كان يسمي عند الذبح[2].

ونصوص الشريعة جاءت برفع الحرج عن هذه الأمة، فدلت على سقوط التسمية حال النسيان والله أعلم.

وهذه المسألة لها بسط كبير في كتب الفقه، وذُكِرت هنا لبيان أهمية الإهلال باسم الله تعالى على الذبائح، وأنَّ ذلك عبادة وقربة لله تبارك وتعالى، وأن ترك ذلك عمدًا يؤدي إلى تحريمها.

وفيه مشروعية ذكر اسم الله ﷻ في شؤون الإنسان كلها، وأن يكون على صلة بربه تبارك وتعالى عابدًا خاضعًا له في جميع أحواله لا يشغله عنه حال دون حال، ولا مكان دون مكان.

وفي بحوث مخبرية أثبت عشرون من كبار علماء الطب والطب البيطري والصيدلة والعلوم في الجامعات السورية أنَّ التسمية والتكبير عند ذبح الحيوان تعمل على تعقيم كامل لبدنه، وتطهره من الدماء والجراثيم، بعكس الذبائح التي لا يذكر اسم الله عليها[3].

وصدق الله: [illegible] ...الآية [الحج: 36].

**المسألة الرابعة: الذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله:**

من المسائل المتعلقة بذبح الحيوان: أن يذبح المسلم ذبيحة لله تعالى ذاكرًا عليها اسم الله عز وجل، ولكن الذبح حصل بمكان يذبح فيه لغير الله تعالى، فهذا من المنهيات التي جاءت الأدلة بالتحذير منها والنهي عنها، فعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجلٌ أن ينحر إبلاً ببوانة [4]، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((هل كان فيه وثن من أوثان

---

1 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [189].
2 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [183].
3 () انظر: من آيات الإعجاز العلمي، الحيوان في القرآن الكريم (364).

الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم)) [1].

إذا وجد مكان يذبح فيه لغير الله تعالى، كمكان عند قبر، أو مكان اعتاد المشركون التقرب بالذبائح لأصنامهم وأوثانهم فيه، فإن المسلم لا يحل له أن يذبح في هذا المكان ولو ذبحه خالصًا لله عز وجل؛ لأنه شابه المشركين في تعظيم الأمكنة التي يتعبدون فيها لغير الله تعالى، وهو وسيلة من وسائل الشرك.

الحكمة من هذا النهي:

أولاً: أن في ذلك مشابهة للمشركين.

ثانيًا: حتى لا يعظم هذا المكان ويحيا ما اندرس فيه من الشرك.

ثالثًا: حتى لا يكون في ذلك تقوية للمشركين على فعلهم إذا رأوا من يفعل مثلهم.

[4] () بوانة: هضبة من وراء ينبع. انظر: النهاية لابن الأثير (94) مادة (بون).

[1] () أخرجه أبو داود في سننه في كتاب: الأيمان والنذر، باب: مايؤمر به من الوفاء بالنذر (1470) رقم (3313)، وصحح إسناده ابن حجر في بلوغ المرام (287)، ورقم (1406)، وصححه الألباني في تحقبق مشكاة المصابيح (2/282) رقم (3437).

## المطلب الرابع: التطير بأنواع من الحيوان:

وفيه تمهيد ومسألتان:

### التمهيد: تعريف التطير:

### التطير لغة:

التطير مصدر تطير، واسم مصدره طِيرَة، وهي: التشاؤم بالشيء[1].

وقيل للشؤم طيرة؛ لأن العرب كان من شأنها زجر الطير، والتطيُّر ببارحِها وبنعيق غربانها، وأخذها ذات اليسار إذا أثاروها، فسموا الشؤم طيرة، لتشاؤمهم بها وبأفعالها[2].

وقد كانت العرب إذا أرادت فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتى يطير؛ فإن طار يمينًا كان له حكم، وإن طار يسارًا كان له حكم، وإن طار أمامًا كان له حكم، وإن طار فوق رأسه كان له حكم، ومن ثم سميت الطيرة أخذًا من اسم الطير، وأكثر ما كانوا يعولون عليه في ذلك الغراب ثم تعدوه إلى غير الطير من الحيوان، ثم جاوزوا ذلك إلى ما يحدث في الجمادات من كسر أو صدع أو نحو ذلك[3].

وكانوا يسمون الطير عندما يهيجونها للتطير بها: السانح، والبارح، فالسانح ما ولاك ميامنه بأن يمر عن يسارك إلى يمينك، والبارح بالعكس، وكانوا يتيمنون بالسانح، ويتشاءمون بالبارح[4].

### التطيُّر في الشرع:

معنى التطير في الشرع هو معناه في اللغة، فقد عرف التطير في الشرع: التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع أو المعلوم[5].

---

1 () انظر: النهاية لابن الأثير (574)، مادة (طير)، والقول المفيد لابن عثيمين (2/ 563).

2 () انظر: تهذيب اللغة (14/ 11).

3 () انظر: صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، 1981م، (1/ 455-456).

4 () انظر: فتح الباري لابن حجر (13/ 183).

5 () انظر: مفتاح دار السعادة (3/ 311)، والقول المفيد لابن عثيمين (2/ 559).

فيكون التشاؤم بالمرئي، مثل: من رأى طيرًا أو مريضًا في طريقه فانصرف عن الأمر الذي قد عزم على فعله.

ومثال المسموع: لو سمع أحدًا يقول: يا خاسر، أو يا خائب، فتشاءم وانقبضت نفسه بسبب ذلك وربما انصرف عمَّا عزم على فعله.

ومثال المعلوم: التشاؤم ببعض الأيام، أو بعض الشهور، أو غير ذلك[1].

**المسألة الأولى: علاقة التطيُّر بالحيوان:**

التطير - كما سبق في تعريفه - هو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم، فهو عام في كل ما يتطير به البشر من حيوان وغيره، إلاَّ أن الحيوان قد نال النصيب الأكبر عند كثير من الناس قديمًا وحديثًا، ولهذا نجد أن التطير مشتق من بعض أنواع الحيوان، يقول الجاحظ: «وأصل التطير إنما كان من الطير ومن جهة الطير، إذا مرَّ بارحًا وسانحًا، أو رآه يتفلى وينتتف، حتى صاروا إذا عاينوا الأعور من الناس أو البهائم أو الأعضب أو الأبتر زجروا عند ذلك وتطيروا عندها، كما تُطُيِّر من الطير إذا رأوها على تلك الحال، فكان زجر الطير هو الأصل، ومنه اشتقوا التطير؛ ثم استعملوا ذلك في كل شيء»[2].

وقيل: إنَّ اشتقاق الطِّيرة من الطَّير، لسرعة لحوق البلاء - على اعتقادهم - كما يسرع الطير في الطيران[3].

فالحيوانات من مخلوقات الله تبارك وتعالى، لا تملك لنفسها نفعًا، ولا تستطيع أن تدفع عنها ضرًّا إلا بإذن الله تعالى، فهي مسخرة منقادة لما خلقها له الباري جلَّ في علاه، ومع ذلك استطاع الشيطان أن يوقع طوائف من البشر في التشاؤم بأنواع منها؛ ليقعوا فريسة لجهلهم وللشيطان، فهل هذا المخلوق الضعيف يملك لهم ضرًّا أو نفعًا، وهل ذهاب الحيوان يمنة أو يسرة إلا بتقدير من خالقه ؟!

وما تصدره الحيوانات من أصوات، أو تكون عليه من هيئات وأشكال كلُّ ذلك بتدبير من اللطيف الخبير، لم تكن تصنع ذلك لتدل على غائب أو مجهول، حتى يتطير البشر بأصواتها،

---

1 () انظر: القول المفيد لابن عثيمين (2/ 559).
2 () كتاب الحيوان (3/ 438).
3 () انظر: حياة الحيوان الكبرى (3/ 35).

وبأشكالها وألوانها.

ومن أمثلة التطيُّر بالحيوان:

**1- الغراب:**

وهو من أكثر الطيور التي كانت العرب تتشاءم بـه وبصـوته، وبكل ما يصدر عنه، ولهذا كلمـا ذكـروا شـيئًا ممـا يتطـيرون بـه ذكروا الغراب معه، وقد يذكرونه ولا يذكرون غيره، فهو المقدم عندهم في الشؤم[1].

وكان الغراب هو المقدم عندهم في باب الشـؤم؛ لأنـه كـان أسود، ولونه مختلف إن كان أبقع، ولم يكن على إبلهم أشدُّ من الغراب، وكان حديد البصر يُخاف من عينيـه، فلهـذا قـدموه في باب الشؤم[2]، ومع ما كان عليه من صفاء في العين، وحدة في البصر فقد كـانوا يسـمونه الأعـور، وليس بـأعور، تطـيرًا منه[3]، ومن شــدة تشــاؤم العــرب بــه اشــتقوا من اســمه: الغربــة، والاغتراب، والغريب[4].

**2- الطاووس:**

الطــاووس مــع جمالــه وحســن منظــره تشــاءم بــه بعض البشر[5].

**3- العَقْعَق:**

وهـو طـائر على قـدر الحمامـة، وعلى شـكل الغـراب، وذو لونين أبيض وأسود، طويل الذنب، وكـانت العـرب تتشـاءم بـه، وبصياحه؛ لأنهم كانوا يشتقون منه العقوق[6].

**4- الصُّرد:**

وهو طائر فوق العصفور، أبقع، ضخم الرأس، ضخم المنقار، يصيد العصافير[7]، وقد كانت العـرب تتشـاءم بصـوته وشخصـه،

---

1 () انظر: كتاب الحيوان (3/ 443).
2 () انظر: حياة الحيوان الكبرى (3/ 267).
3 () انظر: المرجع السابق.
4 () انظر: كتاب الحيوان (2/ 316).
5 () انظـر: كتـاب الحيـوان (1/ 288)، (2/ 243)، وحيـاة الحيـوان الكبرى (3/ 6).
6 () انظر: حياة الحيوان الكبرى (3/ 187).
7 () انظر: المرجع السابق (2/ 652).

وقيل: إنهم كرهوه من اسمه من التصريد، وهو التقليل[1].

**5- البوم والبومة:**

وهو - أيضًا - من الطيور يتطير بها بعض الناس وبعضهم يتفاءل بها[2]، ويضرب به المثل في الشؤم[3].

هذه أمثلة يسيرة تدل على جهل طوائف من البشر، وصد الشيطان لهم عن التوحيد؛ حيث ربطوا قلوبهم ببعض الحيوان، فصاروا يتشاءمون ببعضها، ويعلقون آمالهم بالبعض الآخر منها، واعتقدوا فيها النفع والضر من دون الله تبارك وتعالى، وهو وحده النافع الضار، الذي لا يُتوكل على أحد غيره، كما قال سبحانه: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ﴾ [الفرقان: 58].

**المسألة الثانية: حكم الإسلام في التطير:**

لقد دلت نصوص الكتاب والسنة على ذم التطير، وأن صاحبه قد وقع في الشرك، فمن ذلك:

1- قال تعالى عن قوم صالح: ﴿ڤ ڦ ڦ ڦ ڦڄ ڄ ڄ ڄ ڄڃ ڃ ڃ ڃ ڃ﴾ [النمل: 47].

يخبر تبارك وتعالى عن قوم صالح  أنهم كانوا يتشاءمون به وبمن معه عندما يصابون بالقحط والبلاء، ويزعمون أن سبب هذا صالح وأتباعه، فرد عليهم: بأن طائركم - على زعمكم وتسميتكم - وهو حظكم في الحقيقة من تعذيب أو إعفاء هو من عند الله تبارك وتعالى وبقضاء الله وقدره[4].

2- وقال تعالى عن آل فرعون: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پپ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ﴾ [الأعراف: 131].

فأخبر سبحانه عن آل فرعون أنهم كانوا إذا أصابهم البلاء قالوا: ما أصابنا البلاء إلاّ من شؤم موسى وقومه، فرد عليهم سبحانه بقوله: ﴿ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ﴾ فالخصب والجدب والخير والشر كله من الله، فالله هو الذي قدره، ولا علاقة لموسى وقومه بذلك[5].

1 () انظر: النهاية لابن الأثير (513) مادة (صرد).
2 () انظر: كتاب الحيوان (3/ 457).
3 () انظر: المنجد في اللغة، علي بن حسن الهنائي، دار الشروق، بيروت، ط20، (55)، مادة (بوم).
4 () انظر: المحرر الوجيز (4/ 263).
5 () انظر: معالم التنزيل (3/ 269).

فالله تعالى لم يحك التطيُّر إلاَّ عن أعداء الرسل، فـدلَّ ذلـك على ذمِّه والنهي عنه[1].

وهـذا الشـؤم إنمـا جـاءهم بسـبب كفـرهم وتكـذيبهم بآياتـه ورسله، فالشؤم الذي أجراه الله عليهم هو بسـبب أعمـالهم، لا بسبب موسى  ومن معه[2].

3- عن ابن مسعود قال: قال رسول الله : ((الطيرة شــرك، الطيرة شرك ثلاثًا، وما منَّا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل))[3].

ففي هذا الحديث التصريح بتحريم الطيرة، وأنها من الشرك لما فيها من تعلق القلب بغير الله تعالى[4].

4- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسـول اللـه  قـال: ((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة[5] ولا صفر[6] ))[7].

ينفي رسول الله  في هـذا الحـديث هـذه الأشـياء الأربعـة،

---

1 () انظر: مفتاح دار السعادة (3/ 273-274).

2 () انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتـاب التوحيـد، سـليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، بــيروت، ط6، 1405هـ، (422).

3 () أخرجه أبو داود في سـننه، في كتـاب الكهانـة والتطـير، بـاب: في الطـيرة (1510) بــرقم (3910)، والترمـذي في سـننه، في كتـاب السير، باب: ما جاء في الطيرة (1818) برقم (1614)، وأحمــد في مسـنده (1/ 389)، والحــديث صـححه الألبـاني في صـحيح سـنن الترمذي (2/ 121) برقم (1679)، ولفظة: (ومـا منـا إلا، ولكن اللـه يذهبه بالتوكل) مدرجة من كلام ابن مسـعود. انظـر: سـنن الترمـذي نفس الموضع، حيث نقله عن الإمام البخاري عن سـليمان بن حـرب في ذلك، ومفتـاح دار السـعادة (3/ 280)، وفتح البـاري لابن حجـر ( 13/ 184)، وتيسير العزيز الحميد (438).

4 () انظر: تيسر العزيز الحميد (438).

5 () الهامة: اسم طائر كانوا يتشاءمون به، وهي من طير الليل، وقيل: هي البومة،وكانت العرب تـزعم أن روح القتيـل الـذي لايـدرك بثـأره تصير هامة فتقول : اسقوني ، فـإذا أدرك بثـأره طـارت ،وقيـل كـانو يزعمون أن عظام الميت أو روحه تصير هامة ، فتطير انظر: النهايــة لابن الأثــير (1016)، مــادة (هــوم)،وغــريب الحــديث لأبي عبيــد ( 1/27)،وشرح صحيح البخاري لابن بطال (9/418).

6 () صفر: قيل: هي حية تكون في البطن تؤذي الإنسان، وأنهـا تعـدي، وقيـل: المـراد بـه شـهر صـفر؛ لكـونهم يـؤخرون محـرم إلى صـفر، فأبطله الإسلام. انظر: المرجع السابق (519) مادة (صفر).

وهذا النفي ليس نفيًا للوجود؛ لأنها موجودة، ولكنه نفي للتـأثير؛ فالمؤثر هو الله تعالى، فما كان منها سـببًا معلومًـا؛ فهـو سـبب صحيح، وما كان منها سببًا موهومًـا؛ فهـو سـبب باطـل، ويكـون نفيًـا لتـأثيره بنفسـه إن كـان صـحيحًا، ولكونـه سـببًا إن كـان باطلاً[1].

وقد يكون النفي نفيًـا للوجـود مـع اعتبـار أن وجـود الباطـل كعدمه كما في قوله تعالى: ﴿ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ﴾ [ يونس: 18 ].

فهذه بعض الأدلة التي دلت على تحـريم التطـير وأنَّه شـرك أصغر مناف لكمال التوحيد، حيث اعتمد المتطير على سبب لم يجعله الله ﷻ سببًا.

وقد يقع المتطير في الشرك الأكبر لو اعتقد أن ما تطير بـه فاعل بنفسـه من دون اللـه تعـالى؛ لأنـه جعـل للـه شـريكًا في الخلق والإيجاد[2].

ومنافاة التطير لكمـال التوحيـد الـواجب جـاءت من الوجـوه الآتية:

1- اعتقـادهم أن التطـير يجلب لهم نفعًـا أو يـدفع عنهم ضـرًا: يقـول ابن الأثـير - رحمـه اللـه -: «وإنمـا جعـل الطـيرة من الشرك؛ لأنهم كـانوا يعتقـدون أن التطـير يجلب لهم نفعًـا أو يدفع عنهم ضرًّا إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوه مـع اللـه في ذلك»[3].

2- أن المتطـير قطـع التوكـل على اللـه، واعتمـد على أمـر لا حقيقة له، بل هـو وهم وتخييـل؛ فـأي رابطـة بين هـذا الأمـر وبين ما حصل له.

## علاج التطير:

من وقع في قلبه شيء من التطير فعليه بالتوكـل على اللـه ﷻ، وأن يعلم أن الله ﷻ هو النافع الضار، وهو الذي قدر الأقـدار،

---

7 () أخرجـه البخـاري في صـحيحه، في كتـاب الطب، بـاب: لا هامـة ( 492) برقم (5757)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الطب، باب: لا عدوى ولا طيرة...(1072) برقم (2220).

1 () انظر: القول المفيد لابن عثيمين (1/ 564).

2 () انظر: المرجع السابق (1/ 575).

3 () النهاية لابن الأثير (574).

فلا يقع شيء إلا بعلمه وإرادته تبارك وتعالى، ولهذا قال ابن مسعود في الحديث السابق: (ولكن الله يذهبه بالتوكل)[1].

«أي: وما منّا أحد إلا ويعتريه ويخطر له، ويقع في قلبه من الطيرة شيء، فحذف اعتمادًا على فهم السامع، ولكن لما توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه، واعتمادنا عليه، والاستناد إليه»[2].

وقد أرشد النبي  من رأى ما يكره بالتوكل على الله تعالى، والإيمان به سبحانه النافع الضار، فقال: ((فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك))[3].

«أي: لا تأتي الطيرة بالحسنات، ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك، الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات، وهذا دعاء يناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعًا ولا تدفع ضرًّا، ويعد من اعتقد فيها سفيهًا مشركًا»[4].

---

1 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [197].

2 () حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (220).

3 () أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الكهانة والتطير، باب في الطيرة (1511) برقم (3919) من حديث عروة بن عامر، وصححه النووي في رياض الصالحين (495)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (4/123) رقم (1619).

4 () تيسير العزيز الحميد (437).

## المطلب الخامس: تعليق التمائم وعلاقته بالحيوان، وحكم الإسلام فيه:

### تعريف التمائم:

**التمائم في اللغة:** جمع تميمة، وهي خرز يثقب ويجعل فيه سيور وخيوط تعلق بها[1]، وهي - أيضًا - العوذة التي تعلق على الإنسان وغيره لدفع الآفات عنه[2].

والتميمة مأخوذة من تمّ الشيء إذا اكتمل، فكأنهم يريدون أنها تمام الدواء والشفاء المطلوب[3].

قال ابن عبد البر– رحمه الله - معرفًا التميمة بأنها: «عند أهل العلم: ما علق في الأعناق من القلائد خشية العين، أو غيرها من أنواع البلاء»[4]، فالتميمة: ما علق لدفع العين وغيرها، من أي شيء كان[5].

فالتميمة: قد يعلقها المعلق طلبًا لدفع ما نزل به من البلاء، وقد يكون الباعث له على تعليقها: دفع البلاء المتوقع من مرض أو عين أو غير ذلك.

### تعليق التمائم من الحيوان:

يتبين من تعريف التمائم أنها كل ما علق من أي شيء طلبًا لدفع البلاء قبل وقوعه، أو رفعه بعد وقوعه.

فمن التمائم ما يكون مصنوعًا من الحيوان، أو على صورة حيوان، يعتقد الجاهل أنها تدفع عنه الأذى، أو تحميه من العين وغيرها، ومن هذه الاعتقادات الفاسدة:

1- أن تعليق منقار الغراب على الإنسان يحميه من العين[6].

2- تعليق عين الذئب يحمي من اللص، واللسع، والعين، والصرع، والجن[7].

3- أنياب الثعلب إذا علقت على المصروع برئ، ونابه يشد على الصبي الذي به ريح الصبيان فيذهب عنه، ولا يفزع في نومه،

---

[1] () انظر: تهذيب اللغة (14/ 185) مادة (تم).

[2] () انظر: لسان العرب (12/ 69) مادة (تمم).

[3] () انظر: مقاييس اللغة (1/ 339) مادة (تم).

[4] () التمهيد (17/ 162).

[5] () انظر: تيسير العزيز الحميد (167).

[6] () انظر: حياة الحيوان الكبرى (3/ 283).

[7] () انظر: حياة الحيوان الكبرى (2/ 243، 245)، ومعارج القبول (2/ 498).

وتحسن أخلاقه[1].

4- رأس الفأرة يشد في خرقة كتان، ويعلق على رأس صاحب الصداع الشديد، فيزول صداعه، وينفع من الصرع، وإن علقت عين الفأرة على من به حمى الرِّبع أبرأته، وذنب الفأر يجعل في جلد حمار، ثم يجعلا في خرقة حرير، فتعلق على اليد اليسرى حتى تقضي حاجته عند الملوك وغيرهم[2].

5- تعليق ناب الضبع، وعظام النسور تحفظ معلقها من العين[3].

6- تعليق رجل الذئب أو شعره أو يده على من أصيب بالجن[4].

إلى غير ذلك من أجزاء بعض الحيوانات التي يعتقد فيها بعض الجهلة أنها ترفع عنهم البلاء أو تدفعه من دون الله تعالى.

**تعليق التمائم على الحيوان:**

تعليق التمائم لم يكن مقصورًا على الإنسان فقط، بل من الناس من يعلق التمائم على الحيوان، ومنهم من يعلقها على منـزله أو دابته لرفع البلاء عنها أو لدفعه قبل وقوعه.

وقد نهى النبي  عن تعليق التمائم على الحيوان كما في حديث أبي بشير الأنصاري[5] أنه كان مع رسول الله  في بعض أسفاره، قال عبد الله[6]: حسبت أنه قال: والناس في مبيتهم؛ فأرسل رسول الله  رسولاً: ((لا تبقينّ في رقبة بعير

---

[1] () انظر: حياة الحيوان الكبرى (1/ 586-587).

[2] () انظر: المرجع السابق (3/ 347-348).

[3] () انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ حكمي، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، ط2، 1413هـ، (2/ 498).

[4] () انظر: فتاوى نور على الدرب، عبد العزيز بن باز، ترتيب وإشراف: د. محمد سعد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط1، 1428هـ، (1/ 315-316).

[5] () هو: أبو بشير، قيس بن عبيد الأنصاري، من بني مازن بن النجار، صحابي جليل، شهد الخندق، ومات بعد الستين، جاوز عمره المائة، روى عنه: عباد بن تميم وضمرة بن سعيد. انظر: الإصابة (7/ 41)، والثقات لابن حبان (3/ 341)، والكاشف (3/ 284).

[6] () هو: عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، الأنصاري، المدني، روى عن أنس وسالم ابن عبد الله وغيرهما، وروى عنه مالك وسفيان الثوري وغيرهما، قال: محمد بن سعد: كان ثقة كثير الحديث، عالمًا، توفي سنة 135هـ، وأخرج له الجماعة. انظر: تهذيب الكمال (14/ 350-351).

قلادة من وتر - أو قلادة - إلا قطعت))[1].

وقد جاء عن الإمام مالك رحمه الله أنَّ صنيعهم ذلك كان دفعًا للعين؛ حتى لا تصيب دوابهم[2].

قال البغوي– رحمه الله –: «تأول مالكُ بنُ أنس أمرَه  بقطع القلادة على أنه من أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدون بتلك الأوتار والقلائد التمائم، ويعلقون عليها العوذ، يظنون أنها تعصمهم من الآفات، فنهاهم النبي  عنها، وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئًا»[3].

## حكم تعليق التمائم من الحيوان وعليه:

تعليق التمائم من الحيوان وعليه داخل في حكم تعليق التمائم لدفع البلاء أو رفعه، وهو على نوعين:

## النوع الأول: التمائم المحرمة[4]:

وهي التمائم التي تكون بشيء غير الكتاب والسنة، كالتي تكون من طلاسم اليهود أو المشركين، أو مستخدمي الجن ونحوهم، وكالتي تكون من الخرز أو الأوتار أو حلق الحديد وغيرها، وكالتي تكون فيها ذكر بعض الأسماء المجهولة، أو لا يوجد في داخلها إلا أحرف وأرقام حسابية، وكالتي يكون فيها شرك، كالاستغاثة بأحد غير الله .

وقد جاءت أدلة كثيرة بتحريم هذا النوع من التمائم منها:

1- عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله  يقول:

---

[1] () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد، باب: ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل (241) برقم (3005)، ومسلم في صحيحه، في كتاب اللباس، باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير (1057) برقم (2115).

[2] () انظر: الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، كتاب صفة النبي ، باب ما جاء في نزع المعاليق والجرس من العنق (2/ 937) برقم (1677).

[3] () شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط 2، 1402هـ، (11/ 27).

[4] () انظر: معارج القبول (2/ 512)، وأحكام الرقى والتمائم، د. فهد ابن ضويان السحيمي، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1419هـ (229-240)، والمفيد في مهمات التوحيد، د. عبد القادر عطا صوفي، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1428هـ، (202-203).

((إنَّ الرقى والتمائم والتِّولة[1] شرك))[2].

2- عن عقبة بن عامر[3] قال: قال رسول الله : ((من تعلق تميمة فقد أشرك))[4].

3- عن عبد الله بن عُكَيم[5] قال: قال رسول الله : ((من تعلق شيئًا وكل إليه))[6].

وتعليق التمائم من هذا النوع على الإنسان أو الحيوان أو المنزل أو غير ذلك هو من الشرك.

يقول ابن الأثير - رحمه الله –: «وإنما جعلها شركًا؛ لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم، فطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه»[7].

فإن كان المعلق لها يعتقد أنها سبب وليس لها تأثيرٌ بنفسها فهو مشرك شركًا أصغر؛ لأنه اعتقد أن ما ليس بسبب سببًا.

وإن كان صاحبها يعتقد فيها النفع والضر، وأنها مؤثرة

---

1 () التِّولة هي: ما يحبب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره. انظر: النهاية لابن الأثير (113) مادة (تول).

2 () أخرجه أحمد في مسنده (1/ 381)، وأبو داود في سننه، في كتاب الطب، باب في تعليق التمائم (1508) برقم (3883)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (1/ 648) رقم (331).

3 () هو: عقبة بن عامر، الجهني، صحابي، كان فقيهًا، فاضلاً، شاعرًا، روى عنه: ابن عباس وجبير بن نفير، وخلق غيرهم ولي إمرة مصر زمن معاوية رضي الله عنه، توفي سنة 58هـ. انظر: الإصابة (4/ 520)، والثقات لابن حبان (3/ 38)، والكاشف (2/ 237).

4 () أخرجه أحمد في مسنده (4/ 156)، والحاكم في المستدرك (4/ 243) برقم (7513)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1092) برقم (6394).

5 () هو: عبد الله بن عكيم الجهني، أبو مصعب، سمع كتاب النبي  إلى جهينة، وهو مخضرم، مات في إمرة الحجاج. انظر: تقريب التهذيب (314).

6 () أخرجه أحمد في مسنده (4/ 311)، والترمذي في سننه، في كتاب الطب، باب ما جاء في كراهية التعليق (1859) برقم (2072)، والحاكم في مستدركه (4/ 241) برقم (7503)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (2/ 208) برقم (2167).

7 () انظر: النهاية (112) مادة (تمم).

بنفسها دون الله تعالى، فهذا شرك أكبر[1].

والعلة في تحريم التمائم، ما فيها من اللجـوء إلى غـير اللـه تعـالى في جلب الخـير ودفـع الضـر، بمـا لم يجعلـه اللـه سـببًا شرعيًّا لذلك، واعتقـاد ذلـك جهـل وضـلال؛ إذ لا مـانع للشـر ولا جالب للخير غير الله، ولما فيـه من تعلـق القلـوب والغفلـة عن الله سبحانه وتعالى.

**النوع الثاني: التمائم المختلف فيها:**

وهي التمــائم الــتي تكــون بشــيء من القــرآن أو الســنة الصحيحة، وقد اختلف العلماء في حكمها على قولين:

---

[1] () انظر: حاشـية كتـاب التوحيـد لابن قاسـم (74)، ومجمـوع فتـاوى ومقالات ابن باز (2/ 384)، والقول المفيد لابن عثيمين (1/ 165).

**القـول الأول:** جـواز تعليـق التمـائم، الـتي من الكتـاب والسنة، ويروى هذا القول عن عبد اللـه بن عمـرو[1][2]، وسـعيد ابن المسـيب[3][4]، وابن سـيرين[5][6]، وعطـاء[7][8]، ومالك[9]، والقرطـبي[10]، وظـاهر قـول ابن تيمية[11] وابن القيم[12] وابن حجر[13] وغـيرهم، وجمهـور أصـحاب هـذا القـول على أن التعليق الجائز هو ما كان بعد نـزول البلاء أما مـا كـان قبله فليس بجائز[14].

1 () هو: عبد الله بن عمرو بن العـاص بن وائـل بن هاشـم، السـهمي، أسلم قبل أبيه، كان من المكثرين من الصحابة لرواية الحـديث، روى عنـه: عـروة وطـاووس وغيرهمـا، وأحـد العبادلـة الفقهـاء، مـات في الطائف سنة 63هـ. انظر: الإصابة (4/ 192-193)، الثقات لابن حبان (3/ 50-211)، وتقريب التهذيب (315).

2 () انظر: مسند أحمد (2/ 181).

3 () هو: سعيد بن المسـيب بن حـزن، المخـزومي القرشـي، ولـد في خلافة عمـر رضـي اللـه عنـه، كـان من سـادات التـابعين فقهًـا ودينًـا وورعًا وعلمًا، مـات بعـد التسـعين من الهجـرة، وقـد نـاهز الثمـانين، وأخرج حديثـه الجماعـة. انظـر: الثقـات لابن حبـان (4/ 273-275)، وتقريب التهذيب (241).

4 () انظر: مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر محمد بن أبي شيبة، تحقيـق: كمـال يوسـف الحـوت، مكتبـة الرشـد، الريـاض، ط1، 1409هـ (5/ 43).

5 () هو: أبو بكر، محمد بن سيرين، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان رضي الله عنه، كان ثقة ثبتًا، فقيهًا فاضلاً، حافظًا متقنًا، يعبر الـرؤى، رأى ثلاثين من أصحاب النبي ، وروى عنه قتادة وخلف، توفي سـنة 110هـ انظر: الثقات لابن حبان (5/ 348)، وتقـريب التهـذيب (483).

6 () انظر: مصنف ابن أبي شيبة (5/ 44) برقم (23548).

7 () هو: أبو محمد، عطاء بن أبي رباح، القرشي مولاهم، المكي، ثقـة، فقيه، فاضل، كثير الإرسال، روى عن عائشة وأبي هريرة، وروى عنه الأوزاعي وابن جريج وغيرهما، توفي سنة 114هـ وعمره 80 سـنة، وأخرج حديثه الجماعة. انظر: الكاشف (2/ 231)، وتقـريب التهـذيب (391).

8 () انظـر: مصـنف ابن أبي شـيبة (5/ 43) بـرقم (23544)، وشـرح السنة (12/ 158).

9 () انظر: التمهيد (17/ 161).

10 () انظر: الجامع لأحكام القرآن (10/ 325-326).

ومن أدلة هذا القول ما يأتي[1]:

1- قول الله تعالى: [illegible] [الإسراء: 82].

2- قوله ﷺ: ((من تعلق شيئًا وكل إليه))[2].

قالوا: فمن علق القرآن ينبغي أن يتولاه الله ولا يكله إلى غيره؛ لأنه تعالى هو المرغوب إليه، والمتوكل عليه في الاستشفاء بالقرآن[3].

3- قول عائشة رضي الله عنها: ((التمائم ما علق قبل نزول البلاء، وما علق بعده فليس بتميمة))[4].

4- ما جاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: ((كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع: (بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون)، قال فكان عبد الله ابن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغيرًا لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه))[5].

وأجابوا عن الأدلة المانعة من التمائم بأنها: خاصة بما لا

---

11 () انظر: مجموع الفتاوى (19/ 64-65).

12 () انظر: زاد المعاد (4/ 212، 358).

13 () انظر: فتح الباري (7/ 258).

14 () انظر: شرح معاني الآثار، أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1399هـ (4/ 325)، والتمهيد (17/ 161)، وزاد المعاد (4/ 357).

1 () انظر: التمائم في ميزان العقيدة، د. علي بن نفيع العلياني، دار الوطن، الرياض، (39)، وأحكام الرقى والتمائم (247-251).

2 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [203].

3 () انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (10/ 325-326).

4 () أخرجه الحاكم في مستدركه (4/ 242) برقم (5707)، وسنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ، (9/ 350).

5 () أخرجه أحمد في مسنده (2/ 181)، وأبو داود في سننه، في كتاب الطب، باب: كيف الرقى (1509) برقم (3893)، والترمذي في سننه، في كتاب الدعوات، باب: دعاء الفزع من النوم (2014) برقم (3528)، والحديث لا يصح إسناده. انظر: تحفة الأحوذي (9/ 356)، وقد ضعف الألباني زيادة قوله: (وكان عبد الله بن عمرو...). انظر: الكلم الطيب، لابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1977م، (84) رقم (49).

يعرف، أو على ما كان من أهل الجاهلية[1].

**القول الثاني:** منع تعليق التمائم مطلقًا من الكتاب والسنة، ومن غيرهما، وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه[2]، وعبد الله بن عكيم رضي الله عنه[3]، وعقبة ابن عامر رضي الله عنه[4]، وإبراهيم النخعي[5][6]، وابن العربي[7][8]، وكثير من العلماء المحققين المتأخرين[9].

ومن أدلة أصحاب هذا القول:

1- عموم النهي الوارد في التمائم، وهذا العموم لم يثبت ما يخصصه فيبقى على عمومه[10].

2- لو كان العمل مشروعًا لبينه النبي ﷺ لأمته[11]، والسنة دلت على أن المستعمل هو الذكر دون التعليق[12].

---

1 () انظر: السنن الكبرى للبيهقي (9/ 351) برقم (19396)، باب التمائم.

2 () انظر: مصنف ابن أبي شيبة (5/ 35) برقم (23464).

3 () انظر: مسند أحمد (4/ 310).

4 () انظر: مصنف ابن أبي شيبة (5/ 35) برقم (23465).

5 () هو: أبو عمران، إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، الكوفي، الفقيه، كان عجبًا في الورع والخير، رأسًا في العلم، ثقة يرسل كثيرًا، توفي سنة 96هـ وعمره 50 سنة. انظر: الكاشف (1/ 51)، وتقريب التهذيب (95).

6 () انظر: مصنف ابن أبي شيبة (5/ 36) برقم (23467) و(23469).

7 () هو: أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي، المعروف بابن العربي، ولد سنة 468هـ، ورحل مع أبيه إلى المشرق، سمع من الغزالي وأبي زكريا التبريزي، وسمع منه الحسن بن علي القرطبي، وأبو القاسم السهلي، وغيرهما، كان متبحرًا في العلم، كريم الشمائل، ولي قضاء إشبيلية، صنف في الحديث، والفقه، والأصول، والأدب، والنحو، والتاريخ، توفي سنة 543هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (4/ 61-63).

8 () انظر: عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، أبو بكر ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، (8/ 222).

9 () منهم سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في تيسير العزيز الحميد (168)، وعبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد مع حواشي: محمد حامد الفقي، مراجعة وتصحيح ابن باز، دار الخير، بيروت، ط1، 1412هـ (109)، وابن باز في مجموع الفتاوى والمقالات (2/ 385)، وحافظ حكمي في معارج القبول (2/ 510)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (1/ 648).

10 () انظر: تيسير العزيز الحميد (168)، وفتح المجيد (109)، ومجموع فتاوى ومقالات ابن باز (2/ 384).

11 () انظر: التمائم في ميزان العقيدة (40)، وأحكام الرقى والتمائم (246).

12 () انظر: عارضة الأحوذي (8/ 222).

3- سد الذرائع حتى لا يصل الأمر من التمائم المختلف في حكمها إلى تعليق التمائم الشركية[1].
4- تعليق القرآن يفضي إلى امتهانه كالدخول به إلى الخلاء ونحوه[2].
5- القول بالتعليق قد يعطل سنة الرقية بالقرآن والأدعية، فإِنَّ الذي يعلق القرآن بكامله قد يظن أَنَّه لا يحتاج أن يتعوذ بشيء من القرآن والأدعية[3].

ويجاب عن أدلة أصحاب القول الأول، المجيزين لتعليق التمائم من القرآن والسنة بما يأتي:
1- الآية عامة وليس فيها ذكر للتعليق، والسنة قد دلت على أَنَّ المستعمل هو الذكر دون التعليق[4].
2- الاستدلال بحديث ((من تعلق شيئًا وُكِلَ إليه)) يجاب عنه بأن السنة قد دلت على الطريق الصحيح للاستشفاء بالقرآن، وهو طريق الرقى لا التعليق.

ولو كان من تعلق القرآن وُكِلَ إليه لكفانا إذن أن نعلقه ولم تأت أذكار الصباح والمساء، ولا داعي لقراءته، وقراءة الأذكار، وفي ذلك تعطيل لما ثبت في السنة[5].

وأَمَّا ما جاء عن عائشة رضي الله عنها فيجاب عنه بأنه اجتهاد منها رضي الله عنها خالفها فيه بعض الصحابة فلا يكون له حكم الرفع.

وأَمَّا ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص فالرواية ضعيفة كما سبق، ولو صحت الرواية فهو اجتهاد منه لا يعارض الأدلة الدالة على عدم جواز التعليق[6]، فلم يسند هذا الفعل إلى النبي ؛ بل هو عمل فردي لا يترك به حديث النبي  وعمل كبار الصحابة.

وأصحاب القول الثاني، وهم القائلون بمنع تعليق التمائم

---

[1] () انظر: فتح المجيد (109)، ومعارج القبول (2/ 510)، ومجموع فتاوى ومقالات ابن باز (2/ 384).
[2] () انظر: فتح المجيد (109)، والقول المفيد لابن عثيمين (1/ 185).
[3] () انظر: التمائم في ميزان العقيدة (44).
[4] () انظر: عارضة الأحوذي (8/ 222).
[5] () انظر: أحكام الرقى والتمائم (248).
[6] () انظر: تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، محمد علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، (89).

مطلقًا من الكتاب والسنة هم أسعد بالدليل وأقرب إلى الصواب والعلم عند الله تعالى.

## المطلب السادس: الولاء والبراء عند الحيوان:

من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة موالاة المؤمنين ومحبتهم والبراءة من الشرك وأهله[1].

يقول  عن ولاء المؤمنين لإخوانهم المؤمنين: ﴿ک گ گ گ گگ﴾ [التوبة: 71]، فهم أولياء بعض في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة[2].

ويقول  محذرًا من موالاة أهل الشرك من جميع الملل: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ﴾ [الممتحنة: 1].

فنهى الله  عن اتخاذ المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين أولياء وأصدقاء وأخلاء، كما بينه  بقوله: ﴿ۈ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ې﴾ [آل عمران: 28][3].

وقال : ﴿ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ﴾ [النساء: 144].

«ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يعني مصاحبتهم ومصادقتهم ومناصحتهم وإسرار المودة إليهم، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم»[4].

ولا يكفي في الموالاة في الله مجرد الحب، بل لا بد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب، وهي النصرة والإكرام، والاحترام والكون مع المحبوبين باطنًا وظاهرًا.

ولا يكفي - أيضًا - في المعاداة في الله مجرد بغض القلب، بل لا بد من لازم البغض، وهو إظهار العداوة بالفعل، كالجهاد لأعداء الله والبراءة منهم، والبعد عنهم باطنًا وظاهرًا[5].

وإذا كان الولاء والبراء مأمورًا بهما المكلف، فلا إيمان إلا بموالاة أهل الإيمان ومحبة التوحيد وأهله، والبراءة من الشرك

---

1 () انظر: جامع الرسائل لابن تيمية (2/ 195)، ومجموع الفتاوى (8/ 191)، و(14/ 280)، والولاء والبراء في الإسلام، د. صالح الفوزان، دار الوطن، الرياض، 1411هـ (3)، والولاء والبراء في الإسلام، محمد سعيد القحطاني، دار طيبة، الرياض، ط3، 1409هـ، (134-139).

2 () انظر: معالم التنزيل (4/ 72).

3 () انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (8/ 111).

4 () تفسير القرآن العظيم (2/ 392).

5 () انظر: تيسير العزيز الحميد (481).

وأهله، كما قال سبحانه: ﴿ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ﴾ [البقرة: 256]، فإن في بعض الحيوانات - وإن كانت غير مكلفة - صورًا رائعةً تدل على محبتها للطاعة وأهلها، وبغضها للمعصية وأهلها، وتأذيها بهم.

وفي المقابل صور لطائفة أخرى من الحيوانات تعادي أهل الإيمان والصلاح.

فمن صور محبة الحيوانات للطاعة وأهلها:

1- ما أخبر عنه النبي ﷺ من أن الدوابّ غير الوزع كانت تطفئ النار عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: ((إن إبراهيم لما ألقي في النار جعلت الدوابّ كلها تطفئ عنه إلا الوزع فإنه جعل ينفخها عليه))[1].

2- الديك، أخبر عنه النبي ﷺ أنه يدعو إلى الصلاة، فعن زيد بن خالد[2] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تسبوا الديك، فإنه يدعو إلى الصلاة))[3].

3- في قصة الهدهد مع سليمان عليه الصلاة والسلام دلائل جليَّة على محبته للتوحيد، وعداوته للمعصية وأهلها، قال تعالى: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ﴾ [النمل: 24-26].

فهذا الهدهد يستنكر عبادة الشمس من دون الله، ويحذر من طاعة الشيطان، فهو يعادي الشرك وأهله، ويحب شهادة التوحيد ويدعو إليها.

---

1 () أخرجه أحمد في مسنده (6/ 217)، والنسائي في السنن الصغرى، في كتاب المناسك، باب: قتل الوزغ (2270) برقم (2834)، وابن ماجه في سننه، في أبواب الصيد، باب: قتل الوزغ (2672) برقم (3231)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (4/ 108) رقم (1581).

2 () هو: زيد بن خالد الجهني، المدني، صحابي مشهور، روى عنه عطاء بن يسار وأبي مسلمة، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح، توفي بالكوفة سنة 78هـ وعمره 85 سنة. انظر: الإصابة (2/ 603)، الكاشف (1/ 265)، وتقريب التهذيب (223).

3 () أخرجه أحمد في مسنده (5/ 193)، وأبو داود في سننه، في كتاب الأدب، باب: في الديك والبهائم (1596) برقم (5101)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (3/ 960) برقم (5101).

4- أن النملـة في جحرهـا، والحـوت يصـلون على معلم النـاس الخير، محبة لفعله، وفرحًا بطاعته قال : ((إن الله وملائكته وأهـل السـموات والأرض، حـتى النملـة في جحرهـا، وحـتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير))[1].

ومن صور بغض الحيوان للعصاة والفجار ما يأتي:

1- أن الدوابّ تستريح من موت الفاجر، وذلك لانتهاكه حرمـات الله تعالى، فعن أبي قتادة أنه كان يحدث أن رسول الله  مُرَّ عليه بجنازة، قال: ((مستريح أو مستراح منه)، قـالوا: يـا رسـول اللـه مـا المسـتريح ومـا المسـتراح منـه؟ قـال: (العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله ، والعبـد الفـاجر يسـتريح منـه العبـاد والبلاد والشـجر والدواب))[2].

فهذه الدوابّ تنـزعج من وجود الفاجر في الأرض؛ لأنه مبارز للـه ، فـإذا مـات اسـتراحت منـه، فهي تمـيز بين أوليـاء اللـه وأعدائه، فسبحان الله رب العالمين.

2- أن الدوابّ والحشرات والبهائم تلعن الذين يكتمون ما أنـزل الله تعالى، يقول تبارك وتعالى: ﴿ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ﴾ [البقرة: 159]، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ﮯ ﮰ﴾ عدة أقوال[3]:

فقيل: جميع الخلائـق إلا الجن والإنس، وقيـل: هم الملائكـة، وقيل: الجن والإنس، وقيل: جميع عباد الله تعالى.

وفي الحـديث أن النـبي  قـال: ((يلعنهم اللـه ويلعنهم اللاعنون، قال: دواب الأرض))[4].

وجاء عن مجاهد -رحمـه اللـه- أن دواب الأرض تلعنهم، فتقـول:

---

1 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [89].

2 () أخرجه البخـاري في صـحيحه في كتـاب الرقـائق، بـاب: سـكرات المـوت (546) بـرقم (6512)، ومسـلم في صـحيحه، في كتـاب الجنـائز، بـاب: مـا جـاء في مسـتريح ومسـتراح منـه (827) بـرقم (950).

3 () انظر: جامع البيـان (3/ 254-258)، ومعـالم التنـزيل (1/ 175)، وزاد المسير (1/ 165)، والجامع لأحكام القرآن (2/ 191-192).

4 () أخرجه ابن ماجـه في سـننه، في أبـواب الفتن، بـاب: العقوبـات (2719) برقم (4021)، وقال القرطبي: سنده حسن، الجامع لأحكام القرآن (2/ 191).

منعنا القطر بخطايا بني آدم[1].

يقول ابن كثير - رحمه الله –: «أخبر أنهم يلعنهم كل شيء على صنيعهم ذلك، فكما أن العالم يستغفر له كل شيء، حتى الحوت في الماء والطير في الهواء، فهؤلاء بخلاف العلماء، فيلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون»[2].

فالدوابّ تحب الطاعات وتوالي أهلها، وتكره المعاصي وتتبرأ من أهلها، إلا ما جاء عن عداوة الوزغ لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقد أمر النبي  بقتله، وقال: ((كان ينفخ على إبراهيم ))[3].

قال الشيخ ابن عثيمين: «وسماه النبي  فاسقًا، وأخبر أنه كان ينفخ النار على إبراهيم - والعياذ بالله - حين ألقاه أعداؤه في النار من أجل أن يشتد لهبها، مما يدل على عداوته لأهل التوحيد والإخلاص»[4].

وبعد فإن الباحث في مسائل الحيوان يجد فيها مسائل كثيرة متعلقة بالتوحيد، من دلالته على ربوبية الله عز وجل، وفطرته على التوحيد، وعبوديته لربه، ووقوع طوائف من البشر في الشرك عن طريق الحيوان، من عبادته وذبحه لغير الله تعالى، أو التطير به، أو تعليق التمائم منه أو عليه، وغير ذلك من المسائل المتعلقة بأنواع التوحيد.

---

1 () انظر: جامع البيان (3/ 255)، وشعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ، (3/ 198) برقم (3317).

2 () تفسير القرآن العظيم (1/ 288).

3 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ (272) برقم (3359) من حديث أم شريك.

4 () شرح رياض الصالحين (6/ 693).

# الفصل الثاني

# المسائل المتعلقة بالملائكة والجان

**وفيه** مبحثان**:**

**المبحث الأول: المسائل المتعلقة بالملائكة.**

**المبحث الثاني: المسائل المتعلقة بالجنِّ.**

## المبحث الأول

# المسائل المتعلقة بالملائكة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: امتنـــاع الملائكـــة من دخـــول الـــبيت ومن مرافقة الصحبة التي فيها كلب.

المطلب الثاني: ما جاء في دواب الملائكة.

المطلب الثالث: رؤية الحيوان للملائكة.

**تمهيد: تعريف الملائكة:**

لغــةً: الملائكــة جمــع، مفــرده مَلَــك، والملــك أصــله: ألــك، والمألكة، والمألك: الرسالة، ومنه اشـتق الملائـك؛ لأنهم رسـل الله.

وقيل اشتق من: لأك والملأكة هي: الرسالة.

وألكني إلى فلان؛ أي بلغه عني [1].

اصطلاحًا: خلـق من خلـق اللـه تعـالى، لهم أجسـام نورانيـة لطيفة، قادرة على التشكل، ولهم قـوة عظيمـة، وقـدرة كبـيرة على التنقل، وهم خلقٌ كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بـأمره، فلا يعصـونه مـا أمـرهم ويفعلون ما يؤمرون[2].

والإيمان بالملائكة معناه: التصديق الجازم بالقلب واللســان، والجوارح بهم وبما ورد في شأنهم في الكتاب والسنة.

1 () انظـر: مقـاييس اللغـة (1/137) مـادة (ألـك)، ولسـان العـرب (10/392) مادة (ألك)، وعالم الملائكة الأبرار (7).

2 () انظر: شرح المقاصد في علم الكلام (2/54)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (99).

## المطلب الأول: امتنـاع الملائكـة من دخـول الـبيت ومن مرافقة الصحبة التي فيها كلب:

أخبر النبي  بأنّ البيت الذي فيه كلب، والرفقة الذين معهم كلب محرومون من حضور الملائكة وصحبتها لهم؛ فعن عائشـة رضي الله عنها قالت: ((واعد رسولَ الله  جبريلُ  في ساعة يأتيه فيها، فجاءت الساعة ولم يأته، وفي يده عصا فألقاها من يده، وقال: ما يخلف الله وعده ولا رُسُلُه، ثم التفت فإذا جرو كلب[1] تحت سرير، فقال: يا عائشة، متى دخل هذا الكلب هنا؟ فقالت: والله ما دريت، فأمر به فأُخرج، فجاء جبريل ، فقال رسول الله : واعدتني فجلست لك، فلم تأتِ، فقال: منعني الكلب الذي كان في بيتك، إنّا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة))[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله  قال: ((لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس[3] ))[4].

قال النووي[5] رحمه الله: «وسبب امتناعهم من بيت فيه

1 () الجرو: بكسر الجيم وضمها وفتحها، ثلاث لغات مشهورات، وهو: الصغير من أولاد الكلاب، وسائر السباع. انظر: مقاييس اللغة (1/ 447)، وتاج العروس (37/ 340) مادة (جرو).

2 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب اللباس، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان...(1054) برقم (2104).

3 () الجرس: هو ما يعلق على الدواب، ولعلَّ سبب كون الملائكة لا تصحب الرفقة التي فيها جرس: أنَّه شبيه بالنواقيس، ولما في صوته من العزف والموسيقى. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (14/ 95)، وشرح رياض الصالحين (6/ 431).

4 () أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس، باب كراهة الكلب والجرس في السفر (1056) برقم (2113).

5 () هو: أبو زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف النووي الشافعي، ولد سنة 631هـ بنوى، تتلمذ على أبي إسحاق المرادي، والإربلي، وغيرهما، كان زاهدًا ورعًا، لا يضيع له وقت بالليل ولا بالنهار، مشتغلاً بالحديث وعلومه، وقد صنف كتبًا كثيرة، منها: المنهاج شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين، وغيرها، توفي سنة 676هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ (8/ 395-400)، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (

كلب لكثرة أكله النجاسات، ولأنَّ بعضها يسمى شيطانًا كما جاء به الحديث[1]، والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب، والملائكة تكره الرائحة القبيحة، ولأنها منهي عن اتخاذها، فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته، وصلاتها فيه، واستغفارها له، وتبريكها عليه وفي بيته، ودفعها أذى الشيطان، وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتًا فيه كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار، وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال؛ لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها»[2]، فالنووي -رحمه الله- يختار أن الملائكة الذين لا يدخلون بيتًا فيه كلب أو صورة هم ملائكة الرحمة، أما الحفظة فيدخلون كل بيت.

والقول الثاني: أنَّ امتناع الملائكة من البيت الذي فيه صورة أو كلب ظاهره عموم الملائكة، إذ لا يوجد نص يخصص الحفظة من الامتناع، فجائز أن يطلعهم الله تعالى على عمل العبد ويسمعهم قوله وهم على باب الدار[3].

وأبعد فريق آخر من العلماء؛ حيث جعلوا امتناع الملائكة من دخول البيت الذي فيه صورة أو كلب خاصًّا بمن ينزل بالوحي، وهو جبريل ؛ إذ يلزم من ذلك أن يكون اختصاص النهي بعهد النبي ؛ لأن الوحي انقطع بعده، وكذلك قالوا في امتناع الملائكة من الصحبة التي فيها جرس أنه محمول على الرفقة التي فيها رسول الله ، وهو تأويل بعيد جدًّا[4].

والأرجح والعلم عند الله تعالى القول بالعموم، وأن الملائكة كلهم لا يدخلون بيتًا فيه صورة أو كلب؛ لعموم الأدلة، ولا يوجد دليل صريح في تخصيص بعضهم دون بعض.

والبيت يراد به المكان الذي يستقر فيه الشخص، سواء أكان

---

2/ 153-157).

1 () جاء في الحديث: ((الكلب الأسود شيطان))، أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب: قدر ما يستر المصلي (757) برقم (510) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

2 () شرح صحيح مسلم للنووي (14/ 84)، وانظر: تحفة الأحوذي ( 8/ 72).

3 () انظر: المفهم (5/ 421)، وفتح الباري لابن حجر (13/ 460).

4 () انظر: فتح الباري لابن حجر (13/ 461).

بناءً أم خيمة أم غير ذلك[1].

وللعلماء رحمهم الله قـولان في الكلاب الـتي يَمْنَـعُ وجودُهـا حضورَ الملائكة:

**القول الأول:** أنّ الملائكة لا تـدخل بيتًـا ولا تصـحب رفقـة فيها كلب من الكلاب التي لم يؤذن فيها شرعًا[2].

**القـول الثـاني:** أن الملائكـة لا تـدخل الـبيت ولا تصـحب الرفقة التي فيها كلب أذن فيه شرعًا أو لم يؤذن فيه[3].

والراجح أن الملائكة لا تدخل البيت ولا تصحب الرفقـة الـتي فيها كلب مطلقًا؛ لعموم الأدلة.

والكلاب التي أذن الشـرع فيهـا هي: كلب الماشـية، أو كلب الزرع، أو كلب الصيد، فعن أبي هريرة قال: قال رسـول اللــه : ((من اتخذ كلبًا، إلا كلب ماشـية أو صـيد أو زرع، انتقص من أجره كل يوم قيراط))[4].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله سبب نقص أجر متخــذ الكلاب التي لم يأذن فيها الشرع من أجل: «امتناع الملائكة من دخــول بيتــه، أو مــا يلحــق المــارين من الأذى، أو لأنّ بعضــها شياطين، أو عقوبة لمخالفة النهي، أو لولوغهـا في الأواني عنـد غفلـة صـاحبها، فربمـا تنجس الطـاهر منهـا، فـإذا اسـتعمل في العبادة لم يقع موقع الطاهر»[5].

وأجـاز بعض العلمـاء اتخـاذ الكلاب لغـير هـذه الثلاثـة عنـد الحاجـة، كحفـظ الـدور والـدروب[6]، وكاقتنائهـا للدلالـة على المخدرات، أو اكتشاف السارق.

---

[1] () انظر: فتح الباري، لابن حجر (13/ 460).

[2] () انظــر: المفهم (5/ 421،ــ 434)، وشــرح ريــاض الصــالحين (6/ 432).

[3] () انظـر: شـرح صـحيح مسـلم للنـووي (4/ 84)، وتحفـة الأحـوذي (8/ 72).

[4] () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الحـرث والمزارعـة، بـاب: اقتناء الكلب للحرث (181) برقم (2322)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساقاة، باب: الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه، وبيـان تحـريم اقتنائها (951) برقم (1575) واللفظ له.

[5] () فتح الباري (6/ 116).

[6] () انظــر: التمهيــد (14/ 219)، وشــرح صــحيح مســلم للنــووي (10/ 236)، وفتح الباري لابن حجر (6/ 117).

ويشترط في الكلب الذي يتخذه الإنسان ألا يكون أسودَ للمنع منه مطلقًا[1].

أما بقية الكلاب التي لم يأذن الشارع باقتنائها فإنها سبب لحرمان دخول الملائكة بيت صاحبها، أو مرافقة مقتنيها، ونقص أجره، وفي ذلك خسارة عليه في الدنيا والآخرة، فالملائكة تنزل بالرحمة والسكينة، وبُعدها سبب للشقاء والهلاك.

ومن أعظم الخسران ما يراه المسلم عند بعض الشباب ممن أعجب بالغرب أو الشرق، وأخذ يقلدهم في مأكله ومشربه ومسكنه، ومن ذلك تربية الكلاب، فصاحبه وقع في محذورين:

**الأول:** التشبه بالكفار والإعجاب بهم.

**الثاني:** حرمان الملائكة من دخول بيته ومرافقته.

والمسلم يحذر من صنيع ذلك، ويتبين له خطورة هذا العمل المخالف لما جاء به نبينا ، فالخير فيما دلنا عليه، والشر فيما حذرنا منه.

---

1 () انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1422هـ، (11/ 77).

## المطلب الثاني: ما جاء في دوابّ الملائكة:

الملائكة عليهم السلام خَلْق عظيم من مخلوقات الله تبارك وتعالى الدالة على قوته وعظمته، وقد وهبهم الله  من القوة والسرعة ما لم يعط مثله غيرهم من المخلوقات، يقول الله  في بيان ملائكة النار: ﴿ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو﴾ [التحريم: 6].

وقد أخبر النبي  أنه لم ير جبريل  على صورته التي خلق عليها إلاّ مرتين، فرآه منهبطاً من السماء سادًّا عِظَم خَلْقِه ما بين السماء والأرض[1].

والله تبارك وتعالى أخبر أنه جعلهم أولي أجنحة، فقال سبحانه: ﴿ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ۇ ۇ ۆ﴾ [فاطر: 1].

وسرعة الملائكة عليهم السلام فوق كل سرعة عرفها البشر؛ فهي سرعة لا تقاس بمقاييسهم، فقد كان السائل يأتي الرسول ، فلا يكاد يفرغ من سؤاله حتى يأتيه جبريل بالجواب من رب العزة [2].

ومن دلائل سرعتهم عليهم السلام سرعة انتقالهم من الأرض إلى السماء، وبين كل سماء وسماء، فعن أبي هريرة أنّ رسول الله  قال: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم -وهو أعلم بهم- كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون))[3].

ومع ما منحهم الله تبارك وتعالى من قوة عظيمة وسرعة عالية، وأجنحة متعددة، فقد دلت النصوص أنَّ لهم دوابَّ

---

1 () ورد هذا الحديث في حديث أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب: معنى قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ (709) برقم (177) من حديث عائشة رضي الله عنها.

2 () انظر: عالم الملائكة الأبرار، د. عمر الأشقر، دار النفائس، عمان، الأردن، ط7، 1415هـ، (28).

3 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (45) برقم (555)، ومسلم في صحيحه، في كتاب المساجد، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (776) برقم (632).

يمتطونها لحكمة يعلمها ربنا ؛ وإن كنَّا لا نعلم شيئًا عن كيفية هذه الدواب، ولا صفاتها فإننا نؤمن بما دلت عليه تلك النصوص من وجودها وركوب الملائكة عليها، فمن الأدلة على ذلك:

1- قتال الملائكة يوم بدر على الخيل:

أخبر الله  عن مشاركة الملائكة في القتال في غزوة بدر الكبرى، فقال : ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ [آل عمران: 123-125].

وقد جاء في تفسير قوله تعالى: (مسوِّمين)[1] أن الملائكة عليهم السلام كانوا مسومين[2] خيولهم أي: معلمة نواصيها وأذنابها بالصوف والعِهْن، وأنهم كانوا يقاتلون على خيل بُلْق[3] [4].

وجاء في صحيح مسلم تسمية فرس من خيل الملائكة الذين أمدَّ الله بهم المسلمين يوم بدر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاخضرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدَّث رسول الله ، فقال: صدقت، ذلك من مدد السماء

---

1 () قرأ ابن كثير وأبو عاصم (مسوِّمين) بكسر الواو، والباقون بفتحها. انظر: التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1404هـ (70)، واختار ابن جرير الطبري القراءة بكسر الواو. انظر: جامع البيان (7/ 185).

2 () مسومين: أي معلمين. انظر: لسان العرب (12/ 313) مادة (سوم).

3 () البلق: سواد وبياض. انظر: لسان العرب (10/ 25) مادة (بلق)، والقاموس المحيط (1/ 1122).

4 () انظر: تفسير ابن أبي حاتم ،عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، تحقيق: أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية ، صيدا (3/755) ، جامع البيان (7/ 187)، وزاد المسير (1/ 425)، والمحرر الوجيز (1/ 504)، والتسهيل لعلوم التنزيل (1/ 118)، والجامع لأحكام القرآن (4/ 205)، وتفسير القرآن العظيم (2/ 94).

الثالثة))، الحديث[5]، وحيزوم: اسم فرس الملك [2].

وأخبر النبي  يوم بدر عن مشاركة جبريل  على فرسه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي  قال يوم بدر: ((هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب))[3].

2- ركوب جبريل  والنبي  البراق:

جاء في بعض أحاديث الإسراء والمعراج ما يدل على ركوب النبي  رديف جبريل  على البراق، فمن ذلك ما رواه حذيفة بن اليمان قال: ((أُتِيت بالبراق وهو دابّة أبيض طويل يضع حافره عند منتهى طرفه، فلم نزايل ظهره أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس))، الحديث[4].

وقد استدل به طائفة من العلماء على أنَّ النبي  لم يركب على البراق وحده، بل كان رديف جبريل [5].

والشاهد من الحديث ركوب جبريل  على البراق.

فنؤمن بوجود دواب تركبها الملائكة، وإن كنَّا لا نراها ولا نعلم شيئًا عن كيفيتها، فنؤمن ونصدق بكل ما جاء عن الله ورسوله .

ولثبوت قدر مشترك بين الحيوان المعروف الذي هو موضوع الرسالة وبين هذه الدوابّ الواردة في هذا المبحث هو الذي سوغ البحث في هذا الموضوع هنا، ومثله ما يتعلق بدواب الجن وحيوانات الجنة والنار، والله أعلم.

---

1 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الجهاد، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم (990) برقم (1763).

2 () انظر: شرح صحيح مسلم (12/ 85)، والنهاية في غريب الحديث (245) مادة (حيزم).

3 () أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: شهود الملائكة بدرًا (326) برقم (3995).

4 () أخرجه أحمد في مسنده (5/ 392)، والترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة بني إسرائيل (1970) برقم (4731)، وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (3/ 70) برقم (3368).

5 () منهم ابن حجر في فتح الباري (8/ 635)، وبدر الدين محمود بن أحمد العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبعة ورقمها (17/ 25)، والمباركفوري في تحفة الأحوذي (8/ 464).

## المطلب الثالث: رؤية الحيوان للملائكة:

منح الله تبارك وتعالى الحيوانات قدرة تختلف عن قدرة الإنسان، فجعلها ترى ما لا يراه الإنسان، وتسمع ما لا يسمعه الإنسان[1]، فقد أخبر النبي  عن رؤية الديك للملك، ورؤية الحمار للشيطان، فعن أبي هريرة أنّ النبي  قال: ((إذا سمعتم صياح الدِّيكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطانًا))[2].

فأرشد النبي  في هذا الحديث إلى سؤال الله تبارك وتعالى من فضله عند صياح الديكة؛ لأنّ صياحها علامة على رؤيتها لملك من الملائكة الكرام، قال القاضي عياض[3] رحمه الله: ((وذلك - والله أعلم - لتأمين الملائكة على دعاء بني آدم، واستغفارهم له فرحًا ببركة ذلك، وحسن عون الملك به، إذا دعا بحضرته بالتأمين والاستغفار له، وإشهاده له بالتضرع إلى الله والإخلاص))[4].

ففي الحديث دليل على أنَّ الله خلق للديكة إدراكًا تدرك به النفوس القدسية، كما خلق للحمير إدراكًا تدرك به النفوس الشريرة الخبيثة[5].

وفيه مزية وفضل للديك، ولهذا جاء النهي عن سبه، كما في حديث زيد بن خالد رضي الله عنه، أنّ النبي  قال: ((لا تسبوا

1 () يأتي إن شاء الله الحديث عن ذلك في الفصل الرابع.

2 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب بدء الخلق، باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال (267) برقم (3303)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الذكر والدعوات، باب: استحباب الدعاء عند صياح الديك (1151) برقم (2729).

3 () هو: أبو الفضل، الحافظ، عياض بن موسى اليحصبي، العبسي، ولد في سبتة سنة 476هـ وأصله من الأندلس، أخذ العلم عن القاضي الغساني وأبي الحسن بن سراج وخلق، تولى القضاء بسبتة مدة طويلة، ثم تولى قضاء غرناطة ثم قرطبة، له مصنفات كثيرة، منها: الشفاء وإكمال المعلم وغيرها، توفي سنة 544هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (4/ 67-69)، ووفيات الأعيان (3/ 483-485).

4 () إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1419هـ، (8/ 244).

5 () انظر: فيض القدير، للمناوي (1/ 488).

الديك فإنه يدعو إلى الصلاة))[1].

وقيل إن السر في هذه المزية؛ لأن الديك أقـرب الحيوانـات صوتًا إلى الذاكرين الله؛ لأنها تحفظ غالبًا أوقات الصلاة، وأنكــر الأصوات صوت الحمير، فهو أقربها صـوتًا إلى من هـو أبعـد من رحمة الله[2].

وإن كان بعض الصحابة قد رأى جبريل ، فإن رؤيتهم له لم تكن بصورته الحقيقية، أما الحيوان فقد أطلقت النصوص رؤيــة طائفة منها للملك وبعضها للشيطان، والله أعلم.

1 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [211].
2 () انظر: فيض القدير، للمناوي (1/ 488).

## المبحث الثاني

# المسائل المتعلقة بالجنِّ

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تشكُّل الجن على صورة الحيوان.

المطلب الثاني: وصف بعض الحيوان بالشيطان.

المطلب الثالث: ما جاء في دوابِّ الجن.

المطلب الرابع: رؤية الحيوان للشيطان.

**تمهيد: التعريف بالجنِّ.**

لغة: يقال: جنَّ الشيء يجُنُّه جنًّا أي: ستره، وكل شيء ستر عنك فقد جنَّ عنك، وسمي الجِنُّ بذلك لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن أمه[1].

وقد أطلق على الملائكة لفظ: الجِنَّة بالكسر؛ وذلك لاستتارها عن العيون، قال تعالى: ﴿ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ﴾ [الصافات: ١٥٨]، حكاية عن كفار قريش الذين قالوا: الملائكة بنات الله[2].

وسميت الجنة بهذا الاسم لكثرة شجرها؛ بحيث يستر بعضها بعضًا[3].

اصطلاحًا: نوع من الأرواح العاقلة المكلفة المريدة، خلقت من نار مستترين عن الحواس، لا يرون على طبيعتهم ولا بصورتهم الحقيقية، ولهم قدرة التشكيل، يأكلون ويشربون ويتناكحون، ومنهم المؤمن والكافر، وهم محاسبون على أعمالهم ومجزيون عليها[4].

يجب الإيمان بكل ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، مما يتعلق بالجن ووجودهم وتكليفهم، وأن منهم المؤمن والكافر، وفي هذا المبحث بيان في مسائل الجن المتعلقة بالحيوان.

---

1 () انظر: لسان العرب (13/92) مادة (جنن).

2 () انظر معالم التنزيل (7/63).

3 () انظر: اللباب في علوم الكتاب (11-454).

4 () انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (3/179-180)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (1/288)، وعالم الجن في ضوء الكتاب والسنة (8-9).

## المطلب الأول: تشكل الجنِّ على صورة الحيوان:

الجنُّ خلقهم الله تبارك وتعالى من نار كما أخبر سبحانه في كتابه عنهم بقوله:  [الحجر: 27].

وقال النبي : ((خلقت الملائكة من نـور، وخلـق الجـان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم))[1].

وقـد أعطـاهم اللـه تبـارك وتعـالى قـدرة على التشـكل؛ فيتصـورون بصـور وأشـكال مختلفـة من إنسـان وحيـوان وغـير ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والجن يتصورون في صـــور الإنس والبهـــائم؛ فيتصـــورون في صـــور الحيـــات والعقـارب وغيرهـا، وفي صـور الإبـل والبقـر، والغنم والخيـل، والبغال والحمير، وفي صور الطير وفي صور بني آدم»[2].

ومن الأدلة الـتي دلت على تشـكلهم على صـورة إنسـان أو حيوان ما يأتي:

1- عن أبي هريـرة قـال: وكلـني رسـول اللـه  بحفـظ زكـاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذتـه وقلت: لأرفعنـك إلى رسـول اللـه ، قـال: إني محتـاج وعليَّ عيـال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصـبحت فقـال النـبي : (( (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ ) قـال: قلت: يـا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته، فخليت سبيله، قال: (أما إنه قد كذبك وسيعود)، فعـرفت أنـه سـيعود لقـول رسـول اللـه : (إنـه سـيعود)، فرصـدته، فجعـل يحثـو من الطعام فأخذتـه، فقلت: لأرفعنـك إلى رسـول اللـه ، قـال: دعـني فـإني محتـاج وعليَّ عيـال، لا أعـود، فرحمتـه فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله : (يـا أبـا هريـرة مـا فعل أسيرك؟ ) قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته، فخليت سبيله، قال: (أمـا إنـه قـد كـذبك وسـيعود)، فرصـدته الثالثـة، فجعـل يحثـو من الطعـام، فأخذتـه، فقلت:

---

[1] () أخرجه مسـلم في صـحيحه، في كتـاب الزهـد، بـاب: في أحـاديث متفرقة (1196) برقم (2996)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

[2] () مجموع الفتـاوى (19/ 44)، وقـال العيـني: «الجن يتصـورون في صـــور شـــتى، ويتشـــكلون في صـــور الإنســـان والبهـــائم، والحيـــات والعقـارب، والإبـل والبقـر، والغنم والخيـل، والبغـال والحمـير، وفي صورة الطير». عمدة القاري شرح صحيح البخاري (4/ 235).

لأرفعنك إلى رسول الله  وهذا آخر ثلاث مرات أنـك تـزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعـك اللـه بهـا، قلت: مـا هنّ؟ قـال: إذا أويت إلى فراشـك فـاقرأ آيـة الكرسي:  [البقرة: 255] حتى تختم الآية، فإنك لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شـيطان حـتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله : (ما فعـل أسـيرك البارحـة؟ ) قلت: يـا رسـول اللـه، زعم أنـه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قـال: مـا هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسـي من أولها حتى تختم الآية ، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شـيطان حـتى تصـبح، وكـانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي : (أما إنه صـدقك وهـو كذوب، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريـرة؟ )، قـال: لا، قال: (ذاك شـيطان) ))[1]، وذكـر الحافـظ ابن حجـر رحمـه الله من فوائـد الحـديث: أن الجن تظهـر للإنسـان بمـا تتصـور به[2].

2- عن أبي ثعلبة الخشني رضـي اللـه عنه[3]، قـال: قـال رسـول الله : ((الجن ثلاثـة أصـناف: صـنف لهم أجنحـة يطـيرون في الهـواء، وصـنف حيـات وكلاب، وصـنف يحلـون ويظعنـون))[4]،

1 () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوكالة، باب: إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئًا فأجازه الموكل فهو جائز (180) برقم (2311).

2 () انظر: فتح الباري (6/ 102).

3 () أبو ثعلبة واختلف في اسمه، فقيل: جرهم، وقيل: جرثـوم، وقيـل: اسمه عمرو بن جرثوم الخشـني، من قضـاعة، كـان ممن بـايع تحت الشجرة، روى عنه: سـعيد بن المسـيب ومكحـول، وآخـرون، أرسـله النبي  إلى قومه فأسلموا مات في خلافة معاوية، وقيل سـنة 75هـ. انظر: الإصـابة (7/ 58-59)، والثقـات لابن حبـان (3/ 63)، وتقـريب التهذيب (627).

4 () أخرجه الحـاكم في المسـتدرك (2/ 495) بـرقم (3702)، وقـال: صـحيح الإسـناد ولم يخرجـاه ووافقـه الـذهبي، والأسـماء والصـفات، أحمد بن الحسين الـبيهقي، تحقيـق: عبـد اللـه بن محمـد الحاشـدي، مكتبـة السـوادي، جـدة، ط1، (2/ 265) بـرقم (265)، وصـححه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح، محمد بن عبـد اللـه التـبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بـيروت، ط3،

فالجن يتصورون على صور حيات، وعلى صور كلاب.
3- عن أبي ذر قال: قال رسول الله : ((إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل، فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود، قلت: يا أبا ذر ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال: يا ابن أخي سألت رسول الله  كما سألتني، فقال: الكلب الأسود شيطان))[1].
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن الكلب الأسود شيطان الكلاب، والجن تتصور بصورته كثيرًا، وكذلك بصورة القط الأسود؛ لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره، وفيه قوة الحرارة»[2].
4- عن أبي السائب[3]: ((أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته، قال: فوجدته يصلي، فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته، فسمعت تحريكًا في عراجين[4] في ناحية البيت، فالتفت فإذا حية، فوثبت لأقتلها، فأشار إليَّ أن اجلس، فجلست، فلما انصرف إلى بيت الدار، فقال: أترى هذا البيت؟ فقلت: نعم، فقال: كان فيه فتى منّا حديث عهد بعرس، قال: فخرجنا مع رسول الله  بأنصاف النهار فرجع إلى أهله، فاستأذنه يومًا، فقال له رسول الله : (خذ عليك سلاحك فإني أخشى عليك قريظة)، فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به، وأصابته غيرة، فقالت له: اكفف عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها

1405هـ، (2/ 443) برقم (4148).
1 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [218].
2 () مجموع الفتاوى (19/ 52).
3 () هو: أبو السائب، مولى هشام بن زهرة بن عثمان بن عمرو بن كعب السلمي، التابعي الجليل، أصله من فارس، روى عن المغيرة وأبي هريرة وأبي سعيد، وروى عنه العلاء والزهري. انظر: الثقات لابن حبان (5/ 591)، وتهذيب الكمال (33/ 338)، والكاشف (3/ 299).
4 () هي الأعواد التي تكون في سقف البيت، شبهها بالعراجين. انظر: النهاية لابن الأثير (602) مادة (عرج).

به، ثم خرج فركزه في الدار، فاضطربت عليه فما يدرى أيهما كان أسرع موتًا الحية أم الفتى؟ قال: فجئنا إلى رسول الله ، وذكرنا ذلك له، وقلنا له: ادع الله أن يحييه لنا، فقال: (استغفروا لصاحبكم)، ثم قال: (إن بالمدينة جنًّا قد أسلموا فإذا رأيتم منها شيئًا فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان))[1].

ففي هذا الحديث دلالة على أن الجنَّ يتشكلون في صورة الحيات، فهذه الحية التي قتلها هذا الصحابي كانت جنيًّا في صورة حية صُرِع الفتى بسببها.

فأرشد النبي  من رأى حية في بيته أن يناشدها ثلاثًا؛ فإذا ظهرت بعد ذلك جاز له قتلها؛ لأنها خرجت عن المعنى الذي من أجله نهي عن قتلها، وعادت إلى الحكم الذي كان جميع الحيات عليه قبل ذلك[2].

وعلم أنها ليست من عوامر البيوت، ولا ممن أسلم من الجن، بل هو شيطان فلا حرمة عليكم فاقتلوه، ولن يجعل الله له عليكم سبيلاً، بخلاف العوامر ومن أسلم[3].

1 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها (1075) برقم (2236).
2 () انظر: شرح مشكل الآثار، أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408ﻫ، (7/ 381).
3 () انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (14/ 236).

ويستثنى من هذه الحيات: الأبتر[1]، وذو الطُفْيتين[2]، فإنهما يقتلان في البيوت من غير إنذار، ويدل عليه أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يومًا عند هدم له، فرأى وبيص جان[3]، فقال: ((اتبعوا هذا الجان فاقتلوه، قال أبو لبابة الأنصاري[4]: إني سمعت رسول الله  نهى عن قتل الجان التي تكون في البيوت إلا الأبتر وذا الطُفْيتين؛ فإنهما اللذان يخطفان البصر[5]، ويتتبعان ما في بطون النساء[6] ))[7].

فقد دلت هذه الأدلة على أن الجن تتصور وتتشكل بأشكال كثيرة، منها ما يكون على صورة أنواع من الحيوان، كالكلب الأسود والحيات وغيرها، وعندئذ يمكن رؤيتهم، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله عن الشيطان: «وأنه قد يتصور ببعض الصور فتمكن رؤيته، وأن قوله تعالى: ﴿ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ﴾ [الأعراف: 27]، مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق

---

1 () الأبتر: صنف من الحيات قصير الذنب، وقيل هي الحية القصيرة، تشبه مقطوع الذنب. انظر: التمهيد (16/ 23)، وشرح صحيح مسلم للنووي (14/ 230).

2 () الطفيتان: خطان أبيضان على ظهر الحية، وقيل خطان أسودان. انظر: التمهيد (16/ 23)، وشرح صحيح مسلم (14/ 230)، وفيض القدير (2/ 75).

3 () الوبيص: البريق. انظر: النهاية (956) مادة (وبص)، والجان هي: الحية الدقيقة. انظر: النهاية (170) مادة (جنن).

4 () أبو لبابة: هو رفاعة بن عبد المنذر، الأنصاري، المدني، صحابي مشهور، كان أحد النقباء، روى عنه أولاده وسالم وغيرهم، استخلفه النبي  على المدينة حين خرج إلى بدر، وضرب له بسهمه وأجره، توفي في خلافة علي رضي الله عنه. انظر: الإصابة (7/ 349)، والثقات لابن حبان (3/ 32)، وتقريب التهذيب (669).

5 () يخطفان البصر، قيل: معناه يطمسان البصر بمجرد نظرهما إليه لخاصة جعلها الله في بصريهما إذا وقعا على بصر الإنسان، وقيل: إنهما يقصدان البصر باللسع والنهش، والأول أصح. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (14/ 230).

6 () أي أن المرأة الحامل إذا نظرت إليهما خافت وأسقطت الحمل. انظر: المرجع السابق.

7 () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الوحي، باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال (267) رقم (3310)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، باب: قتل الحياة وغيرها(1074) رقم (2233).

عليهـــــا...، وأنهم[1] يظهــــــرون للإنســــان لكن بالشـــــرط المذكور[2]»[3].

[1] () أي الجن.
[2] () الشرط هو: أنهم يتشكلون بغير صورهم الحقيقية.
[3] () فتح الباري (6/ 102)، وانظر: مـا ذكـره شـيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمه الله عن إمكان رؤيتهم في مجموع الفتاوى (15/ 7).

## المطلب الثاني: وصف بعض الحيوان بالشيطان:

وفيه ثلاث مسائل:

### المسألة الأولى: إخبار النبي  أن بعض الكلاب شيطان:

جاء في السنة النبوية إطلاق الشيطان على الكلب الأسود، فعن أبي ذر قال: قال رسول الله : ((إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرَّحل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل، فإنه يقطع صلاته الحمار، والمرأة، والكلب الأسود، قلت: يا أبا ذر ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال: يا ابن أخي: سألت رسول الله  كما سألتني فقال: الكلب الأسود شيطان))[1].

وعن جابر بن عبد الله قال: ((أمر رسول الله  بقتل الكلاب، حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبها فنقتله، ثم نهى رسول الله  عن قتلها وقال: عليكم بالأسود البهيم ذي النقطتين[2]، فإنه شيطان))[3].

وقد اختلف العلماء في تفسير الشيطان الذي أطلق على الكلب الأسود على قولين:

**القول الأول:** أنّ الحديث يحمل على ظاهره، وأنَّ الشيطان يتصور بصورة الكلب الأسود[4]، ومن الأدلة لهذا القول: قوله : ((الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون))[5].

فإذا كانت الجن تتصور بصورة الكلاب فلا مانع أن يكون المراد بقوله  عن الكلب الأسود: إنه شيطان جنّ.

---

1 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [218].

2 () البهيم: الخالص السواد، وأمَّا النقطتان فهما: نقطتان معروفتان بيضاوان فوق عينيه. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (10/ 237).

3 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب المساقاة والمزارعة، باب: الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه، وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية، ونحو ذلك (951) برقم (1572).

4 () انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1959م، (2/ 280)، وحاشية السندي على سنن النسائي، (2/ 64).

5 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [229].

**القول الثاني:** أنّ المراد بالشيطان في هـذا الحـديث هـو شيطان الكلاب، لا شيطان الجن، فالكلب الأسود شيطان؛ لأنـه أخبث الكلاب وأضرها وأعقرها[1].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الصحيح: أنـه شـيطان كلاب، لا شيطان جن، والشيطان ليس خاصًّا بـالجن، قـال اللـه تعالى: ﴿ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ﴾ [الأنعام: 112]، فالشيطان كما يكون في الجن، يكون في الإنس، ويكون في الحيـوان، فمعنـى شيطان في الحـديث أي: شـيطان الكلاب؛ لأنـه أخبثهـا، ولـذلك يقتل على كل حال»[2].

ومن أدلة هذا القول ما يأتي:

1- النـبي ﷺ علّل الأمـر بقتـل الكلب الأسـود؛ لأنــه شـيطان، وليسـت العلّـة هنـا كونـه من شـياطين الجن، بـل العلـة هي الموجودة في الأمر بقتل الحيـة، الـتي تبقى بعـد الإذن ثلاثًـا؛ حيث دلَّ بقاؤها بعد ذلك على أنها ليسـت من الجن؛ بـل هي شيطان حيات، وكذا الكلب الأسود الأمر بقتلـه لأنـه شـيطان كلاب.

2- النبي ﷺ أمر بقتل خمس فواسـق منهـا الكلب العقـور، فعن عائشـة رضـي اللـه عنهـا عن النـبي ﷺ قـال: ((خمس من الـدوابّ كلهن فواسـق يقتلن في الحـرم: الغـراب، والحِـدأ، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور))[3].

فالأمر بقتل الكلب العقور لما فيه من الضرر موافـق للأمـر

---

[1] () انظر: شرح السنة، (11/ 212)، والتمهيد (14/ 229)، والكاشـف عن حقائق السنن، عبد الله بن محمد الطيبـي، تحقيق: عبـد الحميـد هنداوي، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ط1، 1417هـ، (9/ 2816)، وفيض القدير (5/ 82)، ومرقاة المفـاتيح (8/ 33)، وتحفـة الأحـوذي شرح جامع الترمذي، محمـد عبـد الـرحمن المبـاركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت (5/ 53)، وآكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكـام الجان، محمد بن عبد الله الشبلي، تحقيق: أيمن البحـيري، مؤسسـة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1415هـ، (29).

[2] () الشرح الممتع على زاد المستقنع، (3/ 283).

[3] () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب جزاء الصيد، باب: ما يقتـل المحرم من الدواب (143) برقم (1829)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الحج، باب: ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحـل والحرم (873) برقم (1198).

بقتل الكلب الأسود لما فيه من الخبث ولكونه أضر الكلاب، لا لأنه من الجن.

3- لم يرد في النصوص الندب إلى قتل الشيطان، وفي حديث أبي هريرة مع الشيطان[1]، لم يأمره النبي  بقتل الشيطان، فلو كانت العلّة بقتل الكلب الأسود؛ لأنه شيطان لأمر أبا هريرة بقتل الشيطان، فدلّ ذلك على أن العلّة في ذلك هي كونه شيطان كلاب لا شيطان جن.

4- النبي  أخبر بقطع الكلب الأسود للصلاة؛ لأنه شيطان، وتفسير ذلك بالخبث والضرر أصح من تفسيره بكونه شيطانًا حقيقيًّا؛ حيث لم يرد ما يدل على قطع الشيطان للصلاة، بل جاء ما يدل على أن الشيطان الحقيقي لا يقطع الصلاة[2]، كما في قصة إبليس حين جاء إلى النبي  وهو يصلي، فأهوى إليه النبي ، فما زال يخنقه حتى وجد برد لعابه بين أصبعيه[3].

5- الشيطان ليس خاصًّا بالشيطان الحقيقي، بل يطلق في كلام العرب على كل متمرد من الجن والإنس والدواب، فشيطان كل شيء: مارده، وإنما سمي المتمرد من كل شيء شيطانًا لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاقَ وأفعال سائر جنسه، وبعده عن الخير[4].

والقول الثاني: أنّ المراد بالكلب الأسود شيطان الكلاب لا شيطان الجن هو القول الراجح لقوة أدلته، ولا يمنع أن تكون الجن تتصور بصورته أكثر من غيره من الكلاب، حيث سبق ما يدل على أنّ الجنَّ تتصور ببعض الحيوانات، ومنها الكلاب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«الكلب الأسود شيطان الكلاب، والجن تتصور بصورته

---

1 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [229].

2 () انظر: شرح الزرقاني على موطأ مالك (1/ 449).

3 () ورد هذا في حديث أخرجه أحمد في مسنده (3/ 82)، من حديث أبي سعيد، وذكر ابن رجب في فتح الباري (6/ 397) أنّ إسناده جيد، وأخرج البخاري هذا الحديث – أيضًا – عن أبي هريرة في صحيحه في كتاب الصلاة، باب: ما يجوز من العمل في الصلاة (94) برقم (1210).

4 () انظر: جامع البيان (1/ 111)، وتفسير القرآن العظيم (3/ 313).

كثيرًا، وكذلك بصورة القط الأسود[5]؛ لأنّ السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره، وفيه قوة الحرارة»[2].

وقال ابن القيم رحمه الله مبينًا العلة في كون الكلب الأسود يقطع الصلاة دون غيره من الكلاب، وأن النبي  قد «أجاب عنه بالفرق البين فقال: الكلب الأسود شيطان، وهذا إن أريد به أن الشيطان يظهر في صورة الكلب الأسود كثيرًا، كما هو الواقع فظاهر، وليس بمستنكر أن يكون مرور عدو الله بين يدي المصلي قاطعًا لصلاته، ويكون مروره قد جعل تلك الصلاة بغيضة إلى الله مكروهة له، فيأمر المصلي أن يستأنفها، وإن كان المراد به أن الكلب الأسود شيطان الكلاب، فإن كل جنس من أجناس الحيوانات فيها شياطين، وهي ما عتا منها وتمرد، كما أن شياطينَ الإنس عتاتَهم ومتمرديهم، والإبل شياطين الأنعام، وعلى ذروة كل بعير شيطان، فيكون مرور هذا النوع من الكلاب وهو من أخبثها وشرها مبغضًا لتلك الصلاة إلى الله تعالى»[3].

**المسألة الثانية: إخبار النبي  أن الإبل خلقت من الشياطين وبيان ذلك:**

أخبر النبي  عن الإبل أنها خلقت من الشياطين، وفي بعض الألفاظ أنها خلقت من الجن، فعن عبد الله بن مغفل[4] رضي الله عنه، قال: قال النبي : ((صلوا في مرابض الغنم، ولا تصلوا في أعطان[5] الإبل؛ فإنها خلقت من الشياطين))[6].

1 () لم أجد ما يدل على تصور الجن بصورة القط الأسود وغيره من القطط.

2 () مجموع الفتاوى (19/ 52)، وانظر: فيض القدير (2/ 450).

3 () إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1973م، (2/ 107).

4 () هو: أبو عبد الرحمن، عبد الله بن مغفل المزني، صحابي بايع تحت الشجرة، ونزل البصرة، وقال الحسن البصري: كان أحد العشرة الذين بعثهم عمر إلينا يفقهون الناس، توفي سنة 57هـ، وقيل: 61هـ. انظر: الاستيعاب (3/ 996)، والثقات (3/ 236).

5 () الأعطان جمع عَطَن، والعَطَن هو: مبرك الإبل حول الماء. انظر: النهاية (624) مادة (عطن).

6 () أخرجه أحمد في مسنده (4/ 86) وابن ماجه في سننه في أبواب المساجد والجماعات، باب الصلاة في أعطان الإبل ومراح الغنم (

وفي رواية: ((لا تصلوا في عطن الإبل؛ فإنها من الجن خلقت، ألا ترون إلى عيونها وهِبَابِها[1] إذا نفرت؟ ))[2].

وعن البراء بن عازب قال: ((سئل رسول الله  عن الصلاة في مبارك الإبل، فقال: لا تصلوا في مبارك الإبل فإنها من الشياطين، وسئل عن الصلاة في مرابض الغنم فقال: صلوا فيها فإنها بركة))[3].

واختلف العلماء في المراد بكون الإبل خلقت من الشياطين على أقوال:

**القول الأول:** أن الإبل خلقت من الجن حقيقة[4]، يقول الباجي[5]: «يحتمل أن يكون خص الإبل بذلك لما روي أنها

---

2522) برقم (769)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (2/ 141) رقم (2052): عن رجال أحمد أنهم ثقات، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (1/ 128) برقم (769).

1 () الهِبَاب هو: النشاط. انظر: النهاية (997) مادة (هبب).

2 () أخرجها أحمد في مسنده (5/ 55).

3 () أخرجه أحمد في مسنده (4/ 288)، وأبو داود في سننه في كتاب الصلاة، باب النهي عن الصلاة في مبارك الإبل (1259) برقم (493)، وصححه ابن الملقن في: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، عمر بن علي المعروف بابن الملقن، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة، الرياض، ط1، 1425هـ (2/ 407)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (1/ 94) برقم (176).

4 () انظر: عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، عبد الكريم نوفان عبيدان، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط3، 1426هـ (72)، فقد ذكر هذا القول ونقل عن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ما يوهم أنَّه يرى هذا القول، ولم يظهر لي أنّ الشيخ يختار هذا القول، بل ذكر الشيخ في أضواء البيان (3/ 180-181) إطلاق الشيطان على كل عات متمرد، وأن الإبل إذا نفرت فهي عاتية، متمردة، ثم قال: «فتسميتها باسم الشيطان مطابق للغة العرب».

5 () هو: أبو الوليد، سليمان بن خلف بن سعد، التجيبي، الباجي، الأندلسي، أصله من بطليوس فتحول جده إلى باجة، قرب إشبيلية، أخذ عن مكي بن أبي طالب والحافظ أبي ذر وغيرهما، وحدث عنه: ابن عبد البر وابن حزم وغيرهما، رحل إلى العراق وأصبهان ودمشق وبغداد والموصل، وولي القضاء بمواضع في الأندلس، له مصنفات كثيرة منها: المنتقى شرح الموطأ، والجرح والتعديل وغيرها، توفي

خُلقت من الجن، فاستعاذ بالله من سوء ما خلقت منه مخافة أن يكون في الإبل شيء من أخلاق ما خلقت منه»[1].

وقال العيني[2]: «فإنها خلقت من الشياطين، فهذا يدل على أن الإبل خلقت من الجن؛ لأن الشياطين من الجن على الصحيح»[3].

**القول الثاني:** أنها خلقت من جنس خلقت منه الشياطين، وهو النار، يقول ابن قتيبة رحمه الله[4]: «النبي ، وغير النبي  يعلم أن البعير تلده الناقة، وأنه لا يجوز أن تكون شيطانة تلد جملاً، ولا أنَّ ناقة تلد شيطانًا، وإنما أعلمنا أنها في أصل الخلقة خلقت من جنس خلقت منه الشياطين.

ويدل على ذلك قوله في حديث آخر: أنها خلقت من أعنان الشياطين، يريد من جوانبها ونواحيها، كما يقال: بلغ فلان أعنان السماء، أي نواحيها وجوانبها، ولو كانت من نسلها لقال: فإنها خلقت من نسلها أو بطونها أو أصلابها أو ما يشبه ذلك»[5].

---

سنة 474هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (8/ 535-545).

1 () المنتقى شرح موطأ مالك، سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ، (5/ 176).

2 () هو: بدر الدين، أبو محمد، محمود بن أحمد بن موسى، العيني، الحنفي، أخذ عن محمود العنتابي، ومحمد الراعي، وغيرهما، وعنه: السخاوي وغيره، برع في الحديث، والتاريخ، والصرف والعربية، وله تصانيف كثيرة، منها: عمدة القاري في شرح البخاري والبناية في شرح الهداية، توفي سنة 855هـ. انظر: الضوء اللامع (10/ 131-135).

3 () عمدة القاري (4/ 181).

4 () هو: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الكاتب، صاحب التصانيف، حدث عن إسحاق بن راهويه، وأبي حاتم السجستاني وغيرهما، وعنه: ابنه أحمد وعبد الله بن جعفر بن درستويه، وغيرهما، كان من كبار العلماء المشهورين، عنده فنون جمة، وعلوم مهمة، من أشهر مصنفاته: غريب القرآن، وغريب الحديث، وأدب الكاتب وغيرها، توفي سنة 276هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (3/ 296-302).

5 () تأويل مختلف الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد النجار، دار الجيل، بيروت، 1393هـ، (132).

وقال ابن رجب رحمه الله[6]: «ويجوز أنها خلقت في أصلها من نار، كما خلقت الجن من نار، ثم توالدت كما توالدت الجن»[7].

**القول الثالث:** أن الإبل خلقت من نتاج نَعَم الجن لا من الجن أنفسها[3].

**القول الرابع:** أنّ المراد بكون الإبل مخلوقة من الشياطين ما ذكره ابن حبان رحمه الله[4]، من أن معها الشياطينَ على سبيل المجاورة والقرب[5].

**القول الخامس:** أن المقصود بكون الإبل خلقت من الشياطين: ما في طبعها من النفور والشرود، فهي خلقت على صفة تشبه الجن من النفور والإيذاء، فخُلُقُها وطباعها مشابهة لخُلُق الجن وطباعهم، وذهب إلى هذا القول أكثر العلماء الذين تكلموا على هذه المسألة[6].

---

6 () هو: أبو الفرج، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، سمع من محمد الخباز وإبراهيم العطار وغيرهما، له معرفة تامة بالمذهب ودرس بالمدرسة الحنبلية، له مصنفات كثيرة منها: فتح الباري شرح البخاري، وجامع العلوم والحكم، توفي سنة 795هـ بدمشق. انظر: الدرر الكامنة (3/ 108-109)، والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، إبراهيم بن مفلح، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، 1410هـ، (2/ 81-82).

7 () فتح الباري لابن رجب (2/ 422).

3 () انظر: تأويل مختلف الحديث (132-133).

4 () هو: أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد التيمي، البستي، حدث عن النسائي وأبي يعلى وغيرهما، وعنه، الحاكم، وابن منده وغيرهما، كان من فقهاء الدين، وحفاظ الأثر، له مصنفات كثيرة، منها الصحيح، والتاريخ، توفي في سجستان سنة 354هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (16/ 92-105).

5 () انظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ، (4/ 603).

6 () انظر: غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، ط1، 1396هـ (3/ 157)، ومعالم السنن، حمد محمد الخطابي، صححه: محمد راغب الطباخ،

قال الخطابي رحمه الله[1]: «فإنها من الشياطين، يريد أنَّها لما فيها من النفور والشرود ربما أفسدت على المصلي صلاته، والعرب تسمي كل متمرد مارد شيطانًا، كأنه يقول: إن المصلي إذا صلى بحضرتها كان مغررًا بصلاته لما لا يؤمن من نفارها وخبطها المصلي»[2].

وقال ابن الأثير رحمه الله: «كأنه قال: إنها لكثرة آفاتها كأنها من نواحي الشياطين في أخلاقها وطبائعها»[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يريد والله أعلم أنها من جنس الشياطين، ونوعهم، فإن كل عاتٍ متمرد شيطانٌ من أي الدوابّ كان، فالكلب الأسود شيطان، والإبل شياطين الأنعام، كما للإنس شياطين وللجن شياطين»[4].

والراجح من هذه الأقوال - والله أعلم - هو القول الخامس، وذلك لما يأتي:

1- تفسير خلق الإبل من الشياطين بأنها خلقت من الشيطنة، كقوله تعالى عن الإنسان: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹٹ﴾ [الأنبياء: 37]، فليس معنى ذلك أنّ مادة الخلق من عجل، لكن هذه طبيعته، كما قال سبحانه: ﴿ﭻ ﭼ ﭽ﴾ [الإسراء: 11]، وكذا الإبل خلقت من الشياطين أي: في طبعها وأخلاقها[5].

2- وصف الإبل بأنها خلقت من الشياطين كإطلاق الشيطان على الكلب الأسود، وعلى الحيات التي تبقى بعد الإذن ثلاثًا،

المطبعة العلمية، حلب، ط1، 1351هـ (1/ 149)، وفيض القدير (2/ 405)، وآكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان (29).

[1] () هو: العلامة، الحافظ، اللغوي، أبو سليمان، حمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، الخطابي، حدث عن ابن داسة وأبي العباس الأصم وغيرهما، وعنه: الحاكم والإسفراييني وغيرهما، رحل في طلب الحديث والعلوم وكان من أوعية العلم، وله شعر جيد ومصنفات كثيرة، منها: غريب الحديث ومعالم السنن وأعلام الحديث وغيرها، توفي سنة 388هـ انظر: سير أعلام النبلاء (17/ 23-28)، وتذكرة الحفاظ (3/ 149-151).

[2] () معالم السنن (1/ 451).

[3] () النهاية في غريب الحديث والأثر (647) مادة (عنن).

[4] () شرح العمدة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: سعود العطيشان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1413هـ، (1/ 331).

[5] () انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، (1/ 451).

فهذه كلها شياطين دواب لا شياطين جن.

3- جاء في حديث جابر أنّه أتى النبي  وهو يصلي على بعيره[1]، فإذا كان النبي  يصلي على بعيره فهذا مما يؤيد القول بأنّ المراد بكونها خلقت من الشياطين: المشابهة في الطبع والخُلُق؛ لأن النبي  لم يكن ليصلي على ظهر الشيطان وهو الذي خرج من الوادي الذي فيه شيطان[2].

ولا يُشكل صلاة النبي  على ظهر البعير مع نهيه عن الصلاة في أعطان الإبل، للفرق بين الواحد منها وبين كونها مجتمعة لما طبعت عليه من النفار المفضي إلى الأذى وتشويش القلب، فمن صلى في معاطن الإبل لا يأمن أن تأتي إليه فتؤذيه ويحصل له الضرر بذلك بخلاف من كان على ظهر واحد منها فالضرر مأمون، والله أعلم.

فإذا كانت الإبل مشابهة للشياطين في الأخلاق والطباع فلا يبعد أن تكون الشياطين قريبة منها، ويدل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله : ((إنّ على ذِرْوة[3] كل بعير شيطانًا، فامتهنوهنَّ بالركوب فإنَّما يحمل الله))[4].

وفي الحديث الآخر، قال : ((على ظهر كل بعير شيطان، فإذا ركبتموها فسموا الله، ثم لا تقصروا عن حاجتكم))[5].

---

1 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته (761) برقم (540).

2 () جاء في هذا حديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد، باب: قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها (784) برقم (680)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

3 () الذِرْوة هي: أعلى سنام البعير. انظر: النهاية في غريب الحديث (326) مادة (ذرا).

4 () أخرجه الحاكم في مستدركه (1/ 612) برقم (1627) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 745) برقم (4030).

5 () أخرجه أحمد في مسنده (3/ 493)، وصحيح ابن خزيمة، محمد إسحاق بن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1390هـ (4/ 143) رقم (2546)، وابن حبان في صحيحه (4/ 602) برقم (1703)، والطبراني في المعجم الكبير (3/ 160) برقم (2994) من حديث حمزة بن عمرو الأسلمي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/ 185) رقم (17094): «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجالهما رجال الصحيح، غير محمد بن حمزة وهو ثقة»، وفي الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما أعطان الإبل فقد صرح النبي  في توجيه ذلك بأنها من الشياطين، وبأنَّها خلقت من الشياطين، وفي روايةٍ جن خلقت من جن، وفي حديث آخر: ((على ذروة كل بعير شيطان)).

والشيطان: اسم لكل عاتٍ متمردٌ من جميع الحيوان والشياطين من ذرية إبليس تقارب شياطين الإنس والدواب، فمعاطنها مأوى الشياطين، أعني: أنها في أنفسها جن وشياطين لمشاركتها لها في العتو والتمرد والنفر وغير ذلك من الأخلاق، وأنّ ذرية إبليس مقترنة بها، وإذا كان كذلك فالمواضع التي هي مألف الشياطين ومثواهم نهى الشارع عن الصلاة فيها لما في الصلاة فيها من المفسدة التي تعكس على المصلي مقصوده من العبادة»[1].

**المسألة الثالثة: وصف النبي  للرَّجل الذي يتبع حمامة بأنه شيطان يتبع شيطانة:**

الحمام من الحيوانات التي جاء إطلاق اسم الشيطان عليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله  رأى رجلاً يتبع حمامة فقال: ((شيطان يتبع شيطانة))[2].

ففي هذا الحديث وصف النبي  الرجل الذي يتخذ الحمام للعب، بأنه شيطان وسماه شيطانًا لمباعدته عن الحق، واشتغاله بما لا ينفعه، وسمى هذه الحمامة شيطانة؛ لأنها أورثته الغفلة عن ذكر الله تعالى، وشغلته عما يهمه من صلاح

عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ (4/ 38) رقم (4707)، قال المنذري: «رواه أحمد والطبراني وإسنادهما جيد»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (3/ 114) برقم (3114).

1 () شرح العمدة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: خالد بن علي المشيقح، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1418هـ (1/ 453-454).

2 () أخرجه أحمد في مسنده (2/ 345)، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب: في اللعب بالحمام (1585) برقم (4940)، وابن ماجه في سننه في كتاب الأدب، باب: اللعب بالحمام (2701) برقم (3765)، وابن حبان في صحيحه (13/ 183) برقم (5874)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (3/ 933) برقم (4940).

الدارين[1].

وذكر ابن حبان رحمه الله: أنه قيل له: شـيطان؛ لأن اللاعب بالحمـام لا يكـاد يخلـو من لغـو وعصـيان، والعاصـي يقـال لـه: شيطان، قال الله تعالى: ﴿ق ق ﴾ [الأنعام: 112][2].

وقيل: إن تسمية الحمامة: شيطانة؛ لأنها سبب اتباع الرجـل لها، أو أنها تفعل فعل الشياطين، حيث يتولع الإنسـان بمتابعتهـا واللعب بها لحسن صورتها وجودة نغمتها[3].

وقـد دلّ الحـديث على النهي عن اللعب بالحمـام؛ لأن ذلـك سـفه ودنـاءة، وقلـة مـروءة، ويتضـمن أذى الجـيران بطـيره، وإشرافه على دورهم، ورميه إياهـا بالحجـارة، بخلاف من اتخـذ الحمـام لطلب فراخهـا، أو حمـل الكتب، أو الأنس بهـا من غـير أذى يتعدى إلى الناس[4].

وقـد سـئل شـيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمـه اللـه عن اللعب بالحمام، فأجاب: «اللعب بالحمام منهي عنـه، وفي السـنن عن النـبي  أنـه رأى رجلاً يتبـع حمامـة، فقـال: ((شـيطان يتبـع شيطانة))[5]، ومن لعب بالحمام فأشرف على حـريم النـاس أو رماهم بالحجـارة فـوقعت على الجـيران؛ فإنـه يعـزر على ذلـك تعزيـرًا يردعـه عن ذلـك ويمنـع من ذلـك، فـإن هـذا فيـه ظلم وعدوان على الجيران؛ مع ما فيه من اللعب المنهي عنه، واللـه أعلم»[6].

---

1 () انظر: عون المعبود (13/ 194)، وفيض القدير (4/ 223).

2 () انظـر: صـحيح ابن حبـان بـترتيب ابن بلبـان (13/ 183) بـرقم (5874).

3 () انظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، دار النوادر، الكويت، 1431هـ، (8/ 257).

4 () انظـر: المغـني لابن قدامـة (14/ 156-157)، وقـد ذكـر الـبيهقي رحمه اللـه أن بعض أهـل العلم حمـل إطلاق الشـيطان في الحـديث على إدمـان صـاحب الحمـام على إطارتـه والاشـتغال بـه، وارتقائـه السطوح التي يشرف بها على بيوت الجيران وحُرمهم لأجلـه. انظـر: شعب الإيمان، (5/ 245) برقم (6535).

5 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [243].

6 () مجموع الفتاوى (32/ 246).

وقال ابن القيم رحمه الله: «وعليه[1] أن يمنع اللاعبين بالحمام على رؤوس الناس؛ فإنهم يتوسلون بذلك إلى الإشراف عليهم والتطلع على عوراتهم»[2].

1 () أي ولي الأمر.
2 () الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الوطن، الرياض، بدون ذكر الطبعة وتاريخها (282).

## المطلب الثالث: ما جاء في دواب الجنِّ:

الجن أعطاهم الله  قدرة وسرعة في الحركـة والانتقـال لا توجد عند الإنس؛ لحكمة أرادها الله تبارك وتعالى، فهم ينتقلون من مكـان إلى مكـان بسـرعة عاليـة، وهم كمـا أخـبر النـبي ، منهم من يطير في الهواء، ومنهم أصـناف يحلـون ويظعنـون[1]، ونحن نؤمن بذلك كلِّه وإن كنَّا لا نعلم الكيفية التي ينتقلون بها.

ونحن نؤمن - أيضًا - بما دلت عليه النصوص من وجود دواب للجن، الله أعلم بها، ومن أدلة ذلك:

ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه، قـال: ((كنـا مـع رسـول اللـه  ذات ليلـة، ففقـدناه، فالتمسـناه في الأوديـة والشـعاب، فقلنا: استطير[2]، أو اغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بـات بهـا قـوم، فلما أصبحنا إذ هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا يا رسول اللـه فقدناك فطلبناك، فلم نجـدك، فبتنـا بشـر ليلـة بـات بهـا قـوم، فقال: أتاني داعي الجن، فذهبت معـه، فقـرأت عليهم القـرآن، قال: فانطلق بنا فأرانـا آثـارهم، وآثـار نـيرانهم، وسـألوه الـزاد، فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيـديكم، أوفـر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم، فقـال رسـول اللـه : فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم))[3].

فدل هذا الحديث أن الجن لهم دوابٌّ؛ حيث وعدهم الرسول  بأن البعر يكون علفًـا لـدوابهم، فـدلَّ على أنَّ لهم دوابَّ كمـا للإنس دواب، وسبق الكلام عن السبب الذي سوغ دخـول هـذه المسألة في هـذه الرسـالة المتعلقـة بـالحيوان المعـروف، وأن ذلك لثبوت قدر مشـترك بين الحيـوان المعـروف ودواب الجن، والله أعلم.

---

1 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [229].

2 () استطير: أي طارت به الجن. انظر: شرح صحيح مسـلم للنـووي ( 4/ 170).

3 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب: الجهر بالقراءة في الصبح على الجن (749) برقم (450).

## المطلب الرابع: رؤية الحيوان للشيطان:

أعطى الله  الحيوان من الرؤية والسماع ما لم يعط مثله الإنسان، فمنها ما يرى أشياء لا يراها الإنسان من الملائكة والشياطين، وهي - أيضًا - تسمع أشياء لا يسمعها الإنسان، كعذاب القبر[1].

وقد مر بنا في المبحث السابق رؤية الديكة للملك، والحديث هنا عن رؤية الحُمُر والكلاب للشيطان، فعن أبي هريرة رضي الله أن رسول الله  قال: ((إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله؛ فإنها رأت ملكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان؛ فإنها رأت شيطانًا)) [2].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله : ((إذا سمعتم نُباح الكلاب ونهيق الحُمُر بالليل، فتعوذوا بالله؛ فإنهن يرين ما لا ترون))[3].

فقد دلت هذه الأحاديث أنَّ نباح الكلاب ونهيق الحمير علامة على رؤيتها ما لا نراه وهم الشياطين والجن[4].

وخصّ الليل في الحديث؛ لأنّ انتشار الشياطين فيه أكثر، فيكون نهيق الحمير فيه أكثر، وإن كان النهار كذلك في طلب التعوذ - أيضًا -[5].

فقد حثّ في الحديث الأول المسلم على الاستعاذة عند سماع نهيق الحمير، ولم يقيده بالليل فيشرع للمسلم عند سماع نباح الكلاب أو نهيق الحمير أن يستعيذ بالله من الشيطان.

فهذه بعض الحيوانات التي دلت النصوص على رؤيتها للجنِّ،

---

1 () يأتي الحديث عن هذا في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى.

2 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [224].

3 () أخرجه أحمد في مسنده (3/ 306)، وأبو داود في سننه، في كتاب الأدب، باب نهيق الحمير ونباح الكلاب (1597) برقم (5103)، والبخاري في الأدب المفرد (1/ 423) برقم (1234)، والحاكم في مستدركه (4/ 316) برقم (7762)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (3/ 961) برقم (5103).

4 () انظر: فيض القدير للمناوي (1/ 489).

5 () انظر: المرجع السابق.

وقد انتشر عند بعض الناس أنَّ الذئب يرى الجن، وأن الجن تخاف منه، ولكن هذا لا دليل عليه ولم يرد في النصوص ما يفيد ذلك، وإن كان بعض الرقاة قد يستعمل أعضاءَ من الذئب زاعمًا أنها تطرد الجنَّ فهذا مما لا يُعلم له أصل، والعلم عند الله تعالى.

قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله[1]: «وكثيرًا ما يعلقونها يزعمون أن الجن تفر منها، ومنهم من يقول: إنه إذا وقع بصر الذئب على جني لا يستطيع أن يفر منه حتى يأخذه، ولهذا يعلقون عينه إذا مات على الصبيان ونحوهم»[2].

ولعل اعتقاد بعض الناس أنَّ الجن تخاف من الذئب، وأنَّ الذئب يرى الجن، هو الذي جعل طوائف من الناس ينتشر عندهم تعليق التمائم لأعضاء من الذئب -كما مر ذلك في الفصل الأول عند الكلام على تعليق التمائم وعلاقته بالحيوان- فوجد من علَّق أجزاء من بدن الذئب على سيارته أو بيته، معتقدًا أنها تطرد الجن وتحميه منهم، وكلُّ ذلك من التمائم الشركية التي بنيت على اعتقادات لا صحة لها، والله أعلم.

---

1 () هو: الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، ولد سنة 1342هـ في منطقة جيزان، وطلب العلم في مرحلة مبكرة، حيث لازم الشيخ عبد الله القرعاوي، وتميز بالحافظة القوية، والشعر الجيد، وكان أول مدير للمدارس التي افتتحتها وزارة المعارف في جيزان، من أبرز مصنفاته الكثيرة: معارج القبول، وأعلام السنة المنشورة، توفي سنة 1377هـ انظر: من مشاهير علمائنا، د. محمد بن سعد الشويعر، نادي الطائف الأدبي، ط1، 1421هـ، (245-270).

2 () معارج القبول (2/ 498).

# الفصل الثالث

# المسائل المتعلقة بالرسل

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول: آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المتعلقة بالحيوان.**

**المبحث الثاني: دلائل نبوة محمد  المتعلقة بالحيوان.**

**المبحث الثالث: الأمثال المضروبة في القرآن من الحيوان.**

## المبحث الأول

# آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المتعلقة بالحيوان

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: ما جاء في ناقة نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: إحياء الله الطير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: آيات نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام المتعلقة بالحيوان.

المطلب الرابع: إحياء الميت من قوم موسى بعد ضربه ببعض البقرة التي أمر الله بها.

المطلب الخامس: حياة حوت موسى  بعد موته، وجريه في البحر.

المطلب السادس: الحوت الذي التقم يونس  وما فيه من الآيات.

المطلب السابع: آيات داود وسليمان عليهما السلام المتعلقة بالحيوان.

المطلب الثامن: خلق عيسى  من الطين كهيئة الطير، ثم يكون طيرًا بعد النفخ فيه بإذن الله تعالى.

**تمهيد: تعريف النبي والرسول:**

لغةً: النبي في لغة العرب مشتق من النبأ وهو الخبر.

وقيل: إنه مشتق من النبوة وهي الشيء المرتفع[1].

والرسول في اللغة: مشتق من الإرسال وهو التوجيه، قال تعالى مخبرًا عن ملكة سبأ: □ ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ [النمل: ٣٥][2].

شرعًا: اختلف العلماء في تعريف كلٍّ من النبي والرسول على أقوال أشهرها[3]:

1) أن الرسول أعم من النبي، فالرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ، فكل رسولٍ نبي، وليس كل نبي رسولاً.
2) أنه لا فرق بين الرسول والنبي.
3) أن الرسول من أوحي إليه بشرعٍ جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله، فيبعث لقوم موافقين أي: مؤمنين.

والقول الثالث هو الراجح بدليل قوله تعالى: □ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ □ □ [الحج: 52].

أخبر سبحانه وتعالى بأنه أرسل رسلاً وأنبياء، والمرسل لا بد أن يبلغ ما أرسل به، فدل على أن بينهما فرقًا، وأنهما أُمِرا بالبلاغ والله أعلم.

فيجب الإيمان بالرسل، وهو اعتقاد ما أخبر الله به في كتابه، أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، في سنته إجمالاً وتفصيلاً.

فنؤمن بما علمنا منهم وما لم نعلمه، وأن الله تعالى اصطفاهم، وأنزل عليهم كتبًا، وأنه يجب اتباعهم، وتصديق ما جاؤوا به.

---

1 () انظر: مقاييس اللغة (5/307) مادة (نبأ)، ولسان العرب (15/301) مادة (نبأ).

2 () انظر: لسان العرب (11/83-84) مادة (رسل)، والقاموس المحيط (1300).

3 () الجامع لأحكام القرآن (7/284)، والكشاف (3/165)، وتفسير القرآن للصمعاني (3/447)، ومفاتيح الغيب (23/43)، والنبوات (184).

## تمهيد: تعريف آيات الأنبياء:

الآية في اللغة هي العلامة، وتطلـق أيضًـا على العـبرة، كمـا في قوله تعالى: ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ﴾ [يوسف: 7]، أي: أمور وعبر مختلفة، وتطلق على الحجج أيضًا[1].

والآية الشخص، فيقال: آية الرجل: أي شخصه، وخرج القوم بآيتهم، أي: جماعتهم[2].

وسـميت الآيـة من القـرآن بـذلك؛ لأنهـا جماعـة من حـروف القرآن، وقيل: كأنها العلامة التي يُفْضَى منها إلى غيرها، كأعلام الطريق المنصوبة للهداية[3].

وآيات الأنبياء عليهم السلام هي: الأدلة والبراهين والعلامـات التي تـدل على صـحة نبـوتهم، الـتي احتج اللـه تعـالى بهـا على الكفــار، وتكــون خارقــة لعــادة جميــع الثقلين فلا تكــون لغــير الأنبياء[4].

وتسمية ما أيد الله به رسله عليهم السلام بالآيـات أولى من تسـميتها بـالمعجزات؛ لأن هـذا هـو الموافـق للكتـاب والسـنة، فــالقرآن جــاء فيــه لفــظ الآيــة والبرهــان والبينــة دون لفــظ المعجزة[5].

والآية - أيضًا - أبلـغ من المعجـزة، لأنَّ آيـات الأنبيـاء خارجـة عن مقدور الإنس والجن، ولا تكـون إلا من اللـه، أمـا المعجـزة فقد تكون لغير الأنبياء من البشر[6].

وقد أيد الله تعالى رسله بآيات كثيرة، منها ما هــو من جنس الحيوان، وفي هذا المبحث ذكر آيات الأنبيـاء عليهم السـلام من

---

1 () انظر: لسان العرب (14/ 61)، مادة (أيـا)، والقـاموس المحيـط (1628)، باب الواو والياء فصل الهمزة.

2 () انظر: لسان العرب (14/ 62) مادة (أيا).

3 () انظر: لسان العرب (14/ 62) مادة (أيا).

4 () انظر: جامع البيان (9/ 363)، (11/ 337)، (13/ 68)، والنبوات، أحمد بن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1386هـ، (30، 231).

5 () انظر: الجـواب الصـحيح لمن بـدل دين المسـيح، أحمـد بن تيميـة، تحقيــق: د. علي الألمعي، ود. عبــد العزيــز العســكر، ود. حمــدان الحمدان، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 1424هـ، (3/ 242).

6 () انظر: النبوات (8، 24)، ومجموع فتـاوى ورسـائل ابن عـثيمين (5/ 206).

الحيوان.

## المطلب الأول: ما جاء في ناقة نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام:

من آيات الله العظيمة تلك الناقة التي أيد الله  بها نبيه صالحًا عليه الصلاة والسلام حين أرسله إلى قوم ثمود[1]، وقد كانت هذه الآية إجابة لطلب قومه حين طلبوا من صالح عليه الصلاة والسلام أن يأتيهم بآية تدل على صدقه، قال تعالى: ﴿ۉ ۋ ۅ ۅ ۆ ۆ ۇ ۇ ۈ ۈ ۋ ۋ ۉ ۉ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ي ې ېﯬ﴾ [الشعراء: 153-154].

وذكر بعض المفسرين أنهم سألوا صالحًا آية معينة، وهي: ناقة تخرج من هذا الجبل وهم ينظرون[2].

فأجاب الله  سؤالهم، وأيد صالحًا عليه الصلاة والسلام بهذه الآية، فقال سبحانه: ﴿ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ى﴾ [الأعراف: 73].

فأخبر صالح عليه الصلاة والسلام قومه بأن الله تعالى قد أيده بحجة وبرهان على صدق قوله، وحقيقة ما يدعو إليه، من إخلاص التوحيد لله، وإفراده بالعبادة دون سواه، وهي هذه الناقة التي أخرجها الله من هذا الجبل، دليلاً على نبوته وصدق مقالته، فهي معجزة لا يقدر على مثلها أحد إلا الله تعالى[3].

وقد أضاف الله تبارك وتعالى هذه الناقة إليه فقال: ﴿ﯦ ﯧ ﯨ﴾ إضافة تفضيل وتخصيص[4].

وأخبر  عن عظيم هذه الآية بأنها ترد الماء يومًا ويرده القوم يومًا آخر، فللقوم شرب ولها شرب، قال سبحانه: ﴿ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ﴾ [الشعراء: 155]، وقال سبحانه: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ﴾ [القمر: 28].

فأخبر : أن الماء قسمة بينهم، يوم لهم ويوم لها، فكان القوم يشربون من الماء يومًا وتشرب الناقة يومًا آخر، فإذا

---

1 () ثمود هو: ثمود بن غاثر بن إرم بن سام بن نوح ، وكانت مساكن قوم ثمود الحِجْر، بين الحجاز والشام، إلى وادي القرى وما حوله. انظر: تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ، (1/ 126، 133).

2 () انظر: تفسير القرآن العظيم (3/ 436).

3 () انظر: جامع البيان (12/ 525).

4 () انظر: معالم التنـزيل (3/ 247).

غابت حضروا الماء، وإذا جاءت حضروا اللبن[1].

وحذّرهم الله  من الاعتداء على هذه الناقة، فقال سبحانه: ﴿ۓ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ﴾ [الشعراء: 156]، وقال أيضًا: ﴿ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ﴾ [الشمس: 13].

فقال نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام لهم: ﴿ﮟ ﮠ﴾ أي: احذروا عقر ناقة الله تعالى، ﴿ﮤ﴾ أي: ذروا ناقة الله وذروا شربها من الماء، فلا تتعرضوا للماء بيوم شربها[2]، لكنّ القوم لم يستجيبوا له، بل كذبوه وعقروا الناقة فقال  عنهم: ﴿ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ﴾ [الأعراف: 77]، وقال سبحانه: ﴿ﯔ ﯕ ﯖ﴾ [الشعراء: 157]، وقال سبحانه: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ﴾ [الإسراء: 59].

وقد أضاف الله  عقر الناقة إلى قوم ثمود مع أنَّ الذي تولى العقر واحد منهم، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ﭶ ﭷ ﭸ﴾ [الشمس: 12].

وقيل إن اسمه: قدار بن سالف[3].

وحين ذكر النبي  الذي عقر الناقة قال: ((فانتدب لها رجل ذو عز ومنعة في قومه كأبي زمعة))[4]؛ لأن الجميع اتفقوا على العقر، فنسب إليهم جميعًا[5].

ويدل على تعاونهم واتفاقهم على قتلها قوله تعالى: ﴿ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ﴾ [القمر: 29]، وفي هذا دليل على أنَّ من كان راضيًا بجناية جان أو جريمته، متابعًا ومتعاونًا معه، يكون مشاركًا له في تحمل التَّبِعَة؛ ودفع الثمن، وحصول العقوبة.

---

1 () انظر: جامع البيان (22/ 592).

2 () انظر: معالم التنزيل (8/ 440)، والجامع لأحكام القرآن (8/ 20).

3 () انظر: جامع البيان (24/ 459)، ومعالم التنزيل (7/ 431)، والبحر المحيط (8/ 475).

4 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحًا﴾، (270) برقم (3377)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الجنة، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (1173) برقم (2855)، من حديث: عبد الله بن زمعة.

5 () انظر: جامع البيان (24/ 640)، والمحرر الوجيز (5/ 488)، والتسهيل لعلوم التنزيل (4/ 202).

ثم كانت نتيجة تكذيب هؤلاء القوم وعقـرهم الناقـة العـذاب والهلاك، قال تعالى: ﮋﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡﯢ ﮊ [الشعراء: 157-158]، وقال سبحانه: ﮋﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ [هود: 65]، فأهلكهم الله ﷻ بالرجفة والصيحة[1]، يقـول اللـه ﷻ: ﮋﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﮡ ﮊ [الأعراف: 78]، وقال سبحانه: ﮋﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﯛ ﮊ [هود: 67].

فكـانت صـيحة من الملـك ﷺ، فلمـا صـاح بهم رجفت بهم الأرض من شدة تلك الصيحة، وفارقت أرواحهم أبدانهم[2].

وهذه الناقة العظيمة التي أيد الله بها صالحًا عليـه السـلام جعلها الله تعالى آية من آياته في[3]:

1- عِظَمِها حتى لم تشبهها ناقة.

2- كثرة لبنها، فقد كان يكفي القوم جميعًا.

3- كثرة شربها، قال تعالى: ﮋ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﮊ [الشعراء: 155].

4- أنها آية مبصرة، أي: بينة تجعلهم يبصرون الحـق واضـحًا لا لبس فيه، قال تعالى: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ [ الإسراء: 59].

---

[1] () انظـر: تفسـير القـرآن للسـمعاني (2/ 194)، ومعـالم التنــزيل (2/ 175).

[2] () انظر: أضواء البيان (2/ 325).

[3] () انظر: أضواء البيان (3/190).

## المطلب الثاني: إحياء الطير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام:

من آيات الله التي أجراها الله تبارك وتعالى على أيدي أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ما قصَّه الله في شأن إحياء الطير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقال : ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ﴾ [البقرة: 260].

فأخبر الله تبارك وتعالى عن نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه سأل الله أن يريه ببصره كيفية إحياء الموتى، وجمهور أهل التفسير على أنّ إبراهيم لم يكن شاكًّا في إحياء الموتى قط، وإنما طلب المعاينة، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أُخبرت به، فهو عليه الصلاة والسلام قد تيقن ذلك بخبر الله تعالى، ولكنه أحب أن يشاهده عيانًا ليحصل له مرتبة عين اليقين[1].

وذهب طائفة من المفسرين إلى أنّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام شك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، فسأل ربه أن يريه إحياء الموتى من أجل هذا العارض الذي عرض في قلبه من الشيطان، فعند معاينة ذلك عيانًا لا يقدر بعد ذلك أن يلقي الشيطان في قلبه مثل الذي ألقى فيه، واختار هذا القول الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله[2].

واستدل أصحاب هذا القول بالأثر الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال في قوله : ﴿ﭡ ﭢ ﭣﭤ﴾ ((ما في القرآن آية أرجى عندي منها))[3].

وبما جاء عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: ((دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس، فقال: ﴿ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ﴾ ))[4].

وبما رواه أبو هريرة أنّ رسول الله قال: ((نحن أحق

---

[1] () انظر: معالم التنزيل (1/ 322-323)، والمحرر الوجيز (1/ 352)، والجامع لأحكام القرآن (3/ 297)، والتسهيل لعلوم التنزيل (1/ 91)، وتفسير القرآن العظيم (1/ 466)، وفتح القدير (1/ 281)، وتيسير الكريم الرحمن (115).

[2] () انظر: جامع البيان (5/ 489-491).

[3] () أخرجه الطبري في جامع البيان (5/ 489) برقم (5970).

[4] () انظر: جامع البيان (5/ 490).

بالشك من إبراهيم؛ إذ قال: ﴿ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ﴾ [البقرة: 260]، ويرحم الله لوطًا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي))[1].

وأجيب عن أدلة أصحاب هذا القول بما يأتي:

أمَّا أثر ابن عباس رضي الله عنهما فقد تؤول بأنّ هذه الآية هي أرجى آية من حيث ما فيها من سؤال الإحياء في الدنيا وليست مظنة ذلك، ويجوز أن يقول: هي أرجى آية؛ لأن الإيمان كاف، ولا يحتاج بعده إلى تنقير وبحث[2].

وأمَّا قول عطاء فمعناه: دخل في قلب إبراهيم ما يدخل قلوب الناس من حب المعاينة، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به، ولهذا قال النبي ﷺ: ((ليس الخبر كالمعاينة))[3]، ولم يدخل في قلبه الشك[4].

وأما قوله ﷺ: ((نحن أحق بالشك من إبراهيم))، فقد أجاب عنه الخطابي رحمه الله بقوله: «مذهب هذا الحديث التواضع والهضم من النفس، وليس في قوله: ((نحن أحق بالشك من إبراهيم)) اعتراف بالشك على نفسه، ولا على إبراهيم ﷺ، لكن فيه نفي الشك عن كل واحد منهما، يقول: إذا لم أشك أنا ولم أرتَبْ في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بألاَّ يشك فيه، وألاَّ يرتاب، وفيه الإعلام أن المسألة من قبل إبراهيم لم تعرض من جهة الشك، لكن من قبل طلب زيادة العلم واستفادة معرفة كيفية الإحياء، والنفس تجد من الطمأنينة بعلم الكيفية ما لا تجده بعلم الآنيَّة والعلم في الوجهين حاصل، والشك مرفوع»[5].

---

1 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾... (274) برقم (3372).

2 () انظر: المحرر الوجيز (1/ 325)، والجامع لأحكام القرآن (3/ 298).

3 () أخرجه أحمد في مسنده (1/ 215)، وابن حبان في صحيحه (14/ 96) برقم (6213)، وصححه الألباني في تحقيق كتاب مشكاة المصابيح (3/ 247) برقم (5738).

4 () انظر: المحرر الوجيز (1/ 352)، والجامع لأحكام القرآن (3/ 298).

5 () أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، حمد بن محمد الخطابي، تحقيق ودراسة: د. محمد بن سعد آل سعود، جامعة أم القرى، ط1،

وقول الجمهور بأنّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يحصل منه شك في قدرة الله تبارك وتعالى على إحياء الموتى هو الراجح، والعلم عند الله تعالى؛ لأنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يجوز عليهم هذا الشك في قدرة الله تعالى على البعث، وهم صلوات الله وسلامه عليهم متفقون على الإيمان بالبعث، وقد أخبر الله تعالى أن أنبياءه وأولياءه ليس للشيطان عليهم سبيل، فقال: ﴿ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ﴾ [الإسراء: 65][1]، وإذا كان كثير من المؤمنين أو أكثرهم لم يدخلهم شك في هذا الأمر فكيف بالخليل ؟

وقد استجاب الله تعالى لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فأراه آية لتكون زيادة في يقينه، فكانت هذه الآية من الطير؛ حيث أمره الله تبارك وتعالى أن يأخذ أربعة من الطير، واختلف أهل التفسير في أنواع الطير التي أمر الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يأخذها على أقوال كثيرة[2]، وإن كان تحديد هذه الأنواع لا طائل تحته، إذ لو كان ذلك مهمًّا لنص عليه القرآن[3].

ثم قال له تعالى: ﴿ﭢ ﭣ﴾، أي: قطعهن، وقيل: أملهنَّ إليك ثم قطعهنَّ[4]، فأخذ إبراهيم عليه الصلاة والسلام هذه الطير وقطعهنَّ، ثم خلط بعضها ببعض، ثم جعل على كل جبل جزءًا من أجزاء هذه الطير، وأمسك رؤوس هذه الطير بيده، ثم دعاهنَّ بإذن الله تعالى، فتطايرت تلك الأجزاء حتى التأمت، وعاد كل جسد إلى رأسه الذي بيد إبراهيم عليه الصلاة والسلام[5].

ثم أقبلن إليه سعيًا، فكان كل طائر كما كان قبل أن يقطعه، فأراه الله تعالى إحياء الموتى بقدرته، «وإنما أمر الله إبراهيم أن يجعل الأطيار الأربعة أجزاء متفرقة على كل جبل، ليري إبراهيم قدرته على جمع أجزائهن وهنّ متفرقات متبددات في أماكن مختلفة، حتى يؤلف بعضهن إلى بعض، فيعدن كهيئتهنّ

1409هـ، (3/ 1545-1546).

[1] () انظر: الجامع لأحكام القرآن (3/ 299).

[2] () انظر: جامع البيان (5/ 494-495)، وزاد المسير (1/ 314).

[3] () انظر: تفسير القرآن العظيم (1/ 466).

[4] () انظر: الجامع لأحكام القرآن (3/ 299).

[5] () انظر: المحرر الوجيز (1/ 353-354)، والجامع لأحكام القرآن (3/ 301)، وتفسير القرآن العظيم (1/ 466).

قبل تقطيعهن وتمـزيقهن، وقبـل تفريـق أجـزائهن على الجبـال أطيـارًا أحيـاءً يطـرن، فيطمئن قلب إبـراهيم، ويعلم أن كـذلك جمع أوصال الموتى لبعث القيامة، وتأليف أجـزائهم بعـد البلى، ورد كـل عضـو من أعضـائهم إلى موضـعه الـذي كـان قبـل الردى»[1].

فكانت هذه آية عظيمة أظهرها الله تبارك وتعـالى على يـد نبيه وخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد كانت هـذه الآيـة من الحيوان، والذي خلق الحيوان ثم أماته وأعاد بعثه هـو الـذي خلق الإنسان، وهو سبحانه القادر على بعثه بعد وفاتـه، فكـانت هذه آية عظيمة دالة على عظم الباري سبحانه وقدرته وأنه هـو المتفـرد بـالخلق والإحيـاء، والبعث والنشـور، فتبـارك اللـه رب العالمين.

فجعل الله تعالى هذا النوع من الحيوان آية دالة على قدرتـه على إحيـاء المـوتى، وسـببًا في حصـول طمأنينـة قلب إبـراهيم عليه السلام، حين يعاين إحياء اللـه تعـالى لهـذه الطـير بعـد أن قطعهنَّ، ثم جعل على كل جبل منهن جزءا، إذا بهن يأتين سعيًا بعد منادته لهنَّ.

فصارت هذه الطير التي قطعت ثم وزعت أجزاؤها على كل جبل وبعد مفارقتها للحياة، حية تسعى وتستجيب لنداء إبــراهيم عليه السلام، فأظهر الله تعالى بها آية من آياته.

---

[1] () جامع البيان (5/ 510).

## المطلب الثالث: آيات نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام المتعلقة بالحيوان:

أرسـل اللـه  موسـى عليـه الصـلاة والسـلام إلى فرعـون وقومه، يدعوهم إلى عبادة الله  وتوحيده، وأيده بآيات بيِّنـات، فقال سبحانه:  ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ   ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ﮸ ﮹ ﮺ ﮻ ﮼ ﮽ ﮾ ﮿ ﯀ [الإسراء: 101]، وقال سبحانه:                ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ  [النمل: 12].

وهـذه الآيـات التسـع هي: اليـد، والعصـا، والسـنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

وقيل في تفسيرها - أيضًا - أقوال أخرى والله أعلم[1].

والحديث هنا عن الآيات التي أيد الله بها موسى عليه الصلاة والسلام والمتعلقة بالحيوان، وهي:

### 1- انقلاب العصا حية:

أيد الله نبيه موسى عليه الصلاة والسلام بآيـة عظيمـة تـدل على صدق نبوته، وهي انقلاب العصا الجامدة حية تسعى، يقول : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ  [طه: 17-21]، وقال سبحانه: ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ  [القصص: 31].

فهي آيـة عظيمـة؛ حيث تحـولت هـذه العصـا الـتي في يـد موسى عليه الصلاة والسلام حية عظيمة، ثعبانًـا طـويلاً يتحـرك حركـة سـريعة فـإذا هي تهـتز كأنهـا جـان، وهـو أسـرع الحيـات حركـة، ولكنـه صـغير، فهي في غايـة الكـبر وفي غايـة سـرعة الحركة[2].

وهذا فرعـون الطاغيـة حين بعث اللـه  إليـه موسـى عليـه الصـلاة والسـلام يـدعوه إلى عبـادة اللـه تعـالى وتوحيـده، أبى واستكبر وطلب من موسى عليه الصلاة والسلام آية تـدل على صدق نبوته، فأيده الله تعالى بهذه الآيـة العظيمـة، وهي انقلاب العصا ثعبانًا مبينًا، قال تعالى: ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ  [الأعراف: 106-107].

---

1 () انظر: جامع البيان (17/ 564-567) ومعـالم التنـزيل (5/ 133)، والمحـرر الوجـيز (3/ 488)، والجـامع لأحكـام القـرآن (10/ 342)، وتفسير القرآن العظيم (5/ 122).

2 () انظر: تفسير القرآن العظيم (5/ 273).

فلما ألقى موسى عليه الصلاة والسلام العصا أمـام فرعـون إذا هي ثعبان مبين، والثعبان: الحية الضـخم الـذكر، وهـو أعظم الحيات، ومبين، أي: حية لا لبس فيها[1].

وقد وصفت هذه العصا مرة بأنهـا ثعبـان مـبين، ومـرة بأنهـا حية تسعى، ومرة ثالثة بالجان، وهذا لا تناقض فيـه، فأمَّا الحيـة فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى، والصـغير والكبـير، فيكـون وصفها مرة بأنها حية وبأنها ثعبان لا منافاة بينهما.

وأما الثعبان والجان فبينهما تنـافٍ؛ لأنّ الثعبـان هـو: العظيم من الحيات، والجان الدقيق منها، وقد أجيب عن ذلك بوجهين:

الأول: أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة، ثم تتورم ويتزايد جرمهـا حـتى تصـير ثعبانًـا، فأريـد بالجـان أول حالها، وبالثعبان مآلها.

الثاني: أنها كـانت في عظم الثعبـان وسـرعة الجـان، فكـان خلْقهمـا خلـق الثعبـان العظيم، واهتزازهـا وحركتهـا وخفتهـا كاهتزاز الجان وخفته[2].

ففي انقلاب العصا الجامدة اليابسة ثعبانًا عظيمًا آية عظيمة دالة على عظمة الله تعالى وقدرته، فالعصا انقلبت ثعبانًـا مبينًـا لا يشك من رآه في أمره، فليس الأمـر تخـييلاً وخـداعًا للبصـر، فالله  خلق في العصا حياة وغيَّر أوصافها وأعراضها، فصـارت حية.

«وفي وصف ذلك الثعبان بكونه مبينًا وجوه:

الأول: تمييز ذلك عما جاءت بـه السـحرة من التمويـه الـذي يلتبس على من لا يعرف سببه، وبـذلك تتمـيز معجـزات الأنبياء من الحيل والتمويهات.

والثاني: في المراد أنهم شاهدوا كونه حيـة لم يشـتبه الأمـر عليهم.

الثالث: المراد أن ذلك الثعبان أبان قول موسى  عن قـول المدعي الكاذب»[3].

---

[1] () انظر: الجامع لأحكام القرآن (7/ 246).

[2] () انظـر: معـالم التنـزيل (5/ 269)، والكشـاف (3/ 60)، وزاد المسير (5/ 280)، والتسهيل لعلوم التنـزيل (3/ 93).

[3] () مفاتيح الغيب (14/ 159).

**2- الجراد.**

أرسل الله  آيات على فرعون وقومه، حين دعائهم موسى عليه الصلاة والسلام، فطغوا وأفسدوا في الأرض، فكان من هذه الآيات ما قصه الله  في كتابه، فقال: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ [الأعراف: 133]، وقد كانت هذه الآيات بعد أن ابتلاهم الله تعالى بالسنين ونقص من الثمرات، كما قال سبحانه: ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ [الأعراف: 130].

فلمَّا لم يتعظوا وينزجروا عن طغيانهم وفسادهم أرسل الله عليهم هذه الآيات وهي الطوفان، وهو: أمر من الله  طاف بهم، الله أعلم بكيفيته[1]، وذهب ابن عباس وجماعة من السلف إلى أن المراد به: الماء والمطر الشديد[2].

فطلبوا من موسى  أن يدعو الله  أن يكشف عنهم هذا البلاء ليؤمنوا، فدعا فدفعه الله عنهم، ثم أنبتت الأرض نباتًا حسنًا فطغوا، فبعث الله تعالى عليهم الجراد، فأكل جميع ما أنبتت الأرض، فأكل زروعهم وثمارهم، حتى إنها كانت تأكل السقوف والأبواب حتى تتهدم ديارهم[3].

فتجلت هذه الآية العظيمة في كثرة الجراد الذي ابتلاهم الله به، واستكبارهم بعد ذلك كله، ثم دعاؤهم الله عز وجلّ أن يكشف ما بهم.

**3- القمل:**

وهذه آية أخرى أرسلها الله تعالى على فرعون وقومه حين كشف الله تعالى عنهم الجراد، ثم طغوا بعد ذلك، وأفسدوا، فأرسل الله تعالى عليهم القُمَّل، وقد قيل: إنه السوس الذي يخرج من الحنطة، وقيل: هو الدَّبى، وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له، وقيل: هو البراغيث، وقيل: هو دوابُّ سود صغار، وقيل: هو ضرب من القِرْدان يسمى الحمنات[4]، وقيل: يجوز

1 () انظر: جامع البيان (13/ 53).
2 () انظر: جامع البيان (13/ 63)، ومعالم التنزيل (3/ 269).
3 () انظر: معالم التنزيل (3/ 207)، والمحرر الوجيز (2/ 444)، والجامع لأحكام القرآن (7/ 257).
4 () انظر: جامع البيان (13/ 54-56)، وزاد المسير (3/ 249)، والجامع لأحكام القرآن (7/ 258).

أن تكون هذه كلها أرسلت عليهم[1]، وكانت تتعلق بجسومهم وشعورهم[2].

فكان هذا ابتلاء آخر من الله تعالى بسبب كفرهم وفسادهم، فبعد أن أكلت الجراد ثمارهم، وكشف عنهم هذا البلاء أصابهم الله تعالى بالبلاء الآخر، وهي هذه القُمَّل التي تنخر الحبوب وتقضي عليها، أو تؤذيهم في أجسامهم وشعورهم.

## 4- الضفادع:

ومن الآيات التي ابتلى الله بها فرعون وقومه الضفادع بعد أن كشف عنهم القُمَّل بدعوة موسى ، ولكنَّ القوم عادوا إلى فسادهم وكفرهم فأرسل الله تعالى الضفادع التي سلطت عليهم، فكانت تدخل في فرشهم وبين ثيابهم وفي قدورهم، فسلطها الله تعالى عليهم حتى كثرت وآذتهم[3].

فكانت هذه آيات مفصلات أرسلها الله تعالى على فرعون وقومه، وفي كل مرة يطلب القوم من موسى  أن يكشف عنهم هذا البلاء ويعاهدوه على الإيمان به، ثم ينكثون، قال  عنهم: ﴿ڈ ڈ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک کک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ گ﴾ [الأعراف: 34]، فلما كشف الله تعالى عنهم العذاب إلى أجل هم بالغوه لا محالة، إذا هم ينقضون ما عاهدوا الله عليه، ويصرون على كفرهم وضلالهم، قال سبحانه: ﴿ڳ ں ڻ ڻ ڻ ٹ ٹ ۀ ۀ ﴾ [الأعراف: 135]، فكانت نهايتهم ما أخبر به سبحانه بقوله: ﴿ ہ ہ ہ ہ ہ ﮧ ﮧ ﮧ ﮧ ﮧ ڭ ڭ﴾ [الأعراف: 136].

فلم تنفع فيهم هذه الآيات التي أرسلها الله  عليهم واحدة تلو الأخرى، بل في كل مرة يرجع القوم إلى ضلالهم، يقول الله تعالى في بيان تتابع هذه الآيات عليهم: ﴿ ﯓ ﯓ ﯓ ی ی ی ی ﯓ ﯓ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٿ﴾ [الزخرف: 47-48].

فأقام الله تعالى عليهم الحجة بهذه الآيات التي أرسلها إليهم، والتي لم يحسنوا التعامل معها، بل أصروا على العناد والتكذيب، فخسروا خيري الدنيا والآخرة.

---

1 () انظر: الجامع لأحكام القرآن (7/ 259)، وفتح القدير (2/ 238).

2 () انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (2/ 43).

3 () انظر: المحرر الوجيز (2/ 444، والجامع لأحكام القرآن (7/ 259)، وتفسير القرآن العظيم (3/ 463).

## المطلب الرابع: إحياء الميت من قوم موسى بعد ضربه ببعض البقرة التي أمر الله بها:

من الآيات المتعلقة بالحيوان، ما قصه الله تبارك وتعالى علينا من قصة بقرة بني إسرائيل التي أمر الله قوم موسى أن يذبحوها، وذلك عند تنازعهم في شأن النفس التي قتلوها، فأمرهم الله تعالى بذبح بقرة، ثم ضرب الميت بجزء منها لتعود له الحياة بإذن الله تعالى، فيخبر بمن قتله، يقول الله تعالى:
ﭐ ڻ ڻ ٹ ٹ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ھ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ھ ھ ھ ھ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ک ﭐ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ﭐ ۋ ۋ ﭐ
ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ې ې ې ې ى ى ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ی ی ی ی ﭐ ﭐ ﭐ
ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ﭐ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ
ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ
ڈ ڈ ڈ ڈ ک ک ک ک گ گ گ گ ﭐ [البقرة: 67-73].

فقد أمر الله تعالى قوم موسى على لسان نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام أن يذبحوا بقرة، فلما تعنت القوم وشددوا في طلب أوصاف هذه البقرة شدّد الله عليهم، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: ((لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها، لكنهم شدّدوا فشدّد الله عليهم))[1].

فجاءت أوصاف هذه البقرة كما بيَّنها الله تعالى بأنها[2]:

1- بقرة متوسطة، لا مسنة ولا صغيرة، بل هي بين ذلك، وهي أقوى ما يكون من الدوابّ والبقر، وأحسن ما تكون.
2- صفراء شديدة الصفرة، تعجب الناظرين من حسنها.
3- ليست مذللة بالحراثة، ولا معدة للسقي في السانية، فهي لا تثير الأرض ولا تسقي الحرث.
4- سليمة من العرج وسائر العيوب.
5- لا شية فيها، أي: لا لون فيها غير لونها، فلا بياض ولا سواد فيها، بل هي صفراء فاقع لونها.

وبعد تعنت بني إسرائيل، وتشديدهم على أنفسهم بطلب أوصاف البقرة مرة بعد مرة، ذبح القوم هذه البقرة، وما كادوا

---

1 () أخرجه ابن جرير في جامع البيان (2/ 204) برقم (1235)، وصحح إسناده ابن كثير، انظر: تفسير القرآن العظيم (1/ 158).

2 () انظر: معالم التنزيل (1/ 107-108)، والجامع لأحكام القرآن (1/ 451-457)، وتفسير القرآن العظيم (1/ 157-159)، وفتح القدير (1/ 97-98).

يذبحونها لقلة انقيادهم وتعنتهم على أنبيائهم[1].

وقيل: كان المانع لهم من ذبحها غلاء ثمنها أو خوف الفضيحة[2].

فالذبح لم يحصل منهم إلا بعد عسر ومشقة، وتعنت وعناد لما جبلت عليه نفوس القوم من العناد، وعدم الانقياد لأوامر الله تعالى، وطاعة رسوله.

ثم أمر الله تعالى القوم بعد ذبح هذه البقرة بأن يضربوا هذا الميت ببعض البقرة، والله أعلم بهذا الجزء من البقرة، الذي أُمروا أن يضربوا به الميت؛ إذ لا دلالة في الآية عليه، ولم يدل عليه دليل صحيح، ولا يضر الجهل به، فالذي يهم أن القوم قد ضربوه ببعض البقرة[3].

وجاءت بعد ذلك الآية العظيمة؛ حيث أحيا الله تعالى هذا الميت بعد ضربه ببعض البقرة، فأخبر عن قاتله[4].

فكانت هذه الآية حجة على المشركين المكذبين بالبعث، فأمرهم  بالاعتبار بما كان منه سبحانه من إحياء هذا القتيل بعد مماته، فكما أحياه سبحانه في الدنيا، كذلك يحيي الموتى بعد مماتهم ثم يبعثهم يوم القيامة[5].

فأجرى الله تعالى هذه الآية العظيمة على يد موسى عليه الصلاة والسلام بجنس هذه البقرة التي فتن بها بنو إسرائيل مرتين: مرة بعبادة العجل، ومرة بذبحها.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «والظاهر أن هذه القصة كانت بعد قصة العجل، ففي الأمر بذبح البقرة تنبيه على أن هذا النوع من الحيوان الذي لا يمتنع من الذبح والحرث والسقي لا يصلح أن يكون إلهًا معبودًا من دون الله تعالى، وأنه إنما يصلح للذبح والحرث والسقي والعمل»[6].

وقد نَبَّه الله تعالى في هذه الآيات على قدرته، وإحيائه

---

1 () انظر: المحرر الوجيز (1/ 165)، وتفسير القرآن العظيم (1/ 160).

2 () انظر: جامع البيان (2/ 220)، والجامع لأحكام القرآن (1/ 458).

3 () انظر: جامع البيان (2/ 231)، وفتح القدير (1/ 100).

4 () انظر: معالم التنزيل (1/ 109)، والمحرر الوجيز (1/ 165)، وزاد المسير (1/ 102).

5 () انظر: جامع البيان (2/ 232)، وتفسير القرآن العظيم (1/ 161).

6 () إغاثة اللهفان (2/ 317).

الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل، فجعل تبـارك وتعـالى ذلـك حجة لهم على المعاد[1].

وهذا الدليل - الوقوع والعيان - أحد الأدلة الثلاثة التي جاءت في القرآن الكريم للدلالة على إثبات المعاد، ففي القرآن أدلــة شرعية وعقلية ووقائع حدثت جعلها الله  من أدلة قدرتـه على البعث والمعاد.

[1] () انظر: تفسير القرآن العظيم (1/ 161).

## المطلب الخامس: حياة حوت موسى  بعد موته، وجريه في البحر:

من الآيات العظيمة المتعلقة بالحيوان، والتي أظهرها الله تعالى على أيدي رسله عليهم الصلاة والسلام ما قصّه الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم من قصة موسى  ورحلته إلى الخضر ، يقول الله : ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﮊ [الكهف: 60-64].

ففي هذه القصة من آيات الله العظيمة أنَّ موسى عليه الصلاة والسلام لما عزم على الرحلة إلى الخضر  وركوب البحر إليه سأل ربه تبارك وتعالى علامة يعرف بها مكانه، فأمره الله  أن يأخذ معه حوتًا ميتًا، فإذا عادت إليه الحياة كان ذلك مكانه، فكان موسى عليه الصلاة والسلام وفتاه يأكلان من هذا الحوت الميت، ثم بعد مدة من الزمن أحيا الله هذا الحوت وسلك سبيله في البحر، فقد أخبر النبي  بأن موسى عليه الصلاة والسلام قال: أي رب اجعل لي عَلَمًا أعلم ذلك منه، قال: خذ حوتًا ميتًا حيث ينفخ فيه الروح[1].

فكانت هذه آية عظيمة، فأي شيء أعجب من حوت يؤكل منه دهرًا، ثم صار حيًّا بعدما أكل بعضه؟[2].

وثمَّ آية أخرى في هذا الحوت، وذلك فيما أخبر الله تبارك وتعالى عن هذا الحوت بأنه اتخذ سبيله في البحر سربًا، وذلك أن الله تبارك وتعالى قد أمسك جرية الماء على الموضع الذي سار فيه الحوت، فصار مسلك الحوت في البحر كالكوة المحفورة في الأرض[3].

فبقي موضع سلوك الحوت في البحر فارغًا، حتى مشى عليه موسى عليه الصلاة والسلام متبعًا له، فأفضى به الطريق

---

1 () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ [الكهف: 61]، (395) برقم (4726)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

2 () انظر: جامع البيان (18/ 61).

3 () انظر: فتح القدير (3/ 298).

إلى جزيرة في البحر، وفيها وجد الخضر[1].

فقد أخبر النبي  أن الله أمسك عن الحوت جرية البحر حتى كأنَّ أثره في حجر[2].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وهذا من آيات الله، وإلا فقد جرت العادة أن الحوت إذا انغَمَرَ في البحر يتلاءم البحر عليه، لكن هذا الحوت من آيات الله، أولاً: أنه قد مات، وأنهما يقتاتان منه، ثم صار حيًّا ودخل البحر، ثانيًا: أنه صار طريقه على هذا الوجه، وهذا من آيات الله تبارك وتعالى»[3].

1 () انظر: الجامع لأحكام القرآن (11/ 16).
2 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [268].
3 () تفسير القرآن العظيم (سورة الكهف)، محمد صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط2، 1433هـ، (110).

## المطلب السادس: الحوت الذي التقم يونس  وما فيه من الآيات:

يونس عليه الصلاة والسلام أرسله الله تعالى إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى، فدعاهم، فلم يؤمنوا، فوعدهم بنزول العذاب عليهم من الله تعالى، وحدد لهم العذاب بوقت معين، فلمَّا رأى القوم ذلك بأعينهم، تضرعوا إلى الله تعالى، وسألوه أن يرفع عنهم العذاب، فعند ذلك رحمهم وكشف عنهم العذاب[1]، قال تعالى: ﴿ﯿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ﴾ [يونس: 98].

ثم قصّ الله تبارك وتعالى علينا قصة يونس عليه الصلاة والسلام مع الحوت وما فيها من آيات عظيمة، فقال سبحانه: ﴿ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ﴾ [الصافات: 139-148].

وذلك أن يونس عليه الصلاة والسلام خرج من بلده مغاضبًا كما قال سبحانه: ﴿ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ﴾ [الأنبياء: 87].

ولم يذكر الله تعالى ما غاضب عليه، ولم يذكر - أيضًا - الذنب الذي ارتكبه، لعدم فائدتنا بذكره، وإنما فائدتنا بما ذكره الله تعالى لنا أنه أذنب وعاقبه الله مع كونه من الرسل الكرام، وأنجاه الله تعالى بعد ذلك[2].

وبعد ذلك أبق يونس  إلى الفلك المشحون، أي هرب إلى السفينة المملوءة بالركاب والأمتعة[3]، فثقلت هذه السفينة بمن فيها، فقرر القوم أن يساهموا بينهم، أي: يقترعوا، فكان يونس  من المدحضين، أي: المقروعين المغلوبين[4].

فألقي  في البحر، فجاءت الآية العظيمة؛ حيث أمر الله

---

1 () انظر: معالم التنزيل (1/ 151-152)، وتفسير القرآن العظيم (4/ 231)، وتيسير الكريم الرحمن (617).

2 () انظر: تيسير الكريم الرحمن (832).

3 () انظر: تفسير القرآن العظيم (7/ 33)، وتيسير الكريم الرحمن (832).

4 () انظر: معالم التنزيل (7/ 60)، والجامع لأحكام القرآن (15/ 119).

تعالى الحوت فالتقمه، وهو مُليم، أي: ابتلعه، وهو آت بما يلام عليه[1].

فلم يصب عليه الصلاة والسلام بأذى من الحوت؛ حيث كان آية عظيمة، إذ هيأ الله تعالى له بطن الحوت، فمكث فيه ما شاء الله له أن يمكث، ولولا عناية الله تعالى لأكله الحوت ومات من لحظته، ولكن الله تبارك وتعالى أنجاه؛ لأنه كان من المسبحين الذاكرين لله قبل ذلك، فألقي في أرض خالية من الشجر والبناء على ضعف فيه، وأنبت الله سبحانه عليه شجرة من القرع فوقه تظله وينتفع منها[2].

فكانت هذه الآية ليونس عليه الصلاة والسلام، وكانت لها علاقة بهذا الحوت، الذي هو نوع من أنواع الحيوان؛ وهو من مخلوقات الله تعالى المسخرة بأمره، لا تخرج عن قدرته، وتدبيره، فسبحان من له ملك السموات والأرض والبحار وتبارك الله رب العالمين.

---

1 () انظر: معالم التنزيل (7/ 60).

2 () انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (3/ 176)، وتفسير القرآن العظيم (7/ 35).

## المطلب السابع: آيات داود وسليمان عليهما السلام المتعلقة بالحيوان:

أظهر الله تبارك وتعالى بعض آياته على يد نبييه داود وسليمان عليهما السلام، وكان بعض هذه الآيات متعلقة بالحيوان، وهي:

### 1- تسبيح الطير مع داود :

لقد أعطى الله تعالى داود عليه الصلاة والسلام صوتًا جميلاً، وحين أثنى النبي  على صوت أبي موسى الأشعري قال له: ((يا أبا موسى، لقد أوتيت مزمارًا[1] من مزامير آل داود))[2].

فدلَّ الحديث على حسن الصوت الذي كان يتمتع به داود عليه الصلاة والسلام؛ إذ المراد بآل داود في هذا الحديث هو داود  نفسه؛ حيث لم ينقل أنّ أحدًا من أولاده ولا من أقاربه أعطي من حسن الصوت ما أعطي داود [3].

فكان من حسن صوته  أن الجبال والطير كانت تسبح معه إذا سبح، قال تعالى: ﮋ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ [الأنبياء: 79].

قال الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره وسخرنا مع داود الجبال والطير يسبحن معه إذا سبح»[4]، وقال الشنقيطي رحمه الله: «والتحقيق: أن تسبيح الجبال والطير مع داود المذكور تسبيح حقيقي؛ لأن الله جلَّ وعلا يجعل لها إدراكات تسبح بها، يعلمها هو جلَّ وعلا ونحن لا نعلمها»[5].

وقد ورد تسبيح الطير مع داود  في آيات أخرى، منها قوله

---

1 () المزمار هنا هو: الصوت الحسن، فشبه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار. انظر: النهاية في غريب الحديث (402) مادة (زمر)، وشرح صحيح مسلم (6/ 80).

2 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل القرآن، باب: حسن الصوت بالقراءة بالقرآن (437) برقم (5048)، ومسلم في كتاب فضائل القرآن، باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن (802) برقم (793).

3 () انظر: غريب الحديث، حمد الخطابي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، 1402هـ (1/ 318)، وشرح صحيح مسلم (6/ 80).

4 () جامع البيان (18/ 479).

تعالى: ﴿ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮛ﴾ [سبأ: 10].

يقول السعدي رحمه الله: «ومن نعمه عليه، ما خصه من أمره تعالى الجمادات، كالجبال والحيوانات من الطيور أن تؤوب معه، وترجع التسبيح بحمد ربها، مجاوبة له.

وفي هذا من النعمة عليه، أن كان ذلك من خصائصه التي لم تكن لأحد قبله ولا بعده، وأن ذلك يكون منهضًا له ولغيره على التسبيح إذا رأوا هذه الجمادات والحيوانات تتجاوب بتسبيح ربها وتمجيده، وتكبيره وتحميده، كان ذلك مما يهيج على ذكر الله تعالى.

ومنها: أن ذلك كما قال كثير من العلماء كان طربًا لصوت داود، فإن الله تعالى قد أعطاه من حسن الصوت ما فاق به غيره، وكان إذا رجع التسبيح والتهليل والتمجيد بذلك الصوت الرخيم الشجي المطرب، طرب كل من سمعه، من الإنس والجن، حتى الطيور والجبال، وسبحت بحمد ربها، ومنها: أنه لعله ليحصل له أجر تسبيحها، لأنه سبب ذلك»[1].

وقال تعالى في بيان ما أكرم به داود ﷺ: ﴿ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵﭶ ﭷ ﭸ ﭹ﴾ [ص: 18-19].

فهذه نعمة اختصها الله تعالى بها نبيه داود ﷺ، حيث سخر معه الجبال تسبح معه إذا سبح بالعشي والإشراق، أي: وقت العصر إلى الليل، ووقت الضحى، وكذلك سخر تعالى له الطير يسبحن معه، فهي محشورة له، أي: مجموعة له، فكان ﷺ إذا سبح أجابته الجبال، واجتمعت إليه الطير، وسبحت معه، وكل الطير له أواب، أي: رجاع إلى طاعته وأمره[2]

فظهرت هذه الآية في الطير الذي من شأنه النفور من الأنس، ومع هذا فهي مسخرة له محشورة[3].

---

5 () أضواء البيان (4/ 672)، وقد مضى الحديث في المبحث الثاني في من الفصل الأول عن الكلام على تسبيح الطير، وأن القول الراجح أن التسبيح بلسان المقال وإن كنَّا لا نفقهه ، وهو_ أيضا _ تسبيح بلسان الحال.

1 () تيسير الكريم الرحمن (793-794).

2 () انظر: جامع البيان (21/ 168-169).

3 () انظر: التحرير والتنوير (23/ 229).

**2- تعليم سليمان عليه الصلاة والسلام منطق الطير:**

من الآيات التي خصَّ الله بها نبيه سليمان عليه الصلاة والسلام تعليمه منطق الطير، يقول الله تعالى: ﴿ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ﴾ [النمل: 16].

فعلمه الله تبارك وتعالى منطق الطير، يعني: أفهمه كلامها[1]، ففهم من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها[2].

وسمى صوت الطير نطقًا اعتبارًا بسليمان ﷺ الذي كان يفهمه[3]، فجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذا فهمه عنها[4].

فهل كانت هذه الآية التي اختص بها سليمان ﷺ خاصة في منطق الطير، أم أنها في جميع الحيوان؟ اختلف أهل التفسير في ذلك على قولين:

**القول الأول:** أنَّ هذا الأمر في الطير خاصة، دون غيره من الحيوان، بدليل قوله تعالى: ﴿ﭲ ﭳ ﭴ﴾ [النمل: 16]، وقالوا: إن النملة طائر؛ إذ قد يوجد لها أجنحة[5].

**القول الثاني:** أنَّ ذلك عام في جميع الحيوان، وإنما خصَّ الطير بالذكر؛ لأنها كانت من جند سليمان ﷺ، وهي أبعد عن الركون إلى الإنسان، وأسرعها نفورًا منه، فعلم أن منطق ما هو أكثر اختلاطًا بالإنسان حاصل له بالأحرى، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ﴾ [النمل: 19]، فدلت الآية على أنه علم منطق كل صنف من أصناف الحيوان[6].

قال ابن كثير رحمه الله: «أخبر سليمان بنعم الله عليه، فما وهبه له من الملك التام، والتمكين العظيم، حتى إنه سخر له الإنس والجن والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضًا، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر - مما علمناه - مما أخبر

---

1 () انظر: جامع البيان (19/ 437).

2 () انظر: الجامع لأحكام القرآن (13/ 175)، والتسهيل لعلوم التنزيل (3/ 93).

3 () انظر: المفردات في غريب القرآن (497).

4 () انظر: جامع البيان (19/ 437).

5 () انظر: الجامع لأحكام القرآن (13/ 177)، والبحر المحيط (7/ 58)،.

6 () انظر: البحر المحيط (7/ 58)، والجامع لأحكام القرآن (13/ 177)، وفتح القدير (4/ 130)، والتحرير والتنوير (19/ 237).

الله به ورسوله...الله  كان قد أفهم سليمان  ما تتخاطب به الطيــور في الهــواء، ممــا تنطــق بــه الحيوانــات على اختلاف أصنافها»[1].

وقد رد الإمـام ابن العـربي رحمـه اللـه قـول من قصـر علم سليمان  على منطق الطير دون غيره، وجعل النمل من جملة الطير؛ ولذلك فهم منطقها: بأنَّ هذا نقصان عظيم[2].

وقال رحمه اللـه: «فجعـل اللـه لسـليمان معجـزة فهم كلام الطير والبهائم والحشرات، وإنما خصّ الطير لأجل سـوق قصـة الهدهد بعدها، ألا تراه كيف ذكر قصة النمل بعـدها وليسـت من الطير»[3].

والقول الراجح من هذين القولين أنَّ سليمان  علِّم منطــق الطـير وغـيره من الحيوانـات، كمـا دلّ عليـه سـماعه لخطـاب النملة لغيرها من النمل، ولم يصـب من جعـل النمـل من أنـواع الطير، والله أعلم.

وقد جاء في كتاب اللـه ذكـر قصـتين فيهمـا علم سـليمان  منطق هذه الحيوانات وهي:

**الأولى:** سماع سليمان  النملة وهي تخاطب النمل، يقول الله تعالى: ﴿ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ٹ ٹ  ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ     ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ﴾ [النمل: 18-19].

يخبرنا تبارك أنَّ سـليمان  سـار هـو وجنـوده حـتى إذا أتـوا على وادي النمل، وهو وادٍ لم يبينـه الحـديث الصـحيح، ولا يضـر الجهل به، والله أعلم بمكانه، فلمـا دخلـوا هـذا الـوادي نصـحت نملة من النمل أمتها، فقالت: ﴿ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ڱ ڱ ں ں ڻ﴾ [النمل: 18]، فخافت هذه النملة على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها، فأمرتهم بالدخول إلى مساكنها[4].

وهل نطقت هذه النملة بكلام الآدمـيين ففهمـه بقيـة النمـل، وسمعه سليمان ؟ أم أنها خاطبتهم بخطابهم ففهمــه سـليمان

---

1 () تفسير القرآن العظيم (6/ 193).

2 () انظـر: أحكـام القـرآن، أبـو بكـر محمـد بن عبـد اللـه بن العـربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشــر، بــيروت، بدون ذكر تاريخ الطباعة ورقمها (3/ 475).

3 () المرجع السابق (3/ 472).

4 () انظر: تفسير القرآن العظيم (6/ 194).

؟

ذكر أهل التفسير في ذلك قولين[1]:

**القول الأول:** أنها صاحت صيحة تنبهت بها بقية النمل، فصوتت بما فهم سليمان  منه معنى: ﴿ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ﴾ [النمل: 18]، وهذا كما يفهم سليمان  ما يفهم من أصوات الطير، وقد جعل خطاب النمل كخطاب العقلاء في قوله: (ادخلوا) ولم يقل (ادخلن)، فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أجروا مُجراهم.

**القول الثاني:** أنَّ النملة تكلمت بذلك، ونطقت بمثل هذه الألفاظ، فلا يمتنع أن يخلق الله تعالى في هذه النملة النطق، وفي غيرها من النمل العقل والفهم.

والقول الأول هو الراجح؛ لأنه موافق لتعليم سليمان  منطق الطير وغيره من الحيوان، وقول من قال: إنها نطقت بهذا الكلام فهذا يحتاج إلى دليل يثبت فهم النمل الأخريات لكلام البشر، فالآية التي أعطاها الله تعالى سليمان  هي: فهم منطق هذه الحيوانات، لا أنها هي تنطق بمنطق الآدميين، وهذا كما جرى في قصة سليمان  مع الهدهد، يقول ابن كثير رحمه الله: «والغرض أن سليمان  فهم قولها، وتبسم ضاحكًا من ذلك، وهذا أمر عظيم جدًّا»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «نحن نجد أن الله يلهم الحيوان من الأصوات ما به يعرف بعضها مراد بعض، وقد سمي ذلك منطقًا وقولاً في قول سليمان: ﴿ڃ ڃ ڃ﴾ ...وفي قوله: ﴿ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ﴾»[3].

ولو نطقت النملة بكلام الآدميين لم تكن هذه الآية خاصة بسليمان ، فقد سمع غيره كلام الذئب والبقرة كما سبق

---

1 () انظر: تفسير القرآن للسمعاني (4/ 85)، ومفاتيح الغيب (24/ 161)، والبحر المحيط (7/ 58)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (2/ 173)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخها (6/ 278)، وروح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني (19/ 175-176)، ودعوة الرسل إلى الله تعالى، محمد أحمد العدوي، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ، (302-303).

2 () تفسير القرآن العظيم (6/ 194).

3 () مجموع الفتاوى (7/ 91).

الحـديث عن ذلك[1]، فيكـون في فهم سـليمان  لمنطقهـا آيـة أقوى من نطقها بكلام الآدميين، والله أعلم.

وفيه أدب النملة مع نـبي اللـه سـليمان عليـه السـلام، حيث اعتذرت له ولقومه بأنَّ هذا الفعل إن حدث منهم فهـو من غـير شعور منهم ولا قصد.

وتبسم سـليمان  من قـول هـذه النملـة تعجبًـا؛ ولمـا أثنت عليــه وعلى جنــده؛ حيث نفت عنهم تعمــد القــبيح من الفعــل، وتبســم أيضًــا ســرورًا بمــا أعطــاه اللــه تعــالى هــذه النعمــة العظيمة[2].

**الثانية: قصة سليمان  مع الهدهد.**

فقد ذكر الله تبارك وتعالى قصة سليمان  مع الهدهد فقال سبحانه: ﮋ ۈ ۇ ۆ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ
ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ
ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ
ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮊ
[النمل: 20-28].

يخبر الله تبارك وتعالى عن سليمان  وملكــه العظيم؛ حيث سخر له الله  هذه الجنود العظيمة، والتي منهـا الطـير، فكـان من كمال عزمه، وحسن تنظيمه لجنوده، وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، وكمال فطنته، وعدم إهماله لشــيء من أمــره، أنه تفقد الطيور، والنظر هل هي موجودة كلها، أم مفقـود منهـا شيء؟ ففقد الهدهد، ثم سأل: هل عرض له شيء يمنــع رؤيتــه له، أم أنه كان غائبًا من غير إذني ولا أمري؟[3].

ثم أقسم  ليعذبن هذا الهدهد بسبب غيابه عذابًا شــديدًا، أو ليقتلنه إلا أن يأتيه بحجة تبين عذره في تلك الغيبة.

ثم جاء الهدهد إلى سليمان  بحجة تنجيه من عقابه، فقـال: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﮊ، فبين له أنه اطلع على علم لم يعلم به سليمان ، ولم يحـط به؛ لأن الأنبيـاء عليهم السـلام لا يعلمـون الغيب، وقد تخفى عليهم أمـور يعرفهـا غـيرهم، ليعـرف النـاس

---

1 () انظر الصفحة رقم [77].

2 () انظـــر: المحـــرر الوجـــيز (4/ 254)، وزاد المســـير (6/ 162)، والتسهيل لعلوم التنـزيل (3/ 94).

3 () انظر: تيسير الكريم الرحمن (706-707).

بذلك أقدارهم، ولا يغلون بهم[1].

ثم أخبر الهدهدُ سليمان  بالعلم الذي أحاط به، وأنه جاء من سبأ[2]، بخبر صدق؛ حيث وجد امرأة تملكهم، فقد أوتيت من متاع الدنيا ما يحتاج إليه الملك المتمكن، ولها سرير تجلس عليه عظيم هائل[3].

وقد وجدها وقومها يسجدون للشمس من دون الله تعالى؛ لأن إبليس حسن لهم عبادة الشمس، وحببها لهم، فمنعهم بذلك من أن يتبعوا الطريق المستقيم، فهم لا يهتدون لسبيل الحق ولا يسلكونه[4].

واستنكر عبادتهم للشمس من دون الله تعالى، الذي يخرج الخبء وهو الخفي من الأمور، من مطر السماء وكنوز الأرض ونباتها، ويعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال، فهو سبحانه الإله الذي لا تنبغي العبادة إلا له، فهو سبحانه رب العرش العظيم[5].

فكان الهدهد داعيًا إلى التوحيد وعبادة الله وحده والسجود له[6].

واختلف أهل التفسير في قوله: ﴿ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ﴾ ...الآيات [النمل: 25-26]، هل قائل ذلك الله تعالى، أم الهدهد؟ على قولين[7]، ثم أمر سليمان  الهدهد -ليتحقق من صدق كلامه-، أن يذهب بكتاب سليمان  فيلقيه إليهم، ثم يستأخر عنهم

---

1 () انظر: دعوة الرسل إلى الله تعالى (304).

2 () سبأ: هي أرض باليمن، مدينتها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، تنسب إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهي التي أرسل الله عليها سيل العرم. انظر: معجم البلدان (3/ 181).

3 () انظر: تفسير القرآن العظيم (6/ 196-197).

4 () انظر: جامع البيان (19/ 447).

5 () انظر: المحرر الوجيز (4/ 257)، وتيسير الكريم الرحمن (707).

6 () انظر: تفسير القرآن العظيم (6/ 198).

7 () انظر: الكشاف (3/ 366)، والمحرر الوجيز (4/ 257)، والجامع لأحكام القرآن (13/ 196)، ورجح الزمخشري وابن كثير نسبته للهدهد. انظر: الكشاف (3/ 366)، وتفسير القرآن العظيم (6/ 198)، وأسند الطبري عن ابن زيد وابن إسحاق نسبته إلى الهدهد. انظر: جامع البيان (19/ 450).

بعيدًا، ثم ينظر بم يرجعون من الجواب[1].

فكانت هذه آية عظيمة من الله تعالى لنبيه سليمان ؛ حيث سخر من جنده هذه الطير، ومكنه من تفقدها ليعرف من حضر منها ومن غاب، وجعل اللـه من آياتـه العظيمـة معرفـة منطـق هذه الطير، فكان يخاطبها كما يخاطب بنو آدم بعضهم بعضًـا، ثم يأمر الهدهد بما يريد فلا محيص له عن تنفيذ أمر سليمان .

وسخر الله تبارك وتعالى هذا الهدهـد لسـليمان لينقـل لـه أخبارًا من بلاد بعيدة لم يكن سليمان يحيط بهـا، فكـان سـببًا في مساعدة سليمان في تبليغ دعوته، وهداية هذه الأمـة إلى توحيد الله .

فقد سخر الله الطير لداود وابنه سليمان عليهمـا السـلام، فكانت تسبح مع داود إذا سـبح، وكـانت من جنـد سـليمان ، تأتمر بأمره ولا تخالف نهيـه، ويعلم منطقهـا، تفضُّـلاً وكرمًـا من الله تعالى، وصدق الله: ﴿ٺ ٺ ٿ ٿ ٿٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ﴾ [النمل: 15].

وفي قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام دلائـل كثـيرة من دلائل التوحيد، ومن ذلك:

1- أن الإحاطة صفة لله عز وجل، وقد دل عليها القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [ الطلاق: 12] وغيرها من الأدلة.

والمخلوق يوصف بالإحاطة، فهذا الهدهد قال لسليمان عليـه السلام: (أحطت بما لم تحط به)، ولم ينكر عليه سـليمان عليـه السلام، والله عز وجل قد سمى نفسه بأسماء، ووصـف نفسـه بأوصـاف، وسـمى بعض خلقـه بهـذه الأسـماء ووصـفهم بهـذه الصـفات، ولكن ليسـت الأسـماء كالأسـماء، ولا الصـفات كالصفات.

يقـول شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: «ولهـذا سـمى اللـه نفسـه بأسماء وسمى صفاته بأسماء، وكانت تلك الأسـماء مختصـة بـه إذا أضيفت إليه لا يشاركه فيهـا غـيره، وسـمى بعض مخلوقاتـه بأسـماء مختصـة بهم مضـافة إليهم توافـق تلـك الأسـماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفـاق الاسـمين وتماثل مسماهما واتحـاده عنـد الإطلاق والتجريـد عن الإضـافة

[1] () انظر: معالم التنـزيل (6/ 157-158).

والتخصيص اتفاقهما ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلا عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص»[1].

ومثله وصف الله تعالى لعرش ملكة سبأ: بأنه عظيم، وختم الآية بوصف عرشه بأنه عظيم، وليس العرش كالعرش، ولا العِظَم كالعِظَم.

2- تفضيل الهدهد نفسه على نبي الله سليمان عليه السلام في شيء مخصوص، حيث أخبر أنه أحاط بما لم يحط به سليمان عليه السلام، وليس في هذا حط من قدر الأنبياء، إذ هم لا يعلمون الغيب، وقد يوجد عند غيرهم من العلم مالم يطلعهم الله تعالى عليه، ومثله ما جاء في قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام، فقد تعلم موسى عليه السلام من الخضر مع أنه أفضل منه.

3- فيه دليل على قبول خبر الآحاد، فإن سليمان عليه السلام قبل خبر الهدهد ولم يشترط حصول التواتر.

4- في قوله تعالى: ﴿ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﴾ [النمل: 23]. دليل لأهل السنة، ورد على المعتزلة الذين يستدلون على خلق القرآن بقوله تعالى: ﴿ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﴾ [ الزمر: 62]. قالوا: كلمة (كل) للعموم، يدخل فيها كل شيء، والقرآن شيء فهو: مخلوق[2].

وقد رد عليهم أهل السنة بأن كلمة (كل) في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن، فقوله تعالى: ﴿ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﴾ [الأحقاف: 25]. ومساكنهم شيء ومع ذلك لم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح؛ لأن المراد تدمير كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة.

وفي هذه الآيات أخبر الله تعالى أن ملكة سبأ أوتيت من كل شيء، والمراد: كل شيء يحتاج إليه الملوك [3].

5- نسب الهدهد تزيين الأعمال والصد عن سبيل الله إلى الشيطان، وهذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ﴾ [الأنعام: 108]، فأضيف التزيين إلى الله عز وجل

[1] () مجموع الفتاوى (3/10).
[2] () انظر: المغني للقاضي عبد الجبار (7/94).
[3] () انظر: شرح العقيدة الطحاوية (1/181).

قضاءً وقدرًا، وإضافته إلى الشيطان تسببًا، والله تعالى زين لهم سوء أعمالهم، لأنهم أساؤوا، كما يفيده قوله تعالى: ﮋ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﮊ [ الصف: 5]. فالتزيين من الله باعتبار التقدير، أما الذي باشر التزيين، ووسوس لهم بذلك فهو الشيطان [1].

6- نفى الهدهد الهداية عن قوم سبأ، حيث قال: (فهم لا يهتدون) وهذه الهداية يراد بها: هداية التوفيق والإلهام، وهي الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، فقد كتب الله عليهم الضلال بسبب ضلالهم وتزيين الشيطان لهم أعمالهم، وصده لهم عن طريق الخير.

فإن الهداية على نوعين: هداية دلالة وإرشاد، وهذه تكون لله تعالى ولغيره كما دل عليها قوله تعالى: ﮋ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮊ [ الشورى: 52]، وهداية توفيق وإلهام، وهي التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، كما دل عليها قوله تعالى: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ [ التوبة: 56]. وهي خلق الهدى في القلب وآثاره، فإن ذلك لله وحده وهو القادر عليه [2].

7- اثبات علم الله المحيط بكل شيء، فهو سبحانه يعلم ما تخفيه الأنفس وما تعلنه، وقد دل على علمه سبحانه وتعالى نصوص الكتاب والسنة، والعقل والفطرة.

---

1 () انظر: مدارج السالكين (1/184)، وتفسير سورة البقرة لابن عثيمين (3/21).

2 () انظر: تيسير العزيز الحميد (300)، وحاشية كتاب التوحيد (141).

## المطلب الثامن: خلق عيسى  من الطين كهيئة الطير ثم يكون طيرًا بعد النفخ فيه بإذن الله تعالى:

لقد أجرى الله تبارك وتعالى على يد رسوله عيسى  عددًا من الآيات، أيده بها، فآمن له من آمن، وكفر من كفر، وكان من هذه الآيات آية تتعلق بنوع من الحيوان؛ حيث كان  يخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله تعالى، قال الله : ﴿ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ﴾ [آل عمران: 49].

فالله  يخبرنا بدعوة عيسى  قومه واحتجاجه عليهم بما أيَّدَه الله سبحانه به من آيات تدل على صدق نبوته، ومن هذه الآيات أنه كان يصور من الطين شكل طير، ثم ينفخ فيه، فيطير عيانًا بإذن الله تعالى، الذي جعل هذه آية تدل على أنّ الله أرسله[1].

فهذه آية عظيمة؛ إذ كان  يصنع من هذا الطين الجامد صورة طير، ثم ينفخ فيه، فيتحول هذا التمثال إلى طائر حي حقيقي، وهذا كله بإذن الله تعالى وإرادته، وعيسى  يخلق من الطين كهيئة الطير، وليس خلق عيسى  كخلق الله تعالى، فكلمة (خلق) لها معان عدة، منها: ما هو خاص بالله تعالى، وهو الخلق من العدم على غير مثال سابق، ومنها: تحويل الشيء وتصويره من غيره، فيتحول من مادة إلى أخرى كما فعل عيسى .

يقول الراغب رحمه الله: «الخلق: أصله التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل، ولا احتذاء، قال: ﴿ﭙ ﭚ ﭛ﴾ [الأنعام: 1]، أي: أبدعهما بدلالة قوله: ﴿ﯔ ﯕ ﯖ﴾ [الأنعام: 101]، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء، نحو: ﴿ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ﴾ [النساء: 1]، ﴿ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ﴾ [النحل: 4]، ﴿ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ﴾ [المؤمنون: 12]، ﴿ﯛ ﯜ﴾ [الأعراف: 11]، ﴿ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ﴾ [الرحمن: 15]، وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا من الله تعالى، ولهذا قال في الفصل بينه وبين غيره: ﴿ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ﴾ [النحل: 17]، وأما الذي يكون بالاستحالة فقد جعله الله تعالى لغيره في بعض الأحوال،

[1] () انظر: تفسير القرآن العظيم (2/ 36).

كعيسى حيث قال: ﴿ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ﴾ [المائدة: 110]»[1].

فعيسى  كان يصور هذا الطين على شكل طائر، وهذا أمـر مقدور عليه من البشر، ولكنَّ الآية حين ينفخ فيه الروح ويطير، وهذا كله بإذن الله تعالى وإرادته.

يقول شـيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمـه اللـه: «إنـه خلـق من الطين كهيئة الطير، والمراد تصويره بصورة الطير، وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس، فإنه يمكن أحدهم أن يصـور من الطين كهيئـة الطـير، وغـير الطـير من الحيـوان، ولكن هـذا التصـوير محرم، بخلاف تصوير المسيح، فإن الله أذن له فيه.

والمعجزة أنه ينفخ فيـه الـروح، فيصـير طـيرًا بـإذن اللـه ، ليس المعجزة مجرد خلقه من الطين، فإن هذا مشترك»[2].

فعيسى  صور هذا الطير من طين خلقه الله ، وكان فعله هذا بإذن الله تعالى، ثم نفخ فيه فصار طيرًا بـإذن اللـه تعـالى، فالخالق الحقيقي وواهب الحياة هو الله تعالى الذي لا يشـاركه أحد في خلقه، وعيسى  رسول أكرمـه اللـه تعـالى بالرسـالة، وأيـده بهـذه الآيـات العظيمـة الـتي أظهرهـا على يديـه، يقـول الرازي رحمه الله: «قوله: (بإذن الله) معناه: بتكوين الله تعالى وتخليقه...وإنما ذكر عيسى  هذا القيـد إزالـة للشـبهة، وتنبيهًـا على أني أعمل هذا التصـوير، فأمـا خلـق الحيـاة فهـو من اللـه تعالى على سبيل إظهار المعجزات على يد الرسل»[3].

---

1 () المفـردات في غـريب القـرآن (158)، وانظـر: البحـر المحيـط (2/ 487).

2 () الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (2/ 328).

3 () مفاتيح الغيب (8/ 50).

## المبحث الثاني

# دلائل نبوة محمد  المتعلقة بالحيوان

وفيه خمسة عشر مطلبًا:

المطلب الأول: شكوى الجمل إلى النبي ، وأدبه معه.

المطلب الثاني: إخبار الذئب عن النبي  ودعوته بيثرب.

المطلب الثالث: شكوى الحمَّرة التي فقدت ولدها إلى النبي .

المطلب الرابع: إخبار الشاة المسمومة النبي  عن نفسها.

المطلب الخامس: جمل جابر الذي أعيا وما فيه من الدلائل.

المطلب السادس: البراق وما فيه من دلائل النبوة.

المطلب السابع: حديث ناولني الذراع وما فيه من دلائل نبوته .

المطلب الثامن: دلائل النبوة من حادثة فرس سراقة بن مالك في الهجرة.

المطلب التاسع: عناق جابر في غزوة الخندق التي دعا إليها النبي  أصحابه وما فيها من دلائل نبوته.

المطلب العاشر: دلائل نبوته  التي تجلت في ظهور حليب الغنم في غير وقته في عدة وقائع.

المطلب الحادي عشر: ركوب النبي  فرس أبي طلحة عند فزع الناس، وما فيه من دلائل نبوته.

المطلب الثاني عشر: دلائل نبوته  في ناقته عند قدومه المدينة، وقوله: دعوها فإنها مأمورة.

المطلب الثالث عشر: تسابق البدن إلى النبي  في حجة الوداع بأيتهنَّ يبدأ.

المطلب الرابع عشر: أدب الوحش عند قدوم النبي  وانصرافه.

المطلب الخامس عشر: حادثة الفيل وما فيها من دلائل النبوة.

## تمهيد: تعريف دلائل النبوة:

الدلائل جمع دلالة، يقال: دلَلْتُ بهذا الطريق دلالة، أي: عرفته، ودللت به أدل دلالة[1].

وفي الاصطلاح: الدَّلالة: كون اللفظ متى أطلق أو أُحِسَّ فهم منه معناه للعلم بوضعه[2]، والدلالة كون الشيء يفيد غيره علمًا إذا لم يكن في الغير مانع[3].

ودلائل نبوة محمد : الآيات والبراهين الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام، والتي تتضمن إخبار الله تعالى لعباده بأنَّ هذا رسوله، وأمره لهم بطاعته[4].

والرسول  بعثه الله تعالى إلى الخلق كافة من الجن والإنس، فهو أكثر الرسل آيات وبينات، وذكر بعضُ أهل العلم أنَّ أعلام نبوته تبلغ ألفًا[5].

قال القرطبي رحمه الله: «إن نبينا محمدًا  أوتي من المعجزات وجمع له من الآيات ما لم يجمع لأحد من الأنبياء قبله، ولم يُعطَ أحد مثله، فكان لذلك أوضحهم دلالة، وأعمهم رسالة، ولذلك لم يُعطِ الله نبيًّا من الأنبياء معجزة إلا أعطى نبينا محمدًا  مثلها، أو أوضح منها أو ما يقاربها»[6].

ومن هذه الدلائل ما كان قبل مبعثه ، وحين مبعثه، وفي حياته، وبعد موته إلى قيام الساعة[7].

وقد صنف العلماء رحمهم الله كتبًا كثيرة في دلائل نبوته [8]، وكان من هذه الدلائل ما له علاقة بالحيوان، وهي كثيرة

---

1 () انظر: تهذيب اللغة (14/ 48)، مادة (دل).
2 () انظر: تاج العروس (28/ 498) مادة (دل ل).
3 () انظر: كتاب الكليات (439) فصل الدال.
4 () انظر: الجواب الصحيح (3/ 242)، والنبوات (170).
5 () انظر: دلائل النبوة للبيهقي (1/ 10).
6 () الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن الإسلام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي، دار التراث العربي، القاهرة، 1398هـ، (348).
7 () انظر: الجواب الصحيح (3/ 502).
8 () من هذه المؤلفات:
1- دلائل النبوة، أبو بكر الفريابي، تحقيق: عامر حسين صبري، دار حراء، مكة المكرمة، 1406هـ.
2- دلائل النبوة للبيهقي.

جدًّا، وفي هذا المبحث ذكرت ما وقفت عليه منها مما صحت به النصوص، وأعرضت عن أخبار كثيرة لم تثبت صحتها، والله أعلم.

---

3- دلائل النبوة، أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: مساعد الراشد الحميد، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1412هـ.

4- دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني، اعتنى به نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2009م.

5- دلائل النبوة، سعيد عبد القادر باشنفر، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1424هـ وقد اشتمل على أكثر من ألف وأربعمائة دلالة بتقديم الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله.

6- دلائل نبوته ﷺ في ضوء السنة، د. أحمد محمود شيمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.

## المطلب الأول: شكوى الجمل إلى النبي  وأدبه معه:

من دلائل نبوة محمد  مجيء الجمل إليه شاكيًا صاحبه عليه[1]، فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه[2]، قال: ((أردفني رسول الله  خلفه ذات يوم، فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أحدث به أحدًا من الناس، وكان أحبَّ ما استتر به رسول الله  لحاجته هدفٌ[3] أو حائش نخل[4]، قال: فدخل حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأى النبي  حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي  فمسح ذفراه[5]، فسكت، فقال: من رب هذا الجمل؟[6] فجاء فتًى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، قال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه[7] ))[8].

ففي هذا الحديث دلالة وآية من آيات النبي ؛ حيث جعل

---

1 () انظر: دلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني (3/ 1103-1128)، والجواب الصحيح (3/ 377-381).

2 () هو: أبو جعفر، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، القرشي، الهاشمي، هو أول مولود ولد في الإسلام في أرض الحبشة، وقدم مع أبيه المدينة، وروى عن النبي  وحفظ عنه، كان كريمًا جوادًا، يسمى: بحر الجود، روى عن أبي بكر وعثمان وعلي وغيرهم، وروى عنه عروة والشعبي وغيرهما، توفي سنة 80هـ بالمدينة. انظر: الاستيعاب (3/ 880)، والإصابة (4/ 40).

3 () الهدف هو: كل بناء مرتفع مشرف. انظر: النهاية في غريب الحديث (1002) مادة (هدف).

4 () حائش النخل هو: حائط النخل، والحديقة منه. انظر: التمهيد (22/ 10).

5 () ذفري البعير: ما وراء الأذنين عين يمين النقرة وشمالها، وهي أصل أذنه. انظر: التمهيد (22/ 10)، والنهاية (327) مادة (ذفر).

6 () فيه جواز اطلاق الرب إذا كان مقيدًا، ومنه قوله تعالى:  ﯚ ﯛ ﯜ [يوسف:42]، أما إذا كان مطلقًا (الرب) فلا يطلق إلا على الله عز وجل، وذهب بعض العلماء إلى أن إضافة الربوبية إلى غير المكلفين لا بأس بها؛ لأن حقيقة العبودية لاتتصور منها، ومن العلماء من منع ذلك مطلقًا ومنهم من كرهه. انظر: تيسير العزيز الحميد (653)، وإعانة المستفيد (2/308).

7 () تدئبه: أي: تكده وتتعبه. انظر: النهاية في غريب الحديث (295) مادة (دأب).

الله تعالى هذا البعير يأتي إليه ويشكو صاحبه الذي لا يحسن معاملته؛ إذ كان يجيعه ويكلفه من العمل ما لا يطيقه، فأفهم الله تعالى نبيه  هذه الشكوى، ثم سكت هذا البعير بعد مسح النبي  عليه وملاطفته له، ثم توجهه  إلى صاحب البعير ونصحه بالقيام بحقه، والإحسان إليه، وتقوى الله تعالى فيه، وهذه من رحمته  وشفقته على المخلوقات ودعوته إلى الإحسان والخير، فصلى الله عليه وسلم.

ومن دلائل نبوته  أيضًا أدب الجمل الصعب معه  ومعرفته له[1]، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: ((أقبلنا مع رسول الله  من سفر، حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شد عليه، قال فذكروا ذلك للنبي ، فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعًا مشفره إلى الأرض، حتى برك بين يديه، قال: فقال النبي : هاتوا خطامًا، فخطمه، ودفعه إلى صاحبه، قال: ثم التفت إلى الناس، فقال: إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلمُ أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس))[2].

وفي حديث آخر أنَّ الجمل كان يستصعب على قومه، فلما شكا القوم جملهم إلى رسول الله ، وجاء إليه، خرَّ هذا الجمل ساجدًا بين يدي النبي ، فعن أنس بن مالك قال: ((كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وإن الجمل استصعب عليهم، فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ، فقالوا: إنه كان جملاً نسني عليه، وأنه استصعب علينا، ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل.

فقال رسول الله  لأصحابه: قوموا، فقاموا، فدخل الحائط والجمل في ناحيته، فمشى النبي  نحوه، فقالت الأنصار: يا نبي الله إنه قد صار مثل الكلب، وإنا نخاف عليك صولته،

---

8 () أخرجه أحمد في مسنده (1/ 204)، وأبو داود في سننه في كتاب الجهاد، باب: ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (1412) برقم (2549)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ( 2/ 275) برقم (2269).

1 () انظر: دلائل النبوة للبيهقي (6/ 28-30)، والجواب الصحيح ( 3/ 377-384)، ودلائل النبوة لباشنفر (593-596).

2 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [91].

فقال: ليس عليَّ منه بأس، فلما نظر الجمل إلى رسول الله  أقبل نحوه، حتى خرَّ ساجدًا بين يديه، فأخذ رسول الله  بناصيته أذل ما كان قط، حتى أدخله العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله؛ هذه البهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك، فقال: لا يصح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظم حقه عليها، والذي نفسي بيده، لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس[1] بالقيح والصديد، ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه))[2].

وسجود الجمل للنبي صلى الله عليه وسلم سجود تعظيم وتكريم لا سجود عبادة.

وهذا كسجود الملائكة لآدم عليه السلام، فإن سجودهم له تكرمة له وطاعة لله تعالى لا عبادة له[3].

وكذلك سجود أبوي يوسف عليه السلام وإخوته، فقد كان على طريق التحية والتعظيم لا على طريق العبادة [4].

وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن هذا السجود كان مشروعًا في الأمم السابقة، وأنه قد نسخ عند سجود معاذ للنبي صلى الله عليه وسلم[5].

---

1 () تنبجس: أي تنفجر. انظر: النهاية في غريب الحديث (63) مادة (بجس).

2 () أخرجه أحمد في مسنده (3/ 158)، والبزار في مسنده (13/ 93) برقم (6452)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (3/ 35) بإسناد جيد، وقال ابن كثير - أيضًا - في البداية والنهاية (6/ 149): «إسناده جيد».

3 () انظر: جامع البيان (1/512)، ومعالم التنزيل (1/81).

4 () انظر: جامع البيان (16/270)، ومعالم التنزيل (4/280).

5 () انظر: أحكام القرآن للجصاص (1/37-38)، والجامع لأحكام القرآن (1/37)، وتفسير القرآن العظيم (1/37).

**المطلب الثاني: إخبار الـذئب عن النـبي  ودعوتـه بيثرب:**

من دلائل نبـوة محمـد  شـهادة الـذئب بنبوته[1]، فقـد تكلم الذئب بكلام سمعه الراعي، وأخبره بدعوة النبي  بيثرب، وأنه يخبر الناس بأنباء مـا قـد سـبق، فتعجب هـذا الـراعي من كلام الـذئب؛ حيث كلمـه بكلام الإنس، فـذهب إلى النـبي  وأخـبره بأمره، فجمع النبي  الناس وأمـره أن يخـبرهم بـذلك، فكـانت هذه دلالة عظيمة من دلائـل نبوتـه ، فعن أبي سـعيد الخـدري رضي الله عنه، قال: ((عـدا الـذئب على شـاة فأخـذها، فطلبـه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبـه، فقـال: ألا تتقي الله تنـزع مني رزقًا ساقه الله إليّ؟ فقال: يا عجـبي ذئب مقـعٍ على ذنبه يكلمني كلام الإنس؟ فقال الذئب: ألا أخبرك بـأعجبَ من ذلك؟ محمد  بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قـد سـبق، قـال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاويـة من زواياها، ثم أتى رسول الله  فأخبره، فأمر رسول اللــه ، فنــودي: الصــلاة جامعــة، ثم خــرج، فقــال للــراعي: أخــبرهم، فأخبرهم، فقـال رسـول اللـه : صـدق، والـذي نفسـي بيـده لا تقـوم السـاعة حـتى يكلم السـباع الإنس، ويكلم الرجـل عذبـة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده))[2].

وفي حديث آخر أنَّ الراعي كان يهوديًّا، فكانت هـذه القصـة سببًا في إسلامه، فعن أبي هريرة قال: ((جـاء ذئب إلى راعي الغنم فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حـتى انتزعهـا منـه، قـال: فصـعد الـذئب على تـلٍّ، فـأقعى واسـتذفر، فقـال: عمـدتَ إلى رزق رزقنيه الله  انتزعتَه مـني، فقـال الرجـل: تاللـه إن رأيت كاليوم ذئبًا يتكلم، قال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين[3]، يخبركم بما مضى وبما هـو كـائن بعـدكم، وكـان

---

1 () انظر: دلائل النبـوة لأبي نعيم الأصـبهاني (1/ 222-223)، ودلائـل النبوة للبيهقي (6/ 41-44)، ودلائل النبوة لأبي القاسـم الأصـبهاني (3/ 953-961)، والجواب الصحيح (3/ 384).

2 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [78].

3 () الحـرة: هي الأرض ذات الحجـارة السـود، كأنهـا أحـرقت بالنـار، والحرار في بلاد العرب كثيرة، منها: حـرة أوطـاس وتبـوك، وأكثرهـا حوالي المدينة والشام. انظر: معجم البلدان (2/ 245) حـرف الحـاء

الرجل يهوديًّا، فجاء الرجل إلى النبي  فأسلم وخبَّره، فصدقه النبي ، ثم قال النبي : إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده))[1].

والراء، والحرتين واحدة غربي المدينة، والأخرى مما يليها من شرقي المدينة. انظر: التمهيد (6/ 313).

1 () أخرجه أحمد في مسنده (2/ 306)، ومصنف عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403هـ (11/ 383) برقم (20808)، ومسند إسحاق بن راهويه، إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط1، 1412هـ (1/ 357) برقم (360)، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (1/ 222) برقم (271)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (8/ 517) برقم (14083)، قلت: هو في الصحيح باختصار، رواه أحمد ورجاله ثقات، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (6/ 160): تفرد به أحمد، وهو على شرط السنن، ولم يخرجوه، ولعل شهر بن حوشب قد سمعه من أبي سعيد وأبي هريرة أيضًا، وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (3/ 288) برقم (5927).

## المطلب الثالث: شكوى الحمَّرة التي فقدت ولـدها إلى النبي ﷺ:

من دلائل نبـوة محمـد ﷺ شـكوى الحُمَّرة إليـه عليـه الصـلاة والسلام[1]، فقد جاءت الحمرة فوق رأسه ﷺ بعـد أن أخـذ بعض الصحابة فرخيها، فعلم النبي ﷺ أنها تشتكي إليه، فـأمر أصـحابه بـأن يـردوا عليهـا فراخهـا، فكـان هـذا من دلائـل نبوتـه ﷺ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: ((كنا مع رسـول اللـه ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرة معها فرخان، فأخـذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفْرِش[2]، فجاء النبي ﷺ فقـال: من فجـع هـذه بولـدها، ردوا ولـدها إليهـا، ورأى قريـة نمـل قـد حرقناها، فقال: من حرق هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار))[3].

فكـانت هـذه الحيوانـات تعـرف النـبي ﷺ، وتعـرف رحمتـه وشفقته حتى بالحيوان، فهذه الحمَّرة جـاءت إليـه تشـتكي كمـا جاء الجمـل إليـه - أيضًـا - يشـتكي ممن ظلمهم، فكـان ﷺ خـير ناصر للمظلوم، الذي أكرمه الله تعالى بالرحمـة بـالإنس والجن والحيوان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

فسـبحان من جعـل الجمـل الـذي لا يـبين والحمـرة الـتي لا تعقل ولا تنطـق يحسـان بشخصـية الرسـول ﷺ، وأنهـا شخصـية فذة رحيمـة عادلـة، يلجـأ إليهـا الخـائف فيـأمن، والجـائع فيجـد

---

1 () انظـر: دلائـل النبـوة للـبيهقي (6/ 32-33)، الجـواب الصـحيح (3/ 382)، ودلائل النبـوة لباشـنفر (588)، ودلائـل نبوتـه ﷺ في ضـوء السنة (454).

2 () تفرش: أي تضـرب من الأرض وترفـرف بجناحيهـا. انظـر: النهايـة في غريب الحديث (699) مادة (فرش).

3 () أخرجه أحمد في مسنده (1/ 396)، وأبو داود في سننه في كتاب الجهـاد، بـاب كراهيـة حـرق العـدو بالنـار (1421) بـرقم (2675)، واللفــظ لــه، والبخــاري في الأدب المفــرد (1/ 139) رقم (382)، والحـاكم في المسـتدرك (4/ 267) بـرقم (7599)، وصـحح إسـناده ووافقه الـذهبي، وصـحح إسـناده النـووي. انظـر: ريـاض الصـالحين، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد الـدقاق، دار المأمون للتراث، ودار الفجر الإسلامي، دمشـق، ط20، 1422هـ (477) رقم (1610)، وصـــححه الألبـــاني في سلســـلة الأحـــاديث الصحيحة (1/ 64) برقم (25).

عندها ما يطعمه، والمظلوم فيُنْصَف.

## المطلب الرابع: إخبار الشاة المسمومة النبي  عن نفسها:

من دلائل نبوة محمد  أن الشاة أخبرت النبي  أنها مسمومة[1]، فإنّ يهودية[2]، أهدت شاة مسمومة للنبي ، روى ذلك أنس بن مالك قال: ((إن يهودية أتت النبي  بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها فقيل: ألا نقتلها؟ قال: لا، قال: فما زلت أعرفها في لهوات[3] رسول الله ))[4].

وقد جاء في حديث آخر أنَّ هذه الشاة هي التي أخبرت النبي  عنها، وما فيها من السم، ففي حديث أبي سعيد الخدري أنَّ النبي  قال: ((كفوا أيديكم فإن عضوًا من أعضائها يخبرني أنها مسمومة))[5]، وفي حديث أبي هريرة أن النبي  قال: ((ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة))[6].

فكانت هذه معجزة له ؛ حيث أعلم الله تعالى نبيه  أنها مسمومة، وكلام عضو منها له [7]، فهذه الشاة قد أخبرت النبي  أنها مسمومة، فنؤمن بذلك ونصدقه.

فهذه دلالة عظيمة من دلائل نبوة محمد ، أظهرها الله تعالى في هذه الشاة المسمومة فسبحان الله رب العالمين.

---

1 () انظر: دلائل النبوة للبيهقي (4/ 256-264).

2 () هي: زينب بنت الحارث اليهودية، وهي ابنة أخي مرحب اليهودي. انظر: دلائل النبوة للبيهقي (4/ 263)، والمعجم الكبير للطبراني (2/ 35) برقم (1204).

3 () اللهوات: جمع لهات، وهي: اللحمات في سقف أقصى الفم. انظر: النهاية (848) مادة (لها).

4 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الهبة، باب: قبول الهدية من المشركين (206) برقم (2617)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، باب: السم (1067) برقم (2190).

5 () أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 122) برقم (7090)، وصحح إسناده ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (8/ 523) رقم (14091): رواه البزار، ورجاله ثقات.

6 () أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الديات، باب: فيمن سقى رجلاً سمًّا، أو أطعمه فمات، أيقاد منه؟ (1554) برقم (4512)، والطبراني في المعجم الكبير (2/ 34) برقم (1202)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (3/ 855) برقم (4512): حسن صحيح.

7 () انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (14/ 179).

## المطلب الخامس: جمل جابر الذي أعيا، وما فيه من الدلائل:

من دلائل نبوة محمد  بركته ودعاؤه لجمل جابر الذي أعيا، فكان في أول الركب[1]، فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: ((غزوت مع رسول الله ، قال: فتلاحق بي النبي  وأنا على ناضح[2] لنا قد أعيا[3]، فلا يكاد يسير، فقال لي: ما لبعيرك؟ قال: قلت: أعيا، قال: فتخلف رسول الله  معي فزجره ودعا له، فما زال بين يدي الإبل قدَّامها يسير، فقال لي: كيف ترى بعيرك؟ قال: قلت بخير قد أصابته بركتك، قال أفتبيعنيه؟ قال: فاستحييت، ولم يكن لنا ناضح غيره، قال: فقلت: نعم، قال: فبعنيه، فبعته إياه على أن لي فقار[4] ظهره حتى أبلغ المدينة، قال: فقلت: يا رسول الله إني عروس، فاستأذنته، فأذن لي، فتقدمت الناس إلى المدينة حتى أتيت المدينة فلقيني خالي، فسألني عن البعير فأخبرته بما صنعت فلامني، قال: وقد كان رسول الله  قال لي حين استأذنته: هل تزوجت بكرًا أم ثيبًا؟ قلت: تزوجت ثيبًا، فقال: هلاَّ تزوجت بكرًا تلاعبها وتلاعبك؟ فقلت: يا رسول الله توفي والدي أو استشهد ولي أخوات صغار فكرهت أن أتزوج مثلهنَّ فلا تؤدبهن ولا تقوم عليهن، فتزوجت ثيبًا لتقوم عليهنّ وتؤدبهن، قال: فلما قدم رسول الله  المدينة غدوت عليه بالبعير، فأعطاني ثمنه، ورده عليه))[5].

فهذا الحديث فيه علم من أعلام النبوة، ومعجزة من

---

1 () انظر: دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني (2/ 261)، ودلائل النبوة للبيهقي (6/ 151).

2 () الناضح: يطلق على البعير أو الثور أو الحمار الذي يسقى عليه الماء. انظر: لسان العرب (2/ 619) مادة (نضح).

3 () عيَّ بالأمر إذا عجز عنه، ولم يطق إحكامه، وأعيا السيرُ البعيرَ، أي: أكلَّه. انظر: لسان العرب (15/ 111-112) مادة (عيا).

4 () فقار ظهره: أي خرزات الظهر، والمراد ركوب ظهره. انظر: النهاية في غريب الحديث (713) مادة (فقر).

5 () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد، باب: استئذان الرجل الإمام (238) برقم (2967)، ومسلم في صحيحه في كتاب المساقاة، باب: بيع البعير واستثناء ركوبه (955) برقم (715).

معجزاته ، حيث حصل الانبعاث لجمل جـابر رضـي اللـه عنـه، وإسراعه بعد إعيائه[1].

فقد بارك الله تعالى في هذا الجمل الذي كان يشتكي جـابر  من إعيائه، فأصبح ببركة دعاء النبي  أسرع من غيره، وجـاء عن جابر أنـه قـال: ((فكنت بعـد ذلـك أحبس خطامـه لأسـمع حديثه فما أقدر عليه))[2].

وقد بارك الله تعالى في جمـل جـابر رضـي اللـه عنـه؛ حيث أخبر أنه أقام عنده زمان النـبي  وأبي بكـر وعمـر، ثم أتى بـه عمر بن الخطـاب فجعلـه في إبـل الصـدقة يـرعى من أطيب المراعي[3].

وفي هذا الحـديث كـرم النـبي  حيث أعطى جـابرًا المـال، ووهبه الجمل، فضلاً منه وتكرمًا .

---

1 () انظـر: إحكـام الأحكـام شـرح عمـدة الأحكـام، ابن دقيـق العيـد، تحقيـق: أحمـد شـاكر، دار الجيـل، بـيروت، ط2،ـ 1416هـ (523)، والإعلام بفوائـد عمـدة الأحكـام، عمـر بن علي الأنصـاري المعـروف بابن الملقن، تحقيق: عبد العزيز المشيقح، دار العاصمة، الرياض، ط 1، 1421هـ، (7/ 282).

2 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [295].

3 () انظر: تاريخ مدينة دمشـق، وذكـر فضـائلها وتسـمية من حلهـا من الأماثل، علي بن الحسـن بن هبـة المعـروف بـابن عسـاكر، تحقيـق: محب الـــدين عمـــر بن غرامـــة، دار الفكـــر، بـــيروت، 1995م، (11/ 225).

## المطلب السادس: البراق وما فيه من دلائل النبوة:

من دلائل نبوة محمد  الإسراء والمعراج[1]، فقد أسري به  من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فقال تعالى:  ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ  [الإسراء: 1].

وأخبر النبي  بعروجه إلى السماء مع جبريل ، حتى صُعد به إلى السماء السابعة، ورؤيته بعض الأنبياء في كل سماء، ثم رفعت إليه سدرة المنتهى، والبيت المعمور، ثم فرضت عليه الصلوات في حديث طويل جدًّا[2].

والذي عليه جمهور العلماء أن الإسراء كان بروحه وجسده  يقظة لا منامًا[3].

يقول الإمام الطبري رحمه الله: «والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد  من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت الأخبار عن رسول الله  أن الله حمله على البراق حين أتاه به، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل، فأراه

---

1 () انظر: دلائل النبوة للبيهقي (2/ 354-365)، ودلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني (3/ 1278-1283).

2 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج (315) برقم (3887)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله  إلى السموات وفرض الصلوات (707) برقم (263) من حديث مالك بن أنس عن مالك بن صعصعة.

3 () يقول الحافظ بن حجر رحمه الله: «وقد اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة: فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي  وروحه بعد المبعث وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك؛ إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل». فتح الباري (8/ 619)، وانظر اختيار هذا القول في: تفسير القرآن للسمعاني (3/ 214)، ومعالم التنزيل (5/ 58)، والمحرر الوجيز (3/ 435)، والجامع لأحكام القرآن (10/ 214)، وتفسير القرآن العظيم (5/ 40)، وأضواء البيان (3/ 393).

ما أراه من الآيات؛ ولا معنى لقول من قال: أسري بروحه دون جسده؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن ما يوجب أن يكون دليلاً على نبوته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكرًا عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟ وبعد، فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبر أنه أسرى بروح عبده.

...والأخبار المتتابعة عن رسول الله  أنَّ الله أسرى به على دابّة يقال لها البراق؛ ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق، إذ كانت الدوابّ لا تحمل إلا الأجسام»[1].

والله  افتتح سورة الإسراء بقوله:  ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ، والعبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، والتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان منامًا لم يكن له كبير شأن حتى يُتَعجب منه، ولو كان رؤيا منام - أيضًا - لم يكن لأبي بكر الصديق فضل في تصديقه له، ولم يكن فتنة لقريش[2].

ومن الدلائل النبوية في حادثة الإسراء والمعراج الدابّة التي ركبها النبي ، وهي البراق، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّ رسول الله  قال: ((أُتيت بالبراق، وهو دابّة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء...الحديث))[3].

وسميت هذه الدابّة بهذا الاسم قيل: تشبيهًا له بالبرق لسرعته، أو لشدة صفائه وتلألئه وبريقه، وقيل: سمي بذلك لكونه أبيض[4].

والبراق قد سخره الله تعالى لمحمد  كما سخره للأنبياء

---

1 () جامع البيان (17/ 350-351).

2 () انظر: المحرر الوجيز (3/ 435)، والجامع لأحكام القرآن (10/ 214)، وأضواء البيان (3/ 391-392).

3 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله  إلى السموات وفرض الصلوات (705) برقم (162).

قبله[1]، وقد ذكر كثير من المفسرين أنَّ إبـراهيم  كـان يـركب البراق[2].

والله  أراد حمله على البراق تأنيسًـا لـه؛ لأن العـادة جـرت بأن الملك إذا استدعى من يختص به يبعث إليه بما يركبه والله أعلم[3].

فقد تجلت دلائل نبوة محمد  في الـبراق؛ حيث أظهـر الله تعالى فيه آيـات عظيمـة، منهـا: ركوبـه  دابّـة لا مثيـل لهـا من الدواب، وما اتصفت به من السرعة العالية، إذ كان هذا الـبراق يضـع حـافره عنـد منتهى طرفـه، ومشـاركة غـيره من الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام في ركوب البراق.

---

4 () انظر: شرح صحيح مسـلم للنـووي (2/ 210-211)، وفتح البـاري لابن حجر (8/ 633)، وتحفة الأحوذي (8/ 448).

1 () انظـر: فتح البـاري لابن حجـر (8/ 634)، وتحفـة الأحـوذي (8/ 448)، ويـدل لـه مـا جـاء في حـديث مسـلم السـابق، قولـه: ((فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء)).

2 () انظر: جامع البيان (3/ 61)، والمحرر الوجيز (3/ 190)، والجـامع لأحكـام القـرآن (2/ 135)، واللبـاب (2/ 489)، والبحـر المحيـط (5/ 244).

3 () انظر: فتح الباري لابن حجر (8/ 633).

## المطلب السابع: حديث (ناولني الذراع) وما فيه من دلائل نبوته ﷺ:

من دلائل نبوة محمد ﷺ ما جاء في ذراع الشاة[1]، فعن أبي هريرةؓ قال: ((ذبحت لرسول الله ﷺ شاة، فقال: ناولني الذراع، فناولته، ثم قال: ناولني الذراع فناولته الذراع، ثم قال: ناولني الذراع، فقلت: يا رسول الله إنما للشاة ذراعان، قال: أما إنك لو ابتغيته لوجدته))[2].

وعن أبي رافع[3]ؓ قال: ((صنع لرسول الله ﷺ شاة مصلية[4]، فأتي بها، فقال لي: يا أبا رافع ناولني الذراع، فناولته، فقال: يا أبا رافع ناولني الذراع، فناولته، ثم قال: يا أبا رافع ناولني الذراع، فقلت: يا رسول الله، وهل للشاة إلا ذراعان؟ فقال لو سكت لناولتني منها ما دعوت به. قال: وكان رسول الله ﷺ يعجبه الذراع))[5].

وعن أبي عبيد[6] رضي الله عنه: ((أنه طَبَخَ للنبي ﷺ قدرًا،

---

1 () انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (2/ 260)، ودلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني (3/ 883)، وكتاب الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د. عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط2، 1420هـ، (4/ 1580).

2 () أخرجه أحمد في مسنده (2/ 517)، وابن حبان في صحيحه (14/ 403) برقم (6484)، وحسن إسناده محققه شعيب الأرناؤوط، والنسائي في السنن الكبرى (4/ 154) برقم (6659)، والبزار في البحر الزخار (15/ 88) برقم (8345).

3 () هو: أبو رافع، أسلم القبطي، مولى رسول الله ﷺ، كان مولى للعباس رضي الله عنه، فوهبه للنبي ﷺ فأعتقه لما بشره بإسلام العباس، شهد أحدًا وما بعدها، روى عن النبي ﷺ وابن مسعود، وروى عنه: أولاده وأبو سعيد المقبري، توفي قبل عثمان رضي الله بيسير، وقيل: في خلافة علي رضي الله عنه. انظر: الإصابة (7/ 134).

4 () مصليَّة: أي مشوية. انظر: النهاية في غريب الحديث (525) مادة (صلا).

5 () أخرجه أحمد في مسنده (6/ 8)، والطبراني في المعجم الكبير (1/ 324) برقم (964)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (8/ 546) رقم (14134): رواه أحمد والطبراني وأحد إسنادي أحمد حسن. وقال في (8/ 547) رقم (14135): رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

6 () هو: أبو عبيد مولى رسول الله ﷺ، لا يعرف اسمه، من أصحاب النبي ﷺ وكان يطبخ له، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه شهر بن

فقال له: ناولني الذراع، وكان يعجبه الذراع، فناولـه الـذراع، ثم قال: ناولني الذراع، فناوله، ثم قـال: نـاولني الـذراع، فقلت: يـا نبي الله وكم للشاة من ذراع؟ فقال: والذي نفسي بيده أن لــو سكت لأعطيت أذرعًا ما دعوت به))[1].

يقول الإمام أبو نعيم الأصبهاني[2] رحمه الله مبينًا دلالة هـذه على دلائـل النبـوة: «ووجـه الدلالـة من هـذه الأخبـار إعلامـه  فضيلته بأن الله تعـالى يعطيـه إذا سـأل مـا لم تجـر العـادة بـه تفضيلاً له، وتخصيصًا؛ ليكون ذلك آيـة لـه في نفسـه ورفعـة لـه في مرتبته، وإبانة لـه في الكرامـة عن الخليقـة، أن لـو التمس أذرعًا لكان الله تعالى يجيبه إلى مسألته»[3].

ففي هذه النصوص آية من آيـات النـبي ؛ حيث أخـبر عليـه الصلاة والسلام أن الله تعالى يخلق في هذه الشـاة ذراعًـا بعـد ذراع، كلَّ ما طلب منها معجزة له عليه الصلاة والسلام[4].

---

حوشب. انظر: الاستيعاب (4/ 1709)، والإصابة (7/ 269)، وتهذيب الكمال (34/ 53).

1 () أخرجـه أحمـد في مسـنده (3/ 484)، والـدارمي في سـننه، في المقدمة، باب ما أكرم به النبي  في بركة طعامـه (1/ 35) بـرقم (44)، وقـال محققـه حسـين سـليم: إسـناده حسـن، والترمـذي في الشمائل المحمديـة والخصـائص المصـطفوية، تحقيـق: سـيد عبـاس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1412هـ (141) بـرقم (170)، وصـححه الألبـاني في مختصـر الشـمائل المحمديـة، المكتبـة الإسلامية، عمان، (96) برقم (143).

2 () هـو: أبـو نعيم، الحافـظ الكبـير، أحمـد بن عبـد اللـه بن أحمـد الأصـبهاني، ولـد سـنة 336هـ سمع من خلق، منهم: أبو القاسم الطبراني، والآجري، وسمع منه خلق، منهم: الحافـظ الخطيب، وأبـو صالح المـؤذن، لـه مصـنفات مشـهورة، منهـا دلائـل النبـوة ومعرفـة الصحابة، توفي سنة 430هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (3/ 195-198).

3 () دلائل النبوة (2/ 261).

4 () انظر: مرقاة المفاتيح (2/ 43).

## المطلب الثامن: دلائل النبوة من حادثة فرس سراقة بن مالك في الهجرة:

من دلائل نبوة محمد  ما أصاب فرس سراقة بن مالك[1] في الهجرة بسبب دعاء النبي  عليه[2].

فحين خرج رسول الله  ومعه أبو بكر للهجرة جعلت قريش دية كل واحد منهما من قتله أو أسره مائة ناقة، فسمع سراقة رجلاً يقول إني وجدت آنفًا أسْوِدة بالساحل أراها محمدًا وأصحابه، قال سراقة، فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا، انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم[3].

ثم إنَّ سراقة ركب فرسه في طلب الرسول ، وأبي بكر رضي الله عنه، فلما وصل قريبًا منهما دعا عليه النبي  فكفاهما الله تعالى شره، فعن البراء بن عازب قال: ((لما أقبل النبي  إلى المدينة تبعه سراقة بن مالك بن جشم، فدعا عليه النبي  فساخت[4] به فرسه، قال: ادع الله لي ولا أضرك، فدعا له...الحديث))[5].

---

1 () هو: أبو سفيان، سراقة بن مالك بن جعشم، المدلجي، الكناني، روى عنه من الصحابة ابن عباس وجابر، وروى عنه سعيد بن المسيب - أيضًا - أخبره النبي  أنه سوف يلبس سواري كسرى، فلبسهما في خلافة عمر رضي الله عنه، كان شاعرًا، توفي سنة 24هـ انظر: الاستيعاب (2/ 581-582)، وأسد الغابة (2/ 395-397).

2 () انظر: دلائل النبوة للبيهقي (2/ 483-490)، ودلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني (2/ 548).

3 () انظر: صحيح البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي  وأصحابه إلى المدينة (318) برقم (3906) من حديث سراقة، والسيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت، 1411هـ، (3/ 15-16)، والبداية والنهاية (3/ 226).

4 () ساخت: أي غاصت في الأرض. انظر: النهاية في غريب الحديث (451) مادة (سوخ).

5 () أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي  وأصحابه إلى المدينة (319) برقم (3908)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الأشربة، باب: جواز شرب اللبن (1037) برقم (2009).

ففي هذا الحديث معجزة ظاهرة للنبي [1]، حيث أجاب الله دعاءه وساخت يدا الفرس في الأرض، ولم تستطع الوصول إليهما.

فلقد حمى الله تعالى نبيه  وصاحبه، وصار هذا الصحابي الذي لحق بهما يريد قتلهما أو أسرهما مدافعًا عنهما لا يلقى أحدًا إلا قال له: كفيتكم ما هنا، فلا يلقى أحدًا إلا رده[2].

وكان سراقة كما قال أنس رضي الله عنه: كان أول النهار جاهدًا على نبي الله ، وكان آخر النهار مسلحة له[3][4].

---

1 () انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (13/ 180)، (18/ 150)، وفتح الباري لابن حجر (8/ 293).

2 () انظر: صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب في حديث الهجرة (1199) برقم (2009).

3 () مسلحة له أي: حارسًا له بسلاحه. انظر: فتح الباري لابن حجر (8/ 690).

4 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي  وأصحابه إلى المدينة (319) برقم (3911)، ضمن حديث طويل عن هجرته  وأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

## المطلب التاسع: عناق جابر في غزوة الخندق التي دعا إليها النبي  أصحابه وما فيها من دلائل نبوته:

من دلائل نبوة محمد  البركة التي أنزلها الله تعالى في طعام جابر الذي دعا إليه النبيَّ [1]، وقد دعا إليه النبيُّ  أهلَ الخندق، وكان من هذا الطعام الذي أنزل الله فيه البركة عناقًا[2]، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: ((لما حُفر الخندق رأيت بالنبي  خَمَصًا[3] شديدًا، فانكفيت[4] إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله  خَمَصًا شديدًا، فأخرَجَت إليَّ جرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة[5] داجن[6] فذبحتُها، وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغي وقطعتها في بُرمتها[7] ثم وليت إلى رسول الله ، فقالت: لا تفضحني برسول الله  وبمن معه، فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله ذبحنا بُهيمة لنا وطحنَّا صاعًا من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي ، فقال: يا أهل الخندق: إن جابرًا قد صنع سُورًا[8] فحيهلا بكم[9]، فقال رسول الله  لا تُنزلنَّ برمتكم، ولا تخْبِزُنَّ عجينكم حتى أجيءَ، فجئت وجاء

---

1 () انظر: دلائل النبوة للبيهقي (3/ 415-416)، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (2/ 250).

2 () انظر: أعلام الحديث (3/ 1722)، وجاء مصرحًا بها في حديث جابر رضي الله في صحيح البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (336) برقم (4101).

3 () الخَمَص: ضمور البطن من الجوع. انظر: المرجع السابق..

4 () انكفيت: أي انقلبت. انظر: المفهم (5/ 308).

5 () بُهيمة: تصغير البُهمة، وهي الصغيرة من أولاد الغنم، وقد ذكر أنها كانت عناقًا. انظر: أعلام الحديث (3/ 1722).

6 () الداجن: هي ما ألف البيوت ولا يخرج إلى المرعى. انظر: أعلام الحديث (3/ 1722)، وشرح صحيح مسلم للنووي (13/ 216).

7 () البرمة: هي القدر مطلقًا، وهي في الأصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن. انظر: النهاية في غريب الحديث (74) مادة (برم).

8 () السور: هو الطعام الذي يدعى إليه بلغة الفرس. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (13/ 216).

9 () حيهلا بكم، أي: أقبلوا وهلمُّوا. انظر: المفهم (5/ 308).

رسول الله  يقدم الناس، حتى جئت امرأتي فقالت: بك وبك[1]، فقلت: قد فعلت الذي قلتِ، فأخرجتُ له عجينًا فبصق فيه وبارك[2]، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: ادعُ خابزةً فلتخبز معكِ، واقدحي[3] من برمتكم ولا تنزلوها، وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإنّ برمتنا لتغطُّ[4] كما هي، وإن عجيننا ليُخبز كما هو))[5].

ففي هذا الحديث علم من أعلام نبوته ؛ حيث دعا بالبركة، فاستجاب الله تعالى له على الفور، وظهرت هذه الآية العظيمة، فصار هذا الطعام الذي لا يكفي في العادة إلاّ للعدد القليل يستكثر، فيكفي ألفًا وزيادة، ثم بقي الطعام على حاله، كما كان أول مرة، فلو كان عددهم مائة ألف لكفاهم[6].

يقول الإمام الخطابي رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث: «وكان نبي الله قد عوده الله تعالى أن يبارك له في الطعام القليل فيكثر، فجعل أكثر أسباب معجزاته ما يتجلى للبصائر على التدبر والتأمل دون ما يتكشف للأبصار ويتراءى للعيان على ما جرت به عادة الأمم المتقدمة التي سبق لها من الله تعالى القضاء لها بالإهلاك، كقوم صالح حين أُخرجت لهم الناقة من الصخرة ونحوها من الآيات رفقًا من الله تعالى بهذه الأمة، وحفظًا لنبيه فيها، وذلك لما أعطوه من وفارة العقول وزيادة الأفهام، فهي الأمة المرحومة، والله بعباده رؤوف رحيم»[7].

وهكذا تجلى هذا الدليل من دلائل نبوته  في بعض الحيوان، وهي هذه العناق الصغيرة التي أطعم الله بها خلقًا كثيرًا.

---

1 () أي: ذمته ودعت عليه، وقيل: أي جرى هذا برأيك وسوء نظرك. انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (13/ 217).

2 () أي: دعا بالبركة. انظر: المفهم (5/ 309).

3 () اقدحي من برمتكم، أي: اغرفي. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (13/ 217).

4 () لتغط، أي: أنها ممتلئة تفور، فيسمع لها غطيط. انظر: أعلام الحديث (3/ 1722).

5 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (336) برقم (2102)، ومسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى داره من يثق برضاه بذلك (1041) برقم (2039).

6 () انظر: المفهم (5/ 309)، وشرح صحيح مسلم (3/ 217).

7 () أعلام الحديث (3/ 1227).

## المطلب العاشر: دلائل نبوته  التي تجلت في ظهور حليب الغنم في غير وقته في عدة وقائع:

من دلائل نبوة محمد  ظهور الحليب في بعض الغنم في غير وقته في عدة وقائع[1]، فقد تكررت حوادث كثيرة تكون فيها هذه الغنم خالية من الحليب، فيبارك الله تعالى فيها فيظهر الحليب في غير وقته إكرامًا لنبيه ، وإظهارًا لبعض دلائل نبوته، فمن هذه الوقائع:

1- عن المقداد رضي الله عنه[2]، قال: ((أقبلت أنا وصاحبان لي، وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجَهد، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ، فليس أحد منهم يقبلنا، فأتينا النبي ، فانطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثة أعنز، فقال النبي : احتلبوا هذا اللبن بيننا، قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه، ونرفع للنبي  نصيبه، قال: فيجيء من الليل فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا، ويسمع اليقظان، قال: ثم يأتي المسجد فيصلي، ثم يأتي شرابه فيشرب، فأتاني الشيطان ذات ليلة، وقد شربت نصيبي، فقال: محمد يأتي الأنصار فيتحفونه، ويصيب عندهم ما به حاجة إلى هذه الجُرْعة[3]، فأتيتها فشربتها، فلما أن وغلت في بطني[4]، وعلمت أنه ليس إليها سبيل، قال: ندَّمني الشيطان، فقال: ويحك ما صنعت؟ أشربت شراب محمد ؟ فيجيء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك، فتذهب دنياك وآخرتك، وعليّ شملة[5]، إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي، فإذا وضعتها على رأسي

---

1 () انظر: دلائل النبوة للبيهقي (6/ 84-86)، ودلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني (4/ 1212-1220).

2 () هو: أبو الأسود، المقداد بن عمرو الكندي، ويقال له: المقداد بن الأسود؛ لأنه حالف الأسود بن عبد يغوث فتبناه، ثم رجع اسمه: المقداد بن عمرو عندما نهي عن التبني، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، روى عنه علي وأنس وغيرهم، توفي سنة 33هـ. انظر: الإصابة (6/ 202-204).

3 () الجُرْعة: هي الاسم من الشرب اليسير. انظر: النهاية في غريب الحديث (148) مادة (جرع).

4 () غلت في بطني: أي دخلت وتمكنت منه، انظر: شرح صحيح مسلم (14/ 14).

5 () الشملة: كساء صغير يلتحف به. انظر: المفهم (5/ 333).

خرج قدماي، وجعل لا يجيئني النوم، وأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت، قال: فجاء النبي ، فسلم كما كان يسلم، ثم رقى المسجد فصلى، ثم أتى شرابه، فكشف عنه فلم يجد فيه شيئًا، فرفع رأسه إلى السماء، فقلت: الآن يدعو عليَّ فأهلك، فقال: اللهم أطعم من أطعمني، واسق من سقاني، قال: فعمدت إلى الشملة فشددتها عليَّ، وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيهما أسمن فأذبحها لرسول الله ، فإذا هي حافل[1]، وإذا هنَّ حُفَّل كلهنَّ، فعمدت إلى إناء لآل محمد  ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، قال: فحلبت فيه حتى علته رَغْوة[2]، فجئت إلى رسول الله ، فقال: أشربتم شرابكم الليلة؟ قال: قلت: يا رسول الله اشرب، فشرب ثم ناولني، فقلت: يا رسول الله اشرب، فشرب ثم ناولني، فلما عرفت أن النبي  قد روي، وأصبت دعوته، ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض، قال: فقال النبي : إحدى سوءاتك يا مقداد، فقلت: يا رسول الله كان من أمري كذا وكذا وفعلت كذا، فقال النبي : ما هذه إلا رحمة من الله ، أفلا كنت آذنتني فنوقظ صاحبيك، فيصيبان منها، قال: فقلت: والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتَها وأصبتُها معك من أصابها من الناس))[3].

وقد ذكر النووي رحمه الله أن في ظهور الحليب في هذه الأعنز معجزة من معجزات النبوة وآثار بركته [4].

2- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: ((كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبي مُعيط، فمر بي رسول الله ، وأبو بكر، فقال: يا غلام هل من لبن؟ قال: قلت: نعم ولكني مؤتمن، قال: فهل من شاة لم ينز عليها الفحل، فأتيته بشاة، فمسح ضرعها، فنزل لبن فحلبه في إناء، فشرب، وسقى أبا بكر،

1 () حافل، أي: ممتلئة الضروع باللبن. انظر: المرجع السابق.
2 () الرَّغوة هي: زبدة اللبن الذي يعلوه. انظر: شرح صحيح مسلم (14/ 15).
3 () أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره (1045) برقم (2055).
4 () انظر: شرح صحيح مسلم (14/ 15).

ثم قـال للضـرع: اقلص[5]، فقلص، قـال: ثم أتيتـه بعـد هـذا، فقلت: يا رسول الله علمـني من هـذا القـول، قـال: فمسـح رأسي، وقال: يرحمك الله، فإنَّك غليِّم معلَّم))[2].

3- عن قيس بن النعمان[3] قال: ((لما انطلق النبي  وأبو بكر مسـتخفين مـرّا بعبـد يـرعى غنمًـا، فاستسـقياه من اللبن، فقال: ما عندي شاة تحلب غير أنَّ هـا هنـا عناقًـا حملت أول الشتاء، فـدعا بهـا فاعتقلهـا النـبي ، ومسـح ضـرعها، ودعـا حتى أنزلت قال: وجاء أبو بكر بمجن[4]، فحلب، فسقى أبـو بكـر، ثم حلب فسـقى الـراعي، ثم حلب فشـرب، فقـال الـراعي: باللـه من أنت فواللـه مـا رأيت مثلـك قـط؟ قـال أوتراك تكتم عليَّ حتى أخبرك؟ قال: نعم، قال: فإني محمـد رسول الله، فقال: أنت الذي تزعم قريش أنه صـابئ؟ قـال: إنهم ليقولون ذلك، قال: فأشهد أنك نبي، وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي، وأنا متبعك، قال: إنـك لا تستطيع ذلك يومك هذا، فإذا بلغك أني قد ظهرت فائتنـا))[5].

فقد دلت هذه النصوص على علم من أعلام نبوته ، وهو ما

1 () قلص، أي: ارتفع وذهب. انظر: النهاية في غـريب الحـديث (768) مادة (قلص).

2 () أخرجـه أحمـد في مسـنده (1/ 379)، والطـبراني في المعجم الكبـير (9/ 78) بـرقم (8455)، وابن حبـان في صـحيحه في كتـاب التاريخ، باب المعجزات (14/ 432) برقم (6504)، وحسنه محققـه: شعيب الأرناؤوط، وحسن إسناده الألباني في صحيح السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية، عمّان، ط1، 1421هـ، (124).

3 () هو: قيس بن النعمان السكوني، ويقـال العبسـي، يقـال: إنـه قـرأ القرآن على عهد رسول الله ، وأحصاه على عهـد عمـر، روى عنـه: أيـاد بن لقيـط وزيـد بن علي أبي القمـوص. انظـر: الاسـتيعاب (3/ 1301)، وأسد الغابة (4/ 476).

4 () المجن: هـو الـترس، والميم زائـدة؛ لأنـه من الجُنـة، أي: السـترة. انظر: النهاية في غريب الحديث (858) مادة (مجن).

5 () أخرجـه الحـاكم في مسـتدركه (3/ 9) بـرقم (4273)، وصـححه ووافقه الـذهبي، والطـبراني في المعجم الكبـير (18/ 343) بـرقم (874)، وقال ابن حجر عنـه في الإصـابة (5/ 55): أخرجـه الطـبراني بسـند حسـن، وقـال الهيثمي في مجمـع الزوائـد (8/ 549) بـرقم (14140): رواه الطبراني ورجاله، رجال الصحيح.

أعطاه الله تعالى من البركة في الطعـام والشـراب، وفي هـذه النصوص تجلت هذه البركـة في الغنم الـتي ظهـر فيهـا الحليب في غير وقتـه بسـبب دعـاء النـبي ، وبركتـه وهي واحـدة، من آيات كثيرة ظهرت فيها بركة الطعام، والشراب له .

## المطلب الحادي عشر: ركوب النبي  فرس أبي طلحة عند فزع الناس، وما فيه من دلائل النبوة:

من دلائل نبوة محمد  ما حدث لفرس أبي طلحة التي كانت بطيئة، فأصبحت بعد ركوب النبي  لها لا تُسْبَقُ[1]، فعن أنس بن مالك قال: ((فزع الناس، فركب رسول الله  فرسًا لأبي طلحة بطيئًا، ثم خرج يركض وحده، فركب الناس يركضون خلفه، فقال: لم تراعوا[2]، إنه لبحرٌ[3]، فما سُبِقَ بعد ذلك اليوم))[4].

يقول النووي رحمه الله مبينًا ما اشتمل عليه هذا الحديث من بيان لعظيم بركته  وهذه الآية التي ظهرت على يديه : «وفيه بيان عظيم بركته، ومعجزته في انقلاب الفرس سريعًا بعد أن كان بطيئا، وهو معنى قوله  وجدناه بحرًا»[5].

---

1 () انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (2/ 262)، ودلائل النبوة للبيهقي (6/ 152-153)، ودلائل النبوة لأبي القاسم الأصبهاني (3/ 926-929)، والجواب الصحيح (3/ 385).

2 () لم تراعوا، أي: لا تخافوا. انظر: أعلام الحديث (2/ 1399).

3 () إنه لبحر، أي: جواد واسع الجري، كماء البحر، أو كأنه يسيح في جريه، كما يسيح ماء البحر إذا ركب بعض أمواجه بعضًا. انظر: المرجع السابق.

4 () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد، باب: السرعة والركض في الفزع (239) برقم (2969)، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، باب شجاعته (1085)  برقم (2307).

5 () انظر: شرح صحيح مسلم (15/ 68).

## المطلب الثاني عشر: دلائل نبوته  في ناقته عند قدومه المدينة، وقوله: (دعوها فإنها مأمورة):

من دلائل نبوة محمد  ما جاء في دخوله المدينة وأمره أصحابه أن يخلوا ناقته في سيرها[1]، وذلك في هجرته  حين مكث أيامًا في قباء، فلما دخل المدينة جعل الأنصار يتطلعون إلى استضافة الرسول ، فكلما مرّ بأحدهم دعاه للنزول عنده، فكان النبي  يأمرهم بأن يتركوا الناقة تسير حيث أمرها الله تعالى حتى بركت في مكان مسجده اليوم[2]، فعن عبد الله بن الزبير[3] رضي الله عنه: ((أن رسول الله  قدم المدينة فاستناخت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي[4]، ودار الحسن بن زيد[5][6]، فأتاه الناس، فقالوا: يا رسول الله المنزل، فانبعثت به راحلته، فقال: دعوها فإنها مأمورة، ثم

---

1 () انظر: دلائل النبوة للبيهقي (2/ 501-510)، ودلائل النبوة لسعيد باشنفر (2/ 570).

2 () انظر: السيرة النبوية لابن هشام (3/ 23)، وزاد المعاد (3/ 58-59)، والبداية والنهاية (3/ 342-348)، وسبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الشامي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ، (3/ 217-273).

3 () هو: عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد، القرشي، الأسدي، أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، أول مولود في الهجرة، وحفظ عن النبي  وهو صغير، روى عنه أخوه عروة وعطاء وطاووس وغيرهم، بُويع بالخلافة سنة 64هـ أحد العبادلة، مشهور بالشجاعة والعبادة، قتله الحجاج بمكة سنة 73هـ انظر: الاستيعاب (3/ 905-910)، والإصابة (4/ 89-94).

4 () هو: أبو عبد الله، جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، من سادات أهل البيت علمًا وفضلاً وفقهًا، حدث عن أبيه وجده القاسم بن محمد، وحدث عنه: مالك وسفيان الثوري، وخلق، توفي سنة 148هـ انظر: الثقات (6/ 131-132)، وتذكرة الحفاظ (1/ 125-126).

5 () هو: أبو محمد، الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان شيخ بني هاشم في زمانه، روى عن أبيه وعكرمة وغيرهما، وروى عنه مالك وابن إسحاق، وأهل المدينة، ولي إمرة المدينة للمنصور، توفي سنة 168هـ انظر: الثقات (6/ 160)، وميزان الاعتدال (2/ 239)، وتقريب التهذيب (204).

خرجت حتى جاءت به باب أبي أيوب الأنصاري[1]، فاستناخت به، فأتاه الناس فقالوا: يا رسول الله المنزل، فانبعثت به راحلته، فقال: دعوها فإنها مأمورة، ثم خرجت به حتى جاءت به موضع المنبر، فاستناخت به، ثم تحلّلت[2] وللناس ثمَّ عريش[3] كانوا يرشونه ويعمرونه، ويتبردون فيه، فنزل رسول الله  عن راحلته، فأوى إلى الظل، فنزل فيه، وأتاه أبو أيوب فقال: يا رسول الله إن منزلي أقرب المنازل إليك، فانقل رحلك إليَّ، فقال: نعم، فذهب برحله إلى المنزل، ثم أتاه رجل آخر، فقال: يا رسول الله انزل عليَّ، فقال: إن الرجل مع رحله حيث كان، وثبت رسول الله  في العريش حتى صلى بالناس فيه ثنتي عشرة ليلة))[4].

---

6 () هذا الكلام من الراوي عن عبد الله بن الزبير وهو حفيده: صِدِّيق بن موسى بن عبد الله بن الزبير.

1 () هو: أبو أيوب، خالد بن زيد بن كليب، الأنصاري، النجاري، شهد العقبة وبدرًا وسائر المشاهد، نزل عنده رسول الله  حين قدم المدينة، كان مع علي بن أبي طالب  في حروبه كلها، روى عن النبي  وأبي بن كعب، وحدث عنه: البراء بن عازب وابن عباس وجابر وجماعة من الصحابة والتابعين، توفي في غزوة القسطنطينية، سنة 52هـ انظر: الاستيعاب (2/ 424-426)، والإصابة (2/ 234).

2 () يقال: تحلحل إذا تحرك وذهب عن مكانه وزال عنه. انظر: تاج العروس (28/ 335-336) مادة (حلل).

3 () العريش: هو كل بناء يستظل به، ويطلق - أيضًا - العريش على الحظيرة التي تسوى للماشية، تكفها من البرد، ويصنع العريش من جريد النخل. انظر: مقاييس اللغة (4/ 265) مادة (عرش)، وتاج العروس (17/ 256-261) مادة (ع ر ش).

4 () سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور الخرساني، حققه وعلق عليه: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، (2/ 347) برقم (2978)، والطبراني في المعجم الأوسط (4/ 35) برقم (3544)، والبيهقي في دلائل النبوة (2/ 509)، والحديث قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (6/ 79) رقم (9924): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه صديق بن موسى قال الذهبي: ليس بالحجة»، والقصة مشهورة في كتب السيرة، وفي السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1416هـ (2/ 219)، ذكر المؤلف أن الحديث يرتقي إلى الحسن

وجاء في الحديث أن الناقة بركت في موضع مسجده اليوم، وكان مِربدًا[1] لغلامين يتيمين من بني النجـار، فابتاعـه النـبي ﷺ منهما، وبنى فيه مسجده[2].

وفي هذه القصة من دلائل نبوته ﷺ ما يأتي:

**أولاً:** أنَّ النبي ﷺ أخـبر عن هـذه الناقـة بأنهـا مـأمورة، فهي تسير إلى مكان قدره الله تعـالى لهـا، ليكـون هـذا الموضـع لـه شـأن عظيم في الإسـلام، فلم يكن النـبي ﷺ ولا غـيره من الصحابة ليختـار المكـان الـذي تـبرك فيـه، ولهـذا اختـارت هـذه الناقة مكان مسجد النبي ﷺ اليوم، الذي صـار ثـاني مسـجد في الإسلام في الفضل والشرف بعد المسـجد الحـرام، فـدلَّ ذلـك على أنَّ هذا المكان بتقديرٍ وأمر من الله تعالى وحده، وهذا مـا جعله ﷺ يأمر الأنصار بأن يخلوا سبيل الناقة، حتى لا يكونَ لأحـد مشاركة في اختيار هذا المكان الذي أراده الله تعالى.

**ثانيًا:** ما ذكره الإمام ابن القيم رحمه اللـه أنَّ بـروك الناقـة في هذا المكان من توفيق الله لها؛ لأن النبي ﷺ أحب أن ينـزل على أخواله بـني النجـار يكـرمهم بـذلك، فكـان نزولـه في بـني النجار أخواله ﷺ[3].

---

لغيره.

[1] () المِربد: هو الموضع الذي يجفف فيه التمر. انظر: فتح البـاري لابن حجر (8/ 695).

[2] () أخرجه البخاري في صـحيحه، كتـاب منـاقب الأنصـار، بـاب هجـرة النـبي ﷺ وأصـحابه إلى المدينـة (318) بـرقم (3906) من حـديث سراقة بن جعشم.

[3] () انظر: زاد المعاد (3/ 59).

## المطلب الثالث عشر: تسابق البدن إلى النبي  في حجة الوداع بأيتهنّ يبدأ:

من دلائل نبوة محمد  ما حدث لبعض البَدَنَات[1] عندما قربن للنبي  يوم النحر، فجعلن يتسابقن إليه، لينحرهنَّ [2]، فعن عبد الله بن قُرط[3] رضي الله عن النبي  قال: ((إنّ أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القرِّ، قال عيسى[4]: قال ثور[5]: وهو اليوم الثاني، وقال: وقُرِّب لرسول الله  بدنات خمس أو ست، فطفقنَ[6] يزدلفن[7] إليه بأيتهنّ يبدأ، فلما وجبت جنوبها[8] قال: فتكلم بكلمة لم أفهمها، فقلت: ما قال؟ قال: من شاء اقتطع))[9].

1 () البدنات جمع بدنة، وهي: تقال للجمل والناقة والبقرة، وهي بالإبل أشبه، وسميت بدنة لعظمها وسمنها. انظر: النهاية في غريب الحديث (68) مادة (بدن).

2 () انظر: خلاصة سير سيد البشر، عبد الله بن حمد الطبري، تحقيق: طلال الرفاعي، مكتبة الباز، مكة المكرمة، 1418هـ (113)، والخصائص الكبرى، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ (61)، وسبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (9/ 525).

3 () هو: عبد الله بن قرط، الأزدي، الثمالي، له صحبة، كان أميرًا لأبي عبيدة رضي الله عنه، وقد استعمله أبو عبيدة على حمص في عهد عمر رضي الله عنه، روى عنه عمرو بن قيس السكوني، ومسلم بن عبد الله الأزدي، استشهد بأرض الروم سنة 56هـ. انظر: الاستيعاب (3/ 978)، والإصابة (4/ 209).

4 () هو: أبو عمرو، عيسى بن يونس بن أبي إسحاق، السبيعي، الهمداني، من أهل الكوفة، روى عن إسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وروى عنه حماد بن سلمة وابن المديني، كان متقنًا، من الأعلام في الحفظ والعبادة، يحج سنة ويغزو سنة، مات سنة 187هـ. انظر: الثقات (7/ 238)، والكاشف (2/ 319).

5 () هو: أبو خالد، ثور بن يزيد، الكلاعي، الحمصي، حدث عن خالد بن معدان، وعطاء بن راشد، وخلق، وحدث عنه عيسى بن يونس وسفيان بن عيينة، وخلف، كان حافظاً ثبتًا، وكان قدريًّا، توفي سنة 153هـ. انظر: الثقات (6/ 129)، وتذكرة الحفاظ (1/ 132).

6 () طفق، أي: أخذ بالفعل وجعل يقبل. انظر: النهاية في غريب الحديث (565) مادة (طفق).

7 () يزدلفن: أي يقتربن. انظر: معالم السنن (2/ 157).

8 () وجبت جنوبها، أي: زهقت أنفسها، فسقطت على جنوبها. انظر: المرجع السابق.

9 () أخرجه أحمد في مسنده (4/ 350)، وأبو داود في سننه في كتاب المناسك، باب: الهدي إذا عطب قبل أن يبلغ (1354) برقم (1765)، واللفظ له، والبيهقي في السنن الكبرى (5/ 237) برقم (

ففي هذا الحديث علم من أعلام نبوته  وآيـة جليلة[1]؛ حيث رأى الصحابة هذه البـدنات الـتي تستعصـي عنـد نحرهـا، إذ هي في هـذا اليـوم تتسـابق يـردن التـبرك بيـد رسـول اللـه  في نحرهن.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فقرب منهنّ إليـه خمس بدنات رَسَلاً[2]، وكان ذلك الرَّسَل يبادرن ويتقربنّ إليه ليبدأ بكل واحدة منهن»[3].

9994)، والحاكم في مستدركه (4/ 246) بـرقم (7522)، وصـححه ووافقــه الــذهبي، وصــححه الألبــاني في صــحيح ســنن أبي داود (1/ 331) برقم (1765).

1 () انظر: مرقاة المفاتيح (5/ 549).

2 () الرَسَـل، هي: القطيـع من كـل شـيء. انظـر: لسـان العـرب (11/ 281) مادة (رسل).

3 () زاد المعاد (2/ 261).

## المطلب الرابع عشر: أدب الوحش عند قدوم النبي  وانصرافه:

من دلائل نبوة محمد  ما كان من الوحش الذي في بيته عليه الصلاة والسلام؛ حيث كان يقبل ويدبر، فإذا أحس برسول الله  تأدب معه[1]، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: ((كان لآل رسول الله  وحش[2]، فكان إذا خرج رسول الله  اشتد ولعب في البيت، فإذا دخل رسول الله  سكن فلم يتحرك، كراهية أن يؤذيه))[3].

وفي رواية قالت: ((فإذا أحس برسول الله  قد دخل ربض[4]، فلم يترمرم[5] ما دام رسول الله  في البيت كراهية أن يؤذيه))[6].

فقد دلَّ هذا الحديث على علم من أعلام نبوته ، حيث ظهرت هذه الآية في هذا الوحش الذي كان يتغير حاله عند قدوم النبي ، ويتأدب في حضوره؛ إذ كان يكره ما فيه أذية للنبي ، وقد كان هذا الوحش كغيره من الحيوان في معرفتها للنبي ، هذه المعرفة التي أخبر عنها النبي  بقوله: ((إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا

---

1 () انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (2/ 226)، ودلائل النبوة للبيهقي (6/ 31-33)، والجواب الصحيح (3/ 383).

2 () الوحش هو: كل شيء من دواب البر مما لا يُستأنس. انظر: لسان العرب (3/ 368) مادة (وحش).

3 () أخرجه أحمد في مسنده (6/ 209)، وأبو يعلى في مسنده (8/ 121) برقم (4660)، وقال محققه حسين سليم أسد: رجاله رجال الصحيح، والطبراني في المعجم الأوسط (6/ 348) برقم (6591)، وقال ابن كثير عنه في البداية والنهاية (6/ 162): وهذا الإسناد على شرط الصحيح ولم يخرجوه، وهو حديث مشهور، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (8/ 555) برقم (14152): رجال أحمد رجال الصحيح، وصحح إسناده العيني في عمدة القاري (10/ 230).

4 () ربض: أي لصق بالمكان، وأقام ملازمًا له. انظر: النهاية في غريب الحديث (340) مادة (ربض).

5 () لم يترمرم، أي: لم يتحرك، ولم يبرح مكانه. انظر: غريب الحديث، للخطابي (1/ 358).

6 () مسند أحمد (6/ 112، 150).

عاصي الجن والإنس))[7].

[7] () سبق تخريجه في الصفحة رقم [91].

## المطلب الخامس عشر: حادثة الفيل وما فيهـا من دلائل النبوة:

من دلائل نبوة محمد ﷺ حادثة الفيل[1]، تلك الحادثة التي ولد رسـول اللـه ﷺ - على الصـحيح - في العـام نفسـه الـذي وقعت فيه[2].

وقد ذكر اللـه تعـالى في كتابـه الكـريم مـا حصـل لأصـحاب الفيل في سورة سميت باسم الفيل، فقال سبحانه: ﴿ڑ ک ڪ ڬ ڭ ڮ گ ڰ ڱ ڲ ڳ ڴ ڵ ڶ ڷ ڸ ڹ ں ڻ ڼ ڽ ﴾ [الفيل: 1-5].

وفي كتب السـير والتـاريخ جـاءت هـذه الحادثـة مطولـة وبروايات عديدة، وملخص هذه الحادثة:

أن أبرهة الحبشي بنى كنسـية يقـال لهـا القُلَّيس، وتفنن في بنائها، ليصـرف النـاس عن الكعبـة، فغضـب رجـل من العـرب، فذهب إليها وأحدث فيها، فغضـب عنـد ذلـك أبرهـة وعـزم على هـدم الكعبـة، ثم سـار وخـرج معـه بالفيـل، وقيـل: إنَّ اسـمه (محمود)، وهو كبير الفيلـة، وقيـل: كـان معـه ثلاثـة عشـر فيلاً، وقيـل ثمانيـة، فخـرج إليـه في الطريـق بعض العـرب يريـدون الدفاع عن الـبيت فهـزمهم، حـتى وصـل إلى المُغمَّس[3] جلس فيـه وبعث بعوثـه إلى مكـة وأصـابوا من أمـوال أهـل مكـة وأنعامهم، وخرجت قـريش متفـرقين إلى رؤوس الجبـال خوفًـا من أبرهة وجنده، وكـان ممـا أصـابوه إبلاً لعبـد المطلب، فجـاء عبد المطلب إلى أبرهة واستأذن في الدخول عليه، ثم سأله أن يرد إليه إبله، فتعجب منه أبرهة؛ حيث جاء يسأل عن الإبـل ولم يطلب من أبرهـة الكـف عن الـبيت، فـرد عليـه عبـد المطلب بقوله: أنا رب الإبل، وللبيت رب يحميه.

ثم رجع عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، ومعه نفر من

---

1 () انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم (1/ 81-86)، ودلائل النبـوة للـبيهقي (1/ 115-125)، والجواب الصحيح (3/ 307).

2 () انظـر: سـيرة ابن هشـام (1/ 294)، وتـاريخ الأمم والملـوك، (1/ 453)، والبداية والنهاية (2/ 320).

3 () المُغمَّس: هـو موضـع قـرب مكـة على طريـق الطـائف، شـرقي الحـرم، يقـع على نحـو ميلين من مكـة. انظـر: معجم البلـدان (5/ 161)، حرف الميم، باب الميم والغين، وفيض القدير (5/ 171).

قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده.

ثم انطلـق عبـد المطلب ومن معـه من قـريش إلى شـعف الجبال يتحرزون فيها، فلما أصبح أبرهة تهيأ لـدخول مكـة، فلمَّا وجهوا الفيل إلى مكة بـرك الفيـل، فضـربوه فـأبى، ثم وجهـوه إلى جهـة اليمن، ثم إلى جهـة الشـام، ثم إلى جهـة المشـرق، فعند كل جهة يوجه إليها يهـرول، فـإذا وجـه إلى مكـة بـرك، ثم أرسـل اللـه تعـالى عليهم طـيرًا أبابيل[1]، تـرميهم بحجـارة من سجيل[2]، فجعلهم كعصف مأكول[3][4].

فرد الله تعالى كيد أبرهة وجنده، وحمى البيت من خــرابهم، فكان ذلك العام الذي ولد فيه النبي ﷺ: ليكـون من دلائـل نبوتـه وذلك من وجهين[5]:

**الأول:** أنَّ هذا الجيش الذي أراد هدم الكعبة لو تمكنــوا من ذلك لقتلوا أهل مكـة، واسـترقوا بعضـهم، فكـان هلاكهم صـيانة للرسول ﷺ الذي كان حملاً في ذلك الوقت من السبي.

**الثاني:** أنَّ الله تعالى حمى البيت مـع أنَّ أهلـه كـانوا أهـل شرك وعبادة أوثان، وأهلك أعداءهم مع أنهم كانوا نصارى أهــل كتــاب؛ لأنّ اللــه تعــالى أراد ظهــور الإســلام، تأسيسًــا للنبــوة وتعظيمًا للكعبة، وأن تكون قبلة للصلاة ومنسكًا للحج.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينًـا مـا في حادثـة الفيل من دلائل نبوته ﷺ: «وكان ذلك عام مولد النــبي ﷺ، وكـان جيران البيت مشركين يعبدون الأوثان، ودين النصـارى خـير من دينهم، فعلم بذلك أن هذه الآية لم تكن لأجل جيران البيت، بــل كانت لأجل البيت، أو لأجل النبي ﷺ، الذي ولد به في ذلك العـام

---

1 () أي كثيرة يتبع بعضها بعضًا، كل طـائر يحمـل ثلاثـة أحجـار. انظـر: جامع البيان (24/ 205-207)، والمحرر الوجيز (5/ 523).

2 () أي حجارة من طين في غاية الشدة والقوة. انظر: الجامع لأحكـام القرآن (20/ 197)، وأضواء البيان (3/ 38).

3 () العصف المأكول، هو: ورق الزرع إذا أكلته الدواب ثم راثته. انظر: جامع البيان (24/ 616)، والجامع لأحكام القرآن (20/ 197).

4 () انظر: القصة في تاريخ الطبري (1/ 436-444)، والبداية والنهايـة (2/ 211-221)، ودلائـل النبـوة لأبي نعيم (81-86)، ودلائـل النبـوة للبيهقي (1/ 115-125).

5 () انظر: أعلام النبوة، علي بن محمد الماوردي، دار الكتاب العــربي، بيروت، ط1، 1407هـ، (271).

عند البيت، أو لمجموعهما، وأي ذلك كان، فهو من دلائل نبوته»[1].

فكانت حماية الله تعالى لهذا البيت من أصحاب الفيل في هذا الوقت لها دلالتها العظيمة على نبوته ، يقول الإمام الخطابي رحمه الله، مبينًا الحكمة من حماية الله تعالى للبيت في هذا الوقت بأذى، ولم يتضرر كذلك أهله، بخلاف غيره من الأزمان؛ حيثُ اعْتُدِيَ على البيت في الإسلام وتأثر بنيانه وسفك فيه الدم الحرام[2]، «حبس الفيل عنها في الجاهلية حيث كان علمًا لنبوة رسول الله ، وتنويهًا بذكر آبائه إذ كانوا عُمّار البيت، وسكان الوادي، فكان ذلك الصنيع إرهاصًا للنبوة، وحجة عليهم في إثباتها، فلو لم يقع الحبس عنها والذب عن حريمها لكان في ذلك أمران: أحدهما: فناء أهل الحرم، وهم الآباء والأسلاف لعامة المسلمين ولكافة من قام به الدين، والآخر: أن الله سبحانه أراد أن يقيم به الحجة عليهم في إثبات نبوة رسوله ، وأن يجعله مقدمة لكونها وظهورها فيهم، فكان مولد رسول الله  عامئذ، وكانوا قومًا عربًا أهل جاهلية، ليست لهم بصيرة في العلم ولا تقدمة في الحكمة، وإنما كانوا يعرفون من الأمور ما كان دركه من جهة الحس والمشاهدة، فلو لم يجر الأمر في ذلك على الوجه الذي جرى لم يكن يبقى في أيديهم شيء من دلائل النبوة تقوم به الحجة عليهم في ذلك الزمان، فأما وقد أظهر الله الدين، ورفع أعلامه، وشرح أدلته، وأكثر أنصاره، فلم يكن ما حدث عليها من ذلك الصنيع أمرًا يضر بالدين، أو يقدح في بصائر المسلمين، وإنما كان ما حدث منه امتحانًا من الله سبحانه لعباده ليبلو في ذلك الزمان صبرهم، واجتهادهم، ولينيلهم من كرامته ومغفرته ما هو أهل التفضيل به، والله يفعل ما يشاء، وله الخلق والأمر، تبارك الله رب

---

[1] () الجواب الصحيح (3/ 307).

[2] () يقصد بذلك ما حدث من الحجاج بن يوسف حين رمى الكعبة بالمنجنيق، وقتل عبد الله بن الزبير  سنة 73هـ وكذلك ما حدث من القرامطة الذين اعتدوا على الحُجاج وقتلوا خلقًا منهم، وسرقوا الحجر الأسود مدة اثنتين وعشرين سنة عام 317هـ انظر: تاريخ الطبري (3/ 338-541)، البداية والنهاية (11/ 182).

العالمين»[3].

[3] () معالم السنن (2/ 219-220).

## المبحث الثالث: الأمثال المضروبة في القرآن من الحيوان:

المثل في اللغة، هو الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعل مثله، فهو بمعنى المِثل، نحو: شَبَه، وشِبْه، ويطلق على صفة الشيء، كما في قوله تعالى: ﮋ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ...ﮊ [الفتح: 29]، أي صفتهم، ويكون بمعنى العبرة والآية[1].

وفي الاصطلاح عرفه ابن القيم بقوله: «تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر»[2].

فالقرآن الكريم قد اشتمل على كثير من الأمثال التي ضربها الله تعالى لعباده، ليتفكروا فيها، قال تعالى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﮊ [إبراهيم: 25]، وقال سبحانه: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ [الإسراء: 89]، وقال سبحانه: ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮊ [العنكبوت: 43].

قال الطبري رحمه الله: «(ويضرب الله الأمثال للناس) يقول: ويمثل الله الأمثال للناس، ويشبه لهم الأشباه، (لعلهم يتذكرون) يقول: ليتذكروا حجة الله عليهم، فيعتبروا بها ويتعظوا، فينزجروا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان»[3].

وفي القرآن أمثال كثيرة ضربها الله تعالى لنا تزيد على الأربعين[4].

وهذه الأمثال على قسمين:

**الأول:** ظاهر: وهو المصرح بذكر المثل به، كما في قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﮊ [البقرة: 17].

**الثاني:** كامن غير مصرح بذكر المثل فيه، وحكمه حكم المثل، كما في قوله تعالى: ﮋ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ [آل عمران: 11][5].

---

1 () انظر: المفردات في غريب القرآن (462)، ولسان العرب (11/ 611) مادة (مثل).

2 () إعلام الموقعين (1/ 150).

3 () جامع البيان (16/ 567).

4 () انظر: المدهش، أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: د. مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1985م، (16)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (14/ 56).

## العلة من ضرب الأمثال في القرآن:

«ضربُ الله الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور: التذكير والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس؛ بحيث تكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس.

وقد تأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر»[1].

وكان بعض السلف يقول: إذا سمعتُ المثل في القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي؛ لأن الله قال: ﴿ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ﴾ [العنكبوت: 43][2].

ومن الأمثال التي ضربها الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم أمثلة مضروبة من الحيوان، وهي[3]:

1- قال تعالى: ﴿ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ﴾ [البقرة: 26].

ذكر المفسرون أن الله تعالى لما ضرب للمنافقين مثلين في بداية سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ﴾ [البقرة: 17]، وقوله: ﴿ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ﴾ [البقرة: 19]، قال المنافقون: الله أعلى وأجلَّ من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله هذه الآية.

وقيل: إن سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ذكر الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل استنكره أهل الضلال من اليهود والمشركين، وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله تعالى، فنزلت هذه الآية.

---

[5] () انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (14/ 65-66)، والبرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1431هـ (1/ 486)، والإتقان، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1431هـ، (4/ 39-41).

[1] () بدائع الفوائد (4/ 1314).

[2] () انظر: تفسير القرآن العظيم (1/ 94).

[3] () ذكرت ما وقفت عليه من الأمثال المضروبة من الحيوان، ورتبتها ترتيب سورها.

وقال آخرون: إنّ هذا مثل ضربه الله تعالى للدنيا في البعوضة، فهي تحيا ما جاعت، فإذا سمنت ماتت، وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في القرآن: إذا امتلؤوا رِيًّا أخذهم الله عند ذلك[1].

واختار الطبري رحمه الله القول الأول، لمناسبة هذه الآية لما جاء في أول السورة دون ما جاء من الأمثال في سور أخرى[2].

---

1 () انظر الأقوال في: جامع البيان (1/ 399-400)، وأسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عصام الحميدان، مكتبة المجتمع، الخبر، 1420هـ (23)، ومعالم التنزيل (1/ 76)، المحرر الوجيز (1/ 110)، الجامع لأحكام القرآن (1/ 259).

2 () انظر: جامع البيان (1/ 400)، ورجحه - أيضًا - ابن حجر، وعلل ذلك بأن كتب أهل الكتاب ممتلئة بضرب الأمثال، فيبعد إنكارهم ما في كتبهم مثله. انظر: العجاب في بيان الأسباب، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: عبد الحكيم الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1418هـ، (1/ 247).

فأخبر  أنَّه لا يستحيي[1] أن يضـرب الأمثال في البعوضة فما فوقها[2]، فالله تعالى لا يستحي أن يضرب في الحق من الأمثال صغيرها وكبيرها[3].

وضرب الأمثال بالبعوضة فما فوقها، إذا تضمن تحقيق الحق، وإبطال الباطل كان من أحسن الأشياء، والحسن لا يستحيا منه، فهذا جواب اعتراض المعترض[4].

فالله  هو الذي خلق البعوضة وخلق ما هو أكبر منها، وما هو دونها، ولا يعجزه سبحانه شيء، وهو سبحانه يضرب الأمثال مما شاء.

«وكيف يمتنع من ضرب المثل بالبعوضة ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يخلقوا بعوضة لا يقدرون عليه»[5].

1 () صفة الحياء من الصفات الثابتة لله تعالى، كما دلت عليها هذه الآية، ودلت عليها السنة، منها: حديث أبي واقد الليثي في قصة الثلاثة الذين أقبلوا إلى المسجد، فأقبل اثنان وذهب واحد، وفيه: قال رسول الله : ((وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه))، أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب: من قعد حيث ينتهي به المجلس (8) برقم (66)، وقوله : ((إن الله  حيي ستير، يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر))، أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الحمام، باب النهي عن التعري (1516) برقم (4012)، والنسائي في السنن الصغرى، في كتاب الغسل والتيمم، باب: الاستتار عند الغسل (2112) برقم (406)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (7/ 367) برقم (2335).

وقال ابن القيم رحمه الله في متن القصيدة النونية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 1417هـ (207):

وهـو الحـيي فليس عنـد التجـاهر منـه
لكنـه يلقي عليـه فهو الستير وصـاحب

وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (4/ 181).

والقول في هذه الصفة كالقول في سائر صفاته سبحانه، فنثبت له سبحانه حياءً لا كحيائنا، كما أثبت لنفسه، وأثبته له رسوله .

2 () ما فوقها، فيه قولان: ما هو أكبر منها، وقيل: ما هو أصغر منها. انظر: زاد المسير (1/ 55)، والجامع لأحكام القرآن (1/ 261)، وتفسير القرآن العظيم (1/ 93).

3 () انظر: جامع البيان (1/ 401).

4 () انظر: بدائع الفوائد (4/ 1549-1550).

5 () بحر العلوم (1/ 62).

ثم أخبر سبحانه عن موقف المؤمنين وموقف الكافرين من هذه الأمثال التي يضربها الله سبحانه، فالذين آمنوا يفهمونها، ويتفكرون فيها، فإن علموا تفاصيلها ازداد بذلك علمهم، وإيمانهم، وإن لم يعلموا تفاصيل ذلك علموا أن ذلك حق، وأن الله تعالى لا يضرب الأمثال عبثًا.

وأما الكافرون، فيعترضون ويتحيرون، فيزدادون كفرًا إلى كفرهم[1].

2- قال الله تعالى: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ﴾ [البقرة: 170-171].

فهذا مثل ضربه الله تعالى، شبه فيه الكفار وداعيهم هو محمد ﷺ بالراعي الذي ينعق بدوابه من الإبل والغنم، وهي تسمع دعاءه ونداءه ولكنها لا تفهم ما يقول، واختار هذا القول الطبري رحمه الله[2].

وقيل: المراد تمثيل الكفار حين يدعون آلهتهم الجامدة كمثل الراعي الذي ينعق بدوابه، فالناعق هو العابد الداعي للصنم، والمنعوق به هو المدعو، فحال الكافر في دعائه كحال من ينعق بما لا يسمعه، فهو حين يصيح في جوف الجبال يسمع الصدى لا يفهم منه شيئًا[3].

فهذا ذم لهؤلاء الكفار الذين يسمعون دعوة النبي ﷺ ثم يعرضون عنها بحجة اتباعهم ما ألفوا عليه آباءَهم مع جهل الآباء والأبناء «هؤلاء المقلدون مثَّلهم القرآن بالسوائم والبهائم تطيع صيحات راعيها من غير تفكير في مدلولاتها الوضعية، لا تفهم أوامره، ولا تفقه نواهيه، ولا تعقل صيحاته ونداءاته، بل تسمع أصواتًا منه اعتادت عليها، تُدعى بصوت فتأتي وتقبل، وتصرف بآخر فتدبر وتعود»[4].

3- قال تعالى: ﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ

---

1 () انظر: تيسير الكريم الرحمن (37).

2 () انظر: جامع البيان (3/ 313).

3 () انظر: جامع البيان (3/ 308-313)، ومعالم التنزيل (1/ 181-182)، والجامع لأحكام القرآن (2/ 219-220)، وزاد المسير (1/ 74).

4 () الأمثال في القرآن، محمود بن الشريف، دار عكاظ، الرياض، ط 2، (22).

[illegible] [الأعراف: 175-177].

يخبر الله تعالى عن حال رجل آتاه الله تعالى علمًا من علم الكتاب[1]، وعلم الأنبياء حتى صار عالمًا كبيرًا، ولكنه انسلخ وابتعد عن هذا العلم وعن الانتفاع به، فتسلط عليه الشيطان حين ترك هذا الهدى الذي كان عليه، فأزه إلى المعاصي، فصار الشيطان قرينه، يتبع أوامره، ويقتدي به[2].

ثم أخبر سبحانه أنه لو شاء لرفع هذا الذي آتاه الله تعالى آيته، ولكنه أخلد إلى الأرض، أي: سكن إلى الحياة الدنيا ومال إليها وآثر لذاتها، وشهواتها على الآخرة، واتبع هواه ورفض طاعة الله وخالف أمره[3].

ثم ضرب الله تعالى مثلاً بهذا الكافر الذي انسلخ عن آياته بأخس حيوان في أخس حال، حيث ضرب له المثل بالكلب، فإنك إن حملت على الكلب وطردته يلهث، وإن تتركه يلهث، فكذلك الكافر، إن وعظته وزجرته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال، واللهث: إدلاع اللسان[4].

يقول ابن القيم رحمه الله: «فشبه سبحانه من آتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به، واتبع هواه وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق؛ بالكلب الذي هو أخبث الحيوانات، وأوضعها قدرًا وأخسها نفسًا، وهمته التي لا تتعدى بطنه، وأشدها شرهًا وحرصًا.

...وفي تشبيه من آثر الدنيا وعاجِلَها على الله والدار الآخرة

---

1 () اختلف أهل التفسير في المقصود بالذي آتيناه آياتنا على أقوال: قيل: هو رجل من بني إسرائيل، يقال له: بلعام بن باعوراء، وقيل: إنه أمية بن أبي الصلت، وقيل: كان رجلاً من الكنعانيين. انظر: جامع البيان (13/ 252-257)، ومعالم التنزيل (3/ 301)، والمحرر الوجيز (2/ 476)، والجامع لأحكام القرآن (7/ 303-304)، ورجح ابن كثير أن المشهور أنه رجل من المتقدمين من بني إسرائيل، ولا يمنع أن يكون أمية بن أبي الصلت يشبهه. انظر: تفسير القرآن العظيم (3/ 508).

2 () انظر: تيسير الكريم الرحمن (350).

3 () انظر: جامع البيان (13/ 261).

4 () انظر: تفسير القرآن للسمعاني (2/ 233).

مع وفور علمه بـالكلب في حـال لهثـه سـر بـديع، وهـو أن هـذا الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته واتباعه هواه إنما كان لشـدة لهفـه على الـدنيا لانقطـاع قلبـه عن اللـه  والـدار الآخرة، فهو شديد اللهف عليها، ولهفه نظير لهف الكلب الـدائم في حال إزعاجـه وتركـه، واللهـف واللهث شـقيقان في اللفـظ والمعنى»[1].

فجاء تشبيه من أعطاه الله تعالى علمًا ثم انسلخ منه بسبب تقديمه الدنيا على الآخرة بنوع من أخس الحيوان، وهـو: الكلب في أخس صفة، إذ هو يلهث دائمًا، إن حُمِل عليه أو ترك، وهـذا حال صاحب الدنيا الذي آثرها على الآخرة.

4- قال تعالى: ﴿ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ﴾ [الأعراف: 179]، وقال سبحانه: ﴿ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ﴾ [الفرقان: 44].

فمثل الله تعالى حال هؤلاء الكفار الـذين لا يسـمعون الحـق ولا يعونه ولا يبصرون الهدى بالأنعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحـواس منهـا إلا في الـذي يعيشـها في الـدنيا، بـل هم أضـل منها[2].

5- قال تعالى: ﴿ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ﴾ [الحج: 73].

إنه نداء من الله تعالى إلى الناس جميعهم، ليخبرهم بأن كل ما يدعون من دون الله تعالى، من تلك المعبودات الباطلــة من أصنام وأوثان، أو من بشر، أو من كواكب سيارة، أو غيرهــا من الآلهــة المختلفــة، الــتي تزعمــون أنهــا تمــدكم بالعافيــة، أو السلطان، أو تعينكم في طلب الرزق، أو أي شـيء قـد تبغونـه، فإن دعواتكم لها وطلب عونها لكم كله باطـل، ولا جـدوى منـه؛ لأن تلك المعبـودات لا تقـدر على شـيء إلا أن يشـاء اللـه؛ بـل جميع هذه المعبودات التي تدعى من دون الله تعـالى ليس لهـا أدنى قدرة، أو أدنى إمكانية على خلق ذباب، ولـو اجتمعـوا لـه، وتعاونوا عليه، مع أن الـذباب من الكائنـات الحيـة الأقـل صـغرًا في دنيا الأرض.

---

1 () إعلام الموقعين (1/ 165-166).

2 () يأتي الحديث عن هـذه الآيـات في الفصـل الخـامس في مبحـثي: تفضيل الأنعام على المشرك، وتشبيه الكافرين ببعض الحيوان.

والأمـر في الخلـق ليس منوطًـا بالصـغر والكـبر من حيث الأحجـام والأشـكال، فالـذي خلـق الـذباب الصـغير، وغـيره من الحشرات، هو الذي خلق الإبل والفيل وغيرها.

بل هذه المعبودات في غاية الضعف، والقـرآن الكـريم يـبرز هنا الضعف المزري لهذه المعبودات - أيضًـا - عنـدما يقـول: ﴿ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ﴾ [الحج: 73].

فهذه الآلهة المزعومة لا يقف عجزها عنـد عـدم اسـتطاعتها خلق الذباب، بل وينعدم شأنها بتاتًا إن يسلبها هذا الذباب شـيئًا، بحيث لا تملك أي قدرة أو وسيلة على اسـتنقاذه أو اسـترجاعه منه، فهذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله تعـالى عـاجزة عن إنقاذ ما يسلبها الذباب، وهو الكائن المعـروف بضـعفه وهزالـه، فمعنى ذلك أن تلك الآلهة أشد ضعفًا منه[1].

فالآلهـة المعبـودة لا تقـدر على اسـترجاع مـا سـلبها منـه الذباب، مع ضعف الطالب الذي هـو الصـنم، والآلهـة المعبـودة، وضـعف المطلـوب - أيضًـا - وهـو الـذباب الـذي سـلبها ذلـك الشيء[2].

ويبين الإمام ابن القيم رحمـه اللـه روعـة هـذا المثـل، الـذي ضربه الله تعالى للناس، وكيف تضمن إبطـال الشـرك وأسـبابه بأصح برهان، فيقول: «فتأمل هذا المثل الذي أمر النــاس كلهم باسـتماعه، فمن لم يسـمعه فقـد عصـى أمـره، كيـف تضـمن إبطال الشرك وأسبابه بأصح برهان في أوجز عبـارة وأحسـنها، وأحلاها، وسـجل على جميـع آلهـة المشـركين أنهم لـو اجتمعـوا كلهم في صـعيد واحـد، وعـاون بعضـهم بعضًـا بـأبلغ المعاونـة لعجـزوا عن خلـق ذبـاب واحـد، ثم بين عجـزهم وضـعفهم عن استنقاذ ما يسلبهم الذباب إياه حين يسـقط عليهم، فـأي شـيء أضـعف من هـذا الإلـه المطلـوب، ومن عابـده الطـالب نفعـه وخيره، فهل قدَّر القوي العزيز حق قدره من أشرك معـه آلهـة

---

[1] () انظر: معجم الأمثال في القرآن الكريم، سميح عاطف الـزين، دار الكتـاب المصـري، القـاهرة، ودار الكتـاب اللبنـاني، بـيروت، ط2، 1430هـ، (434-436).

[2] () انظـر: جـامع البيـان (18/ 685)، وتفسـير القـرآن العظيم ( 5/ 450)، وقيل: الطالب هو: العابد، والمطلوب، هـو: الصـنم، ورجح الطبري وابن كثير القول الأول.

هذا شأنها؟»[1].
6- قال تعالى: ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ﴾ [العنكبوت: 41].

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين، الذين يعبدون معه غيره، يرجون منهم النفع، ودفع الضر، ويدعونهم من دون الله تعالى، فإن مثلهم كمثل العنكبوت، اتخذت بيتًا يحميها من الحر والبرد والآفات، وهو بيت ضعيف متى مسته أدنى هابة أذهبته، فهو كما وصفه الله تعالى (أوهن البيوت)، فهو لا يقيها حرًّا ولا بردًا، كذلك حال هؤلاء الذين يتخذون من دون الله أولياء يرجون نفعهم، ويخافون ضرهم، يتعززون بهم، ويستنصرونهم، وهم فقراء عاجزون من جميع الوجوه، فلم يزدادوا بذلك إلا ضعفًا إلى ضعفهم، ووهنًا إلى وهنهم، فكما أن بيت العنكبوت لا يغني من حر ولا برد ولا مطر فكذلك آلهتهم لا تدفع عنهم ضرًّا ولا تقدر لهم نفعًا[2].

ويتحدث الرازي رحمه الله عن بيان الحكمة من ضرب المثل ببيت العنكبوت، دون غيره، فيقول: «فيه وجوه: الأول: أن البيت ينبغي أن يكون له أمور: حائط حائل، وسقف مظل، وباب يغلق، وأمور ينتفع بها ويرتفق، وإن لم يكن كذلك فلا بد من أحد أمرين، إما حائط يمنع من البرد وإما سقف مظل يدفع عنه الحر، فإن لم يحصل منها شيء فهو كالبيداء ليس ببيت، لكن بيت العنكبوت، لا يجنُّها ولا يكنُّها، وكذلك المعبود ينبغي أن يكون منه الخلق والرزق، وجر المنافع ودفع المضار، فإن لم تجتمع هذه الأمور فلا أقل من دفع ضرٍّ أو جر نفعٍ، فإن من لا يكون كذلك فهو المعدوم بالنسبة إليه سواء، فإذن كما لم يحصل للعنكبوت باتخاذ ذلك البيت من معاني البيت شيء، كذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الأوثان أولياء من معاني الأولياء شيء.

الثاني: هو أن أقل درجات البيت أن يكون للظل فإن البيت

---

1 () مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، اختصار: محمد الموصلي، تحقيق: د. حسن العلوي، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1425هـ، (1/ 184-185).

2 () انظر: بحر العلوم (2/ 634)، وتفسير القرآن العظيم (6/ 288-289)، وتيسير الكريم الرحمن (741).

من الحجر يفيد الاستظلال ويدفع أيضًا الهواء والماء، والنار والتراب، والبيت من الخشب يفيد الاستظلال ويدفع الحر والبرد ولا يدفع الهواء القوي ولا الماء ولا النار، والخباء الذي هو بيت من الشعر أو الخيمة التي هي من ثوب إن كان لا يدفع شيئًا يظل ويدفع حر الشمس، لكن بيت العنكبوت لا يظل فإن الشمس بشعاعها تنفذ فيه، فكذلك المعبود أعلى درجاته أن يكون نافذ الأمر في الغير فإن لم يكن كذلك فيكون نافذ الأمر في العابد، فإن لم يكن أقل من ألاَّ ينفذ أمر العابد فيه، لكن معبودهم تحت تسخيرهم، إن أرادوا أجلّوه وإن أحبوا أذلّوه.

الثالث: أدنى مراتب البيت أنه إن لم يكن سبب ثبات واتفاق لا يصير سبب شتات وافتراق، لكن بيت العنكبوت يصير سبب انزعاج العنكبوت، فإن العنكبوت لو دام في زاوية مدة لا يقصد ولا يخرج منها، فإذا نسج على نفسه واتخذ بيتًا يتبعه صاحب الملك بتنظيف البيت منه والمسح بالمسوح الخشنة المؤذية لجسم العنكبوت، فكذلك العابد بسبب العبادة ينبغي أن يستحق الثواب، فإن لم يستحقه فلا أقل من ألاَّ يستحق بسببها العذاب، والكافر يستحق بسبب العبادة العذاب»[1].

7- قال تعالى: ﴿ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒﰓ﴾ [لقمان: 19].

ضرب الله تعالى في هذه الآية للصوت الرفيع مثلاً، وهو: صوت الحمير، لشدة أصواتها، وقد ضرب الله تعالى به المثل؛ لأن صوت الحمار كان هو المعروف عند العرب وغيرهم بالقبح[2].

والحمار يضرب به المثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهيقه، وفي هذه الآية أدب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه الناس، وقد كانت العرب تفخر بجهارة الصوت، فعندهم من كان أشدَّ صوتًا كان أعز، ومن كان أخفض كان أذل، فنهى الله سبحانه عن خلق الجاهلية هذا، فلو كان شيء يهاب لصوته، لكان الحمار فجعلهم في المثل سواء[3].

«فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة، لما اختص

---
1 () انظر: مفاتيح الغيب (25/ 60).
2 () انظر: بحر العلوم (3/ 24-25).
3 () انظر: تفسير القرآن للسمعاني (4/ 234)، والجامع لأحكام القرآن (14/ 73).

بذلك الحمار الذي قد علمت خسته وبلادته»[1].

فعلى المسلم أن ينقص من صوته ويخفضه، ولا يتكلف رفعه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة يؤذي السامع[2].

8- قال تعالى: ﴿    ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ﴾ [القمر: 6-7].

أمر الله تبارك وتعالى نبيه محمدًا ﷺ أن يعرض عن هؤلاء المشركين من قومه الذين إن يرو آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر، فإنهم حين يدعو داعي الله تعالى إلى موقف القيامة، ذلك الشيء النكر، فإنهم يخرجون من قبورهم ذليلة أبصارهم خاضعة، وأضاف الخشوع إلى الأبصار؛ لأن العز والذل يتبين فيها، وهذا كله حين يرون العذاب[3].

ثم شبه سبحانه خروجهم من القبور وسيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي بالجراد المنتشر المنبث في الآفاق؛ فكأنهم من كثرتهم وروجان بعضهم ببعض كالجراد المبثوث في الأرض المتكاثر جدًّا[4].

9- قال تعالى: ﴿ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ﴾ [الجمعة: 5].

هذا مثل ضربه الله تعالى لليهود، والنصارى الذين آتاهم الله التوراة وكلفوا بأن يعملوا بما فيها، ثم لم يعملوا بما أمروا فيها من الأمر والنهي والإيمان بمحمد ﷺ واتِّبَاعه والتصديق به، فمثلهم كمثل الحمار الذي يحمل على ظهره كتبًا ولا يدري ما فيها[5].

فهؤلاء اليهود والنصارى الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها «مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفارًا من كتب العلم، فهل يستفيد ذلك الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟ وهل يلحق به فضيلة بسبب ذلك؟ أم حظه منها حملها

---

1 () تيسير الكريم الرحمن (762).

2 () انظر: فتح القدير (239).

3 () انظر: جامع البيان (22/ 573)، ومعالم التنزيل (7/ 427)، والمحرر الوجيز (5/ 213).

4 () انظر: تفسير القرآن العظيم (7/ 451)، وتيسير الكريم الرحمن (972).

5 () انظر: جامع البيان (23/ 377)، وبحر العلوم (3/ 425)، وتفسير القرآن للسمعاني (5/ 432).

فقط؟.

فهذا مثل علماء اليهود الذين لم يعملوا بما في التوراة، الذي من أجلِّه وأعظمه الأمر باتباع محمد ، والبشارة به، والإيمان بما جاء به من القرآن، فهل استفاد من هذا وصفه من التوراة إلا الخيبة والخسران، وإقامة الحجة عليه؟ فهذا المثل مطابق لأحوالهم»[1].

وفي هذا تنبيه من الله تعالى لكل من حمل الكتاب أن يتعلم ما فيه ويفهم معانيه، ويعمل به لئلا يلحقه من الذم ما لحق بهؤلاء[2].

يقول ابن القيم رحمه الله: «فقاس من حمَّله سبحانه كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به، ويدعو إليه، ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقرأه بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع له، ولا تحكيم له، وعمل بموجبه، كحمار على ظهر زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منها حمله على ظهره ليس إلا؛ فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره، فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حَمَل القرآن فترك العمل به، ولم يؤد حقه، ولم يرعه حق رعايته»[3].

10- قال تعالى: ﴿ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ﴾ [المدثر: 49-51].

يشبه الله تعالى حال كفار قريش حين ينفرون من القرآن والتذكير بمواعظه بحمير الوحش إذ نفرت وهربت من القسورة، والقسورة قيل: الأسد، وقيل: الرماة، وقيل: حبال الصيادين[4].

«وهذا من بديع التمثيل، فإن القوم في جهلهم بما بعث الله سبحانه رسوله كالحُمُر، فهي لا تعقل شيئًا، فإذا سمعت صوت الأسد والرامي نفرت منه أشد النفور، وهذا غاية الذم لهؤلاء، فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور

---

1 () تيسير الكريم الرحمن (1017).

2 () انظر: الجامع لأحكام القرآن (18/ 91).

3 () إعلام الموقعين (1/ 165).

4 () انظر: جامع البيان (24/ 39-43)، وتفسير القرآن للسمعاني (6/ 99)، ومعالم التنزيل (8/ 274)، وزاد المسير (8/ 412-413)، والجامع لأحكام القرآن (19/ 86-87).

الحُمُر عمَّا يهلكها ويعقرها، وتحت المستنفرة معنى أبلغ من النافرة؛ فإنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضًا وحضه على النفور، فإن في الاستفعال من الطلب قدرًا زائدًا على الفعل المجرد فكأنها تواصت بالنفور، وتواطأت عليه»[1].

11- قال تعالى: ﴿ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ﴾ [المرسلات: 32-33].

وصف الله تعالى النار بأنها عظيمة، وأنها ترمي بشرر كبير، كل شرارة منها كالقصر في عظمها، والقصر قيل: هو البناء العالي[2]، وقيل: الجبل، وقيل: أصول الشجر والنخل العظام، وقيل: أعناق الإبل[3].

ثم شبه ﷻ هذا الشرر باعتبار لونه بالجمالة الصفر، وهي الإبل السود؛ لأن العرب تسمي السود من الإبل صفرًا، أو سميت سودًا؛ لأنه يشوب سوادها شيء من الصفرة.

وقيل الجمالات الصفر هي: حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال[4].

واختار ابن جرير الطبري رحمه الله القول بأنها الإبل السود، والله أعلم[5].

فهذا فيه بيان لعظم هذه النار؛ حيث بين الله تبارك وتعالى عظم شررها، ففي الأول ذكر تشبيه النار بالقصر في العظم، وفي الثاني تشبيه بالإبل السود، وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة[6].

12- قال تعالى: ﴿ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ﴾ [القارعة: 4].

شبه الله تعالى حال الناس يوم القيامة بالفراش المبثوث، وهو: المتفرق، فهم كالفراش المبثوث في كثرتهم وانتشارهم وتفرقهم، وذهابهم ومجيئهم، وحيرتهم مما هم فيه، والضعف والذلة والاضطراب الذي هم عليه[7].

فهذا حال الناس يوم القيامة لما فيه من الأهوال العظيمة،

1 () أعلام الموقعين (1/ 164).
2 () ورجحه الطبري. انظر: جامع البيان (24/ 138).
3 () انظر: جامع البيان (24/ 137-138)، ومعالم التنزيل (8/ 306-307)، والجامع لأحكام القرآن (19/ 157-158).
4 () انظر: جامع البيان (24/ 139-141)، ومعالم التنزيل (8/ 307)، والجامع لأحكام القرآن (19/ 158-159).
5 () انظر: جامع البيان (24/ 141).
6 () إرشاد العقل السليم (9/ 81).

وهم أهل العقول في الدنيا[1].

«قال بعض العلماء: الناس في أول قيامهم كالفراش المبثوث، لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام، ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر، فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر يقصد إلى جهة واحدة»[2].

«لا أحد يعلم ما تكون عليه أحوال الناس في ذلك اليوم العظيم، لأنها فوق تصوراتهم، إنما يقف علمهم عند حدود الوصف الذي يأتيهم به البيان القرآني من حيث إنهم يكونون كالفراش الذي ينتشر، لكثرته بكثافة في أرجاء واسعة فيغطيها، والتشبيه للناس بالفراش للتدليل على ما يكونون عليه يومئذ من الضعف والوهن، ومن الحساسية والرهافة بحيث لا يقدرون على شيء، وهم يساقون إلى مصائرهم، كالفراش تمامًا في ضعفه وقلة حيلته، وهو يتداعى على النار، ويتهافت على الضوء فيحترق، دون أن يكون له القدرة على الإفلات بعد الوقوع في النار، التي يشده إليها انبعاث ضوئها»[3].

وقد تبن للباحث أنَّ المسائل المتعلقة بالحيوان فيها مسائل كثيرة متعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام، منها ما جعله الله تعالى آية لبعض أنبيائه، ومنها ما ظهرت فيه بعض دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومنها أمثلة مضروبة في القرآن الكريم الذي هو أعظم آيات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

---

[7] () انظر: تفسير القرآن العظيم (8/ 489)، وإرشاد العقل السليم (9/ 193).

[1] () انظر: تيسير الكريم الرحمن (1101).

[2] () التسهيل لعلوم التنزيل (4/ 215).

[3] () معجم الأمثال في القرآن الكريم (258).

# الفصل الرابع

## المسائل المتعلقة باليوم الآخر

وفيه سبعة مباحث:

**المبحث الأول: أشراط الساعة المتعلقة بالحيوان.**
**المبحث الثـاني: التناسـخ بين الإنسـان والحيـوان عند من يقول به.**
**المبحث الثالث: سماع الحيوان لعذاب القبر.**
**المبحث الرابع: بعث الحيوان وحشره يوم القيامة.**
**المبحث الخـامس: القصـاص بين الحيوانـات يـوم القيامة.**
**المبحث السادس: حيوانات الجنة.**
**المبحث السابع: حيوانات النار.**

**تمهيد: المراد باليوم الآخر:**

اليوم الآخر هو يوم القيامة وسـمي بـذلك؛ لأنـه آخـر يـوم لا يوم بعده، ويطلق على اليوم بهذا الاسـم إذا كـان لا ليـل بعـده؛ لأن كل يوم يأتي بعده ليل سوى اليوم الآخر فلا ليل بعده[1].

والمراد بالإيمان به التصديق بكـل مـا أخـبر اللـه عـز وجـل، وأخبر رسوله صلى الله عليه وسـلم ممـا يقـع بعـد المـوت من نعيم القـبر وعذابـه، والبعث والحشـر، والحسـاب والمـيزان، والصراط والجنة والنار، وغير ذلك مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[2].

ومن علامـة اليـوم الآخـر أشـراط السـاعة الـتي دل عليهـا القرآن والسنة الصحيحة، فيجب الإيمان بها.

وفي مسائل اليوم الآخر وأشراط الساعة مسائل لها علاقـة بالحيوان يأتي ذكرها في هذا الفصل بتوفيق الله تعالى.

---

[1] () انظر: جامع البيان (1/271)، والمحرر الوجيز (1/79).

[2] () انظر: مجمـوع الفتـاوى (3/145-147) وشـرح الأربعين النوويـة (59-60).

## المبحث الأول

# أشراط الساعة المتعلقة بالحيوان

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: تكلم السباع.

المطلب الثاني: الجساسة.

المطلب الثالث: قتل عيسى  للخنـزير.

المطلب الرابع: الدابّة وعلاقتها بالحيوان.

المطلب الخامس: ترك القلاص، وعدم السعي إليها.

المطلب السادس: وقوع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم.

المطلب السابع: النَّغف الذي يرسله الله تعالى في رقاب يأجوج ومأجوج، والطير التي يرسلها الله  لتحملهم بعد نتنهم استجابة لدعاء عيسى  وأصحابه، فتطرحهم حيث شاء الله.

## تمهيد: تعريف أشراط الساعة:

**الشرط لغة:** الشَّرَط - بالتحريك - هو: العلامة، وجمعه: أشراط، يقال: أشرط طائفة من إبله وغنمه، أي: عزلها وأعلم أنها للبيع، وأشرط فلان نفسه لكذا وكذا: أعلمها له وأعدها، ومنه سمي الشُّرط؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها[1].

فأشراط الشيء في اللغة هي علاماته المتقدمة عليه والدالة عليه.

**والساعة لغة:** جزء من أجزاء الوقت من الليل والنهار، يجمع على ساعات وساع[2].

**والساعة في الاصطلاح الشرعي هي:** الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سميت بذلك لقلة الوقت الذي تقوم فيه، فهي ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم[3].

## معنى أشراط الساعة اصطلاحًا:

هي علامات يوم القيامة التي تسبق هذا اليوم وتكون دليلاً على قربه، قال ابن حجر رحمه الله: «والمراد بالأشراط العلامات التي يعقبها قيام الساعة»[4].

وهذه الأشراط جاء ذكرها في القرآن الكريم، فقال ﷻ: ﴿ ـ ـ ى ى يي ـ ـ ـ ﴾ [محمد: 18]، أي: هل ينتظر الكفار والمنافقون إلا أن تأتيهم الساعة فجأة، فقد جاءتهم علاماتها، والتي منها بعثة النبي ﷺ[5].

وهذه العلامات قسمها كثير من العلماء إلى قسمين: الأول: أشراط الساعة الصغرى، وهي التي تتقدم الساعة بأزمان طويلة، وقد يظهر بعضها مصاحبًا لأشراط الساعة الكبرى.

الثاني أشراط الساعة الكبرى، وهي الأمور العظام، التي تظهر قرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة الوقوع كظهور

---

[1] () انظر: لسان العرب (7/ 329)، مادة (شرط)، والنهاية في غريب الحديث (473)، مادة (شرط).

[2] () انظر: المعجم الوسيط (1/ 463).

[3] () انظر: النهاية في غريب الحديث (454)، مادة (سوع).

[4] () فتح الباري لابن حجر (16/ 554).

[5] () انظر: معالم التنزيل (7/ 284)، والمحرر الوجيز (5/ 116)، ومفاتيح الغيب (28/ 52).

الدجال، وخروج الشمس من مغربها، وغيرها[1].

ولعل الأقرب - والله أعلم - أنَّ الكبرى هي التي جـاءت في حديث حذيفة بن أسـيد[2] رضـي اللـه عنـه، وفيـه: ((...إنهـا لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات...))[3].

ومن أشراط الساعة ما له علاقة بالحيوان، وهو الـذي أُفـرِد له هذا المبحث وبالله التوفيق.

1 () انظر: التذكرة (522)، وأشراط السـاعة، يوسـف الوابـل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط8، 1418هـ، (77).

2 () هو: حذيفة بن أسيد بن خالد الغفاري، أبو سريحة، شـهد الحديبيـة وبـايع تحت الشـجرة، نـزل الكوفـة، روى عنـه الشـعبي، والطفيـل وغيرهمـا، تـوفي سـنة 42هـ. انظر: الاستيعاب (4/ 1667-1668)، والإصابة (2/ 43).

3 () أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، بـاب: الآيات التي تكون قبل الساعة (1180) رقم (2901).

## المطلب الأول: تكليم السباع:

من أشراط الساعة التي أخبر عنها النبي  كلام السباع للإنس، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: ((عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، قال: ألا تتقي الله؛ تنزع مني رزقًا ساقه الله إليَّ؟ فقال: يا عجبي ذئب مقعٍ على ذنبه يكلمني كلام الإنس!، فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجبَ من ذلك؟ محمد  بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق.

قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ، فأخبره، فأمر رسول الله ، فنودي: الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي: (أخبرهم) فأخبرهم.

فقال رسول الله : صدق والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده))[1].

وعن أبي هريرة قال: ((جاء ذئب إلى راعي الغنم فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، قال: فصعد الذئب على تلٍّ فأقعى واستذفر، فقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله  انتزعته مني، فقال الرجل: تالله إن رأيت كاليوم ذئبًا يتكلم، قال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم، وكان الرجل يهوديًّا، فجاء الرجل إلى النبي  فأسلم وخبَّره، فصدقه النبي ، ثم قال النبي : إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده))[2].

فقد دلت النصوص السابقة على أنَّ من أشراط الساعة أن تكلم السباع الإنس، وهذا الكلام كلام حقيقي يجب الإيمان به وإن كان من الأمور الخارقة للعادة، لثبوت ذلك عن النبي ، خلافًا لمن تأوله بأمور أخرى[3]، فإذا كان الذئب قد تكلم في

---

1 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [78].
2 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [291].
3 () ممن تأول ذلك أحمد بن الصديق الغماري؛ حيث جعل ذلك إشارة إلى السيرك الذي تستخدم فيه الأسود والنمور وغيرها من السباع

عهد النبي ، وكذلك البقرة[4]، والصحابة  قد سمعوا تسبيح الطعام والحصى بين يدي النبي [2]، فما المانع أن تتكلم السباع في آخر الزمان؟ والله  لا يعجزه شيء، فهو  الذي خلقها وهو القادر على إنطاقها بمشيئته وقدرته، فالخلق والإيجاد أعظم من الكلام، والفيصل في ذلك كله ما أخبر الله تعالى به أو أخبر به نبيه  فوجب الإيمان والتسليم بذلك.

في الألعاب العجيبة والحركات الغريبة، وأنها تخاطب فتفهم، وتؤمر وتنهى فتأتمر وتنتهي حسب إرادة اللاعب بها. انظر: مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية، أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط6، 1391هـ، (22).

وقد رد عليه الشيخ حمود التويجري رحمه الله بأن ظاهر الأحاديث يدل على أن السباع تكلم الإنسان في آخر الزمان كلامًا حقيقيًّا، كما وقع ذلك في زمن النبي ، وهذا هو الذي فيه خرق للعادة مما جعل الصحابة يستغربون ذلك، وأما استخدام السباع في الألعاب العجيبة والحركات الغريبة فليس بمستغرب منها كما يستغرب من تكليمها للإنس بالكلام الحقيقي، وقد وجد نطق الجمادات في زمان النبي ، فدلَّ ذلك على أنَّه غير مستبعد أن يكون ذلك في آخر الزمان أيضًا. انظر: إيضاح الحجة على صاحب طنجة، حمود عبد الله التويجري، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض، ط1، (24-27).

1 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [77].

2 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [161].

## المطلب الثاني: الجسَّاسة:

من أشراط الساعة الكبرى التي أخبر عنها النبي : المسيح الدَّجال، وقد جاء ذكره في أحاديث كثيرة، منها: حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها[1]، الطويل، في قصة تميم الداري رضي الله عنه[2] حين ركب البحر هو ومن معه، وفيه ذكر الجسَّاسة[3]، ففي هذا الحديث: ((...فدخلوا الجزيرة، فلقيهم دابّة أهْلَبُ كثيرة الشعر[4]، لا يدرون ما قُبُله من دُبُره، من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ قالت أنا الجسَّاسة...الحديث))[5].

وفي رواية: ((فإذا أنا بإنسان لا يدرون أذكر هو أم أنثى من كثرة الشعر))[6].

وفي رواية: ((فإذا أنا بامرأة تجر شعرها))[7].

وفي رواية: ((فلقيتنا جارية تجر شعرها لا ندري مقبلة هي أم مدبرة))[8].

---

1 () هي: فاطمة بنت قيس بن خالد، القرشية، الفهرية، أخت الضحاك بن قيس، كانت من المهاجرات الأول، وكانت ذات جمال وعقل، تزوجها أبو بكر بن حفص، ثم طلقها، فتزوجت أسامة بن زيد بإشارة من النبي ، اجتمع أهل الشورى في بيتها لما قتل عمر رضي الله عنه. انظر: أسد الغابة (5/ 248-249)، والإصابة (8/ 69).

2 () هو: أبو رقية تميم بن أوس بن حارثة الداري، كان نصرانيًّا، وقدم المدينة فأسلم، من مناقبه: أنّ النبي  حدّث عنه حديث الجسَّاسة هذا، كان إسلامه سنة تسع للهجرة، هو وأخوه أبو نعيم، كان كثير التهجد بالليل، روى عن: شرحبيل وعطاء بن يزيد وغيرهم، وتوفي بالشام. انظر: الاستيعاب (1/ 193-194)، والإصابة (1/ 368).

3 () سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدَّجَّال. انظر: معالم السنن (4/ 348).

4 () أهْلَبُ الشعرِ: أي غليظ الشعر. انظر: إكمال المعلم (8/ 500).

5 () أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن، باب قصة الجسَّاسة (1188) برقم (2942).

6 () أخرجها الطبراني في المعجم الكبير (24/ 392) برقم (960).

7 () أخرجها أبو داود في سننه في كتاب الملاحم، باب: في خبر الجساسة (1538) برقم (4328).

8 () أخرجها ابن حبان في صحيحه (15/ 193) رقم (6787).

وقد جمع بعض العلماء بين هذه الروايات باحتمالات ثلاثة[9]:

1- يمكن أن يكون للدَّجَّال جسَّستان: دابّة وامرأة.

2- أنها امرأة وسميت بالدابّة لجواز إطلاق الدابّة على المرأة لغة، كما في قوله تعالى: ﴿ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ﴾ [هود: 6].

3- أنَّ الجساسة شيطان، يتمثل بأي صورة شاء، فتارة بصورة امرأة، وتارة أخرى بصورة دابّة.

فالذي دلت عليه السنة، ويجب الإيمان به: وجود الجسَّاسة التي تجس الأخبار للدَّجال، وقد تكون من الحيوان، أو من البشر، أو مخلوق آخر غيرهما - الله أعلم به - فلا أحد يستطيع الجزم بشيء من ذلك.

ولمَّا كانت الدابّة يحتمل كونها من الحيوان أو غيره جاء ذكرها في هذا البحث والله أعلم.

9 () انظر: عون المعبود (11/ 315)، وبذل المجهود في حل سنن أبي داود، خليل أحمد السهار نفوري، اعتنى به وعلق عليه: تقي الدين الندوي، دار البشائر، بيروت، ط1، 1427هـ، (12/ 377)، وفتح الودود في شرح سنن أبي داود، أبو الحسن السندي، تحقيق: محمد زكي الخولي، مكتبة لينة، مصر، ومكتبة أضواء المنار، المدينة المنورة، ط1، 1421هـ، (4/ 253).

## المطلب الثالث: قتل عيسى  للخنزير:

من أشـراط السـاعة الكـبرى: نـزول عيسـى عليـه الصـلاة والسـلام في آخـر الزمـان إمامًـا عـادلاً، وحكمًـا مقسـطًا، وقـد تواترت الأخبـار بـذلك[1]، ومن الأعمـال الـتي يقـوم بهـا عيسـى عليه الصلاة والسلام بعد نزوله ولها علاقـة بـالحيوان: مـا أخـبر عنه النبي  من أنه يقتل الخنـزير، فعن أبي هريرة قال: قـال رسول الله : ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينـزل فيكم ابن مـريم حكمًـا عـدلاً، فيكسـر الصـليب ويقتـل الخنـزير، ويضـع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحـد، حـتى تكـون السـجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها)، ثم يقول أبو هريـرة: واقـرؤوا إن شئتم: ﴿ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ﴾ [النساء: 159] ))[2].

فعيسـى  حين ينـــزل آخــر الزمــان، ينـــزل حاكمًــا بهــذه الشريعة، لا ينـزل نبيًّا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة، بـل هـو حاكم عادل مقسـط من حكَّام هـذه الأمة[3]، وبعـد نزولـه عليـه الصلاة والسلام يقتل الخنــزير الـذي تعظّمـه النصـارى، ليبطـل زعمهم ذلك، وليبين حرمة الخنـزير في شريعة عيسـى ، كمـا هو محرم في شريعة محمد [4].

ففي الحديث إبطـال لشـريعة النصـارى في اسـتباحة لحـوم الخنازير، وأنها لا تقتنى للأكل[5].

---

1 () انظر: جامع البيان (6/ 458)، وتفسير القـرآن العظيم (7/ 223)، وعون المعبود (11/ 307).

2 () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: نـزول عيسى ابن مريم عليهما السلام (281) بـرقم (3448)، ومسـلم في صـحيحه في كتـاب الإيمـان، بـاب: نـزول عيسـى ابن مـريم حكمًـا بشريعة نبينا...(703) برقم (155).

3 () انظر: شرح صحيح مسلم (2/ 190).

4 () انظـر: شـرح صـحيح البخـاري لابن بطـال (6/ 344)، والمفهم (1/ 370)، وفتح الباري لابن حجر (8/ 89).

5 () انظر: أعلام الحديث (2/ 1098).

## المطلب الرابع: الدابّة وعلاقتها بالحيوان:

وفيه ثلاث مسائل:

### المسألة الأولى: تعيين الدابّة والمراد بها:

### الدابّة لغة:

دبَّ يدبُّ دبًّا، أي: مشى يمشي مشيًا رويدًا، والدابّة: كل ما يدب على الأرض للمذكر والمؤنث، جمعه دواب، وتصغيره: دويبة[1].

فالدابّة اسم لما دبَّ من الحيوان، مميزة وغير مميزة، قال تعالى: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹچ﴾ [النور: 45][2]، وكل ما مشى على الأرض فهو دابّة[3].

وقد غلب اسم الدابّة على ما يُركب من الحيوان[4]، ويدخل في مسمى الدابّة الطير، خلافًا لمن أخرج الطير من الدواب، بدليل قوله تعالى: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀٺ﴾ [هود: 6]، فإنَّ الطير يدب على رجليه في بعض الحالات[5]، بل يدخل في إطلاق الدابّة على الصحيح حيوان البحر أيضًا[6].

### الدابّة شرعًا:

هي تلك الدابّة العظيمة التي تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله تعالى، وتبديلهم الدين الحق، فتكلم الناس، تكليمًا خارقًا للعوائد المألوفة[7].

والدابّة من أشراط الساعة الكبرى جاءت أدلة كثيرة على ذلك منها:

1- قال تعالى: ﴿ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ﴾ [النمل: 82]،

---

1 () انظر: لسان العرب (1/ 369) مادة (دبب)، والمعجم الوسيط (268).

2 () انظر: لسان العرب (1/ 369) مادة (دبب).

3 () انظر: مقاييس اللغة (2/ 263)، مادة (دب).

4 () انظر: لسان العرب (1/ 370) مادة (دبب).

5 () انظر: الجامع لأحكام القرآن (2/ 201)، وحياة الحيوان (2/ 292).

6 () انظر: مفاتيح الغيب (12/ 175)، وتفسير القرآن العظيم (4/ 239).

7 () انظر: تفسير القرآن العظيم (6/ 220)، وتيسير الكريم الرحمن (714).

ومعـنى الآيـة: «إذا قـربت السـاعة أخرجنـا لهم دابّـة من الأرض، وخروج الدابّة من أشراط الساعة»[1].

2- عن عبد الله بن عمرو رضي اللـه عنهمـا، قـال: حفظت من رسول اللـه  حـديثًا لم أنسـه بعـد، سـمعت رسـول اللـه  يقول: ((إنَّ أول الآيات خروجًا، طلوع الشـمس من مغربهـا، وخروج الدابّة على الناس ضحًى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا))[2].

3- عن حذيفـة بن أسـيد قـال: ((اطلـع النـبي  علينـا، ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلهـا عشـر آيـات فـذكر: الـدخان والـدجال والدابّـة، وطلـوع الشـمس من مغربهـا، ونـزول عيسـى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسـوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم))[3].

وقد اختلف العلماء كثيرًا في تعيين هذه الدابّة، وبيان المـراد بها[4]، وأشهر هذه الأقوال ما يلي:

1- أنَّ الدابّة هي: الجسَّاسـة، الـتي سـبق الحـديث عنهـا، ولا دليل لهذا القـول إلاّ مـا جـاء في حـديث تميم الـدّاري من وصف الجسَّاسة بأنها: ((دابّة أهلب، كثير الشعر، لا يدرون مـا قُبُلهـا من دُبُرهـا))[5]، وبمـا يـروى عن ابن عمـرو بن العاص رضي الله عنهما، من أنَّ الدابّة هي: الجسَّاسة[6].

ووصف الجسَّاسة بأنها دابّة لا يدل على أنها الدابّة الـتي

---

1 () التسهيل لعلوم التنـزيل (3/ 100).

2 () أخرجه مسـلم في صـحيحة في كتـاب الفتن وأشـراط السـاعة ، باب: في خروج الدجال (1188) رقم (2941)

3 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [340].

4 () انظر هذه الأقوال في: الدابة، دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهـل السنة والجماعة، د. محمد العلي، دار طيبة، الرياض، ط1، 1429هـ (33-64)، وأشراط الساعة للوابل (407-413).

5 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [343].

6 () انظر: الكشاف (3/ 388)، وأنوار التنـزيل (2/ 183)، والتـذكرة (578)، وشرح صـحيح مسـلم (18/ 28)، والجـامع لأحكـام القـرآن (13/ 245).

جاءت بها الأدلة، والتي هي من أشراط الساعة الكبرى، وكذلك ما روي عن ابن عمرو بن العاص لو ثبت فلا يدل على ذلك، بل هو: مجرد اجتهاد منه يحتاج إلى نص من الوحي[1].

2- الدابّة هي فصيل ناقة صالح، ورجح هذا القول القرطبي رحمه الله، واستدل له بما جاء عن النبي  حين ذكر الدابّة، فقال: ((لها ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج في أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية، يعني: مكة، ثم تكمن زمانًا طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك، فيعلو ذكرها في أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية، يعني: مكة، قال رسول الله : ثم بينما الناس في أعظم المساجد على حرمة، وخيرها وأكرمها المسجد الحرام، لم يرعهم إلا وهي ترغو[2] بين الركن والمقام، تنفض عن رأسها التراب...الحديث))[3].

واستدل القرطبي من قوله في الحديث: (وهي ترغو)، والرغاء إنما هو للإبل، وأن الفصيل لما قتلت الناقة قيل: إنه هرب بنفسه فانفتح له حجر فدخل فيه ثم انطبق عليه، فهو فيه إلى وقت خروجه حتى يخرج بإذن الله تعالى[4].

والاستدلال بهذا الحديث لا يستقيم لأمور:

أولاً: أنَّ هذا الحديث ضعيف.

ثانيًا: لو صح هذا الحديث فلا دلالة فيه، وقوله: (ترغو) لا

---

1 () انظر: الدابة (35).

2 () الرغاء هو: صوت ذوات الخف، والرغاء صوت الإبل، وقد قيل ذلك للضباع والنعام. انظر: لسان العرب (14/ 329) مادة (رغا).

3 () مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، بدون ذكر الطبعة، (1/ 144) رقم (1069)، والحاكم في مستدركه (4/ 530) رقم (8490)من حديث حذيفة بن أسيد، وصحح إسناده، وقال عنه الذهبي: طلحة بن عمرو الحضرمي ضعفوه وتركه أحمد، وفي: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر البوصيري (8/ 107) رقم (7599)، قال: في إسناديهما طلحة بن عمرو الحضرمي وهو ضعيف، وانظر: الدابة (73).

4 () انظر: التذكرة (580)، والجامع لأحكام القرآن (13/ 245).

يكفي دليلاً على إثبات أن الدابّة هي هذا الفصيل، وهذا أمرٌ غيبـي يحتاج إلى نص صحيح صريح يدل عليه.

ثالثًا: جاء في بعض الروايات لفظة (تربو) بدل (ترغو).

3- أنَّ الدابّة هي الثعبان المشرف على جدار الكعبـة، والـتي اقتلعها الطائر حين أرادت قـريش بنـاء الكعبـة ثم انطلـق بها ورماها[1].

وهذا القول لا دليل عليه من الكتـاب والسـنة، ولم يثبت عن ابن عباس الذي نسب إليه هذا القـول ولا غـيره من الصحابة.

4- أنَّ الدابّة اسم جنس لكل مـا يـدب على الأرض، وليسـت دابّة واحدة، بل هي مبثوث نوعهـا في الأرض، فهي تخـرج في كل بلد وكل قوم[2].

الرد على هذا القول[3]:

أولاً: أنَّ القـرآن الكـريم والسـنة النبويـة قـد دلاَّ على أن الدابّة واحدة وليسـت اسـم جنس لكـل مـا يـدب على الأرض.

ثانيًا: أنَّ دابّة الأرض من خوارق العـادات، غـير المألوفـة للناس، وما كـان كـذلك فهـو ممـا يعجـز عنـه الخيـال، ومما لم يسبق له الخروج بين الناس.

ثالثًا: الأدلـة قـد دلت على أن خـروج الدابّـة من أشـراط الساعة الكبرى، وأنها إذا خرجت لا ينفع نفسًـا إيمانهـا لم تكن آمنت من قبل، فلـو كـانت الدابّـة اسـم جنس تخرج على كل قـوم لمـا كـان الإيمـان نافعًـا لمن آمن بعـد خروجهـا، ويلـزم من ذلـك نفي الإيمـان عن كـل المؤمنين الذين آمنوا بعد الخروج، المتعدد من الأزمان المتفاوتة، وهو معلوم البطلان بالضرورة.

رابعًا: في هذا القول تحكيمٌ للعقـول في الأمـور الغيبيـة، ممـا يـؤدي إلى تأويـل النصـوص الشـرعية من الآيـات

---

1 () انظر: المحرر الوجيز (4/ 271)، والتذكرة (578)، وروح المعـاني (20/ 22)، وحياة الحيوان (2/ 313)، والمفهم (7/ 240).

2 () انظر: المحرر الوجيز (4/ 271)، والبحر المحيط (7/ 91)، وحيـاة الحيوان (2/ 312)، وروح المعاني (20/ 22).

3 () انظر: إتحاف الجماعة (3/ 186-187)، والدّابة (55-56).

والأحاديث على خلاف مرادها الصحيح.

5- أنّ الدابّة إنسان متكلم يناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم ليقتطعوا فيهلك من هلـك عن بينـة، ويحـيى من حـيي عن بينة[1]، واستدل أصـحاب هـذا القـول بقولـه تعـالى: ﴿ک﴾، والكلام لا يصدر إلا من إنسان[2].

واستدلوا أيضًا بما يروى عن علي بن أبي طالب ﵁ أنـه سـئل عن الساعة، فقال: ((أما والله ما لها من ذنب وإنَّ لها للحيـة)) [3].

فقـالوا: في ذلـك إشـارة إلى أنَّ الدابّـة رجـل وليسـت من الدواب[4].

الرد على هذا القول:

أولاً: هذا القـول لا دليـل عليـه من كتـاب أو سـنة، ولـو كـان المراد بها إنسانًا ينـاظر أهـل البـدع لم يكن هـذا فيـه آيـة خاصة خارقة للعادة، فإن وجود المناظر لأهل البـدع كثـير في تاريخ الإسلام[5].

ثانيًا: في تسمية العلماء الذين ينـاظرون أهـل البـدع بالدابّـة عدول عن تسميتهم باسم الإنسان والعالم أو الإمام، وهذا خروج عن عادة الفصحاء وعن تعظيم العلماء[6].

ثالثًا: هي وإن كانت دابّة فالله ﷻ قادرٌ على جعلهـا تنطـق كما نطق غيرها.

6- أنَّ الدابّـة المـراد بهـا الجـراثيم الخطـيرة الـتي تفتـك بالإنســان وجســمه وصــحته، وبأموالــه زروعًــا وثمــارًا ومواشي، جزاءً له على بعض ما تجني يداه من إثم ونكـر، وقصاصًا على بعض تعديه لحدود الله تعالى وشرعه، فهي

---

1 () انظـر: الجـامع لأحكـام القـرآن (13/ 245)، والتـذكرة (577)، والمفهم (7/ 240).

2 () انظر: الجامع لأحكام القرآن (13/ 245)، والمفهم (7/ 240).

3 () انظر: تفسير القرآن للسمعاني (4/ 113)، والنكت والعيون، علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد عبـد المقصـود عبـد الـرحيم، دار الكتب العلميــة، بــيروت، (4/ 226)، والجــامع لأحكــام القــرآن (13/ 245).

4 () انظر: تفسير القرآن للسمعاني (4/ 113).

5 () انظر: التذكرة (578)، والمفهم (7/ 240).

6 () انظر: الجامع لأحكام القرآن (13/ 246)، والمفهم (7/ 240).

تجرح وتقتل، ومن تجريحها وأذاها كلمات واعظة للناس لو كانت لهم قلوب ترجع بهم إلى دين ربهم، وتلزمهم الحجة التي ضلوا عنها، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال؛ فإنَّ من معاني التكليم التجريح[1].

الرد على هذا القول[2]:

أولاً: هذا التأويل لا دليل عليه من كتاب وسنة، وهو مخالف لما دلّت عليه النصوص، ويلزم من هذا التأويل الباطل تكذيب ما أخبر به رسول الله ﷺ.

ثانيًا: الجراثيم التي تفتك بالإنسان وصحته موجودة من أول الدنيا، ومنتشرة في جميع أرجاء الأرض، وأمَّا دابّة الأرض فإنها تخرج في آخر الزمان، فتأويل الدابّة بالجراثيم تأويل باطل.

ثالثًا: الجراثيم أنواع لا تحصى، وأما دابّة الأرض فقد دلت النصوص على أنها دابّة واحدة، فتأويلها بالجراثيم مخالف للكتاب والسنة.

رابعًا: الدابّة التي دلت عليها النصوص ليست من الدوابّ المعروفة للناس، ولا من الجراثيم، بل هي خلق عظيم هائل، من خوارق العادات، فهذا مفارق للحشرات والجراثيم التي يعرفها الناس والتي لا تكلمهم، بل هي منها ما لا يرى بالعين المجردة.

وقد جاء في وصف الدابّة أقوال كثيرة للمفسرين، وفي بعضها آثار عن الصحابة في ثبوتها نظر، ولو ثبتت فإنه لا يعتقد لعدم مجيئه في مصدري التلقي[3].

يقول الرازي رحمه الله بعد ذكره لجملة مما نقل في أوصافها وأخبارها: «واعلم أنَّه لا دلالة في الكتاب والسنة على شيء من هذه الأمور؛ فإن صحّ الخبر فيه عن الرسول ﷺ

---

1 () هذا القول لأبي عبية في تعليقه على النهاية لابن كثير، انظر: نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم، إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمد فهيم أبو عبية، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ط1، 1968م (199).

2 () انظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن وأشراط الساعة (3/ 183-185).

3 () انظر: الدّابّة (63).

قُبل، وإلا لم يلتفت إليه»[1].

والذي يجب الإيمان به أنَّ من أشراط الساعة الكبرى دابّة يخرجها الله تعالى في آخر الزمان تكلم الناس، ويكون هذا التكليم آية لهم، تدلهم على أنهم مستحقون للوعيد بتكذيبهم آيات الله، وعند خروجها لا ينفع أحدًا إيمانه إذا لم يكن مؤمنًا قبل ذلك.

قال الشوكاني رحمه الله: «وفي صفتها ومكان خروجها، وما تصنعه ومتى تخرج أحاديث كثيرة بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف، وأما كونها تخرج وكونها من علامات الساعة فالأحاديث الواردة في ذلك صحيحة»[2].

وقال السعدي رحمه الله: «لم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابّة، وإنما ذكر أثرها، والمقصود منها، وأنها من آيات الله، تكلم الناس كلامًا خارقًا للعادة، حين يقع القول على الناس، وحين يمترون بآيات الله، فتكون حجة وبرهانًا للمؤمنين، وحجة على المعاندين»[3].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وحسبنا أن نؤمن بما قال به النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الدابّة فقط، وأما الصفات الواردة فيها وليست بصحيحة ثابتة عن النبي ﷺ، فإنه لا يلزمنا اعتقادها؛ لأنّ الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها»[4].

فنؤمن بخروج هذه الدابّة في آخر الزمان، ونؤمن بما أخبر الله تعالى به من تكليمها للناس، ونكل كيفيتها إلى الله تعالى، فهي دابّة فيها من الآيات ما ليس في غيرها من الدواب، وحسبنا الوقوف على ما ذكره الله في كتابه وما صح من سنة رسوله ﷺ.

**المسألة الثانية: مكان ووقت خروجها:**

اختلف العلماء في مكان خروج الدابّة على أقوال كثيرة[5]:

القول الأول: أنها تخرج من مكة المكرمة، دون تحديد

---

1 () مفاتيح الغيب (24/ 187).

2 () فتح القدير (4/ 153).

3 () تيسير الكريم الرحمن (714-715).

4 () شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن، الرياض، إشراف: مؤسسة الشيخ محمد صالح العثيمين الخيرية، ط 1، 1426هـ، (465).

لمكانها[1].
القول الثاني: أنها تخرج من جبل الصفا[2].
القول الثالث: أنَّ لها ثلاث خرجات[3]، بـدليل حـديث حذيفـة السابق[4].
القول الرابع: أنَّها تخرج من شعب أجياد[5][6].
القول الخامس: أنها تخرج من بعض أودية تهامة[7][8].
القول السادس: أنها تخرج من سدوم[9][10].
القول السابع: أنها تخرج من جبل أبي قبيس[11][12].
القول الثامن: أنها تخرج من مسجد الكوفة[13].

---

5 () انظر: الدابة (67-81)، فقد جمع المؤلف حفظه الله الأقـوال في مكان خروجها وأدلتها وتكلم عليها.

1 () انظـر: جـامع البيـان (19/ 497)، وتفسـير القـرآن، عبـد الـرزاق الصنعاني، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1410هـ، (3/ 85).

2 () انظـر: جـامع البيـان (19/ 497)، وتفسـير القـرآن للسـمعاني (4/ 114).

3 () انظر: جامع البيان (19/ 497)، المحرر الوجيز (4/ 270).

4 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [348].

5 () أجياد: موضع بمكة يلي الصفا. انظر: معجم البلدان (1/ 105).

6 () انظـــر: تفســـير القـــرآن للســـمعاني (4/ 114)، وزاد المســـير (6/ 191).

7 () تِهامة: منطقة تساير البحر، منهـا مكـة، يحجـز الحجـاز بينهـا وبين نجد، وقيل في حدها: تهامة إلى عِرق اليمن، إلى أسياف البحـر، إلى الجحفـة وذات عـرق، سـميت بـذلك لشـدة حرّهـا وركـود ريحهـا من التهم، وهو: شدة الحر وركود الـريح. انظـر: معجم البلـدان (2/ 63-64).

8 () انظر: جامع البيان (19/ 499)، والمحـرر الوجـيز (4/ 270)، وزاد المسير (6/ 191).

9 () سدوم هو: البحر الميت، يقع بين فلسطين والأردن. انظـر: معجم البلدان (3/ 200).

10 () انظر: النكت والعيون (4/ 227)، والجامع لأحكام القـرآن (13/ 246)، وزاد المسير (6/ 191).

11 () هو: جبل مشرف على مكة من جهة الشرق. انظر: معجم البلدان (1/ 80).

12 () انظر: فتح القدير (4/ 151).

13 () انظـر: المحـرر الوجـيز (4/ 270)، والجـامع لأحكـام القـرآن (13/ 246)، وفتح القدير (4/ 151).

القول التاسع: أنها تخرج من موضع في البادية، قريب من مكة[1].

القول العاشر: أنها تخرج من أرض الطائف[2].

وهذه أشهر الأقوال التي ذكرت في مكان خروج الدابّة - حسب ما وقفت عليه - وكل هذه الأقوال ليس عليها دليل من كتاب الله تعالى، ولا حديث صحيح عن النبي [3]، وأكثر ما جاء فيها آثار عن بعض الصحابة والتابعين، وهي لو صحت لا تكفي لأن تكون حجة في هذا الخلاف، وليست ملزمة باعتقاد شيءٍ من ذلك، فالمسلم يجب عليه الإيمان بما دلت عليه الأدلة الصحيحة الدالة على خروج الدابّة في آخر الزمان؛ وأنها من أشراط الساعة الكبرى، وأمَّا مكان خروجها وصفاتها فليس لمعرفة ذلك كبير فائدة، والله أعلم.

يقول أبو حيان رحمه الله: «واختلفوا في ماهيتها، وشكلها، ومحل خروجها، وعدد خروجها، ومقدار ما تخرج منها، وما تفعل بالناس، وما الذي تخرج به، اختلافًا مضطربًا، معارضًا بعضه بعضًا، ويكذب بعضه بعضًا، فاطرحنا ذكره، لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح، وتضييع لزمان نقله»[4].

يقول المراغي: «وما جاء في وصف الدابّة والمبالغة في طولها وعرضها، وزمان خروجها ومكانه مما لا يُركن إليه؛ فإن أمور الغيب لا يجب التصديق بها إلا إذا ثبتت بالدليل القاطع من أقوال الرسول المعصوم»[5].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: «وما ورد من صفاتها وأنها تخرج من أجياد أو من الصفا أو من غيرها أحاديث ضعيفة، وليست بالأحاديث التي تبنى عليها العقيدة»[6].

وقال أيضًا: «وليس في القرآن والسنة الصحيحة ما يدل على مكان خروج هذه الدابّة وصفتها، وإنما وردت أحاديث في

---

[1] () انظر: تفسير القرآن العظيم (6/ 223).

[2] () انظر: الجامع لأحكام القرآن (13/ 246)، وفتح القدير (4/ 151).

[3] () انظر: الكلام على ما جاء في ذلك من الأحاديث والآثار في الدّابّة (68-81).

[4] () البحر المحيط (7/ 91).

[5] () تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1985م، (20/ 22).

[6] () شرح العقيدة السفارينية (465).

صحتها نظر، وظاهر القرآن أنها دابّة تنذر الناس بقرب العــذاب والهلاك والله أعلم»[1].

وأمَّا وقت خــروج الدابّــة؛ فقــد ثبت خروجهــا ضــحًى، وأمــا الزمان فإن تحديد ذلك لا يعلمه إلا اللــه ، فالدابّــة وغيرهــا من أشراط الساعة لا يستطيع أحد أن يحدد الوقت الــذي تقــع فيــه هذه الآيات.

وقد تحدث العلماء عن وقت خروج الدابّــة بالنســبة لأشــراط الســاعة الكــبرى، وترتيبهــا بين هــذه الآيــات، والأدلــة لم تــدل صراحة على ترتيب هذه الآيــات، فليس في القــرآن الكــريم ولا في صحيح السنة ما يدل صراحة على ترتيب هذه الآيات، ولكن العلماء اجتهدوا في ترتيب بعض هذه الآيات.

وسبب هذا الاختلاف في تــرتيب هــذه الآيــات وجــود نصــوص صرحت بأولية بعض هذه الآيات ونصوص أخرى صــرحت بأوليــة آيات أخرى، فمن ذلك ما رواه عبــد اللــه بن عمــرو رضــي اللــه عنهما أن رسول اللــه  قــال: ((إن أول الآيــات خروجًــا: طلــوع الشمس من مغربها، وخروج الدابّة على النــاس ضــحى، وأيهمــا كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا))[2].

وقال : ((أما أول أشراط الساعة: فنــار تحشــر النــاس من المشرق إلى المغرب))[3]، مع أنه ورد في حديث آخر أن النــبي  ذكر عشــر علامــات قــال: ((وآخــر ذلــك نــار تخــرج من اليمن تحشر الناس إلى المحشر))[4].

وهناك نصوص أخرى ذكــرت الآيــات العشــر مجتمعــة، ولكن ترتيبها في هذه النصــوص لا يــدل على ترتيبهــا في الوقــوع، لأن العطف جاء بالواو، وذلك لا يلزم منه الترتيب.

فقد روى حذيفة بن أسيد قال: ((اطلع النبي  علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الســاعة، قــال: إنهــا لن تقــوم حــتى تــروا قبلهــا عشــر آيــات، فــذكر الــدخان، والــدّجال، والدابّة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيســى بن مــريم،

---

1 () مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (5/ 56).
2 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [347].
3 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: خلــق آدم وذريته (268) برقم (3329).
4 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [340].

ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم))[1].

وجاء في رواية أخرى: ((إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدّجال، ودابّة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحِّلُ الناس))[2].

وفي حديث النواس بن سمعان الطويل جاء فيه ترتيب بعض الآيات، وأنَّ أول ذلك خروج الدَّجَّال على الناس، ثم نزول عيسى بن مريم  وقتله الدّجال، ثم خروج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى [3].

وقد جمع الحافظ ابن حجر بين أوليّة الدَّجال وأولية طلوع الشمس من مغربها، وبين وقت خروج الدابّة، فقال: «الذي يترجح عندي من مجموع الأخبار أن خروج الدَّجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابّة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب»[4].

وأما الحافظ ابن كثير فإنه يرى: أن خروج الدابّة هو أول الآيات الأرضية، التي ليست مألوفة؛ فإن الدابّة التي تكلم الناس وتعيِّن المؤمن من الكافر أمر مخالف للعادة المستقرة.

وأمَّا طلوع الشمس من مغربها فهو أول الآيات السماوية، وهو من الأمور الباهرة جدًّا.

أما ظهور الدَّجال، ونزول عيسى ، وخروج يأجوج ومأجوج؛ فإنهم وإن كان ظهورهم قبل خروج الشمس من مغربها، وقبل الدابّة؛ إلا أنهم بشر، وظهورهم آيات مألوفة، مقابل خروج الشمس من مغربها، وخروج الدابّة، فهما ليستا من الأمور

---

1 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [340].
2 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [340].
3 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [148].
4 () فتح الباري (14/ 691).

المألوفة[1].

وكذلك القرطبي رحمه الله ذكر أن طلوع الشمس من مغربها هو أول تغير للعالم العلوي، الذي لم يشاهد فيه تغيير منذ خلقه الله، وأمَّا الآيات الأخرى فقد شوهد ما يقرب منها، فيكون خروج الشمس من مغربها في هذه الآيات، ثم يخرج الله بعدها الدابّة بعد أن يطبع على كل قلب بما فيه من كفر وإيمان، معرِّفة لما في بواطن الناس من إيمان أو كفر، فتكلمهم بذلك[2].

وأمَّا الطيبي[3] فقد قسم الآيات الكبرى إلى قسمين: أمارات دالة على قرب قيام الساعة مثل: الدخان، والدَّجال، وأمارات دالة على وجود قيام الساعة وحصولها، مثل: طلوع الشمس من مغربها، وخروج النار[4].

ولعلّ الأقرب - والعلم عند الله تعالى - أنَّ خروج الدَّجال هو أول هذه الآيات، ثم نزول عيسى ، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم الدخان، ثم طلوع الشمس من مغربها، ثم خروج الدابّة، ثم النار التي تحشر الناس[5].

فيكون ترتيب الدابّة بين هذه الآيات العشر هو: التاسع، وذلك بعد خروج الشمس من مغربها، وقبل النار التي تحشر الناس.

«والحكمة في ذلك: أنه عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابّة؛ تميز المؤمن من الكافر؛ تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة، وأول الآيات المؤذنة بقيام

1 () انظر: النهاية في الفتن والملاحم، إسماعيل بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ، (1/ 109-111).

2 () انظر: المفهم (7/ 243).

3 () هو: الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، كان كريمًا متواضعًا، حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، حريصًا على العلم، يعين طلاب العلم، ويعير الكتب النفيسة كثير البذل والإنفاق، آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، شرَحَ مشكاة المصابيح، توفي سنة 743هـ. انظر: الدرر الكامنة (2/ 186)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، (6/ 137-138).

4 () انظر: الكاشف عن حقائق السنن (11/ 3449).

5 () انظر: أشراط الساعة (244-245)، والدّابّة (87).

الساعة التي تحشر الناس»[1].

وقد ورد ما يدل على تتابع ظهور الأشراط الكبرى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي  قال: ((خروج الآيات بعضها على إثر بعض، يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام[2] ))[3].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله : ((الآيات خرزات منظومات في سلك، فإن يقطع السلك؛ يتبع بعضها بعضًا))[4].

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقد ثبت أن الآيات العظام مثل السلك، إذا انقطع تناثر الخرز بسرعة»[5].

## المسألة الثالثة: عمل الدابّة:

أخبر الله تعالى عن الدابّة، وعن عملها في كتابه، فقال سبحانه: ﴿ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ﴾ [النمل: 82].

فهذه الدابّة التي سبق الحديث عنها، بيَّن الله تعالى العمل الذي تعمله إذا خرجت آخر الزمان، وأنها تكلم الناس، وقد اختلف العلماء في المراد من قوله تعالى: ﴿ﭵ﴾، على قولين:

**القول الأول:** أنَّ الدابّة تكلّم الناس بكلام حقيقي، فتخاطبهم مخاطبة، بكلام خارق للعادة[6].

---

[1] () فتح الباري (14/ 692).

[2] () النظام: هو العقد من الجوهر والخرز. انظر: النهاية في غريب الحديث (926) مادة (نظم).

[3] () أخرجه ابن حبان في صحيحه (15/ 248) برقم (6833)، والطبراني في المعجم الأوسط (4/ 304)، برقم (4271)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (7/ 622) رقم (12430): «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل، وداود الزهراني، وكلاهما ثقة»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (7/ 637) برقم (3210).

[4] () أخرجه أحمد في مسنده (2/ 219)، وقال في مجمع الزوائد (7/ 622) رقم (12429): «رواه أحمد وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (4/ 361) برقم (1762).

[5] () فتح الباري (16/ 551).

[6] () انظر: جامع البيان (19/ 499)، وتفسير القرآن للسمعاني (4/ 115)، والمحرر الوجيز (4/ 271)، وتيسير الكريم الرحمن (714-715).

واستدل أصحاب هذا القول بقراءة: الجمهور، وقراءة عامة قراء الأمصار: (تُكَلِّمهم) بفتح الكاف وتشديد اللام[1].

قال الطبري رحمه الله: «والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك ما عليه قُرَّاء الأمصار»[2].

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: تحدِّثهم[3].

ويؤيد ذلك قراءة أُبي بن كعب رضي الله عنه: (تنبئهم)[4].

وقيل: إنها تكلمهم بالعربية[5]، بلسان ذلق[6][7].

ثم اختلف أصحاب هذا القول في كلام الدابّة، وماذا تقول لهم؟ فقيل: تقول لهم: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ [النمل: 82].

يعني إن الناس لا يوقنون بخروجي؛ لأن خروجها من الآيات[8].

وقيل: إنها تقول: ألا لعنة الله على الظالمين[9].

وقيل: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام[10].

وقيل: تحدث الناس بما يسوءُهم[11].

وقيل: تكلمهم بأنهم كانوا لا يتيقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة، ومباديها، أو بجميع آياته، التي من جملتها الآيات[12].

---

1 () انظر: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان (2/ 175)، وجامع البيان (19/ 499)، والنكت والعيون (4/ 227)، والجامع لأحكام القرآن (13/ 247).

2 () جامع البيان (19/ 499).

3 () انظر: المرجع السابق.

4 () انظر: تفسير القرآن للسمعاني (4/ 115)، والبحر المحيط (7/ 91)، والجامع لأحكام القرآن (13/ 247).

5 () انظر: معالم التنزيل (6/ 177)، والكشاف (3/ 389).

6 () الذليق هو: الفصيح اللسان. انظر: لسان العرب (10/ 110) مادة (ذلق).

7 () انظر: الجامع لأحكام القرآن (13/ 247)، والكشاف (3/ 389).

8 () انظر: تفسير القرآن للسمعاني (4/ 115).

9 () انظر: الكشاف (3/ 389)، والتسهيل لعلوم التنزيل (3/ 100).

10 () انظر: معالم التنزيل (6/ 177)، والكشاف (3/ 389)، والبحر المحيط (7/ 91).

11 () انظر: بحر العلوم (2/ 592).

12 () انظر: روح المعاني (20/ 24).

وقيل: تكلمهم بما فيه حجة وبرهـان للمؤمـنين، وحجـة على المعاندين، كما أن في خروجها علامة على قرب القيامة[1].

وقيل: تقول: هذا مؤمن وهذا كافر[2].

وقراءة عامة قراء الحجاز والبصرة والشام قوله تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢﴾[النمل:82] بكسر همزة (إِنَّ)، فيكـون معـنى (تكلمهم)، أي: تقـول لهم: إنَّ النـاس كـانوا بآياتنـا لا يوقنون، فيكون الكلام كلُّه من كلام الدابّة.

وقيـل: تكـون الجملـة مسـتأنفة، ولا تكـون من كلام الدابّـة، فيكون المعنى: تكلمهم بمـا يسـوءُهم، وتنتهي الجملـة، ثم تبـدأ جملة: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

وقراءة عامة قُرَّاء الكوفـة، وبعض قُـرَّاء البصـرة: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾، بفتح همـزة أنَّ، ويكـون المعـنى على قـراءة الفتح: تكلمهم بـأنَّ النـاس كـانوا بآياتنـا لا يوقنـون، وهـذا موافـق لقـراءة ابن مسعود: ﴿ تُكَلِّمُهُم بِأَنَّ ٱلنَّاسَ ﴾ بزيادة (باء) مع فتح همزة أنَّ[3].

قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك أنهمـا قراءتـان متقاربتا المعنى، مستفيضتان في قراءة الأمصـار، فبأيهمـا قـرأ القارئ فمصيب»[4].

**القول الثاني:** أنَّ الدابّة لا تكلِّم الناس بكلام منطوق، بـل تجـرحهم والكلْم هـو الجراحـة، واسـتدل أصـحاب هـذا القـول بقراءة: ﴿ تَكْلِمُهُمْ﴾، بفتح التاء، وسكون الكاف، وكسر اللام[5].

فقيل: إنها تسمهم في وجوههم بالبياض على وجه المـؤمن،

---

1 () انظر: تيسير الكريم الرحمن (715).

2 () انظـر: تفسـير القـرآن للسـمعاني (4/ 115)، ومعـالم التنــزيل (6/ 177)، والبحر المحيط (7/ 91).

3 () انظـر: التيسـير في القـراءات السـبع، (275)، وحجـة القـراءات، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة، تحقيـق: سـعيد الأفغـاني، مؤسسـة الرسالة، بيروت، ط2، 1402هـ. (538)، وتفسير القرآن للسمعاني (4/ 115-116)، وبحر العلوم (2/ 592)، والمحرر الوجيز (4/ 271)، والجامع لأحكام القرآن (13/ 247-248).

4 () جامع البيان (19/ 500).

5 () انظر: إملاء ما من بـه الـرحمن من وجـوه الإعـراب والقـراءات (2/ 175)، وتفسـير القـرآن للسـمعاني (4/ 115)، والجـامع لأحكـام القـرآن (13/ 247)، وحَكَم المـاوردي على هـذه القـراءة بالشـذوذ، انظر: النكت والعيون (4/ 227).

وبالسواد في وجه الكافر، حتى يتنادى الناس في أسـواقهم: يـا مؤمن، يا كافر.

وقيل: إنها تجرحهم، وهذا مختص بالكافر والمنافق[1].

وقـــال أصـــحاب هـــذا القـــول: إنَّ قـــراءة الجمهـــور: تُكَلِّمُهُمْ مأخوذة من الكَلْم، وهو الجرح، والتشديد للتكثير[2].

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن ذلك، هل هـو كلام باللسـان، أو من الكلْم وهـو الجـرح، فقـال: كـل ذلـك تفعل: تُكَلِّم المؤمن، وتَكْلِم الكافر، أي: تجرحه[3].

ووصف ابن كثير رحمه الله هذا القول بأنه قول حسن جامع لهما، وهو ينتظم المذهبين، وأنَّه لا منافاة بين القولين[4].

ولعـل هـذا القـول هـو القـول الـراجح، فتكـون الدابّـة تكلم الناس، وتحدثهم بلفظ منطوق، كما هو ظاهر الآية، وهي - أيضًا - تكْلِمُهم، أي: تجـرحهم، ويـدل على جرحهـا لهم حـديث أبي أمامة رضي الله عنه، أن النـبي ﷺ قـال: ((تخـرج الدابّـة فتسـم النـاس على خـراطيمهم[5]، ثم يعمـرون فيكم، حـتى يشـتري الرجل البعير، فتقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشـتريته من أحـد المخطمين))[6].

---

1 () انظر: النكت والعيون (4/ 244).

2 () انظر: الكشاف (3/ 390)، والبحر المحيط (7/ 91).

3 () انظـر: تفسـير ابن أبي حـاتم (9/ 2926)، والمحـرر الوجـيز (3/ 390)، ومعالم التنـزيل (6/ 177).

4 () انظر: تفسير القرآن العظيم (6/ 220)، والنهاية (1/ 106).

5 () الخرطوم هو: الأنف، وقيل مقـدم الأنـف. انظـر: لسـان العـرب (12/ 173) مادة (خرطم).

6 () أخرجـه أحمـد في مسـنده (5/ 268)، وقـال الهيثمي في مجمـع الزوائد (8/ 14) رقم (12573): «رواه أحمد ورجاله رجال الصـحيح غير عمر بن عبد الرحمن بن عطية، وهو ثقة»، وصححه الألبـاني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (1/ 639) رقم (322).

## المطلب الخامس: ترك القلاص، وعدم السعي عليها:

من أشراط الساعة التي أخبر عنها النبي : ترك القلاص[1]، وعدم السعي عليها، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله : ((والله لينزلنَّ ابن مريم حكمًا عادلاً، فليكسرنَّ الصليب، وليقتلنَّ الخنزير، وليضعنَّ الجزيَّة، وليتْرُكنَّ القلاص فلا يُسعى عليها، ولتذهبنَّ الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعونَّ إلى المال فلا يقبله أحد))[2].

واختلف العلماء في المراد بقوله : ولتتركنَّ القلاص فلا يسعى عليها على أقوال:

**القول الأول:** أنَّ الناس يزهدون فيها، ولا يرغبون في اقتنائها، ويتساهل أهلها فيها، ولا يعتنون بها، لكثرة الأموال، وقلَّة الآمال، وعدم الحاجة، والعلم بقرب قيام الساعة[3].

**القول الثاني:** أنَّ القلاص لا تطلب زكاتها، ولا يخرج ساع إلى زكاة، لقلة حاجة الناس إلى المال واستغنائهم عنه، ويدل لهذا القول قوله : ((فيكون عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام في أمتي حكمًا عدلاً، وإمامًا مقسطًا؛ يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة؛ فلا يسعى على شاة ولا بعير)) ...الحديث[4][5].

**القول الثالث:** أن القلاص يترك السعي عليها، وهو ركوبها في الأسفار والحمل عليها، للاستغناء عن ركوبها بالمراكب الحديثة، التي لم تكن معلومة من قبل من المراكب الجوية

---

1 () القلاص، جمع قلوص، وهي: الشابة الفتية من الإبل، بمنزلة الجارية الفتاة من النساء، وقيل: هي الثنية. انظر: لسان العرب (7/ 81) مادة (قلص)، والنهاية في غريب الحديث (768) مادة (قلص).

2 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [345].

3 () انظر: شرح صحيح مسلم (2/ 192)، والكاشف عن حقائق السنن (11/ 3480).

4 () أخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب الفتن، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج (2723) برقم (4077)، وضعفه الألباني في ظلال الجنة (1/ 182) رقم (391).

5 () انظر: المفهم (1/ 370)، والنهاية في غريب الحديث (768) مادة (قلص).

والأرضية والبحرية، ويدل لهذا القول أنه خص القلاص، فلو كان المراد الزهد بها وعدم الرغبة في اقتنائها أو عدم جلب زكاتها لما خصها دون غيرها من بهيمة الأنعام[1].

والذي يظهر - والله أعلم - أن المراد بترك السعي على القلاص في آخر الزمان هو ما جاء في القول الأول والقول الثاني، وأن المراد بذلك الزهد فيها، وعدم الحرص على اقتنائها، وكذلك عدم خروج السعاة لجباية الزكاة منها، لعدم وجود من يقبل الصدقة في ذلك الوقت، لكثرة الأموال، ولا منافاة بين هذين القولين - والعلم عند الله تعالى - وإن كان النووي رحمه الله قد رجّح القول الأول، وقال عن القول الثاني: إنه باطل من وجوه[2]، فالذي يظهر أنَّ علّة ترك القلاص والسعي عليها: كثرة الأموال، وعدم الحاجة إليها في آخر الزمان، وهذا ما أخبرت به النصوص وما يكون في آخر الزمان بعد نزول عيسى ، وكثرة الخيرات والبركات.

أمَّا القول الثالث: فالذي يظهر عدم دخوله في الحديث، وذلك لأمور:

الأول: أن النبي  أقسم أن القلاص سوف تترك، فهي وإن ترك الركوب عليها في هذه الأزمان المتأخرة، لم تترك، ولم يزهد فيها أصحابها؛ بل هي من أنفس الأموال، ولا يزال الناس يتباهون بها، ويتكاثرون فيها كما هو مشاهد.

ثانيًا: أنّ ترك ركوبها قد يكون مؤقتًا، فقد تتغير الأحوال، ويرجع الناس إليها، كما هو الشأن في الخيل التي قال عنها رسول الله : ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة))[3].

ثالثًا: إخبار النبي  عن ترك القلاص ورد في هذا الحديث مع أمور أخرى تحدث من: قتل الخنزير، ووضع الجزية، وذهاب الشحناء، والتباغض، وكل هذه الأمور تحدث بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، مما يقوي القول بأن ترك القلاص لم يحصل بعد، وأن حصوله يكون بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، مما يبين ضعف القول بأن تركها هو بسبب المراكب

---

[1] () انظر: أضواء البيان (3/ 219)، وإتحاف الجماعة (2/ 198).
[2] () انظر: شرح صحيح مسلم (2/ 112).
[3] () سبق تخريجه في الصفحة رقم [144].

الحديثة كما في القول الثالث.

وأمَّا استدلال أصحاب القول الثالث بأنّه لو كان المراد الزهد بها، وترك طلب زكاتها لما خصت القلاص دون غيرها من بهيمة الأنعام، فقد أجاب النووي رحمه الله عن هـذا الإشـكال بقولـه: «وإنما ذكرت القلاص لكونها أشـرف الأمـوال، الـتي هي أنفس الأموال عند العرب»[1].

[1] () شرح صحيح مسلم (2/ 192).

## المطلب السادس: وقوع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم:

من أشراط الساعة التي أخبر عنها النبي  ولها علاقة بالحيوان، ما يحدث بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام من الأمنة في الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان مع الحيات فلا تضرهم، فعن أبي هريرة أنَّ النبي  قال: ((الأنبياء إخوة لعلات[1]، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم؛ لأنّه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنّه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران[2]، كأنَّ رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها، إلا الإسلام، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون))[3].

---

1 () العلات هي: الضرائر، والمراد بهم الأولاد الذين اختلفت أمهاتهم وأبوهم واحد، ومعنى الحديث: أن أصل دين الأنبياء واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع أو اختلفت أزمنتهم. انظر: النهاية في غريب الحديث (638) مادة (علل)، وفتح الباري لابن حجر (8/ 84).

2 () الممصر من الثياب: التي فيها صفرة خفيفة. انظر: النهاية في غريب الحديث (872) مادة (مصر).

3 () أخرجه أحمد في مسنده (2/ 406)، وابن حبان في صحيحه (15/ 233) برقم (6821)، وعبد الرزاق في مصنفه (11/ 401) برقم (20845)، وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري (8/ 91)، وقال ابن كثير في النهاية (1/ 96): إسناده جيد قوي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (5/ 214) برقم (2182).

## المطلب السابع: النَّغف الذي يرسله الله  على يأجوج ومأجوج في رقابهم، والطير التي يرسلها الله  لتحملهم بعد نتنهم، فتطرحهم حيث شاء الله استجابة لدعاء عيسى  وأصحابه:

من أشراط الساعة الكبرى التي جاءت في الكتاب والسنة، خروج يأجوج ومأجوج[1]، قال تعالى: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮊ [الأنبياء: 96-97].

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه، قال: ((اطلع النبي  علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدّجال، والدابّة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم))[2].

ومن الأمور المتعلقة بالحيوان والتي تحدث بعد خروج يأجوج ومأجوج النَّغف الذي يرسله الله تعالى في رقاب يأجوج ومأجوج، والطير العظيمة، التي يرسلها الله  لتحملهم بعد إهلاك الله تعالى لهم، استجابة لدعاء عيسى  وأصحابه، وبعد أن يملأ زهمهم ونتنهم الأرض، فقد جاء في حديث النواس بن سمعان الطويل: ((إذ أوحى الله إلى عيسى  أني قد أخرجت عبادًا لي، لا يدان لأحد بقتالهم[3]، فحرز[4] عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحصرُ نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل

---

1 () انظر: أشراط الساعة (365-379).

2 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [340].

3 () أي: لا قدرة لأحد على قتالهم، يقال: لا يد لفلان بهذا الأمر، أي: لا قوة. انظر: المفهم (7/ 285).

4 () حرزهم إلى الطور: أي ضمهم واجعله لهم حرزًا. انظر: شرح صحيح مسلم (18/ 68).

الله عليهم النغف[5] في رقابهم، فيصبحون فرسى[2] كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى  وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[3] ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى  وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت[4]، فتحملهم حيث شاء الله...)) الحديث[5].

فهذان نوعان من الحيوان أخبر عنهما النبي صلى الله عليه وسلم بأن لهما علاقة بشرط من أشراط الساعة الكبرى، وهو: خروج يأجوج ومأجوج وهما: النَّغف الذي يرسله الله تعالى في رقاب يأجوج ومأجوج فتقتلهم استجابة لدعاء عيسى عليه السلام وقومه، والطير التي كأعناق البخت التي يرسلها الله تعالى - أيضًا- استجابة لدعاء عيسى عليه السلام وقومه، فتنقل يأجوج ومأجوج بعد أن تأذى الناس من نتنهم فتطرحهم حيث شاء الله.

فهذه جملة من الحيوان بعضها دلت النصوص على كونه شرطًا من أشراط الساعة، وبعضها متعلق ببعض أشراطها.

---

1 () النَّغَف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم، وهي على حقارتها، فإتلافها شديد. انظر: المفهم (7/ 285).

2 () فرسى: أي هلكى، قتلى، من فرس الذئب الشاة، إذ قتلها. انظر: المرجع السابق.

3 () الزهم، هو: الدسم والرائحة الكريهة. انظر: شرح صحيح مسلم (18/ 69).

4 () البخت، هي: جمال طوال الأعناق، عظام الأسنام، والمراد أنَّ هذه الطير أعناقها في الطول والكبر كأعناق البخت. انظر: النهاية في غريب الحديث (64) مادة (بخت)، والمفهم (7/ 286)، وتحفة الأحوذي (6/ 419).

5 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [148].

## المبحث الثاني: التناسخ بين الإنسان والحيوان عند من يقول به:

### تعريف التناسخ:

**النسخ لغة:** التتابع والتداول، فالأشياء تناسخ، أي: تَداوَل، فيكون بعضها مكان بعض، كالدول والمُلْك، وكذلك تناسُخ الأزمنة والقرن بعد القرن[1].

والنسخ إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه، تقول العرب: نَسَخَت الشمسُ الظل، والمعنى: أذهبت الظل وحلت محله[2].

### مفهوم تناسخ الأرواح في الاصطلاح:

يطلق تناسخ الأرواح ويُراد به خروج الروح من بدن ودخولها في بدن آخر غيره، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، فالثواب والعقاب في هذه الدار لا غيرها، فالراحة والسرور التي يجدهما الإنسان -على حد زعم القائلين بالتناسخ- مرتبة على أعمال البر التي سلفت، وكذلك الغم والحزن هي: مرتبة على أعمال الفجور السابقة، فالأبدان هي الجنات وهي النار، فالأرواح تصير بعد مفارقة الأبدان إلى أبدان أخرى، فهذا معادها عندهم، لا قيامة ولا بعث ولا جنة ولا نار غير هذا[3].

ويُرجع بعض من كتب عن تناسخ الأرواح، وتعليل القول به عند أصحابه إلى أسباب أبرزها[4]:

1- أنّ الروح خرجت من الجسم ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد.
2- أنّ الروح خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين، لا بد من أدائها، فلا مناص إذن من أن

---

1 () انظر: العين (4/ 201)، تهذيب اللغة (7/ 84)، ولسان العرب (3/ 61)، وتاج العروس (7/ 355-356)، والمصباح المنير (2/ 602)، كلها في مادة (نسخ).

2 () انظر: تهذيب اللغة (7/ 84)، ولسان العرب (3/ 61) كلها في مادة (نسخ).

3 () انظر: الملل والنحل (2/ 54-55)، وفرق الشيعة، الحسن بن موسى النوبختي، دار الأضواء بيروت، 1404هـ (36)، والروح، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ (114)، والموسوعة الميسرة (2/ 1032).

4 () انظر: أديان الهند الكبرى (61).

تستوفي شهواتها في حياة أخرى، وأن تتذوق الروح ثمار أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة.

ومن أهم الدعائم التي قامت عليها عقيدة تناسخ الأرواح: اعتقاد خلود الأرواح[1].

وتكون دورة الروح الجديدة متقمصة جسدًا جديدًا، وتكون هذه الدورة نتيجة للدورة الماضية، فتوجد الروح في إنسان أو حيوان أو ثعبان، ويسعد أو يشقى نتيجة لما قدم من عمل في حياته السابقة[2].

فيكون الثواب والعقاب في هذه الحياة حيث يقع الجزاء والعقاب على الروح، وذلك بانتقالها إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم، ومن كان مسيئًا جوزي بأن تنقل روحه إلى أجساد يلحق الروح فيها الضرر والألم، وليس شيء غير ذلك، والدنيا لا تزال أبدًا هكذا، فليس هناك قيامة، ولا آخرة، وإنما هي أرواح تتناسخ بالصور[3].

والقائلون بالتناسخ افترقوا فرقتين: فرقة قالت: إن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخر، وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت، فجائز عندهم أن تنتقل الأرواح التي كانت في أجساد بني آدم إلى طبقة أعلى، وهي طبقة الملائكة، أو إلى أجساد طبقة دونهم من الحيوانات أو النباتات أو الجمادات.

وفرقة ثانية منعت انتقال الأرواح إلى أجساد غير أنواع أجسادها التي فارقت[4].

وبعضهم قسم التحولات إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: النسخ وهو: انتقال الروح من جسد آدمي إلى جسد آدمي آخر.

القسم الثاني: المسخُ وهو: انتقال الروح من جسد آدمي إلى جسد حيوان.

---

1 () انظر: مقارنات الأديان لأبي زهرة (39).

2 () انظر: ثقافة الهند وحياتها الروحية والأخلاقية الاجتماعية، للبروفيسور أثريا (40)، نقلاً عن: مقارن الأديان لطارق خليل (232).

3 () انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، (1/ 54).

4 () انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (1/ 109-110).

القسم الثالث: الفسخ وهو: انتقال الروح من جسد آدمي إلى جسم نباتي.

القسم الرابع: الرسخ وهو: انتقال الروح من جسد آدمي إلى جسم جماد[1].

وغالبية الطوائف والفرق التي قالت بتناسخ الأرواح ذهبت إلى القول بانتقال الأرواح من بني آدم إلى أجساد الحيوانات، والطوائف التي اعتقدت بعقيدة تناسخ الأرواح، منها طوائف قبل الإسلام، وطوائف أخرى تنتسب إلى الإسلام.

فمن قال بذلك قبل الإسلام معظمُ ديانات الهند، يقول البيروني[2]: «كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية، والإسبات[3] علامة اليهودية، كذلك التناسخ عَلَم النحلة الهندية، فمن لم ينتحله لم يك منها، ولم يعدَّ من جملتها»[4].

ومن أشهر الديانات الهندية التي قالت بتناسخ الأراوح:

1- الهندوسية[5].

---

1 () انظر: الملل والنحل (1/ 172)، والكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ (305)، والنصيرية، سهير محمد علي الفيل، دار المنار، القاهرة، ط1، 1410هـ، (75-76).

2 () هو: أبو الريحان، محمد بن أحمد البيروني، الخوارزمي، فيلسوف، رياضي، مؤرخ، أقام في الهند بضع سنين، اطلع على فلسفة اليونان والهنود، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره، كان مكبًّا على تحصيل العلوم. توفي سنة 440هـ. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (1/ 50-51)، والأعلام (5/ 314).

3 () أي تعظيم يوم السبت.

4 () تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان، محمد بن أحمد البيروني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1377هـ، (38).

5 () انظر: الملل والنحل (1/ 172)، و(2/ 249)، ومقارنات الأديان لأبي زهرة (38-40)، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (622).

2- البوذية[1][2].
3- السيخ[3][4].
4- الجينية[5][6].
4- السُّمَنِيَّة[7][8].

1 () تنسب البوذية لرجل أصله من الهندوس وهو: بوذا المولود قبل المسيح  بحوالي 560 سنة، وأفكارها لا تكاد تخرج عن أفكار الهندوسية، وقد جاءت تخفيفًا لما جاء في البرهمية من تعاليم وإزالة لما أحدثته الهندوسية من تفريق بين الناس، فهي فلسفة وضعية انتحلت الصفة الدينية، فهي في الأصل كانت دعوة إلى التصوف والخشونة، ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح، وبعد مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثني، ومن عقائدهم أن بوذا هو ابن الله، والقول بتناسخ الأرواح، وحلول الله في بوذا، وأنّ بوذا هبط إلى العالم لينقذه مما فيه من شرور. انظر: مقارنات الأديان لأبي زهرة (46-65)، والأديان والفرق لعبد القادر شيبة الحمد (63-68)، وأديان الهند الكبرى (156، 162، 163)، والموسوعة الميسرة (2/ 768-773).

2 () انظر: أديان الهند الكبرى (151، 156)، ومقارنة الأديان للخطيب (438)، ومقارنات الأديان، لأبي زهرة (59).

3 () السيخية: جماعة دينية ظهرت في نهاية القرن الخامس عشر، وبداية القرن السادس عشر الميلادي، تزعم أنها جاءت بدين جديد خليط بين الديانتين الإسلامية والهندوسية، فأخذوا من الهندوسية القول بوحدة الأديان والحلول والاتحاد، وبعض أساطيرهم، ومن عقائدهم: يدعون إلى الاعتقاد بخالق واحد، ويقولون بتحريم عبادة الأصنام، وينادون بالمساواة بين الناس، لكن عقيدتهم تقوم على إجلال وتقديس إله غير مشخص، هو في الأصل خالق العالم، فعندهم اعتقاد المسلمين بوحدانية الله لا يختلف عن اعتقاد الهندوس بـ(فشنو) إله الخير، ومن أبرز شعائرهم: ترك الشعر، ولبس سوار حديد للرجال، ووضع مشط صغير في الرأس، وخنجر صغير يتمنطق به السيخي، وسروال صغير لا يتجاوز الركبة رمزًا للعفة. انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (677-702)، ومقارنة الأديان للخطيب (493-513)، والموسوعة الميسرة (2/ 774-780).

4 () انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (691)، ومقارنة الأديان للخطيب (506).

5 () الجينية: ديانة هندية يزعم أتباعها على قلة تعدادهم أنها قديمة، وأنها كانت نوعًا من المقاومة للهندوسية وثورة على سلطان البراهمة، تنسب لشخص يدعى (مهاوير) كان معاصرًا لبوذا، لم يعترف بالآلهة، وقرر أنه لا يوجد روح أكبر أو خالق أعظم لهذا الكون، ولهذا سمي هذا الدين دين إلحاد، والأرواح خالدة يجري عليها

وممن قال بتناسخ الأرواح - أيضًا - قبل الإسلام ممن تأثر بالديانات الهندية:

1- فلاسفة اليونان[1]، ومنهم سقراط[2][3].

2- المانوية[4][5].

3- بعض قوم من اليهود[6].

4- بعض العرب[7].

وقد انتقلت عقيدة تناسخ الأرواح إلى بعض الفرق المنتسبة

---

التناسخ، ويقولون بالطبقية، حيث قسموا رجالهم إلى خمس طبقات، وقد أثَّرت الجينية على الهندوسية بأمور أبرزها: عبادة الأصنام، وبناء المعابد، وتحريم ذبح الحيوان، والتناسخ والرهبانية، والعري. انظر: أديان الهند الكبرى (107-112)، ودراسات في الديانة اليهودية والمسيحية وأديان الهند (663-673).

6 () انظر: أديان الهند الكبرى (111)، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند (672).

7 () من فلاسفة الهند، نسبة إلى بلدة سومنات بالهند، يقولون بقدم العالم، وينكرون النظر والاستدلال، وقالوا بتناسخ الأرواح وأجازوا انتقال روح الإنسان إلى بدن كلب وغيره. انظر: الفرق بين الفرق (253، 346)، والتبصير في الدين (149)، المواقف، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، 1997م (1/ 130).

8 () انظر: الفرق بين الفرق (253)، والمواقف (1/ 130).

1 () انظر: تناسخ الأرواح أصوله وآثاره وحكم الإسلام فيه، محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، الأردن، ط1، 1411هـ، (23-28).

2 () سقراط: فيلسوف يوناني عاش في الفترة (469-399 ق. م) في أثينا، معلمه هو: فيثاغورس، عرف عنه البساطة والتواضع، كان يعلم الناس في الشوارع والأسواق والملاعب، من أبرز تلاميذه: أفلاطون، أعدم بشرب السم لإساءته إلى الأديان، ومن فلسفته أنه جعل محور فلسفته الإنسان.

3 () انظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (43)، والفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977م، (253)، والتبصير في الدين، (136).

4 () المانوية: هم أتباع ماني بن فاتك المجوسي، ادعى النبوة، وقال: إنَّ للعالم أصلين هما: النور والظلمة، وكلاهما قديمان، فزعموا أنَّ هناك إلهين وخالقين، الله خالق الخير والنور والضياء، وخالق للشر والظلمة، قتله الملك بهرام بن هرمز سنة 279م، وبدأ دعوته في

إلى الإسلام، ومن أشهر الفرق التي قالت بتناسخ الأرواح[1]:

1- غالية الشيعة[2]، يقول: الإمام أبو الحسن الأشعري[3] رحمه الله عن أهل الغلو من الرافضة: «ينكرون يوم القيامة والآخرة، ويقولون ليس قيامة، ولا آخرة، وإنما هي أرواح تتناسخ في الصور: فمن كان محسنًا جوزي بأن ينقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر، ولا ألم، ومن كان مسيئًا جوزي بأن ينقل روحه إلى أجساد يلحق الروح فيه كونه فيها الضرر

---

الهند، فقيل: إنه أخذ عقيدة التناسخ من البوذية. انظر: الفصل (1/ 51)، والملل والنحل (1/ 243)، والتنبيه والرد (92)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ، (88).

5 () انظر: التبصير في الدين (136)، والفرق بين الفرق (254).

6 () انظر: الفرق بين الفرق (254)، والتبصير في الدين (136)، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف، أضواء السلف، الرياض، ط5، 1427هـ، (147-148).

7 () انظر: الملل والنحل (2/ 236)، حيث ذكر أنَّ من العرب من قال بذلك، وزعموا أنَّ الإنسان إذا مات أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته، فانتصب طيرًا هامة، فيرجع إلى رأس القبر كل مائة سنة، وقيل : إنهم كانوا يزعمون أنَّ عظام الميت تصير هامة فتطير ، ويسمون ذلك الطائر : الصدي ، فهذا شبيه باعتقاد أهل التناسخ أن روح الموتى تنتقل إل أجساد حيوانات من غير بعث ولا نشور . انظر : يسير العزيز الحميد (432).

1 () الكلام هنا عن تناسخ أرواح الخلق إلى أبدان غيرهم من إنسان أو حيوان؛ إذ هناك نوع آخر ذهب إليه غلاة الروافض، وهو القول بانتقال روح الإله إلى أبدان الأئمة، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا.

2 () الشيعة: هم الذين يفضلون عليًّا  على جميع الصحابة، ويزعمون مشايعتهم له، وأنّ عليًّا وولده أحق بالإمامة من غيرهم، وأنَّ الإمامة لا تخرج عنه وعن ولده، فإن خرجت فبظلم من غيرهم، أو بتَقِيَّة منهم، ومن عقائدهم: تكفير معظم الصحابة، وعصمة الأئمة، والقول بتحريف القرآن، والقول بالتقِيَّة وغيرها، وقد افترقوا على فرق كثيرة، أصولها ثلاث هي: الغالية، والرافضة، والزيدية. انظر: مقالات الإسلاميين (1/ 25)، والفصل (1/ 370)، والملل والنحل (1/ 145)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (1/ 52).

3 () هو: أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، اليماني، يرجع نسبه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولد

والألم، وليس شيء غير ذلك، وأن الدنيا لا تزال أبدًا هكذا»[1].

فمن هؤلاء: النصيرية[2]، فقد قالوا بتناسخ الأرواح[3]، ولانتقال الروح عند النصيرية أربعة أشكال هي التي سبق الحديث عنها، وهي: النسخ، والمسخ، والفسخ، والرسخ[4].

ويزعم النصيرية أنَّ أرواح مخالفيهم يجري عليها أشكال التناسخ الثلاثة، وهي: المسخ والفسخ والرسخ، أمَّا النسخ الذي هو انتقال الروح من جسد آدمي إلى جسد آدمي آخر، فهو

---

سنة 260هـ أخذ عن الجبائي وسهل بن نوح وغيرهم، كان معتزليًّا ثم تاب من مذهبهم، ورد عليهم، ولكنه بعد رجوعه عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كلاب ومال إلى أهل السنة والحديث وانتسب إلى الإمام أحمد، وكان مختلطًا بأهل السنة والحديث كاختلاط المتكلم بهم، له مؤلفات كثيرة، منها: الإبانة، ومقالات الإسلاميين، وتتلمذ عليه: أبو الحسن الباهلي، وأبو الحسن الكرماني وغيرهم، توفي سنة 330هـ انظر: سير أعلام النبلاء (15/ 85-90)، ودرء تعارض العقل والنقل (1/ 241).

1 () مقالات الإسلاميين (54).

2 () فرقة باطنية تنسب إلى محمد بن نصير النمري (ت 270ه)، قالت بنبوته، وألوهية علي رضي الله عنه، وقالوا بإباحة المحارم، كان مؤسسها محمد بن نصير على معتقد الإمامية ثم فارقهم وادعى النبوة وغلا في علي رضي الله عنه، وزعم أنه هو الباب للمهدي المنتظر، من عقائدهم القول بتناسخ الأرواح، من أعيادهم: أعياد المجوس والنصارى، وقد سماهم الفرنسيون بـ(العلويين)، أكثرهم يعيش جنوب وشمال سوريا وجنوب تركيا، وأطراف لبنان الشمالي، وفارس وتركستان وكردستان، وهم كفار باتفاق المسلمين، كما نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: فرق الشيعة (93-95)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (35/ 161)، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي، عقائدهم وحكم الإسلام فيها، د. محمد أحمد الخطيب، دار عالم الكتب، الرياض، ط3، 1428هـ (321-429)، وفرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط4، 1424هـ (533-587)، والنصيرية لسهير الفيل.

3 () انظر: فرق الشيعة (93)، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي (321)، والهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق، رواية المفضل الجعفي، تحقيق: مصطفى غلاب، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1977م، (66، 142، 145، 146، 159-160)، ومجلة

خاص بأبناء طائفتهم فقط[1].

وقـالت فرقـة الـدروز[2] - أيضًـا - بتناسـخ الأرواح، ولكنهم خالفوا النصيرية، حيث قصروا التناسـخ على الأجسـام البشـرية فقـط، فلا يـرون انتقـال الـروح من بـدن الآدمي إلى غـيره من الحيوان أو النبات أو الجماد[3].

وكـذلك الإسـماعيلية[4] القديمـة والمعاصـرة قـالت - أيضًـا - بتناسخ الأرواح[5]، وهنـاك فِـرق كثـيرة من غلاة الشـيعة، ذهبت إلى القول بتناسخ الأرواح ذكرهـا من تكلم على الملـل والنحـل

---

الدراسـات العقديـة، موقـف فـرق الباطنيـة من اليـوم الآخـر، د. عبد القادر عطا صوفي، الجمعية العلميـة السـعودية لعلـوم العقيـدة والأديان والفرق والمذاهب، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عدد 3، محرم، 1431هـ، (290-297).

4 () انظر: النصيرية لسهير الفيل (75-76).

1 () انظر: الهفت الشريف (122-123).

2 () الدروز هي: فرقة باطنية، مؤسسـها الفعلي: حمـزة الـزوزني (ت 430)، ومحمد بن إسماعيل الدرزي (ت 411هـ)، وإليه تنسب، قالت بألوهية الحاكم بأمر اللـه (ت 411هـ)، ولما مات، قالوا بغيبته وأنه سيرجع، ينكرون الأنبياء والرسل، حمزة هو المسيح عندهم، يعتقدون أن ديانتهم نسخت جميع الأديان، قالوا بتناسخ الأرواح، وأنكروا الجنـة والنار، والقيامة هي رجوع الحاكم، لا يقبلون دخول أحد في دينهم ولا أحـد يخـرج منـه، التكتم والتسـتر من أصـول عقائـدهم، من أشـهر رجالهم المعاصرين: كمال جنبلاط، ووليد جنبلاط، تواجدهم في لبنان وسوريا وفلسـطين، وبعض دول المهجـر. انظـر: سـير أعلام النبلاء ( 15/ 173-184)، والبدايـة والنهايـة (12/ 11-12)، ومجمـوع فتـاوى شـيخ الإسـلام ابن تيميـة (35/ 155-162)، والحركـات الباطنيـة في العـالم الإسـلامي (199-318)، والموسـوعة الميسـرة (1/ 400-405)، وعقيدة الـدروز عـرض ونقـد، محمـد أحمـد الخطيب، مكتبـة الأقصى، عمان ط1، 1400هـ.

3 () انظـر: التقمص، أمين طليـع، منشـورات عويـدات، بـيروت، ط1، 1980م، (13،ــ 15،ــ 17)، عقيـدة الـدروز (142-143)، ومجلـة الدراسات العقدية عدد3، (300-301).

4 () فرقة باطنية تزعم أن الإمامة صارت بعد جعفر بن محمد إلى ابنه إسـماعيل، وهم من الإماميـة، ثم خـالفوهم في ذلـك فهم رافضـة باطنية، فعندهم أنَّ لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنـزيل تأويلاً، وأنَّ الإمـام بعد إسماعيل ابنه محمد، ومن أصولهم دعوى ألوهية الأئمـة وعلمهم للغيب وعصمتهم، وأن محمد بن إسماعيل رسـول وصـاحب شـريعة

اكتفيت بأشهرها.

وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله قصة عن بعض هـؤلاء الغلاة أن رجلاً دخل عليه ووجد بين يديه سنورًا أسـودَ، وهـو يمسـحها ويحك بين عينيها، وعينها تدمع كما جرت عـادة السـنانير بـذلك، وهو يبكي بكاءً شـديدًا، فقـال لـه: لم تبكي؟ فقـال: ويحـك أمـا ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها، هـذه أمي، لا شـك، وإنمـا تبكي من رؤيتها إليَّ، قال: وأخذ يخاطبها خطاب من عنـده أنهـا تفهم منه، وجعلت السنور تصيح قليلاً قليلاً، فقال له: فهي تفهم عنك ما تخاطبها به؟ فقال: نعم، فقال لـه: أتفهم أنت صـياحها، قال: لا، قال: فأنت المنسوخ وهي الإنسان[1].

2- أحمد بن حابط[2] ومن تبعه وله في ذلـك قـول عجيب، فقـد زعم أنّ الله تعالى خلق خلقه سـالمين في غـير هـذه الـدار، وأكمل عقولهم، وخلق فيهم معرفته والعلم به، وأنعم عليهم، وزعم أن الإنسـان المـأمور والمنهي هـو هـذه الـروح، وأن الأجسام قـوالب للأرواح فقـط، وأنَّ الـروح هي الحي القـادر

---

جديدة، وأنـه ناسـخ لشـريعة النـاطق قبلـه وهـو محمـد ﷺ، وأنـه من النطقاء السبعة: وهم آدم وأولو العزم من الرسل والسابع محمد بن إسماعيل، ولهم تأويل لأركان الإسلام يتناسب مع أهدافهم وغايـاتهم. انظر: فرق الشـيعة (67-69)، وأصـول الإسـماعيلية، دراسـة تحليـل نقـد، سـليمان عبـد اللـه السـلومي، دار الفضـيلة، الريـاض، ط2، 1422هـ، والإسماعيلية المعاصرة الأصول، المعتقدات، المظاهر الدينية والاجتماعية، محمد بن أحمد الجوير، مكتبة الرشـد، الريـاض، ط3، 1427هـ.

5 () انظـر: فضـائح الباطنيـة، أبـو حامـد محمـد الغـزالي، تحقيـق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة الرسـالة، دار الكتب الثقافيـة، الكـويت، بدون طبعة وتـاريخ، (1/ 44)، الإسـماعيلية المعاصـرة (103-104)، ومجلة الدراسات العقدية، عدد3، (282-286).

1 () تلبيس إبليس (73-74).

2 () هو: أحمد بن حابـط، من أصـحاب النظّام، زاد على النظـام فقـال بتناسخ الأرواح، وأن هناك خالقين، شبه عيسى ﷺ بربه، فزعم أنه إله وأنه هو الذي يحاسب الخلق يوم القيامة، وكان يقول: إن قدرة اللـه تنقطع حـتى لا يقـدر على أن يزيـد نعيم أهـل الجنـة ولا عـذاب أهـل النار، وزعم أن في كل نوع من أنواع الحيوان رسولاً. انظـر: الفصـل (1/ 96)، والملل والنحل (10/ 59-61)، والتبصير في الـدين (136-137).

العـالم، وأنَّ الحيـوان كلـه جنس واحـد، وجميعهـا محتمـل للتكليف، وقد توجه الأمر والنهي عليهم على اختلاف صورهم ولغاتهم، وأنّ الله تعالى لما كلّفهم في غير هذه الدار أطاعه بعضهم في كل ما أمرهم به، وعصاه فريق آخر في جميع ما أمـر بـه، وفريـق ثـالث أطاعـه في بعض وعصـاه في بعض، فمن أطاعـه في كـل مـا أمـر بـه أقـره في دار النعيم، ومن عصاه في كل ما أمره به أخرجه إلى دار العذاب وهي النـار، ومن جمع بين الطاعة والمعصية أخرجـه إلى الـدنيا، وألبسـه بعض هذه الأجسام التي هي القوالب الكثيفة وابتلاه بالبأساء والضراء واللذات والآلام في صور مختلفـة من صـور النـاس والبهـائم والسـباع والحشـرات وغيرهـا على مقـادير ذنـوبهم ومعاصيهم في الـدار الأولى، فمن كـانت معاصـيه أكـثر كـان في الدنيا أقبح، وزعم أن الحيـوان الـذي من الـروح لا يـزال في هـذه الـدنيا يتكـرر في قـوالب وصـور مختلفـة مـا دامت طاعته مشوبة بذنوبه، وعلى قدر طاعته وذنوبه تكون منـازل قوالبـه في الإنسـانية والبهيميـة، ثم لا يـزال من اللـه تعـالى رسول إلى كل نوع من الحيوان، وتكليـف للحيـوان أبـدًا إلى أن يتمحض عمل الحيوان طاعـات فـيرد إلى دار النعيم وهي الدار التي خلـق فيهـا، أو يمحض عملـه معاصـي فينقـل إلى النار الدائم عذابها.

وقال: إن كل نوع من أنواع الحيوانات أمة لقوله تعـالى: ﴿ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈﮉ﴾ [الأنعام: 38].

وفي كل أمة رسول من نوعه لقوله تعالى: ﴿ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ﴾ [فاطر: 24][1].

يقول القاضي عياض رحمه اللـه في تكفـير من زعم النبـوة في الحيوان: «وكذلك نكفر كل من ذهب مذهب بعض القــدماء في أن في كــل جنس من الحيــوان نــذيرًا أو نبيًّا من القــردة والخنازير والدوابّ والدود، ويحتج بقوله تعالى: ﴿ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ﴾ [فاطر: 24]، إذ ذلك يؤدي إلى أن يوصـف أنبيـاء هـذه الأجنـاس بصــفاتهم المذمومــة، وفيــه من الازدراء على هــذا المنصــب المـنيف مـا فيـه، مـع إجمـاع المسـلمين على خلافـه، وتكـذيب

---

1 () انظر: الفرق بين الفرق (257-258)، والفصل في الملل والنحـل (1/ 96-97)، والملل والنحل (1/ 60-61).

قائله»[1].

**علاقة تناسخ الأرواح بالحيوان:**

المتأمل في الديانات والفرق التي قالت بتناسخ الأرواح: يجد أن معظمها ذهبت إلى القول بانتقال الروح من الإنسان إلى الحيوان، وبعضها قال بتناسخ الأرواح مطلقًا، دون تفصيل.

ويستثنى من هذه الفرق فرقة الدروز، فهم - كما سبق - قصروا تناسخ الأرواح الذي يسمونه بالتقمص[2] على انتقال الروح من جسد بشري إلى جسد بشري آخر، فالنفوس عندهم لا تفارق الأجسام لحظة واحدة، بل تنتقل بسرعة من جسد بشري إلى جسد بشري جديد[3].

فالديانات الهندية تتفق على القول بتناسخ الأرواح، وليس التناسخ عندهم وقفًا على الجسد الإنساني، بل يجوز أن تحل الروح في كلب أو شجرة أو غير ذلك[4].

فمصير الروح يحددها سلوكه، فالذين يتمتعون بسلوك جيد، سيدخلون رحمًا جديدًا، لكن من يتمتعون بسلوك شائن سيدخلون رحمًا منحطًّا، إما رحم كلب، أو رحم خنزير، أو رحم أحد المنبوذين[5].

وفلاسفة اليونان - أيضًا - قالوا بانتقال الروح من الإنسان إلى الحيوان، فقد روي عن أحدهم[6]: أنه رأى إنسانًا يضرب كلبًا فمنعه من ضربه، معللاً ذلك بأنه تبين له في عوائه صوت أحد أصدقائه، وزعم أنَّ روحه هو كانت في هر، ثم انتقلت منه

---

1 () الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض اليحصبي، تحقيق: عامر الجزار، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ (2/ 477)، وانظر: الرد عليه مفصلاً في الفصل في الملل والنحل (96-98).

2 () يطلق الدروز على التناسخ التقمص، أي لبس القميص، وفي مفهوم هذه العقيدة أن الروح جوهر خالد، وهي أزلية باقية، أمَّا الجسد فهو قميصها الذي يبلى ويخرق، فتستبدله عندئذٍ بقميص آخر تنتقل إليه. انظر: التقمص (11).

3 () انظر: المرجع السابق (13-15، 17).

4 () انظر: تناسخ الأرواح (17).

5 () انظر: الفكر الفلسفي الهندي، سرفيا لي رادا كرشنا (114)، نقلاً عن تناسخ الأرواح (19).

6 () هو فيثاغورس. انظر: الديانات والعقائد، أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، ط1، 1981م، (1/ 384).

إلى غيره.

والنفس في الأفلاطونية الجديدة في حال انحطاطها تمر في ثلاث مراتب متتابعة: نباتية وحيوانية، وإنسانية، وكلما كانت مرتبتها متدنية كانت حالها أشد سوءًا[1].

والمانوية عندهم أن الأرواح التي لا تفارق الأجسام نوعان: أرواح الصديقين وهي: التي إذا فارقت أجسادها سرت في عمود الصبح إلى النور، فتبقى في ذلك العالم على السرور الدائم، وأرواح أهل الضلال فإنها إذا فارقت الأجساد وأرادت اللحوق بالنور الأعلى ردت منكسة إلى السفل فتتناسخ في أجسام الحيوانات إلى أن تصفوَ من شوائب الظلمة ثم تلتحق بالنور الأعلى[2].

والنصيرية - كما سبق - فرقوا بين أرواحهم وأرواح مخالفيهم، فانتقال الروح من جسد آدمي إلى جسد آدمي خاص بأبناء طائفتهم، وأمَّا مخالفوهم فتنتقل أرواحهم إلى جسد حيوان أو نبات أو جماد[3].

فمعظم الديانات والفرق التي ذهبت إلى القول بتناسخ الأرواح تذهب إلى القول بانتقال الروح من الآدمي إلى الحيوان والعكس، والله أعلم.

**أدلة أصحاب التناسخ:**

استدل أصحاب التناسخ المنتسبون إلى الإسلام بأدلة من كتاب الله تعالى، وبأحاديث من سنة رسول الله ﷺ[4]، ولأصحاب التناسخ المنتسبين إلى الإسلام وغيرهم أدلة عقلية، فمن الأدلة الشرعية التي استدلوا بها:

1- قوله تعالى: ﮋﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﮊ [الانفطار: 6-8].

فزعموا أنَّ هذه الآيات تدل على مذهبهم، وأنّ القيامة إنما

---

1 () تاريخ الفلسفة الإسلامية، ماجد فخري، الدار المتحدة للنشر، 1979م، (49).

2 () انظر: الفرق بين الفرق (254).

3 () انظر: الهفت الشريف (122-123).

4 () انظر: عقيدة الحلول والتناسخ عرضًا ونقدًا، د. محمد العلي، دار الصميعي، الرياض، ط1، 1431هـ (317-395)، فقد ذكر أدلة كثيرة استدلوا بها وناقشهم فيها.

هي خروج الروح من بـدن ودخولها في بـدن آخـر، وأنَّ الخلـق منعمون في هذه الأبواب، أو معـذبون فيها على قـدر أعمـالهم وذنوبهم، وأن الله تعالى يُذَكِّرُ الإنسـان بقدرتـه على إبـداع روح الإنسان في أي صورة من مخلوقاته السفلى والعليا[1].

وهذه الآية لا تدل على ما ذهبوا إليه من قريب ولا من بعيـد، فالمراد بهذه الآية: الصورة التي رُكِّبَ عليها الإنسـان من طـول أو قصر، أو حسن أو قبح، أو بياض أو سواد، ومـا أشـبه ذلك[2]، وقد جاء بعد هذه الآية ما يثبت البعث والجـزاء، فقـال سـبحانه: ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ﴾ [الانفطار: 9]، أي مع هذا الوعظ والتذكير لا تزالون مستمرين على التكذيب بالبعث والجزاء[3].

2- قوله تعالى: ﴿ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ﴾ [الأنعام: 38]، وقوله تعالى: ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ﴾ [فاطر: 24].

فقالوا: إن جميع هذه الدوابّ والحيوانات والسباع كانوا أممًا سابقة قـد خلت النـذر فيهـا من اللـه تعـالى، فمن كـان صـالحًا جعلت روحه بعد انتقاله في بدن صالح، فأكرم ونعم، ومن كـان كافرًا عاصيًا نقلت روحه إلى بدن خبيث يعـذب فيـه في الـدنيا، وأنَّ صـريح هـذه الآيـة يـدل على أنَّه لا دابّـة ولا طـائر إلا وهي أمثالنـا، ولفـظ المماثلـة يقتضـي حصـول المسـاواة في جميـع الصفات الذاتية، أمـا الصـفات العرضـية المفارقـة، فالمسـاواة فيها غير معتبرة في حصول المماثلة.

فإذا ثبت أنّ هذه الدوابّ والطير أمم، وقد قال سـبحانه: ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ﴾ [فاطر: 24]، فهذا تصريح بأن لكل طائفـة من الحيوانات رسولاً أرسله الله إليها.

فالحيوانـات كلهـا - على زعمهم - جنس واحـد، وهي محـل التكليـف، وإنمـا أُلبِسَـتْ هـذه القـوالب المختلفـة على حسـب أعمالهـا، فأصـبح بعضـها في صـورة النـاس، وقـوم في صـورة الطيور، وقوم في صورة الدواب، وقوم في صـورة الحشـرات، فدرجاتهم على قدر معاصيهم[4].

---

1 () انظر: فرق الشيعة (37)، والفصل (1/ 110-111).
2 () انظر: الفصل (1/ 110).
3 () انظر: تيسير الكريم الرحمن (1078).
4 () انظـر: فـرق الشـيعة (37)، ومفـاتيح الغيب (12/ 175-176)، وعقيدة الحلول والتناسخ (330-331).

واستدلالُ أصحاب التناسخ بهاتين الآيتين استدلالٌ باطل، وتحريف للمعنى المراد من هذه الآيات، فكيف يزعمون أن المراد بالآية: أن الطيور والدوابّ وسائر الحيوانات كانوا أناسًا قبلنا ثم نسخوا، والآية لم تدل على شيء من ذلك.

وقد بين أهل التّفسير المعنى الصحيح لهذه الآية وأن المراد بقوله: (أمم أمثالكم) أي: أصناف مصنفة تعرف بأسمائها كما يعرف بنو آدم بأسمائهم، وقيل: أمم أمثالكم في الخلق والموت والبعث، وقيل: أمم أمثالكم في الغذاء وطلب الرزق وغير ذلك[1].

وأمَّا قوله تعالى:  ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ  [فاطر: 24]، فإنّ المراد به: وما من أمة من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر وأزاح عنهم العلل؛ ليؤمنوا به وحده، ويتبعوا رسوله [2].

3- استدلوا بقوله  عن الشهداء: ((أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل))[3].

وقوله : ((إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجع إلى جسده يوم القيامة))[4].

فزعم أصحاب التناسخ أنَّ هذين الحديثين دليل على القول بالتناسخ، فالحديث الأول دلَّ على أنَّ أرواح الشهداء في جوف طير خضر، ودلَّ الحديث الثاني على أنَّ روح المؤمن طائر في شجر الجنة، فزعموا أنَّ هذا هو الثواب والعقاب[5].

ويرد عليهم بأنَّ ما دلتهم عليه هذه النصوص الصحيحة يجب اعتقاده والإيمان به، وإن سماه أصحاب التناسخ تناسخًا، فإن

---

[1] () انظر: معالم التنزيل (3/ 142)، وفتح القدير (2/ 114).

[2] () انظر: تفسير القرآن العظيم (6/ 529).

[3] () أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون (1016) برقم (1887)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

[4] () أخرجه أحمد في مسنده (3/ 455)، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى (2736) برقم (4271) من حديث كعب بن مالك، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (2/ 694) برقم (995).

[5] () انظر: الروح (114)، والكاشف عن حقائق السنن (8/ 2634)، وتحفة الأحوذي (5/ 222).

هـذا في الـبرزخ وليس في الـدنيا، وهـذا من تمـام إكـرام اللـه تعالى للشـهداء؛ حيث أعاضـهم من أبـدانهم الـتي مزقوهـا للـه أبـدانًا خـيرًا منهـا تكـون مركبًـا لأرواحهم، ليحصـل بهـا كمـال تنعيمهم، فـإذا كـان يـوم القيامـة رد أرواحهم إلى تلـك الأبـدان التي كانت فيها في الدنيا، والأرواح في الـبرزخ متفاوتـة، فمنهـا أرواح في أعلى علـــيين، في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبيـــاء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم، ومنهـا أرواح في جـوف طـير خضـر تسـرح في الجنـة، حيث شـاءت، وهي أرواح بعض الشـــــــهداء، لا جميعهم؛ إذ منهم من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه، أو غلَّة غلها، أو غير ذلك[1].

وأمَّا الحديث الآخر، وهو: ((إنما نسـمة المـؤمن طـائر يعلـق في شـجر الجنـة حـتى يرجـع إلى جسـده يـوم يبعث))[2]، فقـد أجاب ابن حـزم رحمـه اللـه عن اسـتدلال أصـحاب التناسـخ بـه بقوله: «ولا حجة لهم في هذا الخبر؛ لأن معنى قولـه ﷺ: (طـائر يعلق) هو على ظاهره، لا على ظن أهل الجهـل، وإنمـا أخـبر ﷺ أن نسمة المؤمن طائر بمعنى أنها تطير في الجنة فقط، لا أنها تنسخ في صور الطير»[3].

## حكم القول بتناسخ الأرواح:

القـول بتناسـخ الأرواح إنكـار لعقيـدة الإيمـان بـاليوم الآخـر، والبعث والحشـر والحسـاب، الـتي دلت عليهـا نصـوص الكتـاب والسنة وأجمع عليها المسلمون قديمًا وحديثًا، فإنكار ذلك إنكار لأحد أركان الإيمان الستة، وهو كفر بالله تعالى، قال تعالى: ﮋ ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ [النساء: 136]، وقال سبحانه: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﮊ [التغابن: 7-9].

وأجاب النبي ﷺ جبريـل حين سـأله عن الإيمـان بقولـه: ((أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر وتؤمن، بالقـدر خيره وشره))[4].

قال ابن عبد البر رحمه اللـه: «وقـد أجمـع المسـلمون على

---

1 () انظر: الروح (114-115)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (2/ 605-616).

2 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [381].

3 () الفصل (3/ 257-258).

أن من أنكر البعث فلا إيمان له ولا شهادة، وفي ذلك ما يفي ويكفي، مع ما في القرآن من تأكيد الإقرار بالبعث بعد الموت، فلا وجه للإنكار في ذلك»[1].

وقد أجمع العلماء على تكفير من قال بتناسخ الأرواح، وممن نقل الإجماع:

1- ابن حزم رحمه الله، حيث قال: «أمَّا الفرقة المرتسمة باسم الإسلام فيكفي من الرد عليهم إجماع أهل الإسلام على تكفيرهم، وعلى أنَّ من قال بقولهم فإنه على غير الإسلام، وأن النبي  أتى بغير هذا، وبما المسلمون مجمعون عليه من أنَّ الجزاء لا يقع إلا بعد فراق الأجساد للأرواح، بالنكر أو التنعم قبل يوم القيامة، ثم بالجنة أو بالنار في موقف الحشر فقط، إذا جمعت أجسادها مع أرواحها التي كانت فيها»[2].

وقال أيضًا: «وأما من زعم أن الأرواح تنقل إلى أجساد أخر فهو قول أصحاب التناسخ، وهو كفر عند جميع أهل الإسلام»[3].

2- وقال القاضي عياض رحمه الله: «وكذلك نقطع على كفر... أو قال بتناسخ الأرواح، وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص، وتعذيبها أو تنعيمها فيها بحسب زكائها وخبثها»[4].

---

4 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان...(681) برقم (8) من حديث ابن عمر.

1 () التمهيد (9/ 116).

2 () الفصل (1/ 110).

3 () المحلى، علي بن أحمد بن حزم الظاهري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون طبعة وتاريخ، (1/ 26).

4 () الشفا بتعريف حقوق المصطفى (2/ 476).

## المبحث الثالث: سماع الحيوان لعذاب القبر:

من مسائل اليوم الآخر والتي لها علاقة بالحيوان: سماع الحيوان لعذاب القبر، فقد دلَّت السنة النبوية أنّ جميع المخلوقات غير الجن والإنس تسمع عذاب القبر، ونصت أدلة أخرى على سماع البهائم لعذاب القبر، فمن هذه الأدلة:

1- عن أنس بن مالك عن النبي  قال: ((العبد إذا وضع في قبره وتوُلِّي، وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، قال النبي : فيراهما جميعًا، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين))[1].

2- عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((دخلت عليَّ عجوزان من عُجز يهود المدينة، فقالتا لي: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فكذبتهما، ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا، ودخل عليّ النبي ، فقلت: يا رسول الله إنّ عجوزين، وذكرت له، فقال: (صدقتا، إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم كلها)، فما رأيته بعد في صلاته إلا يتعوذ من عذاب القبر))[2].

3- عن زيد بن ثابت[3] قال: ((بينما النبي  في حائط لبني

---

[1] () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الجنائز، باب: الميت يسمع خفق النعال (104) برقم (1338) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه (1175) برقم (2870).

[2] () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الدعوات، باب: التعوذ من عذاب القبر (535) برقم (6366)، ومسلم في صحيحه، في كتاب المساجد، باب: استحباب التعوذ من عذاب القبر (768) برقم (586).

[3] () هو: زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري، الخزرجي، استصغر يوم بدر فلم يشهدها، ثم شهد أحدًا وما بعدها، أحد الذين جمعوا القرآن، وأمره أبو بكر بجمع القرآن في خلافته، وكان من كتاب الوحي، وإمامًا في الفرائض، روى عنه بعض الصحابة وسعيد بن المسيب

النجار، على بغلة له، ونحن معه، إذ حادت[4] به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منه وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدّجال))[2].

فدلت هذه النصوص على سماع الحيوان بما فيها البهائم عذاب القبر، فهذه البغلة التي كان النبي  راكبًا عليها حادت به أي: مالت عن الطريق وعدلت حين سمعت صوت المعذبين[3].

وقد أجمل النبي  الحكمة التي من أجلها أخفى الله تعالى عنَّا سماع عذاب القبر، وهي: لئلا يترك الناس التدافن، وقد ذكر بعض العلماء تفصيل الحكمة في ذلك بأمور منها[4]:

1- أنهم لو سمعوا ذلك لتركوا التدافن خوفًا على الميت، وبعدًا عن الفضيحة في القرائب لئلا يطلعوا على أحوالهم، فيكون في ذلك تخجيلاً لأهله؛ لأن الناس يقولون: هذا ولدكم وما أشبه ذلك.

2- أنّ ذلك قد يؤدي إلى اختلاط عقول العقلاء منهم؛ لأنها صيحة عظيمة، قد يموت الإنسان أو يغشى عليه بسبب

---

والقاسم بن محمد وغيرهم، توفي سنة 45هـ وقيل غيرها. انظر: الاستيعاب (2/ 537-540)، والإصابة (2/ 592-594).

1 () حادت به: أي مالت عن الطريق ونفرت. انظر: شرح صحيح مسلم (17/ 203).

2 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه (1175) برقم (2867).

3 () انظر: التذكرة (122).

4 () انظر: التذكرة (122)، والمفهم (7/ 146)، ومرقاة المفاتيح (1/ 318-319)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (2/ 118-119).

سماعها.

3- وإخفاء صوت عذاب القبر حتى يكون ذلك من بـاب الإيمـان بـالغيب لا من بـاب الإيمـان بالشـهادة، فـإذا كـان غائبًـا عن الناس كان في ذلك امتحانًا لهم، فمن آمن بـه: آمن بـالغيب، ولو كان مسموعًا لآمن به الناس ولم يدخل في الغيب.

## المبحث الرابــع: بعث الحيــوان وحشــره يــوم القيامة:

دلّت نصــوص الكتــاب والســنة على أنَّ الحيوانــاتِ تبعث وتحشر يوم القيامة كما يبعث ويحشر الجن والإنس، فمن هــذه الأدلة:

1- قال تعالى: ﮋﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﮊ [الأنعام: 38].

2- قال تعالى: ﮋﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﮊ [الشورى: 29].

3- قال تعالى: ﮋﭢ ﭣ ﭤﮊ [التكوير: 5].

4- عن أبي هريــرة رضــي اللــه عنــه، أن رســول اللــه ﷺ قــال: ((لتؤدُّن الحقــوق إلى أهلهــا يــوم القيامــة حــتى يقــاد للشــاة الجلحاء[1] من الشاة القرناء))[2].

5- عن أبي هريــرة رضــي اللــه عنــه، أن النــبي ﷺ قــال: ((تــأتي الإبل على صاحبها على خير مــا كانت، إذا هــو لم يعــط فيهــا حقها، تطؤه بأخفافها، وتأتي الغنم على صاحبها على خير مــا كــانت، إذا لم يعــط فيهــا تطــؤه بأظلافهــا، وتنطحــه بقرونهــا، قال: ومن حقها أن تحلب على الماء، قــال: ولا يــأتي أحــدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لهــا يعــار[3]، فيقــول: يــا محمد، فأقول: لا أملك لــك شــيئًا، قــد بلغت، ولا يــأتي ببعــير يحمله على رقبتــه لــه رغــاء[4] فيقــول: يــا محمــد، فــأقول: لا أملك لك من الله شيئًا، قد بلغت))[5].

6- ما جاء عن أبي هريرةﭬ أنه قال: ((يحشر اللــه الخلــق كلهم

---

1 () الجلحاء: هي التي لا قرن لها. انظر: النهاية في غــريب الحــديث (159) مادة (جلح).

2 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الــبر، بــاب: تحــريم الظلم، (1129) برقم (2582).

3 () اليعر: هو الصياح وأكثر ما يقال لصوت المعــز. انظــر: النهايــة في غريب الحديث (1025) مادة (يعر).

4 () الرغاء: هو صوت الإبل، انظر: المرجع السابق (366) مادة (رغا).

5 () أخرجــه البخــاري في صــحيحه، في كتــاب الزكــاة، بــاب: إثم مــانع الزكاة (110) برقم (1402)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة (833) برقم (987).

يوم القيامة، البهائم والدوابّ والطير، وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذٍ أن الله يأخذ للجمَّاء من القرناء، ثم يقول: كوني ترابًا، قال: فلذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا)) [1].

وحشر الحيوانات يوم القيامة هو قول جمهور العلماء[2]، فقد ذهب إليه من الصحابة أبو هريرة، وأبو ذر، وابن عباس في رواية عنه[3]، وغيرهم من العلماء[4].

قال السمعاني رحمه الله: «ولا شك في حشر البهائم والحيوان يوم القيامة»[5].

وقال النووي رحمه الله في شرحه لحديث أبي هريرة السابق: «هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة، وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يعاد الأطفال والمجانين، ومن لم تبلغه الدعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة»[6].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأمَّا البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه، كما دلَّ عليه الكتاب والسنة»[7].

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر الحشر

---

1 () أخرجه الصنعاني في تفسيره (3/ 344)، والطبري في جامع البيان (24/ 180)، والحاكم في مستدركه (2/ 345) برقم (3231)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (4/ 606) برقم (1966).

2 () انظر: البحر المحيط (4/ 126).

3 () انظر: التذكرة (236).

4 () منهم: السمعاني في تفسير القرآن (2/ 102)، والزمخشري في الكشاف (2/ 21)، وابن عطية في المحرر الوجيز (2/ 290)، والقرطبي في التذكرة (237-238)، والنووي في شرح صحيح مسلم (16/ 136)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (4/ 248)، وابن القيم في بدائع الفوائد (3/ 1132)، والدميري في حياة الحيوان (1/ 520)، والشوكاني في فتح القدير (2/ 114)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (4/ 613).

5 () تفسير القرآن (2/ 102).

6 () شرح صحيح مسلم (16/ 136).

7 () مجموع الفتاوى (4/ 248).

بـالموت[1]، فجعـل المـراد بحشـر هـذه البهـائم وغيرهـا من الحيوانات هو موتها.
وقال طائفة من العلماء: إنّ الحشر الوارد في قوله تعـالى: ﴿ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ﴾ [الأنعام: 38]، راجع إلى الكفار، وما تخلله من قوله تعالى: ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ﴾ [الأنعام: 38] كلام معترض وإقامة حجج.
وأمَّا الحديث فالمقصود منه التمثيـل، لا الحقيقـة، على جهـة تعظيم أمر الحساب والقصاص فيـه، حـتى يفهم منـه أنـه لا بـدَّ لكل أحد منه، وأنه لا محيص لمخلوق عنه.
وعلل هؤلاء قولهم بأنَّ هذه الحيوانات لا يجري عليهـا القلم، فلا يجوز أن يؤاخذوا به[2].
يقول الآلوسي رحمه الله: «ومال حجـة الإسـلام الغـزالي[3] وجماعة إلى أنه لا يحشـر غـير الثقلين؛ لعـدم كونـه مكلفًـا، ولا أهلاً لكرامة بوجـه، وليس في هـذا البـاب نص من كتـاب وسـنة معول عليها يدل على حشر غيرهما من الوحوش، وخبر مسـلم والترمذي[4] وإن كان صـحيحًا، لكنـه لم يخـرج مخـرج التفسـير للآية، ويجوز أن يكون كناية عن العـدل التـام، وإلى هـذا أميـل، ولا أجزم بخطأ القائلين بـالأول؛ لأنَّ لهم مـا يصـلح مسـتندًا في الجملة، والله أعلم»[5].
وهذا القـول معـارض للنصـوص الثابتـة من الكتـاب والسـنة التي سبق ذكرها في أول هذا المبحث، والـتي دلت على حشـر

---

1 () انظر: جامع البيان (11/ 346).
2 () انظر: بحر العلوم (1/ 467)، والتذكرة (237-238)، وزاد المسير (3/ 36)، والبحر المحيط (4/ 126)، وفتح القدير (4/ 114).
3 () هو: أبـو حامـد، محمـد بن محمـد بن محمـد بن أحمـد، الطوسـي، الشافعي، الغزالي، ولـد بطـوس، سـنة 450هـ ورحل إلى نيسابور وأخـذ عن أبي المعـالي الجويـني، وأصـبح أشـهر تلاميـذه، وأكـثرهم نبوغًا، ذاع واشتهر صيته، مهـر في الكلام والجـدل، صـنف في الفقـه وأصوله، وعلم الكلام، قـرأ الفلسـفة فلم يسـتطع الخـروج منهـا، لـه زلات صـوفية فلسـفية، قيـل: إنـه رجـع في آخـر حياتـه، واللـه أعلم بحاله، توفي سنة 505هـ انظر: طبقات الشافعية الكبرى (6/ 191-289)، وسير أعلام النبلاء (19/ 322-346).
4 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [387].
5 () روح المعاني (30/ 52).

جميع المخلوقات من الثقلين والحيوانات، ورد ذلك من أجل حجج عقلية قول باطل، وتقديم للعقل على نصوص الكتاب والسنة الظاهرة الجلية، فأمَّا ما جاء عن ابن عباس من تفسيره لحشر الحيوانات بأنه: موتها، فإنه جاء عنه في رواية أخرى يوافق غيره من الصحابة الذين ذهبوا إلى القول بحشرها حشرًا حقيقيًّا، وهي أصح من رواية تفسير الحشر بالموت[1].

وأمَّا استدلالهم على ذلك بأنَّ هذه الحيوانات لا يجري عليها التكليف فكيف تحشر وتحاسب؟ يجاب عنه بأنها وإن كانت غير مكلفة فإنه يجري عليها القلم في الأحكام، ولكن فيما بينها فيؤخذ للمظلوم حقه من الظالم[2].

يقول النووي رحمه الله: «وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع، وجب حمله على ظاهره، قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأمَّا القصاص من القرْناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف، إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة»[3].

فالحيوانات محشورة يوم القيامة كما يحشر غيرها من المخلوقات، هذا ما دلت عليه الأدلة الصحيحة والله أعلم[4].

---

1 () انظر: الجامع لأحكام القرآن (19/ 219)، التذكرة (236)، والحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: د. محمد ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض، 1419هـ، (2/ 335).

2 () انظر: بحر العلوم (1/ 467).

3 () شرح صحيح مسلم (16/ 136).

4 () ويأتي – إن شاء الله – في المبحث التالي الكلام على القصاص للحيوانات يوم القيامة.

## المبحث الخامس: القصاص بين الحيوانات:

من كمال عدل الله تعالى وحكمته: أنه يحشر يوم القيامة جميع مخلوقاته، ثم يقتص للمظلوم من ظالمه، حتى الحيوانات، فإنها تحشر - كما سبق - يوم القيامة، وقد نصت الأدلة على حشرها ثم القصاص بينها يوم القيامة، ومن ذلك:

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله  قال: ((لتؤدنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء))[1].

2- عن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله  كان جالسًا وشاتان تقترنان، فنطحت إحداهما الأخرى، فأجهضتها، قال: فضحك رسول الله ، فقيل له: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ((عجبت لها، والذي نفسي بيده ليقادن لها يوم القيامة))[2].

وفي رواية: ((فقال: يا أبا ذر، هل تدري فيم تنتطحان؟ قال: لا، قال: لكن الله يدري، وسيقضي بينهما))[3].

3- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله  قال: ((يقتصُّ الخلق بعضهم من بعض، حتى الجمَّاء من القرناء، وحتى الذَّرَّةُ من الذَّرَّةِ))[4].

4- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ((يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة، البهائم والدوابّ والطير، وكل شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجمَّاء من القرناء، ثم يقول كوني ترابًا، قال: فلذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا))[5].

5- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: ((إذا كان

---

1 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [387].

2 () أخرجه أحمد في مسنده (5/ 173)، والطبراني في المعجم الأوسط (6/ 172) برقم (6110)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (4/ 610).

3 () مسند أحمد (5/ 162).

4 () أخرجه أحمد في مسنده (2/ 363)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/ 639) برقم (18406): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (4/ 608) رقم (1967).

5 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [388].

يوم القيامة مد الأديم، وحشر الدوابّ والبهائم والوحش، ثم يحصل القصاص بين الدواب، يقتص للشاة الجمَّاء من الشاة القرناء، التي نطحتها، فإذا فرغ من القصاص بين الدوابّ قال لها: كوني ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا))[1].

فقد دلت هذه النصوص على أنّ الله تعالى يحشر الحيوانات كما يحشر غيرها من المخلوقات، وأن الله تعالى سوف يقتص من بعضها لبعض، وليس شرط هذا الحشر أن يحصل لها الثواب والعقاب، وهذا القصاص هو من باب المقابلة - كما في المبحث السابق - وليس من باب التكليف[2].

ولم يأتِ في الأدلة أنّ هذه الحيوانات تبقى بعد حشرها والقصاص من بعضها البعض، والأظهر - والله أعلم - ما دلت عليه بعض الآثار السابقة أنها تكون بعد ذلك ترابًا.

فهذه الحيوانات وإن كانت غير داخلة في التكليف، فهي محشورة يوم القيامة، وسوف يقتص الله  من بعضها لبعض، والله تعالى حكم عدل أراد أن يري عباده كمال عدله، حتى في البهائم العجم، فكيف ببني آدم[3].

«وجملة الأمر أن القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة بين كافة المكلفين، فإنه إذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف، فكيف بذوي العقول من الوضيع والشريف، والقوي والضعيف»[4].

ويقول الدَّميري رحمه الله: «فإذا قيل: القصاص انتقام، والبهائم ليست بمكلفة، فالجواب: أنها غير مكلفة، إلا أنَّ الله يفعل في ملكه ما أراد، كما سلط عليها في الدنيا التسخير

---

1 () أخرجه ابن جرير في جامع البيان (24/ 108)، والحاكم في المستدرك (14/ 619) برقم (8716)، وقال: «رواته عن آخرهم ثقات، غير أن أبا المغيرة مجهول»، وقد وثق ابن حبان أبا المغيرة هذا في الثقات (5/ 565)، ووثقه يحيى بن معين كما في الجرح والتعديل (9/ 939)، وقوى إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (4/ 607).

2 () انظر: شرح صحيح مسلم (16/ 136)، وفيض القدير (5/ 332)، ومرقاة المفاتيح (9/ 316).

3 () انظر: شرح رياض الصالحين (2/ 488).

4 () مرقاة المفاتيح (9/ 316).

لبني آدم، والذبح لما يؤكل منها، فلا اعتراض عليه .

وأيضًا فإن البهائم إنما يقتص منها لبعضها من بعض، لأنهــا لا تطالب بارتكاب نهي، ولا بمخالفة أمر؛ لأن هـذا ممـا خص اللـه به العقلاء»[1].

1 () حياة الحيوان الكبرى (1/ 520).

## المبحث السادس: حيوانات الجنَّة:

ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم، وكـذلك نبيـه  في سنته ألوانًـا كثـيرة من النعيم الـذي أكـرم اللـه تعـالى بـه أهـل الجنة، ومن هذا النعيم ما سـخّر اللـه تعـالى لهم في الجنـة من الحيوانات، ففي الجنة من الطيور والدوابّ ما لا يعلمـه إلا اللـه تعالى، ومن الحيوانات التي جاء ذكرها في الجنة:

### 1- الإبل:

فعن أبي مسعود الأنصاري[1] رضـي اللـه عنـه، قـال: ((جـاء رجل بناقة مخطومة[2]، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله : لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة، كلها مخطومة))[3].

وفي رواية أخرى للحديث: ((لك بها سبعمائة ناقة مخطومـة في الجنة))[4].

والأولى حمـل الحـديث على ظـاهره، وأن لـه في الجنّـة سـبعمائة ناقـة حقيقيـة بـدليل قولـه : (مخطومـة)، ولـو كـان المراد بذلك مضاعفة الأجر، كما ذكر هذا الاحتمال بعض شُـرَّاح الحديث[5] لما وصفها بأنها مخطومة.

وقد ذكر النووي رحمه الله أن الأظهر له في الجنة سبعمائة ناقة كل واحدة مخطومة يركبهن حيث شاء للتنـزه[6].

---

1 () هو: أبو مسعود رضي الله عنه، عقبة بن عمرو بن ثعلبـة، البـدري الأنصاري، سمي البدري؛ لأنه كان يسكن بدرًا، واختلف في مشاركته في بـدر، وهـو أحـدث من شـهد العقبـة سـنًّا، اسـتخلفه علي  على الكوفـة حين خـرج إلى صـفّين، مـات بعـد سـنة أربعين من الهجـرة. انظر: الاستيعاب (3/ 1074-1075)، والإصابة (4/ 524).

2 () مخطومة: أي، فيه خطام، وهو قريب من الزمـام، والخطـام حبـل من ليف أو شعر أو كتان يجعل في أحـد طرفيـه حلقـة، ثم يشـد بـه الطرف الآخـر ثم يقلـد بـه البعـير على مخطمـه وهـو الأنـف. انظـر: شرح صحيح مسـلم (13/ 38)، والنهايـة في غـريب الحـديث (272) مادة (خطم).

3 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب: فضل الصـدقة في سبيل الله وتضعيفها (1017) برقم (1892).

4 () أخرجها أبو نعيم في حلية الأولياء (8/ 116)، وصححها الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (2/ 225) برقم (634).

5 () انظر: شرح صحيح مسلم (13/ 38)، ومرقاة المفاتيح (7/ 333).

6 () انظر: شرح صحيح مسلم (13/ 38).

**2- الخيل:**

عن بريدة[1] رضي الله عنه: ((أن رجلاً سأل رسـول اللـه ، فقال: يا رسول الله هل في الجنة خيل؟ قـال: إن اللـه أدخلـك الجنة فلا تشـاء أن تُحمـل فيهـا على فـرس من ياقوتـة حمـراء تطير بـك في الجنـة حيث شـئت إلا فعلت، قـال: وسـأله رجـل فقال: يا رسول الله هل في الجنة من إبل؟ قال: فلم يقُل مثل ما قال لصاحبه، فقال: إن يدخلك الله الجنـة، يكن لـك فيهـا مـا اشتهت نفسك ولذت عينك))[2].

**3- ثور الجنة وحوتها:**

أجاب النبي  اليهودي الذي سأله عن تحفة أهل الجنـة حين يدخلونها: فقال : ((زيادة كبد النون[3]، قال: فما غـذاؤهم على إثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها))[4].

وفي حـديث آخـر سـئل عن أول طعـام يأكلـه أهـل الجنـة، فأجاب رسول الله : ((أول طعام يأكله أهل الجنـة زيـادة كبـد

---

1 () هـو: أبـو عبـد اللـه بريـدة بن الحصـيب بن عبـد اللـه الحـارثي، الأسـلمي، أسـلم حين مـر بـه النـبي  مهـاجرًا بـالغميم، وأقـام في موضعه حتى مضت بـدرٌ وأحـد، ثم قـدم بعـد ذلـك، وكـان ممن بـايع تحت الشـجرة، سـكن البصـرة لمـا فتحت، وغـزا مـع النـبي  سـت عشـرة غـزوة، تـوفي سـنة 63هـ. انظر: الاستيعاب (1/ 185)، والإصابة (1/ 286).

2 () أخرجـه أحمـد في مسـنده (5/ 352)، والترمـذي في سـننه في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صـفة خيـل الجنـة (1907) رقم (2543)، والطيالسـي في مسـنده (108) رقم (806)، وللحـديث شـاهد عن أبي أيـوب أخرجـه الترمـذي في سـننه، في كتـاب صـفة الجنـة، بـاب مـا جـاء في صـفة خيـل الجنـة (1907) رقم (2544)، وحسـنه الألبـاني في سلسـلة الأحـاديث الصـحيحة (7/ 5) رقم (3001).

3 () النون: هو الحوت، وزيادة كبده هي: القطعة المنفردة المعلقة في الكبـد، وهي في غايـة اللـذة والطعم. انظـر: شـرح صـحيح مسـلم (17/ 136)، وفتح الباري لابن حجر (8/ 737).

4 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتـاب الطهـارة، بـاب: بيـان صـفة مـني الرجـل والمـرأة، وأن الولـد مخلـوق من مائهمـا (730) رقم (315) من حديث ثوبان.

الحوت))[1].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله : ((تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة[2]، يتكفؤها[3] الجبار بيده، كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة، فأتى رجل من اليهود، فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: بلى، قال: تكون الأرض خبزة واحدة، كما قال النبي ، فنظر النبي  إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: إدامهم بالام[4] ونون، قال: ما هذا؟ قال: ثور ونونٌ يأكل من زائدة كبدها سبعون ألفًا))[5].

**4- الغنم:**

وردت في السنة النبوية أحاديث تدل على أن الغنم من دواب الجنة، فمن ذلك:

1- عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله : ((الشاة من دواب الجنة))[6].

---

1 () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته (268) رقم (3329) من حديث أنس.

2 () الخُبْزة هي: الطُلْمة وهو من عجين يوضع في الحفرة بعد إيقاد النار فيها تسمى المَلّة. انظر: فتح الباري لابن حجر (15/ 14).

3 () يتكفؤها أي: يميلها من كفأت الإناء إذا قلبته، والمعنى: يميلها من يد إلى يد أخرى حتى تجتمع وتستوي، لأنها ليست منبسطة. انظر: شرح صحيح مسلم (17/ 135)، وفتح الباري لابن حجر (15/ 14).

4 () بلام: لفظة عبرانية معناها: ثور. انظر: شرح صحيح مسلم (17/ 136)، ويرى الخطابي رحمه الله أن اليهودي أراد أن يعمي الاسم فقطع الهجاء وقدم أحد الحرفين، فقال: يالام، وإنما هو في حق الترتيب: لام ياء هجاء أي: لأى على وزن: لها، أي: ثور يقال للثور الوحشي: اللأى، فصحف الرواة فقالوا: بلام، وإنما هو يالام. انظر: أعلام الحديث (4/ 2266).

5 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الرقاق، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة (547) رقم (6520)، ومسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب نزل أهل الجنة (1164) رقم (2792).

6 () أخرجه ابن ماجه في أبواب التجارات، باب اتخاذ الماشية (2614) برقم (2306)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (5/ 306) رقم (2306).

2- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله : ((إن الغنم من دواب الجنة، فامسحوا رغامها[1]، وصلوا في مرابضها))[2].
3- عن أبي سعيد الخدري أن النبي  قال: ((أحسنوا إلى المعزى، وأميطوا عنها الأذى، فإنها من دواب الجنة))[3].
4- عن أبي هريرة أنه قال: ((أحسن إلى غنمك، وامسح الرعام[4] عنها، وأطب مُراحها، وصلِّ في ناحيتها، فإنها من دواب الجنة))[5].

وفي معنى قوله عن الغنم: أنها من دواب الجنة احتمالات منها[6]:

الأول: أنها خلقت في الجنة ونزلت منها.

الثاني: أنها تدخل الجنة بعد الحشر.

الثالث: أنها من نوع ما في الجنة بمعنى أنّ في الجنة أشباهها.

والصواب أنَّ الغنم وغيرها من الدوابّ التي في الدنيا لا توجد بعينها في الجنّة؛ لأنها بعد القصاص تكون ترابًا كما سبق في مبحث القصاص للحيوان يوم القيامة، وهي أيضًا ليست مخلوقة في الجنة ونازلة منها؛ لعدم وجود ما يدل على ذلك،

---

1 () الرَغَام: هو التراب. وقيل: هو رمل مختلط بتراب أو دقاق التراب. انظر: لسان العرب (12/ 247) مادة (رغم).

2 () أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (2/ 450) رقم (4155)، والطبراني في المعجم الأوسط (5/ 291) رقم (5346)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (3/ 120) رقم (1128).

3 () أخرجه عبد بن حميد في مسنده (304) رقم (987)، وله شاهد عند أبي هريرة أخرجه البزار في مسنده (14/ 251)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (4/ 113) رقم (6253)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (5/ 88) رقم (2070).

4 () الرُّعام: هو ما يسيل من أنوفها. انظر: النهاية في غريب الحديث (364) مادة (رعم).

5 () أخرجه مالك في الموطأ (2/ 933) رقم (1669)، وعبد الرزاق في مصنفه (1/ 408) رقم (1600)، وأحمد في مسنده (2/ 436)، والبيهقي في السنن الكبرى (2/ 449) رقم (4154)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (4/ 113) رقم (6250): «رجال أحمد رجال الصحيح»، وحسن إسناده ابن عبد البر في الاستذكار (8/ 504).

6 () انظر: فيض القدير (2/ 116)، وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، (4/ 399).

فيتعين القول بأنها من نوع ما في الجنـة، بمعـنى أنَّ في الجنّـة أشباهها، والله أعلم.

**5- الطير:**

جاء في نصوص الكتاب والسـنة مـا يـدل على وجـود الطـير في الجنة، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ﴾ [الواقعة: 21]، وقد جاء في تفسير ذلك عن ابن عباس أن الرجـل في الجنـة يخطر على قلبه الطير فيصير ممثلاً بين يديه على ما اشتهى[1].

فدل ذلك على وجود الطـير في الجنـة، وأنَّ أهلهـا يتنعمـون بأكل لحمها.

ومن السنة مـا رواه أنس بن مالـك رضـي اللـه عنـه، قـال: ((سئل رسول الله  ما الكوثر؟ فقال: ذاك نهر أعطانيه اللــه - يعني في الجنة - أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسـل، فيـه طيور أعناقهـا كأعنـاق الجُـزُر[2]، فقـال عمـر: إن هـذه لَنَاعِمَـة، فقال رسول الله : أكلتها أنعم منها))[3].

وما رواه ابن مسعود رضي اللـه عنـه، أنّ النـبي صـلى اللـه عليه قال عن الشـهداء: ((أرواحهم في جـوف طـير خضـر، لهـا قناديل معلقة بالعرش تسـرح في الجنـة حيث شـاءت ثم تـأوي إلى تلك القناديل))[4].

فهـذه طائفـة من الحيوانـات الـتي ورد ذكرهـا في الكتـاب والسنة، ولا يمنع أن يوجد في الجنّة - أيضًا - أنواع أخرى كثيرة، مما يتنعم به أهل الجنة من مأكول أو مركوب، أو متخذٍ للجمال والزينة وغير ذلـك، ولهـذا جـاء في آيـة أخـرى إطلاق اللحم في الجنة، وعدم تقييده بالطير، فقال تعالى: ﴿ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ﴾ [الطور: 22].

فقد يكون هذا اللحم شاملاً لأنواع كثيرة من حيوانات الجنـة،

---

1 () انظر: معالم التنـزيل (8/ 10)، وزاد المسير (8/ 137).

2 () الجُزُر: جمع جَزُور، وهو البعير ذكرًا كان أو أنثى. انظر: النهاية في غريب الحديث (151) مادة (جزر).

3 () أخرجـه أحمـد في مسـنده (3/ 236)، والترمـذي في سـننه في كتـاب صـفة الجنّـة، بـاب صـفة طـير الجنـة (1907) رقم (2542)، وصـححه الألبـاني في سلسـلة الأحـاديث الصـحيحة (6/ 49) رقم (2514).

4 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [381].

والنبي  قد ذكر أنواعًا من حيوانـات الجنـة بمـا يعرفـه النـاس عند نزول القرآن ويكثر استفادتهم منه، ولا يمنع ذلك من وجود أنواع أخرى لم تكن معروفة عندهم كحيوانات البر والبحر.

يقول ابن قتيبة رحمه الله: «الضأن والإبل والخيل ليس منها شيء إلا ولها في الجنـة مثـال، وإنمـا تخلـو الجنـة من الخبـائث كالقرود والخنازير والعقـارب والحيـات، وإذا جـاز أن يكـون في الجنة لحم جاز أن يكون فيها معزى وضـأن، وإذا جـاز أن يكـون فيها طير يؤكل جاز أن يكون فيها نعم يؤكل»[1].

وهذه الدوابّ التي ورد ذكرها في الجنّة لا تشترك مـع دواب الدنيا إلا في الأسماء فقط، كما جاء عن ابن عباس رضـي اللـه عنهمـا، أنـه قـال: ((ليس في الـدنيا ممـا في الجنَّة إلا الأسـماء فقط))[2].

فحقائق هذه الدوابّ في الجنة لا يعلمها إلاّ اللــه ، فهم في الغاية من الجمال وحسن الطعام؛ لأنهـا من النعيم الـذي يكـرم الله تعالى به أهـل الجنـة والـذي أخـبر اللـه تعـالى عنـه بقولـه سبحانه: ﴿ڻ ڻ ۀ ۀ       ھ ھ ھ﴾ [السجدة: 17][3].

وقد ذكر بعض المفسـرين حيوانـات أخـرى تكـون في الجنَّة بأعيانها، وهي: كلب أصـحاب الكهـف، وحمـار الـذي أماتـه اللـه مائـة عـام ثم بعثـه، وناقـة صـالح، وكبش إسـماعيل والـبراق، وعجل إبراهيم، وهدهد سليمان ونملتـه، وحـوت يـونس، وبقـرة بني إسرائيل[4].

وهذه الحيوانـات المـذكورة لم يـرد مـا يثبت دخولهـا الجنّـة، فالقول بأنهـا في الجنَّة قـول لا دليـل عليـه، فالصـحيح أنَّ هـذه الحيوانات كغيرها من الحيوانات لا يبقى منها شيء بعد الحشـر

---

1 () تأويل مختلف الحديث (244).

2 () أخرجـه الطـبري في جـامع البيـان (1/ 392)، وابن أبي حـاتم في تفسـيره (1/ 66) رقم (260)، وابن حـزم في الفصـل (1/ 365)، وقال عنه: هذا إسناد في غاية الصحة.

3 () أخرجه البخاري في صـحيحه، في كتـاب بـدء الخلـق، بـاب: صـفة الجنّة وأنها مخلوقة (263) رقم (3244)، ومسـلم في صـحيحه، في كتاب الجنّة وصفة نعيمهـا وأهلهـا، بـاب صـفة الجنّـة (1169) رقم (2824) من حديث أبي هريرة.

4 () انظـر: اللبـاب في علـوم الكتـاب (12/ 446)، وإرشـاد العقـل السليم (5/ 212)، وروح المعاني (15/ 226).

والقصاص، بـل تكـون ترابًـا، ومـا في الجنّـة من الحيـوان، فهي حيوانات أخرى خلقها الله تبارك وتعالى في الجنَّة لا تشترك مع هذه الحيوانات إلاّ في الأسماء فقط، والله أعلم.

## المبحث السابع: حيوانات النار:

النار التي خلقها الله  مصيرًا وعذابًا لمن عصاه، فيها ألوان كثيرة من العذاب، ومن ذلك ما دلت عليه النصوص من وجود طائفة من الحيوان في النار، يُعذب بها أهل النار، فمن ذلك:

1- ما رواه عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي[1]، قال: قال رسول الله : ((إنَّ في النار حيات كأمثال أعناق البخت[2] تلسع إحداهنَّ اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفًا، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة[3] تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة))[4].

2- عن ابن عمر قال: قال رسول الله : ((الذباب كله في النار إلا النحل))[5].

---

1 () هو: عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معديكرب، الزبيدي، روى عن النبي ، وسكن مصر، وروى عنه المصريون، ومن آخرهم: يزيد بن أبي حبيب، آخر من مات من الصحابة بمصر، كانت وفاته سنة 86هـ وقيل: 85هـ انظر: الاستيعاب (3/ 883)، والإصابة (4/ 46).

2 () البخت: هي الأنثى من الجمال، وهي جمال طِوال الأعناق. انظر: النهاية في غريب الحديث (64) مادة (بخت).

3 () الموكفة: من أكفت الحمار وآكفته، أي: شددت عليه الأكاف، والمعنى: محمول عليها. انظر: مرقاة المفاتيح (10/ 355).

4 () أخرجه أحمد في مسنده (4/ 191)، وابن حبان في صحيحه (16/ 512) رقم (7471)، وحسن إسناده محققه شعيب الأرناؤوط، والحاكم في مستدركه (4/ 635) رقم (8754)، وصحح إسناده ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (7/ 1270) رقم (3429).

5 () أخرج الطبراني في المعجم الكبير (12/ 389) رقم (13436)، وفي الأوسط (2/ 160) رقم (1575)، وقال ابن حجر: «إسناده لا بأس به». انظر: فتح الباري (13/ 245)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/ 714) رقم (18596): «رواه الطبراني في الأوسط والكبير بأسانيد رجال بعضها ثقات كلهم»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (1/ 647) رقم (3442)، وللحديث شواهد، منها عن ابن عباس عند الطبراني في المعجم الكبير (11/ 65) رقم (80/ 110)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (4/ 60) رقم (6090): «رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن حازم وهو ثقة»، وعن أنس عند أبي يعلى في مسنده (7/ 230) رقم (4231)، وقال

وكون الذباب في النار ليس تعذيبًا له، ولكن ليُعذب بـه أهـل النار[1].

3- ما جاء عن ابن مسعود في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ﴾ [النحل: 88]، قال: ((زيدوا عقارب لها أنياب كالنخل الطوال))[2].

فدلت هذه النصوص على وجود حيوانات في النـار، يعـذب الله تعالى بها أهل النار، وقد يوجد أنـواع أخـرى من الحيـوان غير ما ذكر، والله أعلم.

والقول في حيوانات النار كالقول في حيوانـات الجنـة، بأنهـا ليست حيوانات الدنيا بعينها؛ لأنَّ حيوانـات الـدنيا - كمـا سـبق - تنتهي ويقال: لها كوني ترابًا، بعـد مـا تحشـر، ثم يقتص لبعضـها من بعض، فهذه الحيوانـات الـتي تكـون في النـار هي حيوانـات خلقها الله تعالى ليعذب بها أهل النار، والله أعلم.

---

عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (10/ 714): «رواه أبـو يعلى ورجالـه ثقات».

1 () انظــر: فتح البــاري لابن حجــر (13/ 245)، وعمــدة القــاري (21/ 293)، وفيض القدير (3/ 671).

2 () أخرجـه الصـنعاني في تفسـير القـرآن (2/ 362)، وابن أبي شـيبة في مصــنفه (13/ 158) رقم (35275)، وأبــو يعلى في مســنده (5/ 65) رقم (2659)، وصحح إسـناده محققـه: حسـين سـليم أسـد، والطبري في جامع البيان (17/ 276)، والطبراني في المعجم الكبير (6/ 226) رقم (9124)، والحـاكم في المسـتدرك (2/ 387) رقم (3357)، وقـال: «هـذا حـديث صـحيح على شـرط الشـيخين، ولم يخرجـاه» ووافقــه الــذهبي، وقــال الهيثمي في مجمــع الزوائــد (10/ 715) رقم (18600): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح»، وصـححه الألبـاني في صـحيح الـترغيب والـترهيب (3/ 249) رقم (3678).

# الفصل الخامس

## المسائل المتعلقة بالقدر

ويشتمل على المباحث التالية:

**المبحث الأول: أفعال الحيوان.**

**المبحث الثاني: هداية الحيوان.**

**المبحث الثالث: مسألة إيلام الحيوان وبيان حكمة الله □ فيها.**

## المبحث الأول: أفعال الحيوان:

الحيوان كغيره من المخلوقات، كلُّ أفعاله بتقدير الله تعالى؛ إذ هو سبحانه وتعالى قدر كل المخلوقات، فقد أخبر سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله: ﴿ ﴾ [القمر: 49].

قال ابن كثير: «يَستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علم الأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل برئها»[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله عليه وسلم: ((كل شيء بقدر حتى العجز والكيس[2]، أو الكيس والعجز))[3].

فأفعال الحيوان تجري عليها مراتب القدر الأربعة وهي[4]:

المرتبة الأولى: علم الله عز وجل للأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية: كتابة الله تعالى مقادير المخلوقات في اللوح المحفوظ.

المرتبة الثالثة: أنَّ كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله تعالى.

المرتبة الرابعة: خلق الله تعالى للأعمال وتكوينه وإيجاده لها.

فدخلت أفعال الحيوان في تقدير الله تعالى، فلا يحدث شيءٌ منها إلاَّ والله عز وجل علمه، ثم كتبه في اللوح المحفوظ، ثم شاء حدوثه، ثم خلقه وأوجده.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان ما يقوله أهل السنة: «الذي يقولونه: إن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وإنه لا يخرج عن ملكه وقدرته شيء، وقد دخل في ذلك جميع أفعال الحيوان»[5].

---

1 () تفسير القرآن العظيم (7/457).

2 () الكيس ضد العجز وهو: النشاط والحذق بالأمور، ومعناه أن العاجز قد قدِّر عجزه والكيِّس قد قدِّر كيسه. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (16/ 205).

3 () أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر، باب: كل شيء بقدر (1140) رقم (2655).

4 () انظر: شفاء العليل: (1/325).

5 () منهاج السنة (1/334).

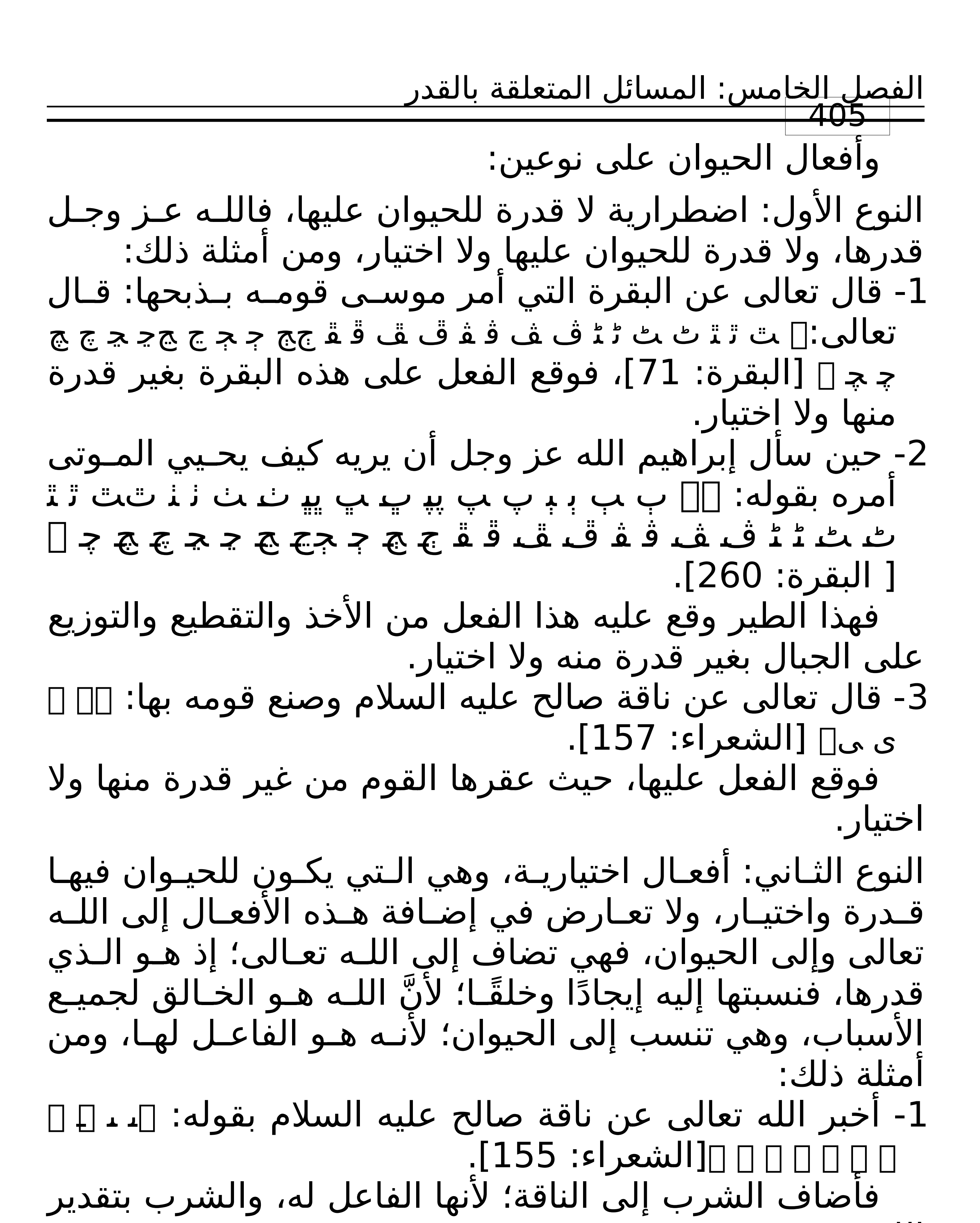

وأفعال الحيوان على نوعين:

النوع الأول: اضطرارية لا قدرة للحيوان عليها، فالله عز وجل قدرها، ولا قدرة للحيوان عليها ولا اختيار، ومن أمثلة ذلك:

1- قال تعالى عن البقرة التي أمر موسى قومه بذبحها: قال تعالى:ﮋ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ [البقرة: 71]، فوقع الفعل على هذه البقرة بغير قدرة منها ولا اختيار.

2- حين سأل إبراهيم الله عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى أمره بقوله: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [ البقرة: 260].

فهذا الطير وقع عليه هذا الفعل من الأخذ والتقطيع والتوزيع على الجبال بغير قدرة منه ولا اختيار.

3- قال تعالى عن ناقة صالح عليه السلام وصنع قومه بها: ﮋﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪﮊ [الشعراء: 157].

فوقع الفعل عليها، حيث عقرها القوم من غير قدرة منها ولا اختيار.

النوع الثاني: أفعال اختيارية، وهي التي يكون للحيوان فيها قدرة واختيار، ولا تعارض في إضافة هذه الأفعال إلى الله تعالى وإلى الحيوان، فهي تضاف إلى الله تعالى؛ إذ هو الذي قدرها، فنسبتها إليه إيجادًا وخلقًا؛ لأنَّ الله هو الخالق لجميع الأسباب، وهي تنسب إلى الحيوان؛ لأنه هو الفاعل لها، ومن أمثلة ذلك:

1- أخبر الله تعالى عن ناقة صالح عليه السلام بقوله: ﮋﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦﮊ[الشعراء: 155].

فأضاف الشرب إلى الناقة؛ لأنها الفاعل له، والشرب بتقدير الله.

2- قال الله تعالى عن الطير التي أمر سبحانه إبراهيم عليه السلام بتقطيعها: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭿ ﮊ [البقرة: 260]. فأضاف السعي إليها؛ لأن الفعل صدر منها، والله تعالى هو الذي قدره.

3- قال تعالى في قصة يونس عليه السلام: ﴿ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ﴾ [ الصافات: 142].

فأضاف الالتقام إلى الحوت لأنه الفاعل، والله تعالى هو الذي قدر هذا الفعل.

4- قال تعالى: ﴿ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﴾ [النمل: 18].

فأمرت النملة قومها بالدخول، فأضيف الأمر والدخول إلى المساكن؛ لأن الفعل صدر منهم، والله تعالى هو المقدر لذلك كلِّه.

فهذه الأفعال الاختيارية لم يكن الحيوان مجبورًا عليها، بل جعل الله تعالى له قدرة واختيارًا بها يفعل الفعل، والله عز وجل خالقة وخالق للأسباب التي بها يفعل.

بل هذا الحيوان يؤمن بأن الإنسان غير مجبور على أفعاله الاختيارية، فقد سبق في قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام أنَّ الهدهد استنكر على ملكة سبأ وقومها سجودهم للشمس من دون الله تعالى، فهو يعلم أنَّ لهم قدرة واختيار بها يسجدون لله تعالى ويتركون السجود للشمس، وأنهم ليسوا مجبورين على السجود للشمس من دون الله تعالى.

والذئب حين أمر الرجل بتقوى الله عز وجل، لعلمه أنه غير مجبور على المعصية، بل جعل الله تعالى له قدرة واختيارًا على فعل الطاعة وترك المعصية[1].

وهذه النملة حين قالت لقومها: ﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﴾ [ النمل: ١٨]، أضافت الفعل إليهم؛ لأنهم الفاعلون له، والله تعالى هو الذي قدر فعلهم فنسبت الفعل إليهم؛ لأنهم غير مجبورين على أفعالهم الاختيارية.

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال العباد، فهم يعتقدون أنَّ الله تعالى خالق أفعال العباد، والعباد فاعلون حقيقة لها، والعبد هو المؤمن والكافر، والبر الفاجر، والمصلي والقائم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، الله خالقهم، وخالق قدرتهم وإرادتهم[2].

---

1 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [78].

2 () انظر: مجموع الفتاوى (3/150)، وشفاء العليل (2/462-463).

فهم وسط بين الفرق التي ضلت في القدر، يبين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: «وهم في باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله؛ الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقة لكل شيء؛ وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل. فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قال الله عنهم: ﴿ ٺ ٻ ٺ ٽ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ﴾ [الأنعام: 148].

فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير. فيقدر أن يهدي العباد ويُقَلِّب قلوبهم، وأنه ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملكه ما لا يريد، ولا يعجز عن إنفاذ مراده، وأنَّه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات. ويؤمنون أنَّ العبد له قدرة ومشيئة وعمل، وأنَّه مختار ولا يسمونه مجبورًا؛ إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختارًا لما يفعله، فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير. فإنَّ الله ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله»[1].

---

1 () مجموع الفتاوى (3/374).

## المبحث الثاني: هداية الحيوان:

من مراتب الهداية: الهدي العام، وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها، وما يقيمها، وهذا النوع أعم مراتبه[1].

يقول الله عز وجل: □ں ڻ ڼ ڽ ڍ ڌ □ □ □ □ □ □ □ ھ ہ □ [الأعلى: 1-3].

فجعل الله عز وجل التسوية من تمام الخلق، والهداية من تمام التقدير[2].

فالله تبارك وتعالى هو الذي هدى الحيوان لما فيه صلاح معاشه، وهذه الهداية الكونية[3].

فإنَّ الله عز وجل قدَّر لكل حيوان ما يصلحه، فهداه إليه، وعرفه وجوه الانتفاع به، فترى الولد بمجرد خروجه من بطن أمه يلتمس غذاءه، وكذا سائر الحيوانات[4].

ولهذا جعل موسى عليه السلام من دلائل ربوبية ربه عز وجل حين سأله فرعون: □□ □ □ □ □ □ □ [طه: 49]، هدايته لخلقه الهداية العامة، قال تعالى: □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ [طه: 50].

فأعطى كلَّ مخلوق نظير خلقة في الصورة والهيئة، وخلق لكل شيء زوجة، ثم هداه لمنكحه، ومطعمه ومشربه، ومسكنه ومولوده.

وقيل: هداهم إلى الألفة والاجتماع والمناكحة.

وقيل: هداه لما يصلحه من الاحتيال للغذاء والمعاش[5].

والآية تتناول بعمومها جميع الأقوال، فهي أعم مما ذكر[6]: «فإن الآية شاملة لهداية الحيوان كلِّه ناطقه وبهيمه، وطيره ودوابه، فصيحه وأعجمه، وكذلك قول من قال: إنه هداية الذكر لإتيان الأنثى تمثيل أيضًا، وهو فرد من أفراد الهداية التي لا يحصيها إلا الله. وكذلك قول من قال: هداه للمرعى، فإن ذلك

---

1 () انظر: شفاء العليل (2/517).

2 () انظر: المرجع السابق (2/517).

3 () انظر: تفسير القرآن الكريم - جزء عم لابن عثيمين (165).

4 () انظر: اللباب في علوم الكتاب (20/276)، والجامع لأحكام القرآن (11/216)، والبحر المديد (8/438).

5 () انظر: جامع البيان (8/316- 317).

6 () انظر: الجامع لأحكام القرآن (11/216)، وشفاء العليل (2/521).

من الهداية، فأين الهداية إلى التقام الثدي عند خروجه من بطن أمه، والهداية إلى معرفته أمه دون غيرها حتى يتبعها أين ذهبت، والهداية إلى قصد ما ينفعه من المرعى دون ما يضره منه، وهداية الطير والوحش والدواب إلى الأفعال العجيبة التي يعجز عنها الإنسان، كهداية النحل إلى سلوك السبل التي فيها مراعيها على تباينها، ثم عوده إلى بيوتها وما يعرش بنو آدم»[1].

وقد أطال الإمام ابن القيم رحمه الله في ذكر أمثلة كثيرة تبين هداية الله تعالى لأنواع من الحيوان، كهداية النحل في انتظامها وسيرها مع أميرها، وبناء بيوتها، بهندسة عجيبة، وهداية النمل وعجائب من صنعها في طلب القوت والجد والاجتهاد، وهداية الحمام ومشاكلته للناس في أكثر طباعه، وكذلك هداية الدجاج والحمار، والفأر والثعلب وغيرها[2].

وقد سبق الحديث عن ذلك في الفصل الأول عند الحديث عن دلالة خلق الحيوان وعجائبه على توحيد الله سبحانه في ربوبيته.

---

1 () شفاء العليل (2/521-522).
2 () المرجع السابق (2/522-568).

## المبحث الثالث: مسألة إيلام الحيوان وبيان حكمة الله  فيها:

لقد خاض الناس في الآلام التي تنال غير المكلفين، بما فيهم الحيوان، من ذبح أو مرض أو غير ذلك، فاختلفوا في بيان الحكمة في ذلك إلى أقوال أشهرها ما يأتي:

**القول الأول:** المعتزلة، جعلوا كون ذلك عدلاً وقوعه بسبب جرم سابق أو عوض لاحق، وأنَّ إيلام الحيوان لنفع الآدمي به غير قبيح، أمَّا إيلامها لغير ذلك فلا بدّ من مصلحة ترجع إليها، وهي ما يحصل لها من العوض في الآخرة[1]، فيجب إعادتها لاستيفاء ذلك الحق الذي لها، وهو العوض عن الآلام التي حصلت لها.

فهم أثبتوا حكمة وتعليلاً يعودان إلى المخلوق لا إلى الخالق، وشبهوا الخالق  بخلقه، حيث جعلوا ما يحسن من عباده يحسن منه، وما يقبح منهم يقبح منه[2].

---

1 () نقل الأشعري اختلاف المعتزلة في عوض البهائم إلى خمسة أقوال:

1- قال بعضهم: يعوضها الله في المعاد، وإنها تُنعَّم في الجنة، وتصور في أحسن الصور ونعيمها لا ينقطع.

2- قال آخرون: يجوز أن يكون التعويض في الدنيا، ويجوز أن يكون في الموقف، ويجوز أن يكون في الجنة.

3- وقيل: يجوز أن تكون الحيات والعقارب وما أشبهها من الهوام والسباع تعوض في الدنيا أو في الموقف، ثم تدخل جهنم فتكون عذابًا على الكافرين، ولا ينالها من ألم جهنم شيء كالخزنة.

4- وقال آخرون: نعلم أن لها عوضًا، ولا ندري كيف هو.

5- وقيل: إنها تحشر وتبطل. انظر: مقالات الإسلاميين (1/ 201-202).

2 () انظر: شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1408هـ ( 483)، ونهاية الأقدام في علم الكلام، عبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه: الفردجيوم، بدون ذكر الطباعة ولا تاريخها (410-411)، وأبكار الأفكار في أصول الدين، علي بن محمد الآمدي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، (1/ 596-598)، وطريق الهجرتين (304-315).

**القول الثـاني:** ذهبت الأشـاعرة[1] إلى أنَّ الآلام مقـدورة لله تعالى، وإذا فعلها فهي حسنة، وسـواء أكـانت مبتـدأ بهـا، أم بطريق المجازاة، وسواء أتعقبها عوض أم لا، وأن العوض عليها غير واجب، فمـا وقـع منـه  فهـو حسـن، لا يُعـترض عليـه في حكمـه، فعنـدهم أن مـرد ذلـك إلى محض المشـيئة وصـرف الإرادة[2].

**القـول الثـالث:** ذهب أهـل السـنة والجماعـة إلى أنَّ مـا يصـيب الحيـوان من الآلام لم يقـع إلا لحكم عظيمـة؛ لأنـه  لا يفعل إلاّ لحكمة وإن جهل الناس شيئًا من هذه الحكم.

فما من حيوان إلاّ ويحصل له من اللذة والخير والنعيم ما هو أعظم مما يحصل له من الألم، فإنه يلتذ بالأكل والشرب والنوم والجماع وغير ذلك، فنعيمه ولذته أضعاف أضعاف ألمه[3].

يقول ابن القيم رحمه اللـه بعـد ذكـره خلاف الطـائفتين في مسألة إيلام البهائم: «وقام حـزب اللـه، وحـزب رسـول اللـه  وأنصار الحق بـ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمـد، وهـو على كـل شـيء قـدير، حـق القيـام، ورعـوا هـذه الكلمة حق رعايتها علمًـا ومعرفـة وبصـيرة، ولم يلقـوا الحـرب

---

1 () الأشاعرة: فرقة تنسب إلى أبي الحسن الأشعري، الذي كان على مذهب المعتزلة، ثم تركهم، وقد تطور هذا المـذهب بعـده، فعـامتهم يثبتون سبع صفات فقط، وينفون عن الله علو الـذات، ويقولـون: إن الإيمان هو التصديق، وهم جبرية في باب القدر، فقد قالوا بالكسـب، ونفوا الحكمة والتعليل عن أفعال الله تعالى. انظر: الملـل والنحـل (1/ 93-99)، ومجموع الفتـاوى (6/ 358)ـ (7/ 637)ـ (17/ 361)، وموقـف ابن تيميـة من الأشـاعرة، عبـد الـرحمن المحمـود، مكتبـة الرشد، الرياض، 1415هـ، (3/ 929-1383).

2 () انظـر: الإرشـاد إلى قواطـع الأدلـة في أصـول الاعتقـاد، لإمـام الحرمين الجويني، تحقيق: محمد يوسف موسـى، وعلي عبـد المنعم عبد الحميد، مكتبـة الخـانجي، مصـر، 1369هـ (273-286)، ونهايـة الأقـدام في علم الكلام (410)، وأبكـار الأفكـار (1/ 596)، وشـفاء العليل (3/ 1230).

3 () انظـر: مجمـوع الفتـاوى (8/ 125،ـ 208)ـ (14/ 268)، وشـفاء العليل (3/ 1231-1238)، وطريق الهجرتين وبـاب السـعادتين، ابن قيم الجوزيـة، تحقيـق: عايـد العقيلي وعبـد اللـه القحطـاني وخالـد العايد، دار الفضيلة، الرياض، ط 1ـ 1432هـ (305-312)، ومختصر الصواعق (2/ 594-600).

بين حمده وملكه، بل أثبتوا له الملك التام الذي لا يخرج عنه شيء من الموجودات، أعيانها وأفعالها، والحمد التام الذي وسع كل معلوم، وشمل كل مقدور.

وقالوا: إنَّ له تعالى في كل ما خلقه وشرعه حكمةً بالغة، ونعمة سابقة، لأجلها خلق وأمر، ويستحق أن يثنى عليه، ويحمد لأجلها كما يثنى عليه، ويحمد لأسمائه الحسنى، ولصفاته العلى، فهو المحمود على ذلك كله أتم حمد وأكمله؛ لما اشتملت عليه صفاته من الكمال وأسماؤه من الحسن، وأفعاله من الحكم والغايات المقتضية لحمده، المطابقة لحكمته، الموافقة لمحابه، فإنه سبحانه كامل الذات، كامل الأسماء والصفات، لا يصدر عنه إلا كل فعل كريم، مطابق للحكمة، موجب للحمد، يترتب عليه من محابه ما فعل لأجله»[1].

هذه أشهر الأقوال في هذه المسألة[2]، ومنشأ الخلاف فيها

---

1 () طريق الهجرتين (312-313).

2 () من الأقوال في هذه المسألة – أيضًا –:

1- طائفة من التناسخية زعموا أن سبب هذه الآلام التي تصيب الحيوان أن أرواحها كانت أولاً في أبدان أشرف من البهائم، ثم بعد أن اقترفت الجرائم نقلت إلى أبدان البهائم؛ لتعذب على جرائمها. انظر: نهاية الأقدام (410)، وأبكار الأفكار (1/ 598-599)، وطريق الهجرتين (320).

2- ذهبت طائفة إلى أن كل نوع من أنواع الحيوان فيه أنبياء ورسلٌ، وأنها مستحقة للثواب والعقاب، وأنَّ ما ينزل بها من الآلام عقوبات على معاصيها ومخالفتها. انظر: طريق الهجرتين (320)، والإرشاد (275).

3- ذهبت الثنوية المجوس القائلون بخالقين، خالق للنور وخالق للظلمة: أنَّ هذه الآلام والشرور من إله الظلمة دون إله النور. انظر: نهاية الأقدام (410)، وأبكار الأفكار (1/ 598)، وطريق الهجرتين (321)، والإرشاد (274).

4- ذهبت البكرية إلى أنَّ البهائم لا تتألم، وذلك لما اعتقدوه من قبح الإيلام ولم يرتضوا مذاهب الفرق السابقة، وقد كابروا الحس وجحدوا الضرورة. انظر: أبكار الأفكار (1/ 599) وطريق الهجرتين (317-319).

5- قالت: الزنادقة والدهرية: كل ذلك من تصرف الطبيعة وفعلها، من غير فاعل مختار مدبر بمشيئة وقدرة. انظر: طريق الهجرتين (321-322).

اختلافهم في مسألتين كبيرتين من مسائل القدر هما:
1- الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى[1].
2- التحسين والتقبيح[2].

فالأشاعرة أصابوا في إثبات عموم المشيئة والقدرة، وأنه لا يقــع في الكــون شــيء إلا بمشــيئته، وأخطــؤوا حين أبطلــوا الأسباب والحِكم والتعليل ومراعاة مصالح الخلق.

والمعتزلة أصابوا في إثبات الحكمة والتعليل في أفعال اللــه تعــالى، ولكنهم أخطــؤوا في تعطيلهم عــود الحكمــة والغايــة

---

1 () اختلفت هـذه الطوائـف في تعليـل أفعـال اللـه تعـالى على ثلاثـة أقوال:

1- قول الأشاعرة بأنه لا يجوز تعليل أفعال الله تعـالى بشـيء من الأغراض والعلل الغائية، فهو  لا يفعل لغاية ولا لحكمــة أصــلاً. انظــر: نهايــة الإقــدام (397)، ومــا بعــدها، ومحصــل أفكــار المتقــدمين والمتــأخرين، محمــد عمــر الــرازي، تقــديم: طــه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، (205).

2- قول المعتزلة: أن الله فعل المفعولات وخلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة مخلوقة منفصلة عنه، وأنَّ التعليـل فيهـا واجب، فهم يثبتـون الحكمــة ولكن لا يعــود إليــه  منهــا شــيء، فــيزعمون أن الحكمــة في ذلــك إحســانه إلى الخلــق، والحكمة في الأمر تعريض المكلفين للثواب. انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد، عبد الجبار بن أحمد الهمـذاني، تحقيـق: أحمد الأهواني، وتوفيق الطويل، وسـعيد زايـد، طبعـة القـاهرة، المؤسســة المصــرية العامــة للتــأليف والترجمــة والنشــر، ط1، 1382هـ، (6/ 48)، (11/ 91-93)، نهاية الإقدام (397).

3- قول أهل السنة والجماعة: أنــه  حكيم لا يفعل شـيئًا عبثًا، ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة، هي الغاية المقصودة بالفعـل، بـل أفعاله كلها صادرة عن حكمة بالغـة لأجلهـا فعـل، فكـل أفعالـه لحكمة يعلمها هو، وقد يُعلم العباد بعض حكمه. انظــر: مجمــوع الفتــاوى (8/ 37-39،ـــ 81-97،ـــ 377)، وشــفاء العليــل ( 3/ 1025-1313)، وطريــق الهجــرتين (241-242)، وموقــف ابن تيمية من الأشاعرة (3/ 1312).

2 () اختلفت هذه الطوائـف في مسـألة التحسـين والتقـبيح على ثلاثـة أقوال:

القول الأول: قول الأشاعرة، أنه لا يجب على الله شيء من قبــل العقل، ولا يجب على العبـاد شـيء قبـل مجيء السـمع، فالتحسـين والتقبيح يتلقيان من الشـرع، والعقـل لا يـدل على حسـن شـيء ولا

المطلوبة إلى الفاعل، فأثبتوا نوع حكمة تعود إلى المفعول لا إلى الفاعل، وكذلك تشبيههم الله بخلقه فيما يحسن منهم وما يقبح، فقاسوه في أفعاله على خلقه، واعتبروا حكمته بالحكمة التي لعباده[1].

وأصاب أهل السنة الذين جمعوا بين إثبات القدرة والمشيئة العامة، والحكمة الشاملة، التي هي غاية الفعل، وربطوا ذلك بالأسماء والصفات، فتصادق عندهم السمع والعقل والشرع والفطرة، وعلموا أن هذا هو مقتضى الحكمة، وأنه من لوازمها[2]، ثم جعلوا تلك الآلام التي تصيب الحيوانات لم تقع إلاّ لحكمة عظيمة أرادها الله تعالى، فلم تقع عبثًا، ولم تكن خارج قدرته وإرادته، ويتبين رجحان قولهم من خلال الأمور الآتية:

1- الأدلة الكثيرة التي دلت على إثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره، والغايات المطلوبة له بذلك، والعواقب الحميدة

---

قبحه، فلو عكس الشرع فحسن ما قبحه، وقبح ما حسنه لم يكن ممتنعًا. انظر: الإرشاد (258)، والمواقف (3/ 261-263)، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن صالح المحمود، دار الوطن، 1418هـ، (250).

القول الثاني: قول المعتزلة أن العقل هو الحاكم بالحسن والقبح، الفعل حسن أو قبيح في نفسه، إمَّا لذاته أو لصفة من صفاته لازمة له وإما لوجوه واعتبارات أخرى، فالعقل يعلم العلم الكامل بحسن الفعل وقبحه، ثم يحكم عليه، وأمَّا الشرع فهو كاشف ومبين لتلك الصفات فقط. انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد (6/ 26، 30، 31، 34)، وشرح الأصول الخمسة (484)، والمواقف (3/ 261-263)، والمعتزلة وأصولهم الخمسة (163-167)، والقضاء والقدر (252-254).

القول الثالث: قول أهل السنة والجماعة: أن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة، والعقل قد يدرك حسن الفعل وقبحه، قبل ورود الشرع، لكن لا يترتب على حسن الفعل ثواب أو عقاب إلاّ بالشرع، والشارع إذا أمر بشيء صار حسنًا، وإذا نهى عن شيء صار قبيحًا، فيكتسب صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع. انظر: مجموع الفتاوى (8/ 434-436)، (8/ 677-686)، (11/ 676-677)، ومدارج السالكين، (3/ 488-490)، ومفتاح دار السعادة (2/ 298-509)، والقضاء والقدر (255-257).

[1] () انظر: مختصر الصواعق (4/ 594-595).

[2] () انظر: شفاء العليل (3/ 1231).

التي يفعل لأجلها، ويأمر لأجلها، فقد دلت العقول الصحيحة والفطر السليمة على ما دلَّ عليه القرآن والسنة من أن الله جلّ وعلا لا يفعل شيئًا عبثًا، ولا لغير حكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل[1].

وقد أطال الإمام ابن القيم رحمه الله في ذكر هذه الأدلة من الكتاب والسنة، فذكر اثنين وعشرين نوعًا من هذه الأدلة[2].

وما يصيب الحيوان من الآلام هو من جملة أفعال الله تعالى التي لا تقع إلاّ معللة، والحكمة التي أرادها تبارك وتعالى.

2- أن الحكمة من أفعال الله تعالى لا يشترط أن يطلع عليها العباد، فقد يُطلعهم الله  على شيء من حِكم أفعاله، وقد يخفي عنهم بعضها، وعلى المؤمن أن يؤمن بذلك كله عَلِم الحكمة أو جهلها، فيؤمن بأن الله سبحانه لا يفعل إلاّ لحكمة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وعلى هذا فكل ما فعله علمنا أنَّ له فيه حكمة، وهذا يكفينا من حيث الجملة، وإن لم نعرف التفصيل، وعدم علمنا بتفصيل حكمته بمنزلة عدم علمنا بكيفية ذاته؛ وكما أن ثبوت صفات الكمال له معلوم لنا، وأمَّا كُنْه ذاته فغير معلومة لنا فلا نكذِّب بما علمناه ما لم نعلمه، وكذلك نحن نعلم أنَّه حكيم فيما يفعله ويأمر به، وعدم علمنا بالحكمة في بعض الجزئيات لا يقدح فيما علمناه من أصل حكمته، فلا نكذِّب بما علمناه من حكمته ما لم نعلمه من تفصيلها»[3].

3- قياس أفعال الله تعالى على أفعال البشر من أفسد القياس، وأشنعه، فلا يمكن للإنسان أن يحيط علمًا بحكمة الله تعالى في خلقه وأمره، وقضائه وقدره مهما أوتي من الفطنة والذكاء والعلم والفهم، فمن المحال معرفة أسرار أفعال الله تعالى؛ لأنه  لا يُمثَّل بالخلق لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، بل له المثل الأعلى، فما ثبت لغيره من الكمال فهو أحق به، وما تنزه عنه من النقص فهو أحق

---

1 () انظر: المرجع السابق (3/ 1025).
2 () انظر: المرجع السابق (3/ 1026-1085).
3 () انظر: مجموع الفتاوى (6/ 127-128).

بتنزيهه عنه سبحانه، وهذا هو الذي ضلت فيه المعتزلة؛ حيث شبهوا في الأفعال، فقاسوا أفعال الله على أفعال خلقه، وهو أفسد القياس[1]، لأنَّ أفعال الله تعالى لا تقاس بأفعال عباده، ولا تدخل تحت شرائع عقولهم القاصرة، بل أفعاله لا تشبه أفعال خلقه، ولا صفاته صفاتهم، ولا ذاته ذواتهم، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

4- أنَّ هذه الآلام والمشاقّ التي تصيب الحيوان وغيره، إمَّا إحسان ورحمة، وإما عدل وحكمة، وإما صلاح وتهيئة لخير يحصل بعدها، وإمَّا لدفع ألم هو أصعب منها، وإما أن تكون من لوازم الفضل والإحسان، فتكون من لوازم الخير، التي إن عطلت عطلت ملزوماتها، وفات بتعطيلها خير أعظم من مفسدة تلك الآلام.

وهذه الآلام والأمراض والمشاق التي تصيب الحيوان غير المكلفة منها، مغمور جدًّا فيما يصل إليها من مصالح ومنافع، فلذاتها أضعاف أضعاف آلامها، وما ينالها من المنافع والخيرات أضعاف ما ينالها من الشرور والآلام.

فأين آلام الحيوان من لذته؟ وأين سقمه من صحته؟ وأين جوعه وعطشه من شبعه وريه؟ وأين تعبه من راحته؟ فالآلام التي تصيب الحيوان لم يعدم هذا الألم عافية أشد من ذلك الألم، أو تهيئة لقوة وصحة وكمال، أو عوضًا لا نسبة لذلك الألم إليه بوجه ما[2].

فمن حكم بعض ما يصيب الحيوان من آلام النفعُ الذي يعود على من هو أفضل منه، إذ لو لم يحصل هذا الألم لفات ذلك، يوضح ابن الجوزي ذلك بقوله: «العقل ينكر إيلام الحيوان بعضه البعض، فأما إذا حكم الخالق بالإيلام لم يبق للعقل اعتراض، وبيان ذلك أن العقل قد عرف حكمة الخالق  وأنه لا خلل فيها ولا نقص فأوجبت عليه هذه المعرفة التسليم لما خفي عنه، ومتى اشتبه علينا أمر في فرع لم يجز أن نحكم على الأصل بالبطلان، ثم قد ظهرت حكمة ذلك، فإنا نعلم أن الحيوان

---

1 () انظر: رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، مرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق: أسعد محمد المغربي، دار حراء، مكة المكرمة، ط1، 1410هـ، (58).

2 () انظر: شفاء العليل (3/ 1234-1237).

يفضل على الجماد ثم الناطق أفضل مما ليس بناطق بما أوتي من الفهم والفطنة، والقوى النظرية والعملية، وحاجة هذا الناطق إلى إبقاء فهمه ولا يقوم في إبقاء القوى مقام اللحم شيء، ولا يستطرف تناول القوي الضعيف، وما فيه فائدة عظيمة لما قلّت فائدته، وإنما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم، فلو لم يذبح لكثر وضاق به المرعى ومات، فيتأذى الحيوان الكريم بجيفته، فلم يكن لإيجاده فائدة»[1].

1 () تلبيس إبليس (62).

# الفصل السادس

# مسائل الأسماء والأحكام المتعلقة بالحيوان

وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول: لعن الحيوان.**

**المبحث الثاني: الفاسق من الحيوان.**

**المبحث الثالث: تفضيل الأنعام على المشرك.**

**المبحث الرابع: تشبيه الكافر ببعض الحيوان.**

**تمهيد: المراد بالأسماء والأحكام:**

يقصد بالأسماء والأحكام إطلاق أسماء الدين على من يستحقها مثل: الإيمان والإسلام، والإيمان والكفر، والنفاق والفسق، وتسمية العبد بالمؤمن والمسلم والكافر والمنافق والفاسق، وبيان أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة[1].

والخلاف في هذه المسألة هو أول خلاف حدث في مسائل أصول الدين.

وأهل السنة والجماعة في باب الأسماء والأحكام وسط بين المرجئة والوعيدية[2].

ولما كانت بعض مسائل الحيوان لها علاقة بشيء من الأسماء مثل: إطلاق الفاسق على بعض الحيوان، وما يتعلق بلعن الحيوان ذكرتها في هذا الفصل، وأضفت إليها ما يتعلق بتفضيل الحيوان على الكافر، وتشبيهه به أحيانًا.

---

1 () انظر: مجموع الفتاوى (13/38).

2 () انظر: المرجع السابق (3/374).

## المبحث الأول: لعن الحيوان:

**اللعن في اللغة:** الطرد والإبعاد[1]، فهو إبعـاد في المعـنى والمكانة والمكان[2]، يقال: لعنه، أي: طـرده وأبعـده، فهـو لعين وملعون[3]. والتلاعن هو: التشائم والتَّماجُن[4]، يقال: لعنتـه، أي: سببته[5]، واللّعنة - أيضًا - هي: الـدعاء عليـه، وفي القـرآن هي: العذاب[6].

**واللعن في الشـرع:** الطــرد والإبعــاد من رحمــة اللـــه تعالى[7]، فهو من الله تعالى: الطـرد والإبعـاد من رحمتـه، ومن المخلوقــات طلب طــرد الملعــون، وإبعــاده من رحمــة اللـــه تعالى[8].

وقد جاءت السنة النبوية بالتحذير من اللَّعن، وأنَّ اللَّعن خلق ذميم يجــرم صــاحبه، فلا يكــون من الشــفعاء والشــهداء يــوم القيامة، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول اللـه ﷺ: ((لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة))[9].

فهم لا يشــفعون يــوم القيامــة حين يشــفع المؤمنــون في إخوانهم الذين استوجبوا النار، ولا يكونـون شـهداء - أيضًـا - فلا يشهدون يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسـالات، وقيل: لا تقبل شهاداتهم في الدنيا لفسـقهم، وقيـل: لا يرزقـون الشهادة، وهي القتل في سبيل الله[10].

وعن أبي الــدرداء رضي الله عنه أن النــبي ﷺ، قــال: ((إن العبــد إذا لعن شيئًا، صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبـواب السـماء دونهـا، فتهبط إلى الأرض، فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخـذ يمينًـا وشـمالاً،

---

1 () انظر: مقاييس اللغة (5/ 203)، مادة (لعن).
2 () انظر: التعاريف (621)، باب اللام فصل العين.
3 () انظر: القاموس المحيط (1588)، باب النون فصل اللام.
4 () انظر: المرجع السابق.
5 () انظـر: العين (2/ 141) بـاب العين واللام والنـون معهمـا مـادة (لعن).
6 () انظر: المرجع السابق (2/ 142).
7 () انظر: شرح مشكل الآثار (9/ 168)، وعمدة القاري (1/ 203).
8 () انظر: تيسير العزيز الحميد (256).
9 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب البر والصلة، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها (1131) رقم (2598).
10 () انظر: شرح صحيح مسلم (16/ 149).

فـإذا لم تجـد مسـاغا[11] رجعت إلى الـذي لُعِن، فـإذا كـان أهلاً لذلك نزلت عليه، وإلا رجعت إلى قائلها))[2].

وأوصى النبي  جابر بن سليم[3]، فقال له: ((لا تسبنَّ أحـدًا، قال: فما سببت بعده حرًّا ولا عبدًا، ولا بعيرًا ولا شاة))[4].

فـدلت هـذه النصـوص على النهي عن لعن من لا يسـتحق اللعن، من إنسان أو حيوان أو غير ذلك، بل جاءت أدلة صـريحة في النهي عن لعن الدواب، فمن ذلك:

1- عن عمران بن الحصين[5] قـال: ((بينمـا رسـول اللـه  في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصـار على ناقـة لهـا، فضـجرت فلعنتها، فسمع ذلـك رسـول اللـه ، فقـال: خـذوا مـا عليهـا ودعوها، فإنها ملعونة، قال عمران: فكأني أراها الآن تمشـي في الناس، ما يعرض لها أحد))[6].

وإخبار النبي  عن هذه الناقة بأنها ملعونـة؛ لأنـه  قـد عَلِم أنَّه استجيب لهذه المـرأة الـدعاء بـاللعن، فمـتى عُلم اسـتجابة الدعاء من لاعن، أمرنا بإرسال دابتـه، ولا سـبيل إلى علم ذلـك

---

1 () مسـاغًا: أي، مسـلكًا وسـبيلاً تنتهي إليـه. انظـر: فيض القـدير (2/ 469).

2 () أخرجـه أبـو داود في سـننه، في كتـاب الأدب، بـاب: في اللعن (1583) رقم (4905)، وجـود إسـناده ابن حجـر في فتح البـاري (13/ 601)، وحسـنه الألبـاني في صـحيح سـنن أبي داود (3/ 927) رقم (4905).

3 () هـو: أبـو جـري، جـابر بن سـليم، التميمي، الهجيمي، روى عنـه جماعة منهم ابن سيرين، وأبو تميمة الهجمي، سكن البصـرة. انظـر: الاستيعاب (1/ 225-226)، وأسد الغابة (1/ 373).

4 () أخرجـه أبـو داود في سـننه في كتـاب اللبـاس، بـاب مـا جـاء في إسبال الإزار (1521) رقم (4084)، والبيهقي في السـنن الكـبرى (10/ 236) رقم (20882)، وحسـنه ابن عبـد الـبر في الاسـتيعاب (1/ 225)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (2/ 769) رقم (4084).

5 () هو: عمران بن حصين بن عبيد بن خلق، الخزاعي، الكعبي، أسـلم عام خيبر، كان من فقهاء الصحابة، وفضلائهم، غزا مع النـبي  عـدة غزوات، روى عنه: ابنـه نجيـد وأبـو الأسـود الـدؤلي وغـيرهم. انظـر: الاستيعاب (3/ 1208)، والإصابة (4/ 705).

6 () أخرجه مسلم في صـحيحه في كتـاب الـبر والصـلة والأدب، بـاب: النهي عن لعن الدواب وغيرها (1131) رقم (2595).

لانقطاع الوحي[1].

وذهب بعض الشُّراح إلى أنَّ هذه النّاقة لمّا كانت غير مكلّفة صار لعنها أي: خروجها من ملك صاحبتها وبعدها عنها وتركها لها، معاقبة لصاحبتها التي لعنتها مع نهيه  عن اللعن قبل ذلك[2]، والأولى حمل اللعن على معناه الشرعي، وأنَّ النبي  أخبر بأنها ملعونة وإن كانت غير مكلفة عقوبة لمن لعنها.

يقول الإمام النووي مبينًا حكم هذه الناقة والانتفاع بها بعد لعنها: «إنما قال هذا زاجرًا لها ولغيرها، والمراد النهي عن مصاحبته لتلك الناقة في الطريق، وأما بيعها وذبحها وركوبها في غير مصاحبته فهي باقية على الجواز؛ لأنَّ الشرع إنما ورد بالنهي عن المصاحبة، فبقي الباقي كما كان»[3].

2- عن أبي هريرة قال: ((كان رسول الله  في سفر يسير، فلعن رجل ناقة، فقال: أين صاحب الناقة، فقال الرجل: أنا، فقال: أخرجها فقد أجيب فيها))[4].

وهذا الحديث يؤيد ما سبق أنَّ النبي  قد أطلعه الله تعالى على استجابته دعاء صاحب الناقة على ناقته، ولعنه إياها؛ فلذلك أمر بتركها.

3- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ((سار رجل مع النبي ، فلعن بعيره، فقال النبي : يا عبد الله، لا تسر معنا على بعير ملعون))[5].

---

1 () انظر: صحيح ابن حبان (13/ 53).

2 () انظر: إكمال المعلم (8/ 67-68)، والمفهم (6/ 580-581).

3 () شرح صحيح مسلم (16/ 147-148).

4 () أخرجه أحمد في مسنده (2/ 428)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (3/ 314) رقم (4223)، «رواه أحمد بإسناد جيد»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (8/ 147) رقم (13037): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (3/ 40) رقم (2796): «حسن صحيح».

5 () أخرجه أبو يعلى في مسنده (6/ 305) رقم (3622)، وقال محققه: حسن سليم أسد: إسناده جيد، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وأدب اللسان، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، دار الكتب العربي، بيروت، ط1، 1410هـ (208) رقم (387)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (3/ 314) رقم (4222): «رواه أبو يعلى وابن أبي الدنيا، بإسناد جيد»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (

4- وعن جابر رضي الله عنه، أنَّ رجلاً من الأنصار على ناضح له، فأناخه فركبه، ثم بعثه، فلدَّن[1] عليه بعض التلدُّن، فقال له: شأ[2] لعنك الله، فقال رسول الله : ((من هذا اللاعن بعيره؟ فقال له: أنا يا رسول الله، قال: انزل عنه، فلا يصحبنا ملعون، لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم))[3].

5- عن زيد بن خالد أن النبي  قال: ((لا تسبوا الديك، فإنه يوقظ للصلاة))[4].

6- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((أنّ الديك صرخ عند النبي ، فقال رجل: اللهم العنه، فقال النبي : لا تلعنه ولا تسبه؛ فإنه يدعو إلى الصلاة))[5].

ففي هذه النصوص دلالة على تحريم لعن الدوابّ والبهائم، وغيرها من الأموال والأولاد، وكذلك الحيوان لا يلعن إلاّ ما كان مستحقًّا لذلك كالمؤذي منها، ويدل لذلك لعنه  العقرب، فعن علي بن أبي طالب قال: ((لدغت النبي  عقرب، وهو يصلي فلما فرغ قال: لعن الله العقرب، لا تدع مصليًا ولا غيره، ثم دعا بماء وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ: قل يا أيها الكافرون، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس))[6].

---

8/ 147) رقم (13038): «رجال أبي يعلى رجال الصحيح»، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (3/ 39) رقم (2795): «حسن لغيره».

1 () تلدَّن، أي: تلكأ وتمكَّث، ولم ينبعث. انظر: النهاية في غريب الحديث (833) مادة (لدن).

2 () شأ: هي كلمة زجر للبعير. انظر: شرح صحيح مسلم (18/ 138).

3 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الزهد، باب حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر (1198) رقم (3009).

4 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [211].

5 () أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (10/ 16) رقم (9796)، والبيهقي في شعب الإيمان (4/ 298) رقم (5170)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (3/ 40) رقم (2798): صحيح لغيره.

6 () أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (6/ 90) رقم (5889)، والصغير (2/ 87) رقم (830)، والبيهقي في شعب الإيمان (2/ 518) رقم (2575)، وابن أبي شيبة في مصنفه (7/ 398) رقم (

فالحيوان لا يجوز لعنه ولا سبه إلاَّ إذا كان مستحقًّا لذلك، وهو المؤذي منها، أمَّا غير المؤذي فينهى عن لعنه لعموم الأدلة الدّالة على النهي عن اللعن، والدعاء على الدوابّ والأولاد والأموال، فلا تلعن الحيوانات ولا يحكم عليها باللعن إلاّ ما كان مستحقًّا منها لذلك.

والحيوان كما أنه لا يجوز لعن إلا من استحقَّ اللعن منه، فهو كذلك يلعن من يستحق اللعن من بني آدم. فهو من اللاعنين الذين أخبر الله تعالى أنهم يلعنون طوائف من أهل المعاصي كما سبق ذكر ذلك في مطلب الولاء والبراء عند الحيوان في الفصل الأول.

---

24019)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (5/ 191) رقم (8445): رواه الطبراني في الصغير وإسناده حسن، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (2/ 89) رقم (548)، وله شاهد عن عائشة رضي الله عنها عند ابن ماجة في سننه في كتاب الصلاة: باب ما جاء في قتل الحية والعقرب في الصلاة (2550) رقم (1246)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (2/ 88) رقم (547).

## المبحث الثاني: الفاسق من الحيوان:

**الفسـق لغـة هـو:** الخـروج، يقـال: فسـقت الرُّطبـة من قشرها إذ خرجت[1].

**والفســـق في الشـــرع:** الخـــروج من الطاعـــة إلى المعصية[2].

وقـد جـاء في الحـديث إطلاق الفسـق على بعض الحيـوان، فمن ذلك:

**أولاً:** عن عائشة رضـي اللـه عنهـا أنّ رسـول اللـه  قـال: ((خمسٌ من الدوابّ كلهنُّ فاسـق، يقتلن في الحـرم: الغـراب، والحِدأ، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور))[3].

وفي روايـــة لمســـلم: ((خمس فواســـق يقتلن في الحـــل والحـرم: الحيـة، والغـراب الأبقـع، والفـأرة، والكلب العقـور، والحُديَّا))[4].

فهذه خمس دواب أخـبر النـبي  عن فسـقها، وإذا أضـيفت الحية إليها صارت ستًّا، وقد جاءت رواية للحديث بقوله: (ست)[5]، ورجح الحافظ ابن حجر أنه  نبه بإحداهما على الأخرى عند الاقتصار وبين حكمهما معًا حيث جمع[6].

وسـميت هـذه الـدوابّ فواسـق لخروجهـا عن حكم غيرهـا بالإيذاء والإفساد، وعدم الانتفاع، وقيل: سميت بـذلك لخروجهـا عن حكم غيرها من الحيوان في تحريم قتله، فيلحق بها كل مـا جـاز قتلـه للحلال في الحـرم والحـل، وقيـل: سـميت بـذلك لخروجهـا عن حكم غيرهـا من الحيـوان في حـل أكلـه، لقولـه تعالى: ﴿ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ﴾ [الأنعام: 145]، فيلحق بها ما لا يؤكل إلا ما نهي عن قتله.

---

1 () انظر: مقاييس اللغة (4/ 502)، ولسان العرب (10/ 308) مـادة (فسق).

2 () انظر: جامع البيان (13/ 199)، وشرح صحيح مسـلم، (8/ 114)، والمفهم (3/ 284).

3 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [235].

4 () التخريج السابق.

5 () مسند أبي عوانة، يعقوب بن إسـحاق الإسـفراييني، دار المعرفـة، بيروت (2/ 411) رقم (3635).

6 () انظر: فتح الباري، لابن حجر (5/ 105).

والأرجح هو القول الأول، فسبب تسميتها بالفواسق: خروجها عن حكم غيرها من الحيوان بالإيذاء والإفساد، وعدم الانتفاع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وسمَّاهنّ فواسق؛ لأنهنّ يفسقن، أي: يخرجن على الناس ويعتدين عليهم، فلا يمكن الاحتراز منهنَّ كما لا يحترز من السباع العادية، فيكون عدوان هذا أعظم من عدوان كل من السباع وهنَّ أخبث وأحرم»[1].

فدلَّ الحديث على إطلاق الفسق على ستٍّ من الدوابّ هي:

**1- الغراب:**

قيل سُمِّي بذلك لسواده[2]، ومن فسق الغراب وخروجه عن حد الاستقامة، وأذاه: أنّه ينقر ظهر البعير، وينزع عينه، ويقع على داء البعير الدبر فينقره حتى يقتله، ولذلك تسميه العرب ابن داية، وينزع عن الخير، ويختلس أطعمة الناس[3]، والمراد بالغراب الذي أطلق عليه الفسق وأمر بقتله هنا هو: الغراب الأبقع، أي: الأسود الذي في ظهره أو بطنه بياض، ويلتحق به ما شاركه في الإيذاء، وقد اتفق العلماء على إخراج الغراب الصغير الذي يأكل الحب ويعرف بغراب الزرع[4].

**2- الحِدَأُ:**

وهو جمع حِدَأة، وهي: أخسُّ الطير، وتأكل الجرذان، من ألوانها: السُّود والرُّمْدُ، وهي لا تصيد وإنما تخطف، ومن فسقها أنها تؤذي الناس بخطف طعامهم، وتحريم أكلها[5].

**3- العقرب:**

يطلق على الذكر والأنثى، فهي مع صغرها تقتل الفيل والبعير بلسعها، ومنها عقارب قاتلة، ربما تناثر اللحم من

---

1 () مجموع الفتاوى (11/ 609-610).
2 () انظر: حياة الحيوان (3/ 258).
3 () انظر: تأويل مختلف الحديث (141)، وكشف اللثام (4/ 207).
4 () انظر: فتح الباري، لابن حجر (5/ 104).
5 () انظر: التمهيد (15/ 160)، وكشف اللثام (5/ 209)، والعين (3/ 278)، وحياة الحيوان (2/ 20).

لسعتها[1]، وسبق لعن النبي  لها؛ لأنها لا تدع مصليًا ولا غيره.

**4- الفأرة:**

ليس في الحيوان أفسد منها؛ لأنها لا تبقي على خطير ولا جليل إلاّ أهلكته، وأتلفته[2]، وقد حذّر منها النبي ، وسماها الفويسقة، فعن جابر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله : ((وأطفئوا المصابيح عند الرقاد، فإن الفويسقة ربما اجترت الفتيلة فأحرقت أهل البيت))[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ((جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة فجاءت بها، فألقتها بين يدي رسول الله  على الخُمْرَة[4] التي كان قاعدًا عليها، فأحرقت منها مثل موضع درهم، فقال: إذا نمتم فأطفئوا سرجكم فإن الشيطان يدلُّ مثل هذه على هذا فتحرقكم))[5].

وقيل: سميت فويسقة لخروجها من جحرها على الناس، واغتيالها إياهم في أموالهم بالفساد[6].

---

1 () انظر: حياة الحيوان (3/ 150، 155).

2 () انظر: المصدر السابق (3/ 340).

3 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في أحد جناحيه داءً وفي الآخر شفاءً، وخمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم (267) رقم (3316)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الأشربة، باب: استحباب تخمير الإناء وهو تغطيته وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر الله...(1038) رقم (2012).

4 () الخُمْرَة: هي مقدار ما يضع عليه المصلي وجهه في السجود من حصير أو نسيجة، والحديث يدل على أنها أكبر من ذلك، سميت خمرة لأنها تخمر وجه المصلي عن الأرض. انظر: شرح السنة (2/ 133)، والنهاية في غريب الحديث (285) مادة (خمر).

5 () أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب: إطفاء النار بالليل (1606) رقم (5247)، والبخاري في الأدب المفرد (419) رقم (1222)، والحاكم في مستدركه (4/ 317) رقم (7766)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (3/ 413) رقم (1426).

6 () انظر: معالم السنن (2/ 185).

**5- الكلب العقور:**

للعلماء فيه قولان:

**الأول:** أن المراد به الكلب المعروف خاصة دون غـيره من السباع[1].

**الثاني:** أن المـراد بـه كـل سـبع يعقـر، أي يجـرح ويقتـل، ويفترس كالأسد والنمر والذئب[2]، واستدل له بقوله : ((اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك فقتله الأسد))[3]، وبقولـه تعـالى: ﮋں ں ڻ ڻ ۀﮊ [المائدة: 4]، فاشتقها من اسم الكلب، ونسـبه ابن حجر للجمهور[4].

**6- الحية:**

والحية سبق الكلام عليها وأنَّها تُقْتَل في الحل والحرم، ويستثنى من ذلك: حيات البيوت، إلاّ الأبتر وذا الطفيتين؛ لأنها من الفواسق، واختلف العلماء هل يقاس على هذه الفواسق غيرها، فيكون له حكم القتل في الحل والحرم؟ على قولين:

**القول الأول:** الحنفية اقتصروا على الست المـذكورة في الحديث والذئب؛ لمشاركته في الكلبة، وألحقوا بـذلك من ابتـدأ بالعدوان والأذى من غيره[5].

**القول الثاني:** ذهب الجمهور إلى قياس غير هـذه السـت المذكورة في الحديث عليها[6]، وهو على قسمين:

---

1 () انظـر: الحجـة على أهـل المدينـة، محمـد بن الحسـن الشـيباني، تحقيـق: مهـدي حسـن الكيلاني، عـالم الكتب، بـيروت، 1403هـ (2/ 243)، وفتح الباري لابن حجر (5/ 107).

2 () انظر: التمهيد (15/ 157)، والنهاية في غريب الحديث (63) مادة (عقر).

3 () أخرجـه الـبيهقي في دلائـل النبـوة (2/ 338-339)، والحـاكم في مسـتدركه (2/ 588) رقم (3984)، وصـححه ووافقـه الـذهبي، من حديث أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه في دعاء النبي  على عتبـة أبي لهب، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (5/ 107).

4 () انظر: فتح الباري (5/ 107).

5 () انظر: المبسوط، محمد بن أبي سهل السرخسـي، تحقيـق: خليـل محـيي الـدين الميس، دار الفكـر للطباعـة والنشـر، بـيروت، ط1، 1421هـ، (12/ 198)، والتمهيد (15/ 165).

6 () شرح صحيح مسلم (8/ 113)، وفتح الباري، لابن حجر (5/ 107).

الأول: مذهب الشافعي: أنه يقاس على المذكورات كل سبع ضار أو عاد يعدو على الناس، وكل حيوان يؤكل لحمه؛ لأن الحديث يشتمل على أعيان بعضها سباع ضارية، وبعضها هوام قاتلة، وبعضها طير لا تدخل في معنى السباع، ولا هي من جملة الهوام، وإنما هو حيوان مستخبث اللحم، وتحريم الأكل يجمع الكل، فاعتبره ورتب الحكم عليه، ويستثنى ما تولد من مأكول غيره[1].

الثاني: مذهب مالك: أنه يقاس على المذكورات في الحديث كل ما عقر الناس وعدا عليهم، مثل: الأسد والفهد والنمر والذئب، فهو الكلب العقور، فأما ما كان من السباع لا يعدو مثل: الضبع والثعلب فلا يقتلهن المحرم، ولا يقتل ما ضر من الطير إلاّ الغراب والحدأة[2].

**والراجح:** قتل هذه الأشياء المذكورة وما كان مثلها في الفسق أو أشد منها، يقول ابن قدامة رحمه الله: «الخبر نص من كل جنس على صورة من أدناه تنبيهًا على ما هو أعلى منها، ودلالة ما كان في معناها، فنصه على الحِدَأة والغراب تنبيهٌ على البازي ونحوه، وعلى الفأرة تنبيه على الحشرات، وعلى العقرب تنبيه على الحية، وعلى الكلب العقور تنبيه على السباع التي هي أعلى منه»[3].

**ثانيًا:** عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: ((قال للوزغ: فويسق، ولم أسمعه أمر بقلته))[4].

وعن سعد بن أبي وقاص[5] أنّ النبي ﷺ: ((أمر بقتل الوزغ،

---

1 () شرح السنة (7/ 268)، وشرح صحيح مسلم (8/ 114)، وفتح الباري، لابن حجر (5/ 107).

2 () انظر: الاستذكار (4/ 151)، والمفهم (3/ 285)، وشرح السنة (7/ 268)، وفتح الباري، لابن حجر (5/ 107).

3 () المغني (5/ 177).

4 () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب (143) رقم (1831)، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام، باب استحباب قتل الأوزاغ (1076) رقم (2239).

5 () سعد بن أبي وقاص هو: أبو إسحاق، سعد بن مالك بن أهيب، القرشي، الزهري، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وآخرهم موتًا، روى عنه من الصحابة: عائشة وابن عباس، ومن كبار التابعين: سعيد بن المسيب وغيرهم، كان أحد الفرسان، وهو أول من رمى سهمًا

وسماه فويسقًا))[1].

هذا هو السابع من الدوابّ الذي جاء إطلاق الفسق عليه، وهو الوزغ، والوزغ: دويبة معروفة، وهي سامُّ أبرص، وهو من الحشرات المؤذية[2]، ويسمى: البرصي[3].

وسبب تسميته بالفويسق؛ لأنه كالفواسق السابقة؛ حيث خرجت عن خُلُقِ معظم الحشرات ونحوها، بزيادة الضرر والأذى[4].

وهو مجمع على تحريم أكله[5].

وقد ذكر النبي  من فسق الوزغ أنَّه كان ينفخ النار على إبراهيم  حين ألقي فيها؛ ولهذا أمر النبي  بقتله، وحث على ذلك، وقال: ((كان ينفخ على إبراهيم ))[6].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله : ((من قتل وزغة في أول ضربة فله كذا وكذا حسنة، ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة، لدون الأولى، وإن قتلها في الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة، لدون الثانية))[7].

وفي رواية: ((من قتل وزغًا في أول ضربة كتب له مائة حسنة، وفي الثانية دون ذلك، وفي الثالثة دون ذلك))[8]، وفي رواية: ((في أول ضربة سبعين حسنة))[9].

فهذا حث منه  على قتل الوزغ الفاسق، حيث رتب على قتله هذا العدد من الحسنات، وذلك للحض على المبادرة بقتله،

---

في سبيل الله، كان رأسًا في فتح العراق، وكان مجاب الدعوة، وكان الرسول  يقول عنه: هذا خالي، مات سنة 51هـ وقيل: 54هـ. انظر: الاستيعاب (2/ 606-610)، والإصابة (3/ 73-76).

1 () أخرجه مسلم في صحيحه، في السلام، باب: استحباب قتل الأوزاغ (1076) رقم (2238).

2 () انظر: حياة الحيوان (4/ 206).

3 () انظر: شرح رياض الصالحين (3/ 596).

4 () انظر: شرح صحيح مسلم (14/ 237).

5 () انظر: التمهيد (15/ 186).

6 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [213].

7 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب السلام، باب استحباب قتل الأوزاغ (1076) رقم (2240).

8 () انظر: التخريج السابق.

9 () انظر: التخريج السابق.

والجـدِّ في ذلـك، وتـرك التـواني، فجعـل قتلـه في أول ضـربة أعظم من الثانية، ثم الثانية أعظم من الثالثة، ولأن في التـأخير زيادة عذاب نهى عنها الشرع الذي أمـر بإحسـان القِتْلـة، ولأنـه ربما انفلت، وفات قتله؛ وفيه مبادرة إلى الخيرات[1].

واختلـف عـدد الحسـنات في أول ضـربة، فمـرة ورد مائـة حسنة، ومرة سبعين حسنة، فقيل: هذا مفهوم للعـدد ولا يعمـل به فذكر سبعين لا يمنع المائة، وقيـل: لعلـه أخـبر بسـبعين أولاً، ثم تصدق اللـه تعـالى بالزيـادة، فـأعلم بهـا النـبي  بعـد ذلـك، وقيـل: هـذا يختلـف بـاختلاف قـاتلي الـوزغ، بحسـب نيـاتهم، وإخلاصهم، وكمال أحوالهم، والله أعلم[2].

فالوزغ يقتل لما فيـه من الأذى والخبث، ولعداوتـه لإبـراهيم ؛ حيث كان ينفخ النار عليه.

ولقد ضـل الجاحـظ، حيث وصـف من يقتـل الـوزغ بأنـه من الجهَّال، معللاً ذلك بأن هذه الوزغة الـتي تقتـل هـل هي نفسـها الـتي كـانت تنفخ النـار على إبـراهيم ؟ أم هي من أولادهـا، فمأخوذة هي بذنب غيرها؟ أم أنّ هذه الوزغة لا تلد ولا تُفرخ إلا من يدين بدينها ويذهب مذهبها؟[3].

وهذا الذي ذكره الجاحظ واسـتنكره هـو من تقديمـه العقـل على النقل، ومن تحكيم عقله في كلام النبي ، فـالوزغ مـأمور بقتله لخبثه وما فيه من الأذى، والنبي  ذكر شاهدًا على فسـق الوزغ بأنه كـان ينفخ النـار على إبـراهيم ، فـالوزغ الـذي كـان ينفخ النــار على إبــراهيم  هــو واحــد من جنس هــذه الأوزاغ الفاسقة، والمؤمن يؤمن بذلك، ويعتقد صدق ما أخبر بـه النـبي ، ويمتثل أمره؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهـوى، بل ما أمر به وأخبر عنه هـو وحي يـوحى، فاللـه تبـارك وتعـالى الذي خلق هذا الوزغ هو الذي أمـر بقتلهـا، وحكم بفسـقها على لسان نبيه ، والاعتراض على ذلك أو السخرية به هو اعـتراض على شرعه وسخرية به نسأل الله السلامة من ذلك.

فهذه سبع دواب جاءت النصوص بإطلاق الفسق عليها، فهي فواسق، وإن كانت غير مكلفة بأحكام الشريعة، فكما يوجد في

---

1 () انظر: شرح صحيح مسلم (14/ 236-237)، والمفهم (5/ 541).
2 () انظر: شرح صحيح مسلم (14/ 237-238).
3 () انظر: كتاب الحيوان (1/ 304-306)، و(4/ 289).

البشر الصالح والفاسق، كذلك هذه الدوابّ يوجد فيهـا الفاسـق والمسالم، وهذه السبع المذكورة هي من الفواسق الـتي أخـبر عنها النبي  وأمر بقتلها، وكل ما كان مثلها أو أشد فله حكمهـا والله أعلم.

## المبحث الثالث: تفضيل الأنعام على المشرك:

ذم الله تبارك وتعالى المشركين الذين جعـل اللـه مصـيرهم إلى النار بأنهم أضل من الأنعام، وأن الأنعام أفضل منهم، فقال سبحانه: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ﴾ [الأعراف: 179]، وقال سبحانه: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ﴾ [الفرقان: 44].

فشبههم الله تعـالى أولاً بالأنعـام؛ لأن همتهم الأكـل والتمتـع بالشهوات، وهم كالأنعام؛ إذ هي تسمع ولا تعقل، وكذلك الكافر هــو غافــل عن الأمــر والنهي والوعــد والوعيــد، فهم كالأنعــام السارحة الـتي لا تنتفـع بهـذه الحـواس إلا في الـذي يقيتهـا من ظاهر الحياة الدنيا[1].

بـل هـؤلاء الـذين جعـل اللـه مصـيرهم إلى النـار أضـل من الأنعام، وذلك من وجوه[2]:

أولاً: الأنعام إذا تبين لها أنها تركت الطريق رجعت إليـه، أمـا الكفار فإنهم يضلون عن الطريق فلا يرجعون إليه.

ثانيًا: الأنعام تعرف ربها وخالقهـا، أمَّا هـؤلاء الكفـار فـإنهم لا يعرفـون ربهم المعرفـة الحقيقيـة، فالأنعـام مطيعـة للـه تعـالى والكافر غير مطيع.

ثالثًا: الأنعام مستعملة فيما خلقت له، ولها أذهان تـدرك بهـا مضرتها من منفعتها بخلاف هؤلاء الذين غفلوا عن أنفع الأشياء؛ حيث خلقوا للعبادة فكفروا.

رابعًا: الأنعام تسـتجيب لراعيهـا إذا صـوت بهـا وإن لم تفقـه كلامه، فإذا زجرت انزجرت، وإذا رشـدت إلى الطريـق اهتـدت، بخلاف هؤلاء الذين لا يهتدون إلى شيء.

خامسًا: الأنعـام تمـيز الضـار والنـافع فلا تقـدم على الضـار، بخلاف هؤلاء الذين يُقدِمون على النار معاندة مع العلم بالهلاك.

---

[1] () انظــر: تفســير القــرآن للســمعاني (2/ 235)، وبحــر العلــوم (1/ 581)، وتفسير القرآن العظيم (3/ 515).

[2] () انظر: جامع البيان (13/ 281)، وبحر العلـوم (1/ 581)، وتفسـير القـرآن للسـمعاني (2/ 235)، ومعـالم التنــزيل (6/ 86)، والمحـرر الوجيز (2/ 480)، ومفاتيح الغيب (15/ 54)، والجامع لأحكام القرآن (13/ 41)، وتفسير القرآن العظيم (6/ 122)، وإرشاد العقل السليم (3/ 296)، (6/ 221)، وتيسير الكريم الرحمن (683).

سادسًا: الأنعـام تلـك هي بنيتهـا وخلقتهـا، فهي لا تقصـر في شيء، ولا سبيل لها إلى غـير ذلـك، وهـؤلاء معـدون للفهم وقـد خلقت لهم قـوى يصـرفونها، وأعطـوا طرقًـا في النظـر، فهم بغفلتهم وإعراضهم يلحقون أنفسهم بالأنعام، فهم بـذلك صـاروا أضل منها.

سابعًا: الأنعام تضـل إذا لم يكن معهـا مرشـد، فأمـا إذا كـان معها مرشـد فقلمـا تضـل، وهـؤلاء الكفـار قـد جـاءهم الأنبيـاء، وأنزلت عليهم الكتب، وهم يزدادون في الضلال.

ثامنًا: الأنعام تعرف صاحبها وتذكره فتطيعـه، وتمـيز بين من يحسـن إليهـا ممن يسـيء إليهـا، وهـؤلاء لا ينقـادون لـربهم ولا يعــرف إحســانه من إســاءة الشــيطان، فلا يــذكرون ربهم ولا يعرفون ولا يطيعونه.

وفي آيـة أخـرى أخـبر سـبحانه بـأن طائفـة من الكفـار شـرُّ الدواب، فقال سبحانه: [illegible] [الأنفال: 55].

فحكم سـبحانه بـأن شـر مـا يـدب على وجـه الأرض عنـده سبحانه هم الذين كفروا، أي المصـرون على الكفـر المتمـادون في الضلال، الذين جمعوا مع الكفر بـه وعـدم الإيمـان، الخيانـة بحيث لا يثبتون على عهـدٍ عاهـدوه، فهم بـذلك شـر من الكلاب والحمير والخنازير وغيرها من الدوابِّ الذميمة وغير الذميمة[1].

---

1 () انظر: مفاتيح الغيب (15/ 145-146)، وتفسـير القـرآن العظيم (4/ 22)، وتيسير الكريم الرحمن (368).

## المبحث الرابع: تشبيه الكافر ببعض الحيوان:

في المبحث السابق تـبين من خلال الأدلـة تفضـيل الأنعـام - بل وغيرها من الدوابّ - على المشرك بالله  من وجوه كثيرة، ومع ذلـك فـإن اللـه  يشـبِّه الكـافر - أحيانًـا - ببعض الحيـوان، وهذا التشبيه ليس تشبيهًا مطلقًا، فهو تشبيه من بعض الوجوه، إذ - كما تقرر – أنه أفضل منه على الإطلاق.

ومن النصوص التي جاء فيهـا تشـبيه الكـافر ببعض الحيـوان في بعض أحواله ما يأتي[1]:

1- قال تعالى:  ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ  [محمد: 12]، فشبه الله تعالى الكافر بالأنعام، فالأنعام لا هم لها إلا في الاعتلاف دون غيره، كذلك هؤلاء الكفــار لا همّ لهم إلاّ بطــونهم وفــروجهم، غــير مفكــرين في المعــاد، ولا معتبرين بما وضع الله لخلقه من الحجج المؤدية إلى توحيـده ومعرفة صدق رسله[2].

فجاء تشبيه الكافر بالأنعام في هذه الآية من وجوه[3]:

الأول: الأنعام يهمها الأكل لا غير، كذلك الكـافر، أمَّا المـؤمن فإنه يأكل ليعمل صالحًا ويقوى عليه.

ثانيًـا: الأنعـام لا تسـتدل بالمـأكولات على خالقهـا، والكـافر كذلك.

ثالثًا: الأنعام تعلف لتسمن وهي غافلة عن الأمر، لا تعلم أنها كلما كانت أسمن كانت أقرب إلى الذبح، وكـذلك الكـافر، ويناسب ذلك قوله تعالى: ﭤ ﭥ ﭦ.

2- قال تعالى:  ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥﭦﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭬ ﭭ ﭮ  [الأعراف: 179].

فشبه  هؤلاء الكفـار الـذين لهم قلـوب لا ينتفعـون بهـا، ولا يعقلون ثوابًا، ولا يخافون عقابًا بمنـزلة من لا يفقــه، ولهم أعين لا يبصرون بها الهدى، ولهم آذان لا يسـمعون بهـا المواعـظ مـع وجود الإدراكات في حواسهم بالأنعام الـتي لا تفقــه الأشـياء ولا

---

1 () سـبق الكلام على هـذه الآيـات في مبحث: (ضـرب الأمثـال من الحيوان في القرآن الكريم) في الفصل الثالث، وسوف يكون الكلام على الآيات هنا مختصرًا.

2 () انظر: جامع البيان (22/ 164)، ومعالم التنـزيل (7/ 281).

3 () انظر: مفاتيح الغيب (28/ 45).

تعقل المقاييس، وكذلك ما تبصره لا يتحصل لها كما يجب، مما يصلح وما لا يصلح، ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر، فتميز بينهما[1].

فالله  جعل الإنسان وسائر الحيوان متشاركة في منافع الحواس، ثم ميز الإنسان عنها بالقوة العقلية والفكرية التي تهديه إلى معرفة الحق، والعمل به، فلمَّا أعرض الكافر عن إعمال عقله وفكره في ذلك كان كالأنعام[2].

3- قال تعالى: ﴿ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ﴾ [الأعراف: 175-176].

فشبه الله  هذا الكافر الذي انسلخ من آيات الله بالكلب، فهو في ضلاله واستمراره فيه، وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدمه كالكلب في لهثه في حالتيه، إن حملت عليه وإن تركته أي زجرته أو لم تزجره، فهو يلهث في كلتا الحالين، فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولا عدمه[3].

4- قال تعالى: ﴿ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ﴾ [العنكبوت: 41].

فشبّه الله  الكفار في عبادتهم الأصنام من دون الله تعالى بالعنكبوت التي تبني وتجتهد، فإن بناءها ضعيف حتى لو مسته أدنى هابة أذهبته، فكذلك هؤلاء الكفار أمرهم وسعيهم مضمحل لا قوة له ولا معتمد؛ لأن هذه الأصنام لا تملك لعابدها نفعًا ولا ضرًا[4].

5- قال تعالى: ﴿ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ﴾ [الجمعة: 5].

فشبّه الله  الذين حُمِّلوا التوراة وهم اليهود والنصارى - وهم داخلون في الكفار - حين حُمِّلوا القيام بالتوراة والعمل بما جاء فيها، ثم ضيعوها ولم يعملوا بما فيها بالحُمُر التي تحمل الكتب ولا تدري ما فيها، فهي تحملها على ظهورها ولا تعقل ما فيها، ولا تنتفع بها، وكذلك هؤلاء الذين أوتوا التوراة فيها بيان

---

1 () انظر: جامع البيان (13/ 280-281)، والمحرر الوجيز (2/ 480)، والجامع لأحكام القرآن (7/ 308).

2 () انظر: مفاتيح الغيب (15/ 53).

3 () انظر: تفسير القرآن العظيم (3/ 512).

4 () انظر: معالم التنزيل (6/ 243)، والمحرر الوجيز (4/ 318).

أمر محمد ، والإيمان به، واتباعه وتصديقه، فحملوا هذا ولم يعملوا به، ولم ينتفعوا بما فيها[1].
6- قال تعالى: ﴿ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ﴾ [المدثر: 49-51].
شبه الله تبارك وتعالى كفار قريش في جهلهم ونفورهم عن الإسلام بالحُمُر النافرة من الأسد الذي يطاردها أو من جماعة الرماة الأقوياء، فهذه الحُمُر إذا عاينت الأسد هربت، كذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي  يقرأ القرآن هربوا منه، وأعرضوا عمَّا جاء به[2].

1 () انظر: جامع البيان (23/ 377)، وتفسير القرآن للسمعاني (5/ 432).
2 () انظر: معالم التنزيل (8/ 274)، والتسهيل لعلوم التنزيل (4/ 163).

# الفصل السابع

# مسائل متفرقة

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول: التشبه بالحيوان وبيان حكمه.**

**المبحث الثاني: المسخ، وفيه تمهيد، وثلاثة مطالب:**

**المبحث الثالث: الآثار الإيمانية للمسائل العقدية المتعلقة بالحيوان.**

## المبحث الأول: التشبه بالحيوان وبيان حكمه:

عُرِّف التشبه بأنَّه: «عبارة عن محاولة الإنسان أن يكون شبه المتشبَّه به، وعلى هيئته، وحِليته، ونَعته، وصفته، أو هو عبارة عن تكلُّف ذلك، وتقصُّدِه، وتعمُّله»[1].

وعرفه المناوي: تشبه الرجل بالقوم إذا: «تزيا في ظاهره بزيهم، وفي تعرفه بفعلهم، وفي تخلقه بخلقهم، وسار بسيرتهم، وهديهم في ملبسهم وبعض أفعالهم، أي وكان التشبه بحق قد طابق الظاهر الباطن»[2].

فمن قصد مشابهة غيره فيما هو من خصائصه بصفة من صفاته أو أحواله أو غير ذلك فقد تشبَّه به سواءٌ أكان ذلك المتشبَّه به إنسانًا أم حيوانًا أم غير ذلك، ولا يلزم في التشبُّه أن يكون من جميع الوجوه.

ومما يُنهى عنه المسلم من التشبه، التشبه بالحيوان، فهو تشبُّه مذموم لوجوه:

**الأول:** أنَّ الله  أخبر في كتابه أنّه كرَّم بني آدم وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا، فقال سبحانه ﴿ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ﴾ [الإسراء: 70].

فقد كرّم الله بني آدم وشرّفه بالعقل والتمييز، وخلقه على أحسن الهيئات وأكملها، كما في قوله سبحانه: ﴿ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ﴾ [التين: 4]، فجعله سبحانه يمشي قائمًا منتصبًا على رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه، وجعل له سمعًا وبصرًا وفؤادًا، وحمله في البر على الدواب، وفي البحر على السفن، وفضله على سائر الحيوانات، وسلطه على غيره من الخلق، وسخرها له[3].

فمن تشبَّه بشيء من الحيوان حط بنفسه عمَّا كرّمه الله تعالى به، ونزل عن الرتبة التي رفعه الله تعالى إليها وكرّمه

---

[1] () حسن التنبه لما ورد في التشبه، محمد بن محمد بن الغَزِّي، تحقيق ودراسة لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، مؤسسة دار النوادر، سورية، ط1، 1432هـ. (1/ 15).

[2] () فيض القدير (6/ 135).

[3] () انظر: جامع البيان (17/ 501)، ومعالم التنزيل (5/ 108)، وتفسير القرآن العظيم (5/ 94-95)، وتيسير الكريم الرحمن (538-539).

بها.

يقـول شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: «فاللـه قـد جعـل الإنسـان مخالفًا بالحقيقة للحيوان، وجعل كماله وصلاحه في الأمور التي تناسبه، وهي جميعها لا يماثل فيها الحيـوان، فـإذا تعمـد مماثلـة الحيـوان، وتغيـير خلـق اللـه، فقـد دخـل في فسـاد الفطـرة والشرعة وذلك محرّم»[1].

**الثاني:** أن تشبيه الإنسان في القـرآن بالأنعـام وغيرهـا من الحيـوان جـاء على سـبيل الـذم، فلم يمـدح الإنسـان على مشابهته للحيوان، يقول تعالى: ﭐﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼ [الأعراف: 179]، وقال سبحانه: ﭐﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ [محمد: 12]، وشبّه الله  بعض الكفّار بـالكلب ذامًّا لهم، فقـال سبحانه: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ [الأعراف: 176].

وجـاء في السـنة تشـبيه العائـد في هبتـه بـالكلب يرجـع في قيئه، فعن ابن عبـاس رضـي اللـه عنهمـا، قـال: قـال النـبي : ((العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه))[2].

يقول الحافظ ابن حجـر: «أي لا ينبغي لنـا معشـر المؤمـنين أن نتصف بصفة ذميمة يشابهنا فيها أخس الحيوانـات في أخس أحوالها»[3].

وشبَّه النبي  الذي يتشدق بلسانه ويتنطع في كلامه بالبقرة في أكلها، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهمـا أن رسـول الله  قـال: ((إن اللـه يبغض البليـغ من الرجـال، الـذي يتخلـل بلسانه كما تتخلل البقرة))[4].

---

1 () مجموع فتاوى ابن تيمية (32/ 260).

2 () أخرجه البخاري في صـحيحه، في كتـاب الهبـة، بـاب: هبـة الرجـل لامرأته والمرأة لزوجها (204) رقم (2589)، ومسـلم في صـحيحه، في كتاب الهبات، باب: تحريم الرجوع في الصدقة بعد القبض إلا مـا وهبه لولده وإن سفل (960) رقم (1622).

3 () فتح الباري (6/ 474-475).

4 () أخرجه أحمد في مسنده (2/ 165)، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب، بـاب التشـدق في الكلام (1589)، والترمـذي في سـننه، في كتـاب الأدب، بـاب مـا جـاء في الفصـاحة والبيـان (1937) رقم ( 2853)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحـاديث الصـحيحة (2/ 540)

فشبه من يدير لسانه حول أسنانه مبالغة في إظهار بلاغته وبيانه بالبقرة التي تلف الكلأ بلسانها لفًا[1].

وهذا فيمن تقعر بالكلام، وتشدّق حين يتكلم الإنسان بملء شدقيه، وحين يتكلم عند العامة في غرائب اللغة العربية ليقول الناس: ما أعلمه باللغة العربية[2]، وأما مَن بلاغتُه خلْقية فغير مبغوض[3].

وجاء التشبه هنا بالبقرة دون غيرها من الدواب؛ لأن سائر الدوابّ تأخذ من نبات الأرض بأسنانها، أما البقرة فإنها تحش النباتات بلسانها[4].

فمن قصد التشبه بالحيوان في عين ما ذمه الشارع: صار مذمومًا من وجهين، وإن كان فيما لم يذمه بعينه صار مذمومًا من وجه التشبه المستلزم للوقوع في المذموم بعينه[5].

فمن تأمل نصوص الكتاب والسنة وجد ما فيه من تشبيه للإنسان بالحيوان إنما هو على سبيل الذم، قال ابن عثيمين رحمه الله: «ولم يرد فيما أعلم في النصوص تشبه الإنسان بالحيوان إلا على سبيل الذم»[6].

**ثالثًا:** جاء النهي عن التشبه بطائفة من الحيوان في الصلاة، مما يدل على أنَّ اتصاف الإنسان بصفات الحيوان ومشابهته له محل ذم، فمن ذلك:

1- عن أبي هريرة قال، عن النبي : ((ونهاني عن نقرة كنقرة الديك، وإقعاء كإقعاء الكلب، والتفات كالتفات الثعلب))[7].

ففي الحديث النهي عن:

---

رقم (880).

1 () انظر: الكاشف عن حقائق السنن (10/ 3107).

2 () انظر: شرح رياض الصالحين (6/ 483).

3 () انظر: عون المعبود (13/ 237).

4 () انظر: المرجع السابق، وفيض القدير (2/ 359).

5 () انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (32/ 258).

6 () انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (13/ 126).

7 () أخرجه أحمد في مسنده (2/ 311)، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (2/ 232) رقم (2425)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (1/ 208) رقم (788)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (1/ 134) رقم (555): حسن لغيره.

أ- نقـرة كنقـرة الـديك، والنقـرة: هي الإسـراع في الصـلاة والتخفيف من السجود[1].

ب- إقعـاء كإقعـاء الكلب، وهـو: أن يضـع إليتـه على الأرض وينصب ركبتيه نصـبًا، ويضـع يديـه على الأرض كمـا يصـنع الكلب[2].

ج- التفات كالتفات الثعلب، وذلك كمن يلتفت في صلاته كما يصنع الثعلب حين يتيقن أنه مطرود مطلوب[3].

2- وعن عبد الرحمن بن شبل[4]، قال: ((نهى رسول الله ﷺ عن نقرة الغراب، وافتراش السـبع، وأن يـوطِّن الرجـل بالمكـان في المسجد كما يوطِّن البعير))[5].

ففي هذا الحديث النهي عن:

أ- نقـــرة الغـــراب، ونقـــرة الغـــراب هي: أن لا يتمكن من السجود، ولا يطمئن فيه، بل يمس بأنفه وجبهتـه الأرض، ثم يرفعه كنقرة الطائر[6].

ب- افتراش السبع: وهو أن يبسط ذراعيه في السجود، ولا يرفعهما عن الأرض كما يبسط الكلب والذئب ذراعيه[7].

ج- أن يوطن الرجل المكان في المسجد كما يوطن البعير،

---

1 () انظر: النهاية في غريب الحديث (936) مادة (نقر).

2 () انظر: الاستذكار (1/ 481).

3 () انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1393ﻫ، (1/ 354).

4 () هو: عبد الرحمن بن شبل بن عمرو بن زيـد، الأنصـاري، الأوسـي، أحد نقبـاء الأنصـار، روى عن النـبي ﷺ، وروى عنـه: تميم بن محمـود، وأبو سلام الأسود، وغيرهم، انظر: الاستيعاب (2/ 836)، والإصـابة (4/ 315).

5 () أخرجـه أحمـد في مسـنده (3/ 444)، وأبـو داود في سـننه، في كتاب الصـلاة، بـاب صـلاة من لا يقيم صـلبه في الركـوع والسـجود (1287) رقم (862)، والنسـائي في السـنن الصـغرى في كتـاب التطـبيق، بـاب: النهي عن نقـرة الغـراب (2158) رقم (1113)، والحـاكم في المسـتدرك (1/ 352) رقم (833)، وصـححه ووافقـه الذهبي، وحسنه الألباني في سلسـلة الأحـاديث الصـحيحة (3/ 156) رقم (1168).

6 () انظر: شرح السنة (3/ 162).

7 () انظر: النهاية في غريب الحديث (699) مادة (فرش).

ومعنـاه: أن يـألف الرجـل مكانًـا معلومًـا من المسـجد، مخصوصًا به، لا يصلي إلاّ فيه كـالبعير لا يـأوي من عطن إلا إلى مبرك دَمِث قد أوطنه واتخذه مُناخًا[1].

3- عن جابر بن سمرة[2] قال: ((كنا إذا صلينا مع رسول الله  قلنا: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمـة اللـه، وأشار بيده إلى الجانبين، فقال رسول اللـه : علام تومئـون بأيديكم كأنها أذناب خيل شُمْس؟ إنما يكفي أحدكم أن يضــع يـــده على فخـــذه، ثم يســـلم على أخيـــه من على يمينـــه وشماله))[3].

ففي هـذا الحـديث النهي عن رفـع الأيـدي عنـد السـلام في الصـلاة، كمـا تضـع الخيـل الشُـمْس، وهي الـتي لا تسـتقر، بـل تضطرب، وتتحرّك بأذنابها وأرجلها[4].

فقد دلت هذه النصوص على نهي المصلي عن الأفعال الـتي يكون فيها مشابهًا للحيوان، وذمه بذلك.

**رابعًا:** ما قرره شيخ الإسـلام من نهي الشـارع عن التشـبه بالآدميين الذين جنسهم نـاقص كالتشـبه بـالأعراب، وبالأعـاجم، وبأهــل الكتــاب، ونحــو ذلــك، في أمــور من خصائصــهم، وأن المشـابهة تـورث مشـابهة الأخلاق، وأنَّ من أكـثر عشـرة بعض الدوابّ اكتسب من أخلاقها، فإذا وقـع النهي عن التشـبه ببعض الآدميين في خصائصهم، لكون ذلك تشبهًا فيما يستلزم النقص، ويدعو إليه، فالتشـبه بالبهـائم فيمـا هـو من خصائصـها أولى أن يكون مذمومًا ومنهيًّا عنه[5].

**خامسًا:** أن النـبي  لعن المتشـبهين من الرجـال بالنسـاء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((لعن رسول اللــه  المتشــبهين من الرجــال بالنســاء، والمتشــبهات من النســاء

---

1 () انظر: المرجع السابق (980) مادة (وطن).

2 () هو: جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب السوائي، روى عن النــبي  أحاديث كثيرة، نزل الكوفة، وتوفي سنة 74هـ انظر: الاستيعاب (2/ 224)، والإصابة (1/ 431).

3 () أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب: الأمر بالسـكون في الصلاة والنهي عن الإشارة باليد ورفعها عند السـلام (747) رقم (431).

4 () انظر: شرح صحيح مسلم (4/ 152-153).

5 () انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (32/ 256-257).

بالرجال))[1].
وذلك لأن الله  خلق كل نوع من الحيوان، وجعل صلاحه وكماله في أمر مشترك بينه وبين غيره، وبين أمر مختص به، وقد وقع النهي عن التشبه في الصنف الآخر في الأمور المختصة به، فإذا كانت الأمور التي هي من خصائص النساء ليس للرجال التشبه بهنَّ فيها، والأمور التي هي من خصائص الرجال ليس للنساء التشبه بهم فيها، فالأمور التي هي من خصائص البهائم لا يجوز للآدمي التشبه بها بطريق الأولى والأحرى[2].
فبهذه الأوجه يتبين للمسلم ذم التشبه بالحيوانات، وأنه من الأفعال المذمومة، ويدخل في ذلك محاكاة الحيوان في أصواتها، أو ما يفعله بعض الناس من لبس دمى على أشكال الحيوانات، أو قص الشعر قصة تشبه بعض الحيوانات، أو لبس عدسات العين التي تشابه به عيون القطط، أو غيرها من الحيوانات؛ لأن في ذلك إهانةً للنفس التي كرمها الله تعالى بالعقل، ونزولاً عن الرتبة التي رفع الله تعالى إليها الإنسان عن رتبة الحيوان، والله أعلم.

1 () أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب اللباس، باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال (501) رقم (5885).
2 () انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (32/ 259-260).

## المبحث الثاني

# المسخ

وفيه تمهيد، وثلاثة مطالب:

التمهيد: تعريف المسخ.

المطلب الأول: المسخ في الأمم السابقة.

المطلب الثاني: المسخ في هذه الأمة.

المطلب الثالث: تناسل الممسوخ.

## التمهيد: تعريف المسخ:

**المسخ لغة:** تحويل خلق عن صورته إلى صـورة أخـرى[1]، هي أقبح منها[2]، والمسـخ من النـاس الـذي لا ملاحَـة لـه، ومن الطعام الذي لا ملح فيه، ومن الفواكه الذي لا طعم فيه[3].

والمسخ هو: المُشوَّه الخَلْق، يقال: مسخه الله: شـوَّه خلْقـه من صورة حسنة إلى صورة قبيحة[4].

فالممسـوخ هـو: مـا كـان على صـورة، ثم غـير إلى صـورة أخرى أقبح منها.

---

1 () انظـر: العين (4/ 206)، مـادة (مسـخ) وتهـذيب اللغـة (7/ 91)، مادة (مسخ).

2 () انظر: لسان العرب (3/ 55) مادة (مسخ).

3 () انظر: العين (4/ 206) مادة (مسخ)، وتهذيب اللغة (7/ 91) مادة (مسخ).

4 () انظر: مقـاييس اللغـة (5/ 323) مـادة (مسـخ)، وتهـذيب اللغـة (7/ 91) مادة (مسخ).

## المطلب الأول: المسخ في الأمم السابقة:

أخبر الله تبارك وتعالى عن الأمم السابقة وما حلّ بهم من العقوبات حين خالفوا أمره وعصوا رسوله، ومن ذلك: ما عاقب الله تعالى به طائفة من اليهود الذين احتالوا على شرع الله  في النهي عن الصيد يوم السبت، فكانوا يضعون شباكهم يوم الجمعة، ثم يأخذونها يوم الأحد، فكانت عقوبة الله تعالى لهم: بأن مسخهم قردة خاسئين، قال تعالى: ﴿ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ﴾ [البقرة: 65]، وقال سبحانه: ﴿ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ﴾ [الأعراف: 163-166].

فأمر الله  نبيه محمدًا  أن يسأل اليهود عن القرية التي كانت على ساحل البحر، الذين خالفوا أمر الله ، حين نهاهم عن الصيد يوم السبت، وقد ابتلاهم الله تعالى؛ حيث جعل السمك يوم السبت الذي نهوا عن الصيد فيه تأتيهم شرعًا، أي: ظاهرة على الماء من كل طريق وناحية، كشوارع الطرق، فإذا ذهب يوم السبت لا تأتيهم، بل تذهب في البحر، فلا يرون منها شيئًا، فكان هذا ابتلاءً من الله لهم بسبب فسقهم، فاحتال القوم بحيلة الاصطياد، فكانوا يضعون الحبال يوم الجمعة حتى تقع فيها الحيتان يوم السبت، ثم يأخذونها يوم الأحد.

فصار أهل القرية إلى ثلاث فرق: فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم، وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنته، ولكنها قالت للمنكرين: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ﴾ [الأعراف: 164].

فأنجى الله الطائفة التي كانت تنهى عن السوء، وأخذ الذين ظلموا بعذاب شديد بسبب فسقهم، وأمَّا الفرقة التي سكتت فاختلف أهل التفسير في نجاتهم، فقيل: إنهم من الناجين؛ لأنّ الله تعالى لم يذكر العذاب إلاّ للظالمين، وقيل: بل هم مع الهالكين والله أعلم[1].

وقد بين الله تبارك وتعالى هذا العقاب الذي أخذ به

---

1 () انظر: جامع البيان (13/ 179-203)، والمحرر الوجيز (2/ 467-470)، وتفسير القرآن العظيم (3/ 491-496)، وتيسير الكريم الرحمن (347-348).

الظالمين الذين احتالوا على شرعه؛ حيث مسخهم قردة ذليلين حقيرين، فأبعدهم سبحانه من رحمته[1].

فهذا نوع من الحيوانات التي مسخت أمة من اليهود إليها، ولم يكن المسخ مقتصرًا إلى القردة، بل جاءت أدلة أخرى تبين حدوث المسخ من الإنسان إلى غير القردة كالخنازير، فقال تعالى: ﴿ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک﴾ [المائدة: 60].

فهذه عقوبة حلت بأمة من الأمم السابقة جعلهم الله تعالى من شر الطوائف، ولعنهم، وغضب عليهم، ومسخهم قردة وخنازير، فقيل: مُسخ اليهود قردة، ومُسخ النصارى أصحاب مائدة عيسى  خنازير، وقيل: المسخ كله كان لليهود، فمسخ شبابهم قردة ومسخ شيوخهم خنازير، فيكون المسخ حصل لليهود أصحاب السبت دون غيرهم، والله أعلم[2].

فدلت هذه الآيات على حصول المسخ في الأمم السابقة، حيث مسخ الله تعالى طائفة من بني إسرائيل قردة وخنازير، وذهب معظم أهل التفسير إلى أنَّ هذا المسخ مسخٌ حقيقيٌّ، حيث تحولت صورهم من صور الآدميين إلى صورة القردة والخنازير[3].

وذهب الإمام مجاهد إلى أنَّ الصور لم تمسخ ولكن قلوبهم هي التي مسخت فمثلوا بالقردة، كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى: ﴿ک گ گ گگ﴾ [الجمعة: 5][4].

وهذا القول الذي ذهب إليه الإمام مجاهد مخالف لظاهر ما دلَّ عليه القرآن، وهو مخالف لإجماع أهل التفسير، كما ذكر ذلك الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله[5].

فالقول الراجح هو القول بحصول المسخ الحقيقي من

---

1 () انظر: المراجع السابقة.

2 () انظر: تفسير القرآن للسمعاني (2/ 49)، ومعالم التنزيل (3/ 292-294)، وزاد المسير (2/ 387).

3 () انظر: جامع البيان (2/ 173)، والمحرر الوجيز (1/ 161)، وزاد المسير (1/ 95)، وتفسير القرآن العظيم (1/ 151-153).

4 () أخرجه الطبري في جامع البيان (2/ 173)، وابن أبي حاتم في تفسيره (1/ 133) رقم (672)، وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (1/ 151): «هذا سند جيد عن مجاهد».

5 () انظر: جامع البيان (2/ 173).

صـورة آدمي إلى صـورة قـردة وخنـازير، مـع حصـول المسـخ المعنوي الذي دلّ عليه قولـه تعـالى: ﴿گ﴾ [البقـرة: 65]، وذلـك لعدم وجود دليل وبرهان يؤيد مـا ذهب إليـه الإمـام مجاهـد من صرف ظاهر الآيات إلى ما ذكره، والله أعلم.

فإذا ثبت حصول المسـخ من الآدمي إلى القـردة والخنـازير، فقد دلت السنة - أيضًـا - على حصـول المسـخ من الآدمي إلى الدوابّ دون التصريح بأنواعهـا، فمن ذلـك قولـه ﷺ عن الضـب: ((إن أمة من بـني إسـرائيل مُسـخت دوابَّ في الأرض، وإني لا أدري أي الدوابّ هي؟ قـال: فلم يأكـل منـه))[1]، وقـال -أيضًـا- عنه: ((لا أدري لعله من القرون التي مسخت))[2].

وعن أبي هريـرة رضي الله عنه عن النـبي ﷺ قـال: ((فقـدت أمـة من بـني إسرائيل لا يُدرى ما فعلت، وإني لا أراها إلا الفأر إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربت))[3].

فجعل النبي ﷺ امتناع الفـأرة عن شـرب ألبـان الإبـل علامـة على أنها مسخ بني إسـرائيل؛ لأنهم حـرمت عليهم لحـوم الإبـل وألبانها دون لحوم الغنم وألبانها[4].

فدلت هذه الأحاديث على مسخ بني إسرائيل إلى أنـــواع من الدواب، وهل الضب والفأرة منها أو لا؟ الله أعلم بذلك[5].

---

1 () أخرجه أحمـد في مسـنده (4/ 220)، وأبـو داود في سـننه، كتـاب الأطعمة، باب: في أكل الضب (1503) رقم (3795)، والنسائي في السنن الصغرى، في كتاب الصيد والذبائح، باب الضـب (2370) رقم (4327)، من حديث ثـابت بن وديعـة، وقـال عنـه ابن حجـر في فتح البـاري (12/ 523): سـنده صـحيح، وصـححه الألبـاني في سلسـلة الأحاديث الصحيحة (6/ 1149) رقم (2970).

2 () أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب إباحة الضـب (1026) رقم (1949)، من حـديث جـابر رضي الله عنهما.

3 () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلـق، بـاب خـير مـال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال (267) رقم (3305)، ومسلم في صحيحه في كتاب الزهد، باب: في الفـأر وأنـه مسـخ (1196) رقم (2997).

4 () انظر: شرح صحيح مسلم (18/ 124).

5 () يـــأتي في المطلب الرابـــع من هـــذا المبحث الكلام على هـــذه الأحاديث وأن النبي ﷺ قال بالمسخ إلى الفأرة والضب قبل أن يوحى

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قـال رسـول اللـه ﷺ: ((الحيات مسخ الجن، كما مسـخت القـردة والخنـازير من بـني إسرائيل))[1].

وهـذا يـدل على أنَّ الجن حصـل لبعضـهم المسـخ، فوقـع المسخ إلى الحيات، كمـا وقـع في بـني إسـرائيل مسـخهم إلى قـردة، ولا يعـني هـذا أن الحيـات الموجـودة الآن هي من الجن الممسوخ[2].

إليه بأن الممسوخ لا يتناسل.

[1] () أخرجـه أحمـد في مسـنده (1/ 348)، وابن حبـان في صـحيحه (12/ 457) رقم (5640)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 341) رقم (11946)، والمعجم الأوسـط (4/ 304) رقم (4269)، والعظمة، أبو الشيخ، عبد الله بن محمـد الأصـبهاني، تحقيـق: رضـاء الله بن محمد المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1408هـ (5/ 1642) رقم (10855)، وقـال الهيثمي في مجمـع الزوائـد (4/ 70) رقم (6124): «رواه الطبراني في الكبير والأوسـط والـبزار بالاختصار، ورجالـه رجـال الصـحيح»، وصـححه الألبـاني في سلسـلة الأحاديث الصحيحة (4/ 439) رقم (1824).

[2] () انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (4/ 440).

## المطلب الثاني: المسخ في هذه الأمة:

المسخ كما حلّ بطوائف من بني إسـرائيل عقوبـة لهم على مخالفة أمر الله تعالى، فإنّ في هذه الأمم طوائف أخـبر النـبي  بوقوع المسخ لهم، وقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على وقـوع المسخ في هذه الأمة، وهو من علامات السـاعة، كمـا صـرحت بعض الأدلة في ذلك، فمن أدلة وقوع المسخ في هذه الأمة مـا يأتي:

1- عن عائشـة رضـي اللـه عنهـا قـالت: قـال رسـول اللـه : ((يكون في آخـر هـذه الأمـة خسـف ومسـخ وقـذف، قـالت: قلت: يا رسول الله أنهلـك وفينـا الصـالحون؟ قـال: نعم، إذا ظهر الخبث))[1].

2- عن عبـد اللـه بن مسـعود عن النـبي  قـال: ((بين يـدي الساعة مسخ وخسف وقذف[2] ))[3].

3- عن عمران بن حصين أن رسـول اللـه  قـال: ((في هـذه الأمة خسف ومسخ وقـذف، فقـال رجـل من المسـلمين: يـا رسول الله ومتى ذاك؟ قال: إذا ظهرت القيان[4] والمعازف، وشربت الخمور))[5].

4- قال : ((ليكوننَّ من أمتي أقوام يسـتحلون الحِـرَ والحريـر، والخمـر والمعـازف، ولينـــزلنَّ أقـوام إلى جنب علم، يـروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم لحاجة فيقولـون: ارجـع إلينـا غـدًا،

---

1 () أخرجـه الترمـذي في سـننه في كتـاب الفتن، بـاب مـا جـاء في الخسف (1871) رقم (2185)، وصـححه الألبـاني في صـحيح سـنن أبي الترمذي (2/ 237) رقم (2294).

2 () أي رمي بالحجــارة من جهــة الســماء. انظــر: فيض القــدير (3/ 276).

3 () أخرجـه ابن ماجـه في سـننه في أبـواب الفتن، بـاب الخسـوف (2721) رقم (4059)، وصــححه الألبــاني في سلســلة الأحــاديث الصحيحة (4/ 392) رقم (1787).

4 () القيان: جمع قيْنَة، وهي الأمة وكثيرًا ما تطلـق على المغنيـات من الإماء، والمراد بها هنا هي الإماء المغنيات. انظر: النهايـة في غـريب الحديث (783) مادة (قين)، وتحفة الأحوذي (6/ 377).

5 () أخرجه الترمذي في كتـاب الفتن، بـاب مـا جـاء في علامـة حلـول المسخ والخسف (1874) رقم (2212)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (2/ 242) رقم (2323).

فيبيِّتهم الله، ويضَعُ العلم، ويمسخُ آخرين قـردة وخنـازير إلى يوم القيامة))[1].

5- وقال ﷺ: ((ليشـربن نـاس من أمـتي الخمـر، يسـمونها بغـير اسمها، يُعزف على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير))[2].

فدلت هذه الأحاديث على وقوع المسخ في هذه الأمة، وأنــه علامــة من علامـات السـاعة، وأنَّ المسـخ في هـذه الأمـة يقـع عقوبة على ارتكاب بعض المحرمات، ومنها:

1- ظهور الخبث وانتشاره، وهو الفسق والفجـور ومنـه الـزنى، والفساد بشتى أنواعه وصوره، حين ينتشر ويعم البلاد.

2- ظهــور المعــازف، وهي آلات الغنــاء والموســيقى بشــتى أنواعها، واستحلالها.

3- اتخاذ القينات، وهنَّ المغنيات والمطربات.

4- شرب الخمور واستحلالها، وتسميتها بغير اسمها.

5- لبس الحرير للرجال واستحلاله.

قـال ابن القيم رحمـه اللـه: «وقـد تظـاهرت الأخبـار بوقـوع المسخ في هذه الأمة، وهو مقيـد في أكـثر الأحـاديث بأصـحاب الغناء وشاربي الخمر، وفي بعضها مطلق»[3].

**تفسير المسخ الذي يقع في هذه الأمة:**

اختلف العلماء في معنى المسخ الـذي دلت عليـه الأحـاديث وأنه سوف يقع في هذه الأمة على قولين:

**القول الأول:** أنّ هذا المسخ هو مسـخ حقيقي، كمـا وقـع للأمم السابقة، فسوف يوجـد في هـذه الأمـة من يمسـخه اللـه تعالى فيحول صورته من صورة آدمي إلى صورة قردة وخنازير أو غيرها من الحيوانات، فيكون هذا المسخ على ظاهره لعمـوم

---

1 () أخرجـه البخـاري في صـحيحه في كتـاب الأشـربة، بـاب: فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسـمه (480) رقم (5590)، من حـديث أبي مالك الأشعري.

2 () أخرجـه ابن ماجـه في سـننه، في أبـواب الفتن، بـاب العقوبـات (2719) رقم (4020)، وصحح إسناده ابن القيم في إغاثـة اللهفـان (1/ 261)، وصـححه الألبـاني في صـحيح سـنن ابن ماجـه (2/ 371) رقم (4020).

3 () إغاثة اللهفان (1/ 266).

الأدلة[1].

**القول الثاني:** أن المراد بالمسخ هنا مسخ قلوبهم، وتبدل أخلاقهم فتكون أخلاقهم وعقولهم كالقردة والخنازير، فهو مسخ معنوي وليس حسيًّا، فيكون المراد بالمسخ هنا: تسويد قلوبهم، وإذهاب معرفتهم، وإدخال القساوة والجهل والتكبر فيها[2].

والصواب أن المسخ الذي أخبر النبي  بوقوعه هو مسخ حقيقي لعموم الأدلة، ولا دليل على صرفه عن ظاهره، والقول بأنه مسخ معنوي قول لا دليل عليه، وصرف لظاهر الأدلة من غير حجة ولا بينة، والله أعلم.

وقد جاء الوعيد بالمسخ عقوبة لمن يسبق إمامه، فعن أبي هريرة عن النبي  أنه قال: ((أما يخشى أحدكم، أو لا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار؟ أو يجعل صورته صورة حمار؟ ))[3].

وقد دلّ الحديث على تحويل رأس من يسابق الإمام أو صورته من صورة آدمي إلى صورة حيوان، وهذا التحويل قد اختلف العلماء في المراد به على قولين:

**القول الأول:** أن التحويل في هذا الحديث يرجع إلى أمر معنوي مجازي، فإن الحمار موصوف بالبلادة، وهذا المعنى يستعار للجاهل بما يجب عليه من فروض الصلاة ومتابعة الإمام، فيكون المراد معنى الحمار من قلة البصيرة وكثرة العناد في الانقياد[4].

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

1- أن المسخ مأمون في هذه الأمة فلا يقع[5].

2- أن التحويل في الصورة الظاهرة لم يقع مع كثرة رفع المأمومين قبل الإمام[6].

---

[1] () انظر: أعلام الحديث (4/ 2098)، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (6/ 52)، وفتح الباري لابن حجر (12/ 630).

[2] () انظر: فتح الباري (12/ 630)، ومرقاة المفاتيح (1/ 285).

[3] () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام (55) رقم (691)، ومسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود أو نحوهما (746) رقم (427).

[4] () انظر: عارضة الأحوذي (3/ 64)، وإحكام الأحكام (224).

[5] () انظر: عارضة الأحوذي (3/ 64).

[6] () انظر: إحكام الأحكام (224).

**القول الثاني:** أن المراد بالتحويل في هذا الحديث التحويل الحقيقي، فيحمل الحديث على ظاهره، إذ لا مانع من جواز وقوع ذلك[1]، وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

1- أن الأحاديث قد صحت بوقوع المسخ في هذه الأمة[2].

2- أن الحديث جاء في بعض رواياته: ((أن يحول الله رأسه رأس كلب))[3]، فذكر الكلب يبعد المجاز؛ لانتفاء المناسبة التي ذكروها من بلادة الحمار[4].

3- أنّ الوعيد جاء بالأمر المستقبل، باللفظ الدال على تغيير الهيئة الحاصلة، ولو أريد تشبيهه بالحمار لأجل البلادة لقال مثلاً: فرأسه رأس حمار، لأن الصفة المذكورة وهي البلادة حاصلة في فاعل ذلك عند فعله المذكور، فلا يحسن أن يقال له: يُخشى إذا فعلت ذلك أن تصير بليدًا، على أنَّ فعله المذكور إنما نشأ عن البلادة[5].

4- تخصيص الرأس يأبى حمله على المجاز[6].

**والراجح هو:** القول الثاني؛ إذ لا يمنع وقوع ما أخبر به النبي ﷺ من تحويل صورة من يرفع رأسه قبل إمامه إلى صورة حمار، ويجاب عن أدلة أصحاب القول الأول بما يأتي:

1- أنَّ الممتنع هو حصول المسخ العام لهذه الأمة[7]، أما حصول المسخ لأفراد من هذه الأمة، فقد دلت عليه الأدلة كما سبق ذكرها في أول هذا المطلب.

2- كون هذا التحويل لم يقع مع كثرة الفاعلين لا يدل على عدم وقوعه، فإن الحديث فيه الوعيد على فعل ذلك، وكون فعله ممكنًا لأن يقع عنه ذلك الوعيد، ولا يلزم من التعرض للشيء وقوع ذلك الشيء[8].

---

1 () انظر: فتح الباري لابن حجر (2/ 568)، وكشف اللثام (2/ 269).

2 () إنظر: المراجع السابقة.

3 () أخرجه ابن حبان في صحيحه (6/ 60) رقم (2283)، وصحح محققه شعيب الأرناؤوط إسناده، والطبراني في المعجم الأوسط (4/ 293) رقم (4239)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (1/ 197): «رواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد».

4 () انظر: كشف اللثام (2/ 269).

5 () انظر: فتح الباري لابن حجر (2/ 568).

6 () انظر: مرقاة المفاتيح (3/ 199).

7 () انظر: المرجع السابق.

8 () انظر: فتح الباري لابن حجر (2/ 568).

3- ثم ما الذي يدرينا أنه لم يقع ذلك لمصل قط؟ هل استقرينا حال المسلمين من المشرق إلى المغرب في كل زمان؟ ثم إن كون الشيء لم يقع في الماضي لا يلزم منه استحالة وقوعه في المستقبل.

فالمسخ واقع في هذه الأمة كما أخبر بذلك النبي ، فقد يمسخ بعض هذه الأمة إلى قردة وإلى خنازير، أو إلى حمار أو كلب، كما دلت على ذلك النصوص السابقة.

وقد يقع المسخ إلى غير ما ذكر من الحيوانات لمطلق النصوص الدالة على المسخ دون تقييد بنوع معين، والله أعلم.

## المطلب الثالث: تناسل الممسوخ:

تقرر في المطالب السابقة وقوع المسخ الحقيقي للإنسان، حيث وقع المسخ في الأمم السابقة، وسوف يحدث في هذه الأمة - أيضًا - من صورة آدمي إلى صورة حيوان من قردة وخنازير وغيرها، ثم اختلف العلماء في حال هذا الممسوخ بعد مسخه، هل يبقى ويتناسل؟ أم يموت بعد مسخه ولا يقع منه التناسل؟ على قولين:

**القول الأول:** أن الممسوخ يتناسل ويبقى بعد مسخه، فيجوز أن تكون هذه القردة الموجودة اليوم منهم، واختار هذا القول ابن قتيبة[1]، وابن العربي المالكي[2].

وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

1- عن أبي هريرة عن النبي  قال: ((فُقِدت أمة من بني إسرائيل لا يُدرى ما فعلت وإني لا أراها إلا الفأر، إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربت))[3]، وسبب ذلك أن لحوم الإبل وألبانها حرمت على بني إسرائيل دون لحوم الغنم وألبانها، فدلَّ امتناع الفأرة من لبن الإبل دون الغنم على أنها مسخ من بني إسرائيل[4].

2- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: ((أُتي النبي  بضب، فأبى أن يأكل منه، وقال: لا أدري لعله من القرون التي مسخت))[5].

3- عن عمرو بن ميمون[6] قال: ((رأيت في الجاهلية قِرْدةً اجتمع عليها قِرَدة قد زنت فرجموها، فرجمتها معهم))[7].

---

1 () انظر: تأويل مختلف الحديث (256-257).

2 () انظر: أحكام القرآن (2/ 332).

3 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [449].

4 () انظر: شرح صحيح مسلم (18/ 124).

5 () سبق تخريجه في الصفحة رقم [449].

6 () هو: أبو عبد الله، عمرو بن ميمون الأودي، معدود من كبار التابعين، مخضرم، فقد أدرك النبي ، وكان مسلمًا في حياته، حدث عن ابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي وأهل الكوفة، توفي سنة 74هـ أو 75هـ. انظر: الثقات (5/ 167)، والاستيعاب (3/ 1205).

7 () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار، باب القسامة في الجاهلية (312) رقم (3849).

فكأن البهائم قد بقيت فيهم معارف الشرائع حتى ورثوها خلفًا عن سلف إلى زمان عمرو[1].

فجعلوا قيام القردة برجم هذه القردة التي زنت دليلاً على أنَّ هذه القرود هي من نسل القرود التي كانت من الأمم الممسوخة، وأنَّ هذا الرجم قد ورثوه عن أسلافهم الذين كان أصلهم من بني آدم وفيهم هذه الشرائع.

4- أنّ الله تعالى قال: ﴿ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ﴾ [المائدة: 60]، فدخول الألف واللام في القردة والخنازير يدل على المعرفة، وعلى أنها هي القردة التي نعاين، ولو كان يريد شيئًا انقرض ومضى لقال: وجعل منهم قردة وخنازير[2].

5- إجماع الناس على تحريم القرود بغير كتاب ولا أثر يدل على أنها هي الممسوخ بعينها[3].

**القول الثاني:** أن الممسوخ لا ينسل ولا يبقى بعد مسخه، وأنَّ الذين مسخهم الله تعالى قد هلكوا، ولم يبق لهم نسل، وهذا هو قول جمهور العلماء[4].

وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

1- ما رواه عبد الله بن مسعود أن النبي  سئل عن القردة والخنازير، هي مما مسخ؟ فقال: ((إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك))، وفي رواية: ((إن الله  لم يهلك قومًا، أو يعذب قومًا فيجعل لهم نسلاً، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك))[5].

والقول الثاني هو الراجح، لصراحة أدلته، حيث أخبر النبي  بأنَّ الممسوخ لم يجعل الله له نسلاً، وقد أجيب عن أدلة أصحاب القول الأول بأجوبة:

1- حديث أبي هريرة في الفأرة، وحديث جابر في الضب، أجيب عنهما بأن النبي  قال ذلك قبل أن يوحى إليه بحقيقة

---

[1] () انظر: أحكام القرآن (2/ 332).

[2] () انظر: تأويل مختلف الحديث (257).

[3] () انظر: المرجع السابق.

[4] () انظر: الجامع لأحكام القرآن (1/ 444)، وفتح الباري لابن حجر (8/ 561).

[5] () أخرج الروايتين مسلم في صحيحه في كتاب القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر (1142) رقم (2663).

الأمر فيهما، ولذلك لم يأت بالجزم عنه شيء من ذلك، فكان ذلك منه  على سبيل الظن، فلمَّا أوحي إليه بأن الممسوخ لا ينسل زال عنه ذلك التخوف، وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ[1].

2- قصة عمرو بن ميمون أجيب عنها بأمور:

أ- بعض العلماء رد هذه القصة لوجودها في بعض نسخ البخاري لا كلها، فلعلها من المقحمات في صحيح البخاري[2].

ب- لا يلزم أن تكون القردة المذكورة من النسل، فيحتمل أن يكون الذين مسخوا لما صاروا على هيئة القردة مع بقاء أفهامهم، عاشرتهم القردة الأصلية للمشابهة في الشكل، فتلقوا عنهم بعض ما شاهدوه من أفعالهم، فحفظوها وصارت فيهم، لما في القرود من الفطنة الزائدة على غيرها من الحيوان وقابلية التعلم[3].

ج- إضافة الزنى إلى القردة منكر، لأنها غير مكلفة، وكذا إقامة الحد عليها، فإن ثبت ذلك فلعل هؤلاء من الجن، لأنهم من جملة المكلفين[4]، والأولى أن يقال: إنَّ عمرو ابن ميمون رأى هذه القِرَدَةَ تَرْجِمُ قِرْدةً فظن أنها ترجمها لأنها زنت، لأن ذلك لا يمكن لبشر أن يعلمه، والقردة لا تنبئ عن نفسها، والذي يراها تتسافد لا يعلم أزنت أم لم تزن[5].

3- ما استدل به ابن قتيبة رحمه الله من مجيء لفظة القردة والخنازير معرفة، وأنه لو كان على قردة وخنازير سوى القردة والخنازير الموجودة المعقولة لقال: وجعل منهم قردة وخنازير على النكرة.

قد أجاب عنه الإمام الطحاوي رحمه الله، فإنه أخرج من

---

1 () انظر: شرح مشكل الآثار (8/ 327، 334)، والجامع لأحكام القرآن (1/ 446)، وفتح الباري لابن حجر (8/ 561).

2 () وقد رد الحافظ ابن حجر على من تكلم على سند هذه القصة، وبين رحمه الله أنها ثابتة وأطال في ذلك. انظر: فتح الباري لابن حجر (8/ 562).

3 () انظر: انظر: المرجع السابق (8/ 561).

4 () انظر: الاستيعاب (3/ 1205-1206).

5 () انظر: تأويل مختلف الحديث (256).

حديث ابن مسعود السابق من طريقه، قال: ((سألنا رسول الله  عن القردة والخنازير أهي من نسل اليهود؟ فقال: إن الله  لم يلعن قومًا قط فمسخهم فكان لهم نسل، ولكن هذا خلْق كان، فلمَّا غضب الله تعالى على اليهود مسخهم فجعلهم مثله))[1].

ثم قال الطحاوي رحمه الله في جواب ذلك: «إنه قد يجوز أن تكون القردة والخنازير قد كانت قبل ذلك مخلوقة على ما هي عليه كسائر الأشياء المخلوقة على ما هي عليه، لا ممسوخة من خلْق كانت عليه إلى قردة وخنازير، وكانت مما تناسل ومما يعقب كسائر المخلوقين سواها، ثم كان من الله تعالى جعلُه القردة والخنازير ممن سخط عليه من عباده الذين خرجوا عن أمره واعتدوا عن عبادتهم التي تعبدهم بها إلى ما سواها، فمسخهم قردة وخنازير لا تناسل لها ولا أعقاب لها، فكانت في الدنيا ما شاء الله  كونها فيها، ثم أفناها بلا أعقاب خَلَفَتْها، وبقيت القردة والخنازير التي كانت قبل ذلك ولم يلحقها مسخ حوَّلها عمَّا كانت عليه إلى ما هي عليه، فكان منها التناسل في حياتها والإعقاب بعد موتها»[2].

4- ما استدل به ابن قتيبة رحمه الله: من أنَّ إجماع الناس على تحريم القرود مع عدم وجود دليل يحرمها من كتاب ولا سنة، دليل على أن سبب التحريم كونها الممسوخات بعينها، فيجاب عنه:

أ- لا يستقيم تعليل تحريم القردة لأنها من نسل الممسوخ، إذ هو قول لا دليل عليه.

ب- أنَّ من العلماء من ذكر علة تحريم لحم القرد؛ لأنه سبع فيدخل في عموم حديث: ((نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع))[3]، وهو أيضًا محرم لأنه من الخبائث بدليل مسخ

---

[1] () أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (8/ 323).

[2] () المرجع السابق (8/ 323-324).

[3] () أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصيد والذبائح، باب أكل كل ذي ناب من السباع (476) رقم (5530)، ومسلم في صحيحه في كتاب الصيد، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير (1023) رقم (1932)، من حديث أبي ثعلبة.

الآدمي إليه[4].

فهذا لون من ألوان العقوبات الـتي عـوقب بهـا طوائـف من الأمم السابقة، وسوف يعاقب بها –أيضًا- طوائــف من هذه الأمة كما أخـبر النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، وهي مسخهم إلى صور بعض الحيوان.

فــإن اللــه تعــالى أكــرم الإنســان ورفــع رتبتــه على الحيوان، وحين يخالف أمره يعاقب بــأنواع من العقوبـات، منها المسخ إلى أخس الحيوان.

---

4 () انظر: المغني (13/ 320).

## المبحث الثالث: الآثار الإيمانية للمسائل العقدية المتعلقة بالحيوان:

عنــد البحث أو القــراءة في المســائل العقديــة المتعلقــة بالحيوان يجد الباحث أو القارئ آثـارًا إيمانيـة جليَّة، تـبين أهميـة الوقوف عند هذه المسائل والتأمل فيها ودراستها دراسـة تعـود على صاحبها بهذه الآثار التي تزيد في إيمانه بربوبيـة الخـالق  وألوهيته، ومن أبرز هذه الآثار ما يأتي:

1- الإيمان بربوبية الله تعالى، ومشاهدة عظمته وقدرتــه  في خلقه لهذا الحيوان من ماء وإبداعه فيه، حيث أوجدها تعــالى على أنــواع مختلفــة وألــوان متباينــة، وخص كـل نــوع منهــا بخصائص تختلف عن غيره فخالف سـبحانه بينهـا في الأنــواع والاستعدادات ووجوه الاختلافات الأخرى، فمنهـا نـوع يزحـف على بطنه، ومنها نوع آخر يمشي على رجلين أو أربع، ومنهـا أنــواع تطــير في الهــواء وأخــرى تعيش في الميــاه والبحــار، وفاوت سبحانه بينهـا في أجسـامها، فمنهـا الكبـير والصـغير، وأنواع لا ترى بالعين المجـردة، فخلـق  منهـا أنواعًـا كثـيرة تحير العلماء في تصنيفها قديمًا وحديثًا، وفي كل يــوم يظهــر منها شيء لم يكن معروفًا من قبل.

2- زيادة الإيمان من خلال التفكر في خلق الله لهذه الحيوانـات وإحكامها وإتقانها، ومـا أودع اللــه فيهـا سـبحانه من عجـائب تدل على ربوبيتـه ، فلم يكن هـذا الإتقـان والإحكـام ليوجـد من غير خالق أبدعه وأتقنه، وجعله تحت قهره وتدبيره، فعند تأمل ما في هـذا الحيـوان من عجـائب في عمومهـا ومـا في بعضها من عجائب ميزها الله بها عن غيرها مظهر عظيم من مظاهر ربوبية الله تعالى تزيد في إيمـان المتأمـل والمتفكـر فيها.

3- عند دراسة الحيـوان والبحث في أحوالـه والتأمـل في رزقـه الذي تكفل اللـه تعـالى لـه بـه، يجـد القـوي منهـا والضـعيف رزقه، مصداقًا لقوله تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭼ [هود: 6]، وإخبار النبي  عن ذلك بقوله: ((لـو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغـدو

خماصًا وتروح بطانًا))[1].

وتسخير بعض هذه الدوابّ لبعض يجد الباحث والقارئ فيه شواهد من شواهد ربوبية الله تعالى، فهو سبحانه المتفرد بالرَّزْق كما أنه المتفرد بالخلق، فيدفع ذلك المؤمن إلى التوكل عليه سبحانه دون سواه، وطلب الرزق منه سبحانه، إذ هو الذي يعطي ويمنع، فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فالذي يتكفل برزق الحيوان هو الذي يرزق البشر، فيعظم توكل المؤمن على ربه □.

4- في تسخير الحيوان للإنسان دلالة من دلائل ربوبية الله □، تتجلى للباحث من خلال التأمل في تصرف الإنسان في هذه الحيوانات بأشكالها وأصنافها، فهي مسخرة ذليلة له بتسخير الله تعالى؛ إذ لولا هذا التسخير لما استطاع الإنسان أن يتحكم في هذا الحيوان كما يريد، فيسخرها الله □ له ليأكل ويشرب من بعضها، ويركب أو يحمل على أنواع أخرى منها، ويتخذ منها الجمال والزينة والبيوت في السفر والحضر، واللباس والدفء والأثاث، تحقيقًا لقوله تعالى: □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ ى ى ي يې □ [البقرة: 29].

كل ذلك يدفع المؤمن إلى تعظيم الله تعالى والقيام بشكره على هذا التسخير والقيام له بالعبودية التي من أجلها سخر الله تعالى للإنسان هذه المخلوقاتِ وشرَّفه وفضَّله عليها.

5- عند دراسة مسائل العقيدة المتعلقة بالحيوان يقف الدارس على صور تبين جهل طوائف من البشر وتعديَهم على حق الله تعالى، من خلال تعاملهم مع بعض الحيوانات، فطوائف ضلت بعبادتها للحيوان، وطوائف ضلت باتخاذها شرائع باطلة متعلقة بالحيوان، من تحريم ما أحل الله منها، أو تحليل ما حرّم، كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، التي كان أهل الجاهلية يشرعونها لأنفسهم، وطوائف أخرى ضلت حين جعلت من الحيوان الذي خلقه الله تبارك وتعالى وسخره لهم وجعل سبحانه التعظيم بذبحها خاصًّا به سبحانه، فعظمت به غيره، وأشركت حين ذبحت لغيره سبحانه، ومن البشر من ضلّ ووقع في الشرك حين تطير بالحيوان أو علق

[1] () سبق تخريجه في الصفحة رقم [60].

عليها التمائم، أو اتخذ منها تمائم لتحميه من دون الله تعالى.

يقف المؤمن عند هذه الصور وقفة اعتبار واتعاظ، كيف استطاع الشيطان أن يغوي بني آدم عن طريق هذه التصرفات الخاطئة تجاه هذا الحيوان؟

إن المؤمن الكامل هو الذي يتخذ من ذلك دروسًا جليلة تسير به إلى الطريق المستقيم الذي سار عليه أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، فالشرع ما شرعه ربه تبارك وتعالى، فيحذر من الوقوع في حبائل الشيطان كما وقعت هذه الأمم التي سلكت طرقًا منحرفة متعلقة بهذا الحيوان.

6- الحيوان الذي فطره الله تعالى على التوحيد، فعرف أن له ربًّا خلقه ورزقه، فأصبح يخاف منه، ويسبحه ويدعوه، ويسجد له من أعظم الآثار الإيمانية التي يكسبها المتأمل في مسائل العقيدة المتعلقة بالحيوان، فإذا كان هذا الحيوان فطر على توحيد خالقه، فأقر لربه تبارك وتعالى بالربوبية، وصرف له العبادة من سجود وتسبيح ودعاء وخوف، مع ما جعل بينه وبين البشر من فوارق عظيمة حيث كرم الله تعالى البشر على هذه الحيوانات وسخرها له، مما يدفع المؤمن الصادق إلى أن يتعرف على خالقه تبارك وتعالى حق المعرفة، ويجتهد في التذلل والخضوع لربه تبارك وتعالى، فهو أحق وأولى من الحيوان بذلك، فله التكريم، وعليك التكليف، وفي المعاد جنة ونار.

7- من آثار دراسة مسائل العقيدة والبحث فيها ما يجده الباحث من المسائل الكثيرة التي جاءت بها النصوص من علاقة الملائكة أو الجن بالحيوان ومن ذلك:

أ - دواب الملائكة والجن.

ب - رؤية الحيوان للملائكة والشيطان.

ج - تشكل الجن على صورة الحيوان.

وفي هذه المسائل يجب على المؤمن التسليم للنصوص، وتصديق كل ما جاء عن الله ورسوله، ومثل ذلك كل ما جاءت به النصوص من الأمور التي تظهر على خلاف العادة، كتكليم السباع والجساسة والدابّة، وهذا مما يثمر قوة الإيمان.

8- الآيات العظيمة التي أيد الله تعالى بها رسله عليهم الصلاة

والسلام، ومنها آيات متعلقة بالحيوان وهي: ناقة صالح ، والطير التي أحياها الله تعالى لإبراهيم ، والآيات التي أيد الله بها موسى ، والحوت الذي ابتلع يونس ، وتسبيح الطير مع سليمان ، وتعليمه منطق الطير، والطير التي يخلقها عيسى  من الطين، ثم ينفخ فيها بإذن الله فتكون طيرًا، ودلائل نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الحيوان، من أعظم الوسائل التي يزيد بها الإيمان؛ حيث تجعله يتفكر في عظمة الخالق تبارك وتعالى وكمال قدرته، التي ظهرت في هذه الحيوانات على غير العادة، وتأمله في رحمة الله تعالى للبشر حين أيد رسله بهذه الآيات التي تدلّ الناس على صدق رسالتهم، لتكون الحجة واضحة أمامهم، والبينة جلية لهم.

9- تتجلى رحمة الله تعالى لبني آدم والجن حين غيب عنهم ما يحصل في القبر من عذاب دون غيرهم من المخلوقات، فجعل سبحانه هذه الحيوانات وغيرها تسمع عذاب القبر وأخفاه عن الثقلين إبقاءً عليهم ورحمة بهم وسترًا عليهم.

10- الإيمان بالبعث والنشور ركن من أركان الإيمان وفي البحث في النصوص التي دلت على بعث الحيوان وحشره يوم القيامة دلائل عظيمة تزيد المؤمن بذلك كله تصديقًا وثباتًا بأن الله تعالى يحشر جميع الخلائق بما فيها الحيوان، فالكل مجموع في هذا اليوم العظيم.

11- القصاص بين الحيوانات من أعظم الصور التي يقف عليها الباحث والمتأمل في مسائل العقيدة المتعلقة بالحيوان، والتي يظهر فيها كمال عدل الخالق تبارك وتعالى، وأنه سبحانه لا يظلم صغيرة ولا كبيرة، بل فعله كله عدل كما أنّ أمره وحكمه عدل، فتبارك الله رب العالمين.

12- أن الله تبارك وتعالى يرغب المؤمن في جنته، وذلك حين يذكر ما فيها من النعيم العظيم، ومن صوره ما في الجنة من حيوانات سخرها الله  له، وهو أيضًا يرهبه من النار حين يذكر له صنوفًا من العذاب فيها والتي منها طائفة من الحيوان أعدّها الله تعالى ليعذب بها أهل النار، فيعيش المؤمن بين الخوف والرجاء، يرجو رحمة الله تعالى وجنته، ويخاف من عذابه والنار.

13- في النهي عن لعن الحيــوان ثمــرة عظيمــة من ثمــرات الإيمان، تكسب المرء تمسكًا وثباتًا بهذا الدين العظيم، الـذي جاء بالرحمة لجميع المخلوقات بما فيها الحيوان، فلا يلعن إلا من يستحق اللعن من حيوان أو غيره.

14- الإيمان الكامل بأن الله تعـالى حكيم متصـف بالحكمـة في خلقـــه وشـــرعه، فمن حكمتـــه ســـبحانه أن فـــاوت بين المخلوقات، فكما جعل في البشر صالحًا وفاسـقًا، جعـل في هذه الحيوانات الصالحَ والفاسق - أيضًـا - وكـل ذلـك لحكمـة أرادها سـبحانه، ليتحقـق الابتلاء في هـذه الـدار، كمـا أن من حكمته سبحانه كل ما يحدث في خلقه، فلم يخلـق جـلَّ وعلا خلقًا عبثًـا، أو لغـير حكمـة، وهـذا ظـاهر جليٌ في تلـك الآلام التي تصيب الحيوانات التي رفع عنها التكليف، إذ هو لحكمــة يريدها سبحانه، قد يظهر للبشر شيئًا منهـا، وقـد تغيب عنهم أشياء كثيرة، وفي كل ذلـك يكـون المـؤمن على يقين أنـه لا يحصل في خلقه إلاّ ما قدَّره  لحكمة عظيمة.

15- أن الله تبارك وتعالى كـرّم الإنسـان وشـرّفه وفضّـله على الحيوان، بما كرّمه من العقل والتكليف، فإذا أدّى شـكر هـذا التكريم وقام بما أوجب الله عليه من طاعته حصـل لـه هـذا الشرف والتكريم في الدنيا والآخرة، وحين يخالف أوامر الله تعالى فهو كالأنعام أو أضل سبيلا، فيكون ذلك باعثًا للمــؤمن أن يحافظ على هذا التكريم الذي كرّمه الله تعالى به.

16- في التشبه بالحيوان انحطاط عن الرتبة الـتي شـرّف اللـه تعالى بها الإنسان عن الحيوان، ونزول بالنفس الإنسانية عن تلك الرتبة التي اختارها الله تعالى لصفوة خلقه وكرّمهم بها، فلم يُجعـل الإنسـان في رتبـة الحيـوان إلاّ حين ينحـرف عن المنهج السوي بالكفر أو الابتعاد عن سنة نبيه ؛ ولهذا جعـل المسخ إلى الحيوان نوعًا من أنواع العقاب الذي يعاقب اللـه تعالى به طوائف من الأمم قديمًا وحديثًا.

# الخاتمة

وفي ختام هذه الرسالة أحمد الله تعالى على الإعانة وأسـألـه التوفيـق والسـداد، وأذكـر أهم ماجـاء في هـذه الرسـالة من مسائل وهي:

- الحيوان هو: الجسم النامي المتحـرك بـالإرادة، وهـو تعريـف يـدخل فيـه الإنسـان والحيـوان، وقـد اصـطلح على إطلاق الحيوان على الحي الذي لا يعقل.
- قسم العلماء قديمًا الحيوان إلى أقسام كثيرة منهم من جعل الإنسـان قسـمًا من أقسـامه ومنهم من قسـم الحيـوان المعـروف دون إدخـال الإنسـان في هـذا القسـم، وذلـك لاعتبارات مختلفـة، وأمـا علمـاء الأحيـاء في العصـر الحـديث فإنهم قسموا الحيوان إلى قسمين رئيسين:
  حيوانات فقارية، وحيوانات لا فقارية.
- اهتم العلمـاء في التصـنيف في موضـوع الحيـوان قـديمًا وحـديثًا، فمن هـذه المصـنفات المخطـوط والمطبـوع، ومن أوسع هذه المصنفات: كتاب الحيوان للجاحظ، وحياة الحيوان الكبرى للدميري.
- في خَلْق الحيوان وعجائبه دلائل ظاهرة وبـراهين جليـة على ربوبية الله ، وتتجلى هذه الدلائل في:
  1- الخلق والاختراع.
  2- الإتقان والإحكام.
  3- التسخير والتدبير.
  4- كثرة أنواعها وأشكالها واختلاف ألوانها.
  5- ما أودعها الله تعالى من عجائب.
  6- رَزْق الحيوان وحياته المعَشِيَّة.
  7- تسخير الحيوان للإنسان.
  8- إنطاق الحيوانات وتخاطبها فيما بينها.
  9- وحي الله تعالى لبعض الحيوانات.
- فطر الله تعالى الحيوان على توحيده ، فهو يعرفـه، وسـجد له وسبحه، ويدعو خالقه، ويخافه.
- الله تبارك وتعالى خلق الحيوان وسخره للإنسان ليأكل منـه، ويلبس ويركب، ويتخذ منه زينة وجمالاً، كل ذلك وفق ما أمره به ربه وشرعه له، فلا يحل منه إلا ما أحله له، ولا يحـرم منـه إلا ما حرمه سبحانه، وقد سلك طوائف من البشر شرعًا غـير

شرع الله تعالى فحرموا منه ما لم يحرمه، وأحلوا منه مــا لم يحله في القديم والحديث في صور كثيرة جاء الإسلام ببيانهــا والتحذير منها.

- يــدخل في التصــوير المحــرم تصــوير الحيــوان ســواء أكــان مجسمًا أم غير مجسم؛ لما فيه من مضــاهاة اللــه تعــالى في خلقه، ولأنه وسيلة من وسائل الشرك، ولما فيه من مشــابهة من كانوا يصنعون الصور والتماثيل لتعبدَ من دون الله تعالى.
- من الطرق التي سلكها الشـيطان لغوايــة بــني آدم التصــرف في الحيوان على غير هدي الله تعالى، وتغير خلق اللــه  في الحيوان وغيره، وفي ذلك تعدٍّ على ربوبية الله ســبحانه الــذي خلــق المخلوقــات من إنس وحيــوان وغيرهــا، وصــورها على صورة اختارها، فلا خلق أتقن من خلقه، ولا تصوير أكمــل من تصويره.
- من النظريــات الباطلــة الــتي لهــا علاقــة بــالحيوان: نظريــة النشوء والارتقاء، لأنها قامت على الــزعم بــأن الحيــاة نشــأت على الأرض صدفة دون خالق، بل الطبيعة هي الــتي خلقتهــا، ولأن كل ما استند إليه أصحاب هذه النظريــة لا يثبتــه الواقــع، ولا العلم الصحيح.
- تجلت ربوبية الله تعالى في جعل البركة في بعض مخلوقاتــه فمن ذلــك: البركــة في الخيــل، والغنم، واللبن، وبركــة بهيمــة الأنعام بعد نزول عيسي  في آخر الزمان.
- وقعت طوائف من البشر قــديمًا وحــديثًا في عبــادة الحيــوان لأسباب مختلفة، وهذا الشرك لم يطرأ على البشــرية إلا بعــد أن عاشــت قرونًــا على التوحيــد، فعُبِــدت أنــواعٌ كثــيرة من الحيوانــات في مصــر والهنــد وغيرهــا، من البقــر والقطــط والثعابين وغيرها.
- شرع الله  التقرب إليه بـذبح بعض الحيوانـات في الأضـحية والعقيقــة والهــدي، وحــرم ذبح شــيء من الحيوانــات لغــيره، ونهى عن أكل ما ذبح منه ولم يذكر على اسمه .
- الحيوان من مخلوقات الله تعــالى لا يملــك لنفســه نفعــا، ولا يستطيع أن يدفع عنهــا ضــرًّا إلا بــإذن اللــه تعــالى، ومــع ذلــك استطاع الشيطان أن يوقــع طوائــف من البشــر في التشــاؤم بأنواع منها، فقد نــال الحيــوان النصــيب الأكــبر عنــد كثــير من

الناس قديمًا وحديثًا، وما يصدره الحيوان من أصوات، وما تكون عليه من هيئات وأشكال، كل ذلك بتدبير من اللطيف الخبير، فلم تكن تصنع ذلك لتدل على غائب أو مجهول.

- تعليق التمائم من الأمور التي تنافي التوحيد أو كماله، ومنها ما يكون مصنوعًا من الحيوان كبعض أعضاء الذئب أو غيره، ومنها ما يعلق على بعض الحيوان.
- في الحيوان طائفة تحب الطاعة وأهلها وتبغض المعصية وأهلها، وأخرى تعادي أهل الصلاح والإيمان.
- الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا تصحب رفقه فيها كلب وهو عام في جميع الملائكة، ويستثني من ذلك الكلب الذي أذن الشرع باقتنائه؛ لأن صاحبه فعل أمرًا أذن الشرع له بفعله.
- الملائكة لهم دوابُّ الله أعلم بكيفيتها؛ حيث جاء ما يدل على ركوبهم الفرس، وجبريل  ركب البراق.
- الحيوان منحه الله تعالى قدرة تختلف عن قدرة البشر، فهو يرى ما لا يراه البشر فمن ذلك رؤية الديك للملائكة، والحمار والكلب للشيطان.
- الجن تتشكل بأشكال كثيرة منها ما يكون على صورة حيوان من حيات وكلاب.
- الكلب الأسود شيطان كلاب لا شيطان جن؛ لأنه أخبث الكلاب وأضرها وأعقرها.
- الإبل خلقت من الشياطين، لما في طبعها من النفور والشرود، فهي خلقت على صفة تشبه الجن من النفور والإيذاء.
- الجن لهم دواب كما للإنس دواب الله أعلم بكيفيتها.
- أيد الله  بعض أنبيائه بآيات من جنس الحيوان، فمن ذلك: ناقة صالح ، والطير الذي أحياه الله تعالى لإبراهيم ، وآيات موسى  وهي العصا التي تنقلب حية، والجراد والقمَّل والضفادع، والميت الذي أحياه الله تعالى بعد أن ضرب ببعض البقرة، وحوت موسى  الذي أحياه الله تعالى بعد أن كان ميتًا ثم مسك الله  عن جريه في البحر، والحوت الذي التقم يونس ، وتسبيح الطير مع داود ، وتعليم سليمان  منطق الطير، وخلق عيسي  من الطين كهيئة الطير فيكون طيرًا

بإذن الله تعالى.

- من دلائل نبوة محمد  ما له علاقة بالحيوان ومنها: شكوى الجمل والحمرة إليه، وإخبار الذئب عن دعوته، والشاة المسمومة عن نفسها، وجمل جابر  الذي أعيا والبراق، وما جاء في حديث: (ناولني الذراع)، وفرس سراقة بن مالك في الهجرة، وبركة عناق جابر في الخندق، وظهور حليب الغنم في غير وقته، وفرس أبي طلحة الذي وجده بحرا، وناقته التي أخبر عنها بأنها: مأمورة، وتسابق البدن إليه في حجة الوداع، وآداب الوحش عند قدومه وانصرافه، وحادثة الفيل.
- في القرآن الكريم أمثلة كثيرة مضروبة من الحيوان.
- دلت الأدلة على وجود أشراط للساعة لها علاقة بالحيوان منها تكليم السباع، والجساسة، والخنزير الذي يقتله عيسى ، والدابة، والقلاص التي يترك الناس السعي عليها، ووقوع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم، والنغف الذي يرسله الله تعالى في رقاب يأجوج ومأجوج، والطير التي يرسلها الله تعالى لتحملهم بعد نتنهم فتطرحهم حيث شاء الله استجابة لدعاء عيسي  وأصحابه.
- ذهبت طوائف ممن قالت بعقيدة تناسخ الأرواح إلى أن الأرواح تنتقل من الإنسان إلى الحيوان، والعكس وهم معظم القائلين بهذه العقيدة.
- الحيوان من المخلوقات التي مكنها الله تعالى من سماع عذاب القبر، حيث حجبه الله تعالى عن الإنسان والجان.
- الحيوان يبعث ثم يحشر يوم القيامة كما يبعث الإنس والجن، ثم يقتص الله تعالى من بعضها لبعض.
- الجنة فيها من الحيوان: الإبل، والخيل، وثور الجنة، وحوتها، والغنم والطير.
- النار فيها: حيات وعقارب وذباب.
- نهي الإسلام عن لعن من لا يستحق اللعن حتى من الحيوان.
- جاء وصف بعض الحيوان بالفسق فمن ذلك: الحية، والعقرب، والغراب الأبقع، والفأرة، والحديًّا، والكلب العقور، والوزغ.
- الأنعام فضلها الله تعالى على المشرك به، وشبه سبحانه

الكافر ببعض الحيوان من بعض الجوانب.

- من تشبه بشيء من الحيوان فقد حط بنفسه عما كرمه الله تعالى به، ونزل عن الرتبة التي رفعه الله تعالى إليها وكرمه بها.
- وقع المسخ من الإنسان إلى الحيوان في الأمم السابقة، فوجد من مسخه الله تعالى إلى قردة وخنازير وغيرها، وفي هذا الأمة مسخ أيضًا كما وقع للأمم السابقة.
- من مسخ من إنسان على حيوان فإنه لا يتناسل بل ينتهي بذلك.
- ما يصيب الحيوان من الآلام لم يقع إلا لحكم عظيمة؛ لأنه سبحانه لا يفعل إلا لحكمة وإن جهل الناس شيئًا من هذه الحكم، فما من حيوان إلا ويحصل له من اللذة والخير والنعم ما هو أعظم مما يحصل له من الألم، فإنه يلتذ بالأكل والشراب والنوم والجماع وغير ذلك، فنعيمه ولذته أضعاف أضعاف ألمه.

# الفهارس

وتشتمل على الفهارس الآتية:

**1- فهرس الآيات الكريمة.**
**2- فهرس الأحاديث والآثار.**
**3- فهرس الأعلام المترجم لهم.**
**4- فهرس الفرق والأديان.**
**5- فهرس المصادر والمراجع.**
**6- فهرس الموضوعات.**

# فهرس الآيات الكريمة

| السورة | الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| الفاتحة | ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ﴾ | 1 | 37 |
| البقرة | ﴿ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ...﴾ | 17 | 322، 323 |
| البقرة | ﴿ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ...﴾ | 19 | 323 |
| البقرة | ﴿ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ...﴾ | 26 | 323 |
| البقرة | ﴿ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ...﴾ | 29 | 67، 76، 462 |
| البقرة | ﴿ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ﴾ | 47 | 160 |
| البقرة | ﴿ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ﴾ | 65 | 447، 449 |
| البقرة | ﴿ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ﴾ | 71 | 405 |
| البقرة | ﴿ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ...﴾ | 67ـ73 | 265 |
| البقرة | ﴿ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ﴾ | 74 | 164 |
| البقرة | ﴿ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ...﴾ | 159 | 212 |
| البقرة | ﴿ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ...﴾ | 170ـ171 | 326 |
| البقرة | ﴿ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ...﴾ | 173 | 185 |
| البقرة | ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ...﴾ | 196 | 184 |
| البقرة | ﴿ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ...﴾ | 213 | 92، 172 |
| البقرة | ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ...﴾ | 251 | 137 |
| البقرة | ﴿ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ﴾ | 255 | 229 |
| البقرة | ﴿ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ...﴾ | 256 | 211 |

| الصفحة | رقمها | الآية | السورة |
|---|---|---|---|
| 44 | 259 | ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﮊ | البقرة |
| 44، 257، 258، 405، 405 | 260 | ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ...ﮊ | البقرة |
| 322 | 11 | ﮋ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ | آل عمران |
| 210 | 28 | ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ | آل عمران |
| 282 | 49 | ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ...ﮊ | آل عمران |
| 132 | 59 | ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ...ﮊ | آل عمران |
| 222 | 123ـ125 | ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ...ﮊ | آل عمران |
| 57 | 191 | ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮊ | آل عمران |
| 133، 282 | 1 | ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ...ﮊ | النساء |
| 113، 115، 115 | 116ـ119 | ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ...ﮊ | النساء |
| 382 | 136 | ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮊ | النساء |
| 210 | 144 | ﮋ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮊ | النساء |
| 345 | 159 | ﮋ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ | النساء |
| 69، 184 | 1 | ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ...ﮊ | المائدة |
| 70 | 2 | ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ | المائدة |

| الصفحة | رقمها | الآية | السورة |
|---|---|---|---|
| 185، 186، 188، 190 | 3 | ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ...﴾ | المائدة |
| 70، 428 | 4 | ﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ...﴾ | المائدة |
| 92، 103 | 50 | ﴿ﯾ ﯿ ﰀﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉﰊ﴾ | المائدة |
| 448، 457 | 60 | ﴿ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ...﴾ | المائدة |
| 101 | 87 | ﴿ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ...﴾ | المائدة |
| 184، 184 | 95 | ﴿ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ...﴾ | المائدة |
| 94، 95 | 103 | ﴿ﯰﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ...﴾ | المائدة |
| 95 | 104 | ﴿ﭑﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ...﴾ | المائدة |
| 283 | 110 | ﴿ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ﴾ | المائدة |
| 282 | 1 | ﴿ﭓ ﭔ ﭕ﴾ | الأنعام |
| 39، 61، 87، 377، 380، 387، 389، 389 | 38 | ﴿ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇ...﴾ | الأنعام |
| 282 | 101 | ﴿ﯓﯔ ﯕ ﯖﯗ﴾ | الأنعام |
| 280 | 108 | ﴿ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ﴾ | الأنعام |
| 235، 244 | 112 | ﴿ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ﴾ | الأنعام |
| 187، 188 | 118ـ119 | ﴿ﯰﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ...﴾ | الأنعام |
| 188 | 121 | ﴿ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ...﴾ | الأنعام |
| 96 | 136 | ﴿ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ...﴾ | الأنعام |
| 96، 97 | 138 | ﴿ﭑﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ...﴾ | الأنعام |
| 97 | 139 | ﴿ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ...﴾ | الأنعام |
| 98 | 140 | ﴿ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ...﴾ | الأنعام |

| السورة | الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| الأنعام | [illegible] ي ې ې ۅ ۉ [illegible]... | 142ـ 144 | 69، 73، 98، 184، 99 |
| الأنعام | [illegible] ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۆ [illegible] | 145 | 425 |
| الأنعام | ﴿ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ...﴾ | 161ـ 163 | 182، 185، 187 |
| الأنعام | [illegible]... | 164 | 38 |
| الأعراف | [illegible] ۋ [illegible] | 11 | 282 |
| الأعراف | ﴿ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ﴾ | 16 | 174 |
| الأعراف | ﴿گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ﴾ | 27 | 232 |
| الأعراف | ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ...﴾ | 32 | 93 |
| الأعراف | ﴿ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک...﴾ | 34 | 264 |
| الأعراف | ﴿ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ...﴾ | 54 | 92 |
| الأعراف | ﴿ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ [illegible]...﴾ | 73 | 254 |
| الأعراف | ﴿ک ک ک ک گ گ...﴾ | 77 | 255 |
| الأعراف | ﴿ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ﴾ | 78 | 256 |
| الأعراف | ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ...﴾ | 106ـ 107 | 261 |
| الأعراف | [illegible] ى ى﴾ | 130 | 263 |
| الأعراف | [illegible] ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ...﴾ | 131 | 196 |
| الأعراف | ﴿ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ...﴾ | 133 | 263 |

| السورة | الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| الأعراف | ﴿ڱ ں ں ڻ ڻ ٹ ٹ ...﴾ | 135 | 264 |
| الأعراف | ﴿ ھ ھ ھ ھ ... ﯖ ﯗ﴾ | 136 | 264 |
| الأعراف | ﴿ھ ھ ھ ... ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ...﴾ | 148 | 108، 181 |
| الأعراف | ﴿ ... ﴾ | 149 | 108 |
| الأعراف | ﴿ھ ھ ھ ... ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ...﴾ | 163ـ 166 | 447 |
| الأعراف | ﴿ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ﴾ | 164 | 447 |
| الأعراف | ﴿ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ...﴾ | 172ـ 173 | 87 |
| الأعراف | ﴿گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ...﴾ | 175ـ 177 | 326، 436، 440 |
| الأعراف | ﴿ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ...﴾ | 179 | 328، 433، 435، 440 |
| الأعراف | ﴿ھ ھ ھ ھ ... ﯖ ﯗ ﯘ...﴾ | 185 | 40 |
| الأنفال | ﴿ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ﴾ | 55 | 434 |
| الأنفال | ﴿ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ...﴾ | 60 | 142، 144 |
| التوبة | ﴿ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ﴾ | 56 | 281 |
| التوبة | ﴿ک گ گ گ گ گ﴾ | 71 | 210 |
| يونس | ﴿ٹ ٹ ... ھ ھ ھ ھ ... ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ...﴾ | 18 | 198 |
| يونس | ﴿گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ...﴾ | 59ـ60 | 93 |
| يونس | ﴿ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ...﴾ | 98 | 270 |
| هود | ﴿ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ...﴾ | 6 | 58، 344، 346، 461 |

| السورة | الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- | --- |
| هود | ﴿ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ﴾ | 56 | 41 |
| هود | ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ﴾ | 65 | 256 |
| هود | ﴿ﮱ ﯓ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ﴾ | 67 | 256 |
| يوسف | ﴿ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ﴾ | 7 | 252 |
| يوسف | ﴿ﮣ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ﴾ | 17 | 34 |
| يوسف | ﴿ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ...﴾ | 40ـ39 | 92 |
| الرعد | ﴿ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ﴾ | 15 | 162 |
| إبراهيم | ﴿ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ﴾ | 25 | 322 |
| الحجر | ﴿ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ﴾ | 27 | 228 |
| الحجر | ﴿ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ﴾ | 28 | 132 |
| النحل | ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ﴾ | 4 | 282 |
| النحل | ﴿ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ﴾ | 5 | 69، 74، 75 |
| النحل | ﴿ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ...﴾ | 8ـ6 | 74، 72 |
| النحل | ﴿ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ﴾ | 14 | 70 |
| النحل | ﴿ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ﴾ | 17 | 181، 282 |
| النحل | ﴿ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ...﴾ | 49ـ48 | 162، 88 |
| النحل | ﴿ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ...﴾ | 66 | 70، 146 |
| النحل | ﴿ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ...﴾ | 69ـ68 | 41، 53، 71 |
| النحل | ﴿ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ...﴾ | 79 | 41 |
| النحل | ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ...﴾ | 80 | 74، 75 |
| النحل | ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ﴾ | 81 | 76 |
| النحل | ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ...﴾ | 88 | 402 |
| الإسراء | ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ...﴾ | 1 | 297 |

| السورة | الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| الإسراء | ﴿ﭽ ﭾ ﭿ﴾ | 11 | 241 |
| الإسراء | ﴿ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ...﴾ | 44 | 4، 88، 152، 157، 159، 160، 162، 165 |
| الإسراء | ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﭙ...﴾ | 59 | 255، 256 |
| الإسراء | ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ﴾ | 65 | 259 |
| الإسراء | ﴿ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ...﴾ | 70 | 439 |
| الإسراء | ﴿ ﮪ ﮫ﴾ | 82 | 206 |
| الإسراء | ﴿ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ﴾ | 89 | 322 |
| الإسراء | ﴿ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ...﴾ | 101 | 261 |
| الكهف | ﴿ﮍ ﮎ ﮏ ﮐﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ...﴾ | 18 | 45 |
| الكهف | ﴿...﴾ | 60ـ64 | 268 |
| طه | ﴿ﭼ ﭽ ﭾ...﴾ | 17ـ21 | 261 |
| طه | ﴿...﴾ | 49ـ50 | 57، 65، 57، 61، 168، 408 |
| طه | ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ...﴾ | 88ـ89 | 108 |
| الأنبياء | ﴿ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ﴾ | 30 | 37 |
| الأنبياء | ﴿ﭛ ﭜ ﭝ ﭞﭟ﴾ | 37 | 241 |
| الأنبياء | ﴿ ﮪ ﮫ ﮬﮭ...﴾ | 79 | 154، 272 |
| الأنبياء | ﴿ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ...﴾ | 87 | 270 |
| الأنبياء | ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ...﴾ | 96ـ97 | 366 |

| السورة | الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| الشعراء | ﴿ۀ ۂ       ﴾ | 155 | 254، 256، 405 |
| الشعراء | ﴿       ﴾ | 156 | 255 |
| الشعراء | ﴿  ى...﴾ | 157ـ158 | 255، 256، 405 |
| النمل | ﴿        ... ﴾ | 12 | 261 |
| النمل | ﴿ٹ ٺ ٻ ٻ ٿٿ ٽ ٽ ٹ...﴾ | 15ـ18 | 79، 279، 406 |
| النمل | ﴿ڦ ڤ ڦچ چ ڄ ڃ ڃ چ ڇ...﴾ | 16 | 274، 274 |
| النمل | ﴿ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ...﴾ | 18-19 | 54، 79، 275، 275، 276، 274 |
| النمل | ﴿ۈ ۋ ۋ     ...﴾ | 20ـ28 | 79، 89، 211، 277، 278، 280 |
| النمل | ﴿ی         ﴾ | 35 | 251 |
| النمل | ﴿ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ﴾ | 47 | 196 |
| النمل | ﴿ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک...﴾ | 82 | 76، 346، 358، 359 |
| القصص | ﴿ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک...﴾ | 31 | 261 |
| العنكبوت | ﴿ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ  ہ ھ ھ ھ﴾ | 6 | 59، 59 |
| العنكبوت | ﴿چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ...﴾ | 41 | 51، 330، 436 |
| العنكبوت | ﴿ۀ   ﮯ ﮯ ﮰ ﮰ ھ ھ﴾ | 43 | 322، 323 |
| العنكبوت | ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ٺ﴾ | 64 | 17 |

| السورة | الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- | --- |
| الروم | ﴿ۓ ڭ ڭ ۇۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ﴾ ۋ...﴾ | 3 | 87، 113، 174 |
| لقمان | ﴿﴾ | 19 | 331 |
| لقمان | ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ...﴾ | 20 | 67 |
| السجدة | ﴿ ﴾ ھ ھ ھ ھ ﴾...﴾ | 7ـ9 | 39، 57، 115، 133 |
| السجدة | ﴿ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ﴾ | 17 | 399 |
| الأحزاب | ﴿ۋ ې ې ى ى ئا ئا﴾ | 72 | 160 |
| سبأ | ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ﴾ | 10 | 153، 156، 273 |
| فاطر | ﴿ں ڻ ڻ ۀ ۀ ...﴾ | 1 | 221 |
| فاطر | ﴿ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ﴾ | 6 | 113 |
| فاطر | ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ...﴾ | 12 | 70 |
| فاطر | ﴿ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ﴾ | 13 | 181 |
| فاطر | ﴿ڃ ڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ﴾ | 24 | 377، 380، 381 |
| فاطر | ﴿ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ...﴾ | 27ـ28 | 43 |
| يس | ﴿ې ې ې ى ى ئا ئا﴾ | 38 | 165 |
| يس | ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ...﴾ | 71ـ73 | 68، 69، 73 |
| الصافات | ﴿ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ﴾ | 11 | 132 |
| الصافات | ﴿ژ ژ ڑ ڑ ک ک ... ې ې﴾ | 139ـ148 | 270، 406 |
| الصافات | ﴿ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ﴾ | 158 | 227 |

| السورة | الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ص | ﴿ٺ ٻ ٺ ٹ ٺ ٹ ٿ...﴾ | 18ـ19 | 156، 160، 273 |
| ص | ﴿ڳ ڳ ڱ ں ڻ ڻ ڻ ڻ...﴾ | 71ـ72 | 132، 133، 133، 134 |
| غافر | ﴿ٻ پ پ پ ٺٺ﴾ | 6 | 70 |
| غافر | ﴿ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ﴾ | 60 | 93 |
| غافر | ﴿ک ک ک گگ گ گ گ گ گ﴾ | 62 | 38 |
| الزمر | ﴿ک ک ک گگ گ گ گ گ گ گ﴾ | 62 | 280 |
| الشورى | ﴿...﴾ | 10 | 92 |
| الشورى | ﴿ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ...﴾ | 11 | 61 |
| الشورى | ﴿...﴾ | 29 | 387 |
| الشورى | ﴿ ـ ٻ ٻ ٻ ٻ پپ پ پ پ پ پ پ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺٺ ٺ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ﴾ | 52 | 281 |
| الزخرف | ﴿ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ...﴾ | 12ـ14 | 68، 72 |
| الزخرف | ﴿ ی ی ی ی...﴾ | 47ـ48 | 264 |
| الجاثية | ﴿ٺ ٺ ٺ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ﴾ | 4 | 38 |
| الجاثية | ﴿...﴾ | 13 | 67 |
| محمد | ﴿ـ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ پ پ پ...﴾ | 12 | 435، 440 |
| محمد | ﴿ ی ی یی ﴾ | 18 | 339 |
| الأحقاف | ﴿ڳ ڳ ڱ ں ڻ ڻ ڻ ڻ ﴾ | 25 | 280 |
| الفتح | ﴿ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ...﴾ | 29 | 34، 322 |
| الذاريات | ﴿ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ﴾ | 56 | 67 |
| الطور | ﴿ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ﴾ | 22 | 398 |

| الصفحة | رقمها | الآية | السورة |
|---|---|---|---|
| 127 | 35 | □ڤ ڦ ڦ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ□ | الطور |
| 332 | 7ـ6 | □□ □□ □ □ □ □ □ □ □…□ | القمر |
| 254 | 28 | □□ ٻ ٻ ٻ ٻپ پ پ ٿ□ | القمر |
| 255 | 29 | □ٿ ٿ ٿ ٿ□ | القمر |
| 404 | 49 | □□ □ □ □ □ □□ | القمر |
| 132 | 4 | □□ □ □ ڭ ڭ ڭ ڭ□ | الرحمن |
| 282 | 15 | □ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ□ | الرحمن |
| 398 | 21 | □ٹ ٹ ٹ ٹ□ | الواقعة |
| 152 | 1 | □ۈ ۈ □ ۋ ۋ □□ □ □ ې□ | الحديد |
| 152 | 1 | □□ □ □ □ □ □□ □ □ □□ | الحشر |
| 104 | 24 | □□ ې ې ۓ ۓ ۓ □ □…□ | الحشر |
| 210 | 1 | □□ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ…□ | الممتحنة |
| 152 | 1 | □ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ□ | الصف |
| 281 | 5 | □ ۓ □ □ □ □ □ □ | الصف |
| 152 | 1 | □□ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ□ | الجمعة |
| 332، 436، 448 | 5 | □ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ…□ | الجمعة |
| 152 | 1 | □□ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ…□ | التغابن |
| 382 | 9ـ7 | □□ □ □ □ ڭ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۈ □…□ | التغابن |
| 279 | 12 | □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ | الطلاق |
| 221 | 6 | □ۈ ۈ □ ۋ ۋ □ □ □ □ ې…□ | التحريم |
| 107 | 23 | □□ □ □ □ □ ھ ھ ھ ھ □ □ □ □ □ ڭ□ | نوح |
| 333، 437 | 51ـ49 | □پ پ پ ڀ…□ | المدثر |
| 334 | 33ـ32 | □ک گ گ گ گ گ ڳ□ | المرسلات |

| السورة | الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|---|
| التكوير | ﴿ٿ ٹ ٹـ﴾ | 5 | 387 |
| الانفطار | ﴿ٹـ ٹ ٺ ڤ ڤـ ڦ ...﴾ | 8ـ6 | 379 |
| الانفطار | ﴿ڃ ڃـ ڇ ڇـ﴾ | 9 | 380 |
| الأعلى | ﴿ں ڻ ڻـ ۀ...﴾ | 3ـ1 | 39، 408 |
| الغاشية | ﴿  ھ ھـ ھ ھـ﴾ | 17 | 40، 40 |
| الشمس | ﴿ڃ ڃـ﴾ | 12 | 255 |
| الشمس | ﴿ڍ ڍـ ڌ ڌـ ڎ ڎـ ڈ﴾ | 13 | 255 |
| التين | ﴿ٻـ ٻ ٿ ٿـ ٺ﴾ | 4 | 439 |
| العاديات | ﴿ڳـ ڳ ...﴾ | 5ـ1 | 143 |
| القارعة | ﴿ٹـ ٹ ٹ ٺ ڤ﴾ | 4 | 334 |
| الفيل | ﴿ڑـ ک ک ڪ ڪ گ گـ...﴾ | 5ـ1 | 318 |
| الكوثر | ﴿ژ ژـ ڑ﴾ | 2 | 182، 185 |

# فهرس الأحاديث والآثار

| الصفحة | طرف الحديث | م |
|---|---|---|
| | وامرأة من الأنصار على ناقة لهـا، فضـجرت فلعنتها... | |
| 387 | تأتي الإبل على صاحبها على خير مـا كـانت، إذا هو لم يعط فيها حقها، تطؤه بأخفافها... | 73 |
| 361 | تخرج الدابّة فتسم الناس على خراطيمهم... | 74 |
| 396 | تكـون الأرض يـوم القيامـة خـبزة واحـدة، يتكفؤها الجبار بيده... | 75 |
| 206 | التمائم ما علق قبل نزول البلاء... | 76 |
| 148 | ثم يقـال للأرض: أنبـتي ثمـرك، وردي بركتك... | 77 |
| 290، 341 | جـاء ذئب إلى راعي الغنم فأخـذ منهـا شـاة، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه... | 78 |
| 394 | جاء رجـل بناقـة مخطومـة، فقـال: هـذه في سبيل الله... | 79 |
| 427 | جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة فجاءت بهـا، فألقتهـا بين يـدي رسـول اللـه  على الخُمْرَة... | 80 |
| 229، 234 | الجن ثلاثـة أصـناف: صـنف لهم أجنحـة يطيرون في الهواء... | 81 |
| 73 | الحمد لله، سبحان الذي سـخر لنـا هـذا ومـا كنَّا له مقرنين... | 82 |
| 450 | الحيات مسخ الجن... | 83 |
| 358 | خروج الآيات بعضها على إثر بعض... | 84 |
| 228 | خلقت الملائكـة من نـور، وخلـق الجـان من مارج من نار... | 85 |
| 425 | خمس فواسـق يقتلن في الحـل والحـرم: الحيَّة... | 86 |
| 235، 425 | خمس من الـدوابّ كلهن فواسـق يقتلن في الحرم: الغراب... | 87 |
| 169 | خير يوم طلعت فيه الشـمس يـوم الجمعـة، فيه خلق آدم... | 88 |

| م | طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|---|
| 165 | لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء... | 420 |
| 166 | لتؤدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء... | 387، 391 |
| 167 | لدغت النبي  عقرب، وهو يصلي فلما فرغ قال: لعن الله العقرب... | 423 |
| 168 | لعن الله الواشماتِ والمستوشمات... | 114 |
| 169 | لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه... | 185 |
| 170 | لعن رسول الله  المتشبهين من الرجال بالنساء... | 443 |
| 171 | لك بها سبعمائة ناقة مخطومة في الجنة... | 394 |
| 172 | لما أقبل النبي  إلى المدينة تبعه سراقة بن مالك بن جشم... | 302 |
| 173 | لما انطلق النبي  وأبو بكر مستخفين مرّا بعبد يرعى غنمًا... | 308 |
| 174 | لما حُفر الخندق رأيت بالنبي  خَمَصًا شديدًا... | 304 |
| 175 | لما صور الله تعالى آدم  في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه... | 134 |
| 176 | لها ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج في أقصى البادية... | 348 |
| 177 | اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك... | 428 |
| 178 | لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها... | 265 |
| 179 | لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير... | 60، 461 |
| 180 | ليس الخبر كالمعاينة... | 258 |
| 181 | ليس في الدنيا مما في الجنَّة إلا الأسماء... | 399 |
| 182 | ليشربن ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها... | 452 |
| 183 | ليكوننَّ من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير... | 451 |

| م | طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|---|
| 221 | يوشك أن يكون خير مـال المسـلم غنم يتبـع بها شَعَفَ الجبال... | 146 |

# فهرس الأعلام المترجم لهم

| م | العَلَم | الصفحة |
|---|---|---|
| 21 | جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب السوائي | 443 |
| 22 | جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري (أبو عبد الله) | 91 |
| 23 | جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (أبو عبد الله) | 311 |
| 24 | جندب بن جنادة (أبو ذر) | 161 |
| 25 | حافظ بن أحمد الحكمي | 248 |
| 26 | حذيفة بن أسيد بن خالد الغفاري أبو سريحة | 340 |
| 27 | الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (أبو محمد) | 311 |
| 28 | الحسين بن عبد الله ابن سيناء (أبو علي) | 26 |
| 29 | الحسين بن محمد الأصبهاني (أبو القاسم العلامة الماهر الملقب بالراغب) | 84 |
| 30 | الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي | 357 |
| 31 | حمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي (أبو سليمان) | 241 |
| 32 | خالد بن زيد بن كليب الأنصاري النجاري (أبو أيوب) | 312 |
| 33 | الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري | 16 |
| 34 | ديموقريطس | 25 |
| 35 | رافع بن خديج الحارثي الأوسي الأنصاري | 189 |
| 36 | رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري المدني صحابي (أبو لبابة) | 232 |
| 37 | زكريا بن محمد بن محمود القزويني (عماد الدين أبو يحيى) | 20 |
| 38 | زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري | 384 |
| 39 | زيد بن خالد الجهني المدني صحابي | 211 |
| 40 | زيد بن سهل بن الأسود الأنصاري (أبو طلحة) | 111 |
| 41 | زينب بنت الحارث اليهودية | 294 |

| الصفحة | العَلَم | م |
|---|---|---|
| | (الحافظ أبو الفضل) | |
| 314 | عيسى بن يـونس بن أبي إسـحاق السـبيعي (أبو عمرو) | 81 |
| 343 | فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهرية | 82 |
| 308 | قيس بن النعمان السكوني | 83 |
| 201 | قيس بن عبيد الأنصاري (أبو بشير) | 84 |
| 166 | مجاهد بن جبر، المخزومي (أبو الحجاج) | 85 |
| 38 | محمــد الأمين بن محمــد المختــار الجكــني الشنقيطي | 86 |
| 80 | محمد الطاهر بن عاشور | 87 |
| 43 | محمـــد بن أبي بكـــر بن أيـــوب الـــزرعي الدمشقي (ابن قيم الجوزية) | 88 |
| 370 | محمـد بن أحمـد البـيروني الخـوارزمي (أبـو الريحان) | 89 |
| 175 | محمد بن أحمد بن مصطفى (أبو زهرة) | 90 |
| 67 | محمد بن جرير بن يزيد الطبري (أبو جعفر) | 91 |
| 240 | محمد بن حبان بن أحمد التيمي البستي (أبو حاتم) | 92 |
| 205 | محمد بن سيرين (أبو بكر) | 93 |
| 207 | محمــد بن عبــد اللــه بن محمــد الإشــبيلي المعروف (ابن العربي) | 94 |
| 61 | محمد بن عمر بن الحسين القرشي الـرازي (فخر الدين) | 95 |
| 27 | محمد بن محمد بن علي العوفي الإسكندري (أبو الفتح) | 96 |
| 389 | محمـــد بن محمـــد بن محمـــد بن أحمـــد الطوسي الشافعي الغزالي (أبو حامد) | 97 |
| 26 | محمد بن موسى الدَّمِيري (كمال الـدين أبـو البقاء) | 98 |
| 239 | محمـود بن أحمـد بن موسـى العيـني (بـدر الدين أبو محمد) | 99 |

| الصفحة | العَلَم | م |
| --- | --- | --- |
| 62 | محمود بن عمر بن محمد الزمخشـري (أبـو القاسم) | 100 |
| 25 | معمر بن المثنى البصري (أبو عبيدة) | 101 |
| 306 | المقداد بن عمرو الكندي (أبو الأسود) | 102 |
| 163 | منصور بن محمد السـمعاني المـروزي (أبـو المظفر) | 103 |
| 148 | النواس بن سمعان الكلابي الأنصاري | 104 |
| 112 | وهب بن عبـــد اللـــه بن جنـــادة الســـوائي العامري صحابي (أبو جحيفة) | 105 |
| 217 | يحيى بن شـرف النـووي (محـيي الـدين أبـو زكريا) | 106 |
| 144 | يوسف بن عبد اللـه بن محمـد بن عبـد الـبر (أبو عمر) | 107 |

# فهرس الفرق والأديان

# فهرس المصادر والمراجع

**أولاً: القرآن الكريم.**

**ثانيًا: المصادر والمراجع:**

1- **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم:** صديق حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.
2- **أبكار الأفكار في أصول الدين:** علي بن محمد الآمدي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت.
3- **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة:** أحمد بن أبي بكر البوصيري.
4- **الإتقان:** جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1431هـ.
5- **أجزاء الحيوان:** أرسطو طاليس، ترجمة: يوحنا بن البطريق، حققه وشرحه وقدم له: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1978م.
6- **الإجماع:** محمد بن إبراهيم بن المنذر، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، دار المسلم، الرياض، ط1، 1425هـ.
7- **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام:** ابن دقيق العيد، تحقيق: أحمد شاكر، دار الجيل، بيروت، ط2، 1416هـ.
8- **أحكام الأضحية والذكاة:** محمد بن عثيمين، مدار الوطن للنشر، الرياض، 1424هـ.
9- **أحكام القرآن:** أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، بدون ذكر تاريخ الطباعة ورقمها.
10- **أحكام القرآن:** لأحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1405هـ.
11- **آداب الزفاف في السنة المطهرة:** محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، ط7، 1404هـ.

12- **الأدب المفرد:** محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط3، 1409هـ.

13- **أديان العالم:** حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة.

14- **أديان الهند الكبرى:** د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط11، 2000م.

15- **الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها:** د. إبراهيم محمد إبراهيم، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1406هـ.

16- **الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة:** عبد القادر شيبة الحمد، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ط1، 1423هـ.

17- **أربع كلمات مفيدة في الأحكام والعقيدة:** صالح البليهي، مطابع السلمان، 1409هـ.

18- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم:** أبو السعود محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخها.

19- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد:** لإمام الحرمين الجويني، تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر، 1369هـ.

20- **أسباب النزول:** علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عصام الحميدان، مكتبة المجتمع، الخبر، 1420هـ.

21- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب:** يوسف بن عبد البر، تحقيق: علي البيجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ.

22- **أسد الغابة في معرفة الصحابة:** علي بن محمد بن الأثير، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1407هـ.

23- **الأسماء والصفات:** أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ط1.

24- **الإسـماعيلية المعاصـرة الأصـول:** المعتقـدات، المظـاهر الدينيـة والاجتماعيـة، محمـد بن أحمـد الجـوير، مكتبة الرشد، الرياض، ط3، 1427هـ.
25- **أسـنى المطـالب في شـرح روض الطـالب:** زكريا الأنصاري، تحقيق: د. محمد محمـد تـامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
26- **إسـهام علمـاء العـرب والمسـلمين في علم الحيـوان:** علي عبـد اللـه الـدفاع، مؤسسـة الرسـالة، بيروت، ط1، 1406هـ.
27- **أشراط الساعة:** يوسف الوابـل، دار ابن الجـوزي، الدمام، ط8، 1418هـ.
28- **الإصابة في تميـيز الصـحابة:** أحمـد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البيجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ.
29- **أصول الإسماعيلية:** دراسة-تحليـل-نقـد، سـليمان عبد الله السلومي، دار الفضيلة، الرياض، ط2، 1422هـ.
30- **أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة:** إعداد نخبة من العلماء بإشراف وزير الشوؤن الإسلامية, مجمـع الملك فهد لطباعة المصحف الشـريف, المدينـة المنـورة, 1421هـ.
31- **أضـواء البيـان في إيضـاح القـرآن بـالقرآن:** محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.
32- **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد:** د. صـالح الفوزان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1423هـ.
33- **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين:** محمد بن عمر الـرازي، تحقيـق: علي سـامي النشـار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ.
34- **الإعجـاز الإلهي في خلـق الإنسـان وتفنيـد نظريـة داروين:** محمـد نبيـل النشـواتي، دار القلم، دمشق، ط1، 1422هـ.
35- **إعجـاز القـرآن في الكـون والإنسـان بين ثـوابت العلم ومتغيراتـه:** يوسـف الملاّ، دار السـلام، مصر، ط1، 1431هـ.

36- **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري:** حمد بن محمد الخطابي، تحقيق ودراسة: د. محمد بن سعد آل سعود، جامعة أم القرى، ط1، 1409هـ.

37- **إعلام الموقعين عن رب العالمين:** محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1973م.

38- **أعلام النبوة:** علي بن محمد الماوردي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ.

39- **الإعلام بفوائد عمدة الأحكام:** عمر بن علي الأنصاري المعروف بابن الملقن، تحقيق: عبد العزيز المشيقح، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1421هـ.

40- **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام:** وإظهار محاسن الإسلام، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي، دار التراث العربي، القاهرة، 1398هـ.

41- **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين:** خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م.

42- **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان:** ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395هـ.

43- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم:** أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، ط5، 1417هـ.

44- **الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل:** موسى الحجاوي، تحقيق: عبد اللطيف السبكي، دار المعرفة، بيروت.

45- **آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان:** محمد بن عبد الله الشبلي، تحقيق: أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1415هـ.

46- **إكمال المعلم بفوائد مسلم:** عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1419هـ.
47- **ألوان من حياة الحيوان:** د. سعد الدين مكاوي، منشأة المعارف، الإسكندرية.
48- **إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات:** عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان.
49- **الإنسان والداروينية:** محمد صالح كريم خان، مطبعة الجمهور، الموصل، 1976م.
50- **الإنسان ونظرية داروين:** محمد أحمد باشميل، مطبعة شركة الطبع اللبنانية، بيروت، ط1، 1384هـ.
51- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ.
52- **آيات الله في خلق الحيوانات البرية والبحرية وبعثها وحسابها:** ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1428هـ.
53- **آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات:** ماهر الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1428هـ.
54- **إيضاح الحجة على صاحب طنجة:** حمود عبد الله التويجري، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض، ط1.
55- **البحر الرائق شرح كنز الدقائق:** ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة، بيروت.
56- **بحر العلوم:** نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخها.
57- **البحر المحيط:** أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي محمد عوض، زكريا النوفي، أحمد الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
58- **البحر المديد:** لأحمد بن محمد الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1423هـ.

59- **البداية والنهاية:** إسماعيل بن كثير، تحقيق: علي شيري دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408هـ.
60- **البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير:** عمر بن علي المعروف بابن الملقن، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة، الرياض، ط1، 1425هـ.
61- **بذل المجهود في حل سنن أبي داود:** خليل أحمد السهار نفوري، اعتنى به وعلق عليه: تقي الدين الندوي، دار البشائر، بيروت، ط1، 1427هـ.
62- **البرهان في علوم القرآن:** بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1431هـ.
63- **البزار في البحر الزخار:** أحمد بن عمرو البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ومكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط1، 1409هـ.
64- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:** جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا.
65- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:** عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1431هـ.
66- **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة:** محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط1، 1407هـ.
67- **بلوغ المرام:** لأحمد بن علي بن حجر، تحقيق: محمد حامد الفقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط3، 1411هـ.
68- **تاج العروس من جواهر القاموس:** محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

69- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام:** محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ.

70- **تاريخ الأمم والملوك:** محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ.

71- **تاريخ الفلسفة الإسلامية:** ماجد فخري، الدار المتحدة للنشر، 1979م.

72- **تاريخ مدينة دمشق:** وذكر فضائلها وتسمية من حلها من الأماثل، علي بن الحسن بن هبة المعروف بابن عساكر، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة، دار الفكر، بيروت، 1995م.

73- **تأويل مختلف الحديث:** عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد النجار، دار الجيل، بيروت، 1393هـ.

74- **التبرك المشروع والتبرك الممنوع:** د. علي نفيع العلياني، دار الوطن، الرياض، ط1، 1411هـ.

75- **التبرك أنواعه وأحكامه:** د. ناصر الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، ط5، 1421هـ.

76- **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين:** طاهر بن محمد الأسفراييني، تحقيق: كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1983م.

77- **التبيان لما يحل ويحرم من الحيوان:** لشهاب الدين أحمد بن يوسف الأفقهسي الشافعي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ.

78- **التحرير والتنوير:** محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، 1997م.

79- **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي:** محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

80- **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين:** محمد علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

81- **تحقيـق مـا للهنـد من مقولـة مقبولـة في العقـل أو مرذولـة:** أبـو الريحـان، محمـد بن أحمـد البيروني، مطبعة مجلس دائرة المعـارف العثمانيـة، حيـدر آباد، الهند، 1377هـ.
82- **تحقيـق مشـكاة المصـابيح:** محمـد بن عبـد اللـه التـبريزي، تحقيـق: محمـد ناصـر الـدين الألبـاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1405هـ.
83- **تذكرة الحفاظ:** محمـد بن أحمـد الـذهبي، تحقيـق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.
84- **الترغيب والترهيب:** عبـد العظيم بن عبـد القـوي المنـذري، تحقيـق: إبـراهيم شـمس الـدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ.
85- **التسـبيح في الكتـاب والسـنة والـرد على المفاهيم الخاطئة فيـه:** د. محمـد إسـحاق كنـدو، دار المنهاج، الرياض، ط1، 1426هـ.
86- **التسـهيل لعلـوم التنـزيل:** محمـد بن أحمـد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط4، 1403هـ.
87- **التعريفـات:** علي بن محمـد الجرجـاني، تحقيـق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ.
88- **تفسير ابن أبي حاتم:** عبد الرحمن بن أبي حـاتم الرازي، تحقيـق: أسـعد محمـد الطيب، المكتبـة العصـرية، صيدا.
89- **تفسير القرآن العظيم (سورة الكهف):** محمد صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط2، 1433هـ.
90- **تفسـير القـرآن العظيم:** إسـماعيل بن كثـير، تحقيق: عبد العزيز غنيم ومحمد عاشـور ومحمـد البنَّا، دار الشعب، القاهرة، من إصدارات وزارة الشـؤون الإسـلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية.
91- **تفسير القرآن الكريم - سورة البقرة:** لمحمـد بن صـالح العـثيمين، دار ابن الجـوزي، الـدمام، ط2، 1431هـ.

92- **تفسير القرآن الكريم -جزء عم:** لمحمد صالح العثيمين، دار الثريا للنشر، بإشراف مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية، ط3، 1424هـ.
93- **تفسير القرآن:** عبد الرزاق الصنعاني، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1410هـ.
94- **تفسير القرآن:** منصور السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم ابن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1418هـ.
95- **تفسير المراغي:** أحمد مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1985م.
96- **تقريب التهذيب:** أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، دمشق، 1406هـ.
97- **التقمص:** أمين طليع، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1980م.
98- **تلبيس إبليس:** أبو الفرج ابن الجوزي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1421هـ.
99- **التمائم في ميزان العقيدة:** د. علي بن نفيع العلياني، دار الوطن، الرياض.
100- **التمهيد لشرح كتاب التوحيد:** صالح عبد العزيز آل الشيخ، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط2، 1433هـ.
101- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد:** ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري، مؤسسة قرطبة.
102- **تناسخ الأرواح أصوله وآثاره وحكم الإسلام فيه:** محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، الأردن، ط1، 1411هـ.
103- **تهافت نظرية داروين في التطور أمام العلم الحديث:** أورخان محمد علي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1418هـ.
104- **تهذيب الكمال:** أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق: د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1400هـ.

105- **تهذيب اللغة:** محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2001م.
106- **توحيد الخالق والإعجاز العلمي في القرآن الكريم:** عبد المجيد الزنداني، دار السلام، القاهرة، ط5، 1427هـ.
107- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد:** سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط6، 1405هـ.
108- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، دار السلام، الرياض، ط2، 1422هـ.
109- **التيسير في القراءات السبع:** عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: أوتوتريزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1404هـ.
110- **الثقات:** محمد ابن حبان البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ط1، 1395هـ.
111- **ثقافة الهند وحياتها الروحية والأخلاقية الاجتماعية:** للبروفيسور أثريا.
112- **جامع البيان في تأويل القرآن:** محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ.
113- **جامع الرسائل:** شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط1، 1422هـ.
114- **الجامع لأحكام القرآن:** محمد بن أحمد القرطبي، راجعه وضبطه وعلق عليه الدكتور: محمد الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1414هـ.
115- **جريدة الشرق الأوسط:** عدد (11128)، يوم الأحد 22/ 5/ 1430هـ.
116- **جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف:** د. عبد العزيز بن صالح الطويان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1419هـ.

117- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح:** أحمد بن تيمية، تحقيق: د. علي الألمعي، ود. عبد العزيز العسكر، ود. حمدان الحمدان، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 1424هـ.
118- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي:** محمد بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
119- **حاشية السندي على النسائي:** نور الدين السندي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ.
120- **حجة القراءات:** عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1402هـ.
121- **الحجة على أهل المدينة:** محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: مهدي حسن الكيلاني، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ.
122- **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة:** إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: د. محمد ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض، 1419هـ.
123- **الحديث الشريف:** الكتب الستة، دار السلام، الرياض، ط3، 1421هـ.
124- **الحركات الباطنية في العالم الإسلامي:** عقائدهم وحكم الإسلام فيها، د. محمد أحمد الخطيب، دار عالم الكتب، الرياض، ط3، 1428هـ.
125- **حسن التنبه لما ورد في التشبه:** محمد بن محمد بن الغَزِّي، تحقيق ودراسة لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، مؤسسة دار النوادر، سورية، ط1، 1432هـ.
126- **الحشرات في القرآن الكريم والسنة المطهرة:** د. رمضان مصري هلال، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1421هـ.

127- **حياة الحيوان الكبرى:** محمد بن موسى الدَّميري، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط1، 1406هـ.
128- **الحيوان:** أحمد بن محمد بن أبي الأشعث، تحقيق: عبد الرزاق أحمد الحربي، ديوان الوقف السني، العراق، 1429هـ.
129- **الحيوان:** الحسين بن عبد الله بن سيناء، تحقيق ومراجعة: إبراهيم مذكور وعبد الحليم منتصر وسعيد زايد وعبد الله إسماعيل، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1970م.
130- **الخصائص الكبرى:** جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ.
131- **خلاصة سير سيد البشر:** عبد الله بن حمد الطبري، تحقيق: طلال الرفاعي، مكتبة الباز، مكة المكرمة، 1418هـ.
132- **دائرة المعارف:** البستاني، دار المعرفة، بيروت.
133- **الدابة:** دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، د. محمد العلي، دار طيبة، الرياض، ط1، 1429هـ.
134- **داروين ونظرية التطور:** شمس الدين آق بلوت، ترجمة أورخان محمد علي، دار الصحوة، القاهرة.
135- **درء تعارض العقل والنقل:** أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض، 1391هـ.
136- **دراسات في الأديان الوثنية القديمة:** د. أحمد علي عجيبة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2004م.
137- **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية:** د. سعود الخلف، أضواء السلف، الرياض، ط5، 1427هـ.
138- **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند:** د. محمد محمد الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط4، 1429هـ.

139- **دراسات في علوم القرآن الكريم:** د. فهد الرومي، دار المتعلم، الزلفي ومكتبة التوبة، الرياض، ط 8، 1420هـ.
140- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة:** أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، حيدر آباد، 1392هـ.
141- **دعوة الرسل إلى الله تعالى:** محمد أحمد العدوي، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ.
142- **دلائل التوحيد انطلاقًا من القرآن والكون:** عبد الله عبد القادر التليدي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1420هـ.
143- دلائل النبوة للبيهقي.
144- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة:** أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط1، 1408هـ.
145- **دلائل النبوة:** أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: مساعد الراشد الحميد، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1412هـ.
146- **دلائل النبوة:** أبو بكر الفريابي، تحقيق: عامر حسين صبري، دار حراء، مكة المكرمة، 1406هـ.
147- **دلائل النبوة:** أبو نعيم الأصبهاني، اعتنى به نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2009م.
148- **دلائل النبوة:** سعيد عبد القادر باشنفر، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1424هـ وقد اشتمل على أكثر من ألف وأربعمائة دلالة بتقديم الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله.
149- **دلائل نبوته ﷺ في ضوء السنة:** د. أحمد محمود شيمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
150- **دليل الطالب للدروس العلمية في مبادئ علم الحيوان:** فيصل أبو طربوش، ومحمد صلاح الدين السعيد، جامعة الملك سعود، الرياض، ط2، 1423هـ.

151- **الديانات والعقائد:** أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، ط1، 1981م.
152- **الرحلات الهندية (الشمال الشرقي في الهند):** محمد بن ناصر العبودي، مطبعة النرجس، الرياض، ط1، 1422هـ.
153- **الرحلات الهندية (في أقصى شرق الهند):** محمد بن ناصر العبودي، مطبعة النرجس، الرياض، ط1، 1432هـ.
154- **الرحلات الهندية (في وسط الهند):** محمد بن ناصر العبودي، مطبعة النرجس، الرياض، ط1، 1427هـ.
155- **الرحلات الهندية (نظرات في شمال الهند):** محمد بن ناصر العبودي، مطبعة النرجس، الرياض، ط1، 1424هـ.
156- **رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر:** مرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق: أسعد محمد المغربي، دار حراء، مكة المكرمة، ط1، 1410هـ.
157- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** أبو الفضل محمد الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
158- **الروح:** ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ.
159- **روضة الطالبين وعمدة المفتين:** يحيى بن شرف النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ.
160- **رياض الصالحين:** يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد الدقاق، دار المأمون للتراث، ودار الفجر الإسلامي، دمشق، ط20، 1422هـ.
161- **زاد المسير:** عبد الرحمن بن علي الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1403هـ.
162- **زاد المعاد في هدي خير العباد:** محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط15، 1407هـ.

163- **سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد:** محمد بن يوسف الشامي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ.
164- **سر صناعة الإعراب:** أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985م.
165- **سلسلة الأحاديث الصحيحة:** محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، 1415هـ.
166- **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة:** محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، ط1، 1412هـ.
167- **سلوك الحيوان:** جون بول سكوت، ترجمة: عبد الحميد خليل وعبد الحافظ حلمي، مكتبة الخانجي، القاهرة.
168- **السنة:** أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، تحقيق: باسم الجوابرة، دار الصميعي، الرياض، ط1، 1419هـ.
169- **سنن ابن ماجه:** محمد بن ماجه القزويني، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتويع، الرياض، ط2، 1420هـ.
170- **سنن أبي داود:** سليمان بن الأشعث السجستاني، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتويع، الرياض، ط2، 1420هـ.
171- **سنن البيهقي الكبرى:** أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ.
172- **سنن الترمذي:** محمد بن عيسى الترمذي، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتويع، الرياض، ط2، 1420هـ.
173- **سنن الدارمي:** عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز زمرلي، وخالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ.

174- **سنن النسائي الصغرى:** أحمد بن شعيب النسائي، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتويع، الرياض، ط2، 1420هـ.

175- **سنن سعيد بن منصور:** سعيد بن منصور الخرساني، حققه وعلق عليه: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

176- **سير أعلام النبلاء:** محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1412هـ.

177- **السيرة النبوية الصحيحة:** د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1416هـ.

178- **السيرة النبوية:** عبد الملك بن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت، 1411هـ (3/ 15-16)، والبداية والنهاية.

179- **شأن الدعاء:** حمد محمد الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، 1984م.

180- **الشبكة العنكبوتية – منتديات النباتيين – مذهب النباتيين:** عبد الله النديم.

181- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب:** عبد الحي ابن العماد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1406هـ.

182- **شرح الأصول الخمسة:** عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1408هـ.

183- **شرح الأصول الخمسة:** للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، مكتبة وهبة، ط1، 1384هـ.

184- **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك:** محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ.

185- **شرح الزركشي على مختصر الخرقي:** محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423هـ.

186- **شرح السنة:** الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط2، 1402هـ.
187- **شرح العقيدة السفارينية:** محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن، الرياض، إشراف: مؤسسة الشيخ محمد صالح العثيمين الخيرية، ط1، 1426هـ.
188- **شرح العمدة:** أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: خالد بن علي المشيقح، دار العاصمة، الرياض، ط 1، 1418هـ.
189- **شرح العمدة:** أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: سعود العطيشان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1413هـ.
190- **الشرح الممتع على زاد المستقنع:** محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1422هـ.
191- **شرح رياض الصالحين:** لابن عثيمين، مدار الوطن، الرياض، ط2، 1427هـ.
192- **شرح صحيح البخاري:** أبو الحسن ابن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1423هـ.
193- **شرح مشكل الآثار:** أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ.
194- **شرح معاني الآثار:** أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1399هـ.
195- **الشرك في القديم والحديث:** أبو بكر زكريا، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1422هـ.
196- **الشريعة:** محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د. عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط2، 1420هـ.
197- **شعب الإيمان:** أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ.

198- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى:** القاضي عياض اليحصبي، تحقيق: عامر الجزار، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ.
199- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل:** محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: د. أحمد الصمعاني، ود. علي العجلان، دار الصميعي، الرياض، ط1، 1429هـ.
200- **الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية:** الترمذي، تحقيق: سيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1412هـ.
201- **صبح الأعشى في كتابة الإنشاء:** أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، 1981م.
202- **الصحاح:** إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي، ط2، 1402هـ.
203- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان:** محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ.
204- **صحيح ابن خزيمة:** محمد إسحاق بن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1390هـ.
205- **صحيح الأدب المفرد:** دار الصديق، ط1، 1421هـ.
206- **صحيح البخاري:** محمد بن إسماعيل البخاري، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتويع، الرياض، ط2، 1420هـ.
207- **صحيح الترغيب والترهيب:** محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط5.
208- **صحيح الجامع وزيادته:** محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1408هـ.
209- **صحيح السيرة النبوية:** المكتبة الإسلامية، عمّان، ط1، 1421هـ.

210- **صحيح سنن ابن ماجه:** محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407هـ.
211- **صحيح سنن أبي داود:** محمد بن ناصر الدين الألباني، اختصر أسانيده، وعلق عليه زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط1، 1409هـ.
212- **صحيح سنن الترمذي:** محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط1، 1408هـ.
213- **صحيح سنن النسائي:** باختصار السند، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط1، 1409هـ.
214- **صحيح مسلم بشرح النووي:** يحيى بن شرف النووي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
215- **صحيح مسلم:** مسلم بن الحجاج النيسابوري، ضمن موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتويع، الرياض، ط2، 1420هـ.
216- **صفحات من حياة علامة القصيم:** الشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، د. عبد الله بن محمد الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1413هـ.
217- **الصمت وأدب اللسان:** لابن أبي الدنيا، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، دار الكتب العربي، بيروت، ط1، 1410هـ.
218- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع:** محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت.
219- **طبقات الشافعية الكبرى:** تاج الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ.
220- **طبقات الشافعية:** أبو بكر ابن قاضي شهبة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1407هـ.
221- **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية:** ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الوطن، الرياض، بدون ذكر الطبعة وتاريخها.

222- **طريـق الهجـرتين وبـاب السـعادتين:** ابن قيم الجوزية، تحقيق: عايد العقيلي وعبد الله القحطاني وخالـد العايد، دار الفضيلة، الرياض، ط 1، 1432هـ.
223- **ظلال الجنــة في تخــريج الســنة لابن أبي عاصم:** المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1413هـ.
224- **عارضة الأحوذي بشـرح صـحيح الترمـذي:** أبـو بكر ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت.
225- **عــالم الجن في ضــوء الكتــاب والســنة:** عبد الكريم نوفان عبيدان، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط3، 1426هـ.
226- **عـالم الحيـوان بين العلم والقـرآن:** د. محمـد محمود عبد الله، دار الرشيد، بيروت، ط1، 1417هـ.
227- **عــالم الملائكــة الأبــرار:** د. عمــر الأشــقر، دار النفائس، عمان، الأردن، ط7، 1415هـ.
228- **العبر في خبر من غبر:** محمد بن أحمـد الـذهبي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.
229- **عبودية الكائنات لرب العـالمين:** فريـد التـوني، مكتبة الضياء، جدة، ط1.
230- **عجــائب المخلوقــات والحيوانــات وغــرائب الموجـودات:** زكريــا بن محمــد بن محمــود القزويــني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1421هـ.
231- **عجــائب المخلوقــات والحيوانــات وغــرائب الموجودات:** وعجائب النباتات والفواكـه والحيوانـات من خلال مخطوط فريـدة العجـائب وفريـدة الغـرائب، سـراج الدين ابن الوردي، تحقيق: أنور محمود زناتي، جامعة عين شمس.
232- **العجـاب في بيـان الأسـباب:** أحمـد بن علي بن حجــر، تحقيــق: عبــد الحكيم الأنيس، دار ابن الجــوزي، الدمام، ط1، 1418هـ.
233- **العظمة:** أبو الشيخ، عبد الله بن محمـد الأصـبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمـد المبـاركفوري، دار العاصـمة، الرياض، ط1، 1408هـ.

234- **العقد الفريد:** أحمد بن محمد بن عبد ربه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
235- **العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية:** محمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق: طلعت فؤاد، دار الفاروق، القاهرة، ط2، 1423هـ.
236- **عقيدة التوحيد في القرآن الكريم:** محمد أحمد ملكاوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط1425هـ.
237- **عقيدة الحلول والتناسخ عرضًا ونقدًا:** د. محمد العلي، دار الصميعي، الرياض، ط1، 1431هـ.
238- **عقيدة الدروز عرض ونقد:** محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، عمان ط1، 1400هـ.
239- **العقيدة في الله:** عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، بيروت، ودار النفائس، الكويت، ط7، 1411هـ.
240- **علم الحيوان:** محمود البنهاوي، وأميل شنوده، وعبد العظيم شلبي ومحمد فتحي سعود، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1988م.
241- **العلمانية:** سفر الحوالي، دار الهجرة.
242- **علوم القرآن:** لنور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط،1، 1414هـ.
243- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري:** بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ الطبعة ورقمها.
244- **عون المعبود شرح سنن أبي داود:** محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1959م.
245- **العين:** الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي مخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
246- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء:** أحمد بن القاسم السعدي، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.
247- **غريب الحديث:** أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، ط1، 1396هـ.

248- **غريب الحديث:** حمد الخطابي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، 1402هـ.
249- **فتـاوى اللجنـة الدائمـة للبحـوث العلميـة والإفتاء:** جمع وترتيب أحمد عبد الرزاق الدويش.
250- **فتـاوى نـور على الـدرب:** عبـد العزيـز بن بـاز، ترتيب وإشراف: د. محمد سعد الشويعر، الرئاسـة العامـة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط1، 1428هـ.
251- **فتـاوى ورسـائل سـماحة الشـيخ محمـد بن إبراهيم:** مطبعة الحكومة، بمكة المكرمة، جمع وتـرتيب: محمد ابن عبد الرحمن بن قاسم، ط1، 1399هـ.
252- **فتح الباري بشـرح صـحيح البخـاري:** أحمـد بن حجر العسقلاني، اعتنى به: أبو قتيبـة نظـر الفاريـابي، دار طيبة، الرياض، ط2، 1429هـ.
253- **فتح البـاري في شـرح صـحيح البخـاري:** عبد الـرحمن بن رجب الدمشـقي، تحقيـق: طـارق عـوض الله محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، 1422هـ.
254- **الفتح الرباني لترتيب مسند أحمـد ابن حنبـل الشيباني:** لأحمد البنَّا، دار الشهاب، القاهرة.
255- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسـير:** محمـد بن علي الشـوكاني، من إصـدارات وزارة الشـؤون الإسـلامية والأوقـاف والـدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1431هـ.
256- **فتح المجيد شرح كتاب التوحيـد:** عبـد الـرحمن بن حسـن، مـع حواشـي: محمـد حامـد الفقي: مراجعـة وتصحيح ابن باز، دار الخير، بيروت، ط1، 1412هـ.
257- **فتح الـودود في شـرح سـنن أبي داود:** أبـو الحسن السندي، تحقيق: محمد زكي الخولي، مكتبة لينـة، مصـر، ومكتبـة أضـواء المنـار، المدينـة المنـورة، ط1، 1421هـ.
258- **فـرق الشـيعة:** الحسـن بن موسـى النوبخـتي، دار الأضواء بيروت، 1404هـ.

259- **الفـرق بين الفـرق وبيـان الفرقـة الناجيـة:** عبد القـاهر البغـدادي، دار الآفـاق الجديـدة، بـيروت، ط2، 1977م.
260- **فـرق معاصـرة تنسـب إلى الإسـلام وبيـان موقـف الإسـلام منهـا:** د. غـالب عـواجي، المكتبـة العصرية الذهبية، جدة، ط4، 1424هـ.
261- **فضائح الباطنية:** أبو حامد محمد الغزالي، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة الرسالة، دار الكتب الثقافيـة، الكويت، بدون طبعة وتاريخ.
262- **فقه السنة:** سيد سـابق، دار الفكـر، بـيروت، ط1، 1418هـ.
263- **الفهرست: محمد بن إسـحاق ابن النـديم:** دار المعرفة، بيروت.
264- **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النـذير:** محمـد عبـد الـرؤوف المنـاوي، ضـبطه وصححه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415هـ.
265- **القـــاموس المحيـــط:** محمــــد بن يعقــــوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
266- **القضـاء والقـدر في ضـوء الكتـاب والسـنة:** عبد الرحمن صالح المحمود، دار الوطن، 1418هـ.
267- **القول المفيـد على كتـاب التوحيـد:** محمـد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط2، 1424هـ.
268- **الكاشف عن حقائق السنن:** عبد اللـه بن محمـد الطيبـي، تحقيق: عبد الحميـد هنـداوي، مكتبـة نـزار البـاز، مكة المكرمة، ط1، 1417هـ.
269- **الكاشف في معرفة من لـه روايـة في الكتب الســتة:** للـــذهبي، دار الكتب العلميـــة، بـــيروت، ط1، 1403هـ.
270- **كتـاب الحيـوان:** عمـر بن بحـر الجاحـظ، تحقيـق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

271- **كشــاف القنــاع عن متن الإقنــاع:** منصــور البهـوتي، تحقيـق: هلال مصـيلحي، ومصـطفى هلال، دار الفكر، بيروت، 1402هـ.
272- **الكشــاف عن حقــائق التنــزيل وعيــون الأقاويــل في وجــوه التأويــل:** محمــود بن عمــر الزمخشــري، تحقيـق: عبـد الـرزاق المهـدي، دار إحيـاء التراث العربي، بيروت، ط1، 1417هـ.
273- **كشف الظنـون عن أسـامي الكتب والفنـون:** حاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ.
274- **الكلم الطيب:** لابن تيميــة، تحقيــق: محمــد ناصــر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1977م.
275- **الكليات:** معجم في المصطلحات والفروق اللغويــة، أبـو البقـاء أيـوب بن موسـى الحسـيني الكفـوي، تحقيـق: عــدنان درويش ومحمــد المصــري، مؤسســة الرســالة، بيروت، 1419هـ.
276- **كواشف زيوف:** عبد الرحمن حبنكـة الميـداني، دار القلم، دمشق، ط2، 1412هـ.
277- **لباب التأويـل في معـاني التأويـل:** علاء الـدين الخازن، دار الفكر، بيروت، 1979م.
278- **اللبــاب في شــرح الكتــاب:** عمــر بن علي الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمــد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.
279- **لسـان العـرب:** محمـد بن مكـرم بن منظـور، دار صادر، بيروت، ط1.
280- **لغـة الحيـوان:** ميلنت أ. سلسـام، ترجمـة: كامـل منصور، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1966م.
281- اللـه: عبـاس محمـود العقـاد، دار نهضـة مصـر، ط8، 2012م.
282- **مباحث في علوم القرآن:** د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط16، 1985م.
283- **مبـاحث في علـوم القـرآن:** د. منـاع القطـان، مكتبة المعارف، الرياض، ط3، 1421هـ.

284- **مبــادئ علم الحيــوان العــام:** أحمــد الشــاذلي وفــاروق محمــد حلمي وإبــراهيم علي جعبــوب وإبــراهيم عبده رواسن، دار المطبوعات الجديدة، مصر.
285- **المبسوط:** محمد بن أبي سهل السرخسي، تحقيق: خليل محـيي الـدين الميس، دار الفكـر للطباعـة والنشـر، بيروت، ط1، 1421هـ.
286- **متن القصيدة النونية:** مكتبة ابن تيمية، القــاهرة، ط2، 1417هـ.
287- **مجلة الأزهر:** مجمع البحوث الإسـلامية بـالأزهر، ذو القعدة، 1396هـ.
288- **مجلـة الإعجـاز العلمي:** الهيئـة العالميـة للإعجـاز العلمي في القرآن والسنة عدد (11) شوال 1422، مقال بعنوان (حقيقة نظرية داروين)، د. حامد إسحاق خوجه.
289- **مجلــة الجامعــة الإســلامية:** عــدد (15)، مقــال: السنن الكونية، د. محمد تقي الدين الهلالي.
290- **مجلة الدراسات العقدية:** موقـف فـرق الباطنيـة من اليـوم الآخـر، د. عبـد القـادر عطـا صـوفي، الجمعيـة العلميــة الســعودية لعلــوم العقيــدة والأديــان والفــرق والمذاهب، الجامعـة الإسـلامية، المدينـة المنـورة، عـدد3، محرم، 1431هـ.
291- **مجلــة المــورد:** وزارة الثقافــة والإعلام، العــراق، السـنة 1391هـ المجلد الأولـ عددـ 1،ـ 2، مقـال: كتب الحيوان عند العرب، محمد باقر علوان.
292- **مجلة الوعي الإسلامي:** وزارة الأوقاف والشؤون الإســلامية، الكــويت، عــدد (456)، الســنة (4)، شــعبان، 1424هـ.
293- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائـد:** علي بن أبي بكــر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، 1412هـ.
294- **مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبـد العزيـز بن باز:** عبد الله الطيار، دار الوطن، ط1، 1416هـ.
295- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميــة:** جمــع وتـرتيب: عبـد الـرحمن بن قاسـم، مطـابع الريـاض، ط1، 1381هـ.

296- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** عبد الحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ.
297- **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين:** محمد عمر الرازي، تقديم: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية.
298- **المحلى:** علي بن أحمد بن حزم الظاهري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون طبعة.
299- **مختصر الشمال المحمدية:** لمحمد ناصر الدين الألباني المكتبة الإسلامية، عمان.
300- **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة:** ابن قيم الجوزية، اختصار: محمد الموصلي، تحقيق: د. حسن العلوي، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1425هـ.
301- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:** محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1393هـ.
302- **المدخل لدراسة القرآن الكريم:** محمد بن محمد أبو شهبة، دار الجيل، بيروت، ط2، 1422هـ.
303- **المدهش:** أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: د. مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1985م.
304- **مذاهب فكرية معاصرة:** محمد قطب، دار الشروق، ط6، 1412هـ.
305- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:** علي بن سلطان بن محمد القاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
306- **المستدرك على الصحيحين:** محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ.
307- **مسند أبي داود الطيالسي:** سليمان بن داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، بدون ذكر الطبعة.
308- **مسند أبي عوانة:** يعقوب بن إسحاق الأسفراييني، دار المعرفة، بيروت.

309- **مسند إسحاق بن راهويه:** إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط1، 1412هـ.
310- **المسند:** أحمد بن حنبل، عناية: د. بدر الدين جنتن، دار سحنون، تونس، ط2، 1413هـ.
311- **مشكلة التأليه في فكر الهند الديني:** د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، دار الفيصل للثقافة، الرياض، ط1، 1422هـ.
312- **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه:** أحمد بن أبي بكر الكناني، تحقيق: محمد الكشناوي، دار العربية، بيروت، 1403هـ.
313- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:** للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
314- **مصرع الداروينية:** محمد علي يوسف، تقديم: د. محمد علي البار، دار الشروق، جدة، ط1، 1403هـ.
315- **مصنف ابن أبي شيبة:** أبو بكر محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ.
316- **مصنف عبد الرزاق:** عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403هـ.
317- **مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية:** أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط6، 1391هـ.
318- **معارج القبول (2/ 512):ـ** وأحكام الرقى والتمائم، د. فهد ابن ضويان السحيمي، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1419هـ.
319- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول:** حافظ حكمي، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، ط2، 1413هـ.

320- **معـالم التنــزيل:** الحسـين بن مسـعود البغـوي، تحقيق: محمد عبـد اللـه النمـر، وعثمـان جمعـة ضـميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشـر والتوزيـع، ط4، 1417هـ.
321- **معـالم السـنن:** حمـد محمـد الخطـابي، صـححه: محمـــد راغب الطبـــاخ، المطبعـــة العلميـــة، حلب، ط1، 1351هـ.
322- **المعتزلـة وأصـولهم الخمسـة وموقـف أهـل السـنة منهـا:** عـواد عبـد اللـه المعتـق، مكتبـة الرشـد، الرياض، ط3، 1417هـ.
323- **معتقدات آسـيوية:** د. كامـل سـعفان، دار النـدى، مدينة نصر، ط1، 1419هـ.
324- **معجم الأدباء:** ياقوت الحموي، دار الكتب العلميــة، بيروت، ط1، 1411هـ.
325- **معجم الأمثــال في القــرآن الكــريم:** ســميح عاطف الزين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتـاب اللبناني، بيروت، ط2، 1430هـ.
326- **المعجم الأوسـط:** سـليمان بن أحمـد الطـبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسـين، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ.
327- **معجم الحيوان:** أمين المعلوف، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932هـ.
328- **المعجم الصـغير:** سـليمان بن أحمـد الطـبراني، تحقيـق: محمـد شـكور محمـود الحـاج أمريـر، المكتب الإسلامي، عمَّان، ط1، 1405هـ.
329- **المعجم الكبــير:** ســليمان بن أحمــد الطــبراني، تحقيـق: حمـدي عبـد المجيـد السـلفي، مكتبـة العلـوم والحكم، الموصل، ط2، 1404هـ.
330- **معجم المؤلفين:** عمر رضا كحالة، مكتبـة المثـنى، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
331- **معرفة الثقات:** أحمد بن عبد الله العجلي، تحقيق: عبد العليم البستوي، مكتبة الدار، المدينة، ط1، 1405هـ.

332- **المغني في أبواب العدل والتوحيد:** عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تحقيق: أحمد الأهواني، وتوفيق الطويل، وسعيد زايد، طبعة القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ط1، 1382هـ.
333- **المغني:** عبد الله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: د. عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1410هـ.
334- **مفاتيح الغيب:** محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.
335- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة:** محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: علي حسن الحلبي، دار ابن القيم، الرياض، ودار ابن عفان، القاهرة، ط2، 1420هـ.
336- **المفردات في غريب القرآن:** الراغب الأصبهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
337- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم:** أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محي الدين مستو وأحمد محمد السيد، ويوسف علي بديوي، ومحمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، دار الكلم الطيب، دمشق، ط1، 1417هـ.
338- **المفيد في مهمات التوحيد:** د. عبد القادر عطا صوفي، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1428هـ.
339- **مقارنات الأديان:** محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991م.
340- **مقارنة الأديان:** د. محمد أحمد الخطيب، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط2، 2009م.
341- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:** أبي الحسن الأشعري، قدم له وكتب حواشيه: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، بيروت، 1430هـ.
342- **مقاييس اللغة:** أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ.

343- **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد:** إبراهيم بن مفلح، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، 1410هـ.

344- **الملل والنحل:** محمد عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، 1410هـ.

345- **من آيات الإعجاز العلمي الحيوان في القرآن الكريم:** الدكتور: زغلول راغب النجار، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1422هـ.

346- **من عجائب المخلوقات بين منهج القرآن والعلم الحديث:** د. عبد الرحمن عميرة، دار الحرم للتراث.

347- **من مشاهير علمائنا:** د. محمد بن سعد الشويعر، نادي الطائف الأدبي، ط1، 1421هـ.

348- **المنتخب من مسند عبد بن حميد:** عبد بن حميد، تحقيق: صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط1، 1408هـ.

349- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم:** أبو الفرج ابن الجوزي، دار صادر، بيروت، ط1، 1358هـ.

350- **المنتقى شرح موطأ مالك:** سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ.

351- **المنجد في اللغة:** علي بن حسن الهنائي، دار الشروق، بيروت، ط20.

352- **منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل:** محمد عليش، دار الفكر، بيروت، 1409هـ.

353- **المواقف:** عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، 1997م.

354- **موسوعة إكسفورد العربية:** ترجمة وتعديل مجلس من الأكاديميين وأساتذة الجامعات العرب والبريطانيين، إشراف: حسن مرضي حسن، دار الفكر، لبنان، ط، 1999م.

355- **موسوعة الأديان السماوية والوضعية:** حسن نعمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994م.

356- **موسـوعة الإعجـاز العلمي في القـرآن والسـنة:** د. محمـد السـقاعيد، دار اليقين، مصـر، ط2، 1430هـ.
357- **موسوعة الإعجاز العملي في القرآن الكريم:** والسـنة المطهـرة، يوسـف الحـاج أحمـد، مكتبـة دار ابن حجر، دمشق، ط2، 1424هـ.
358- **موسوعة الحـديث الشـريف:** الكتب السـتة، دار السلام للنشر والتويع، الرياض، ط2، 1420هـ.
359- **موسوعة الحيوان الشاملة:** أعـد النص العـربي: د. ألبير مطلق، مكتبة لبنان ناشرون، بالتعـاون مـع شـركة دور لينغ كِندَرسلي، لبنان، ط1، 2009م.
360- **موسوعة الحيـوان:** هيشـر إينجـل فارنهـام، وأكيلا فوتغرافيس وهوكسلي، وآخرون، دار قتيبة، دمشق.
361- **موسوعة الطبيعة الميسرة:** وضع النص العـربي وأشـرف على تحريرهـا: أحمـد شـفيق الخطيب، مكتبـة لبنان، ط1، 1985م.
362- **الموسـوعة العربيـة العالميـة:** مؤسسـة أعمـال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2.
363- **الموسوعة الميسـرة في الأديـان والمـذاهب والأحـزاب المعاصـرة:** النـدوة العالميـة للشـباب الإسلامي، إشراف: د. مـانع الجهـني، دار النـدوة العالميـة للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1418هـ.
364- **موسوعة عالم الحيوان:** إلفانـا مصـطفى حمـود، دار الفكر اللبناني، ط2، 1995م.
365- **الموطأ:** مالك بن أنس، تحقيـق: فـؤاد عبـد البـاقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
366- **موقف ابن تيمية من الأشـاعرة:** عبـد الـرحمن المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، 1415هـ.
367- **ميزان الاعتدال:** محمد بن أحمد الـذهبي، تحقيـق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبـد الموجـود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.
368- **النبـوات:** أحمـد بن تيميـة، المطبعـة السـلفية، القاهرة، 1386هـ.

369- **النصيرية:** سهير محمد علي الفيل، دار المنار، القاهرة، ط1، 1410هـ.
370- **نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها:** قيس القرطاس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1391هـ.
371- **النكت والعيون:** علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
372- **نهاية الإقدام في علم الكلام:** عبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه: الفردجيوم، بدون ذكر الطباعة ولا تاريخها.
373- **نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم:** إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمد فهيم أبو عبية، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ط1، 1968م.
374- **النهاية في الفتن والملاحم:** إسماعيل بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ.
375- **النهاية في غريب الحديث والأثر:** ابن الأثير الجزري، أشرف عليه وقدم له: علي بن حسن الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1421هـ.
376- **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار:** محمد بن علي الشوكاني، دار النوادر، الكويت، 1431هـ.
377- **هداية العارفين في أسماء المؤلفين:** إسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ.
378- **الهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق:** رواية المفضل الجعفي، تحقيق: مصطفى غلاب، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1977م.
379- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:** أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.
380- **الولاء والبراء في الإسلام:** د. صالح الفوزان، دار الوطن، الرياض، 1411هـ.
381- **الولاء والبراء في الإسلام:** محمد سعيد القحطاني، دار طيبة، الرياض، ط3، 1409هـ.

# فهرس الموضوعات